THE WITCHER

ANDRZEJ SAPKOWSKI

TIME OF CONTEMPT



زمن الإزدراء

Ai Translator

الجزء ٤

ترجمة غير رسمية

الويتشر

أندريه سابكوسكي

حول هذه الترجمة:

هذا الكتاب هو عملٌ خيالي، إن الأسماء والشخصيات والأماكن والأحداث هي من وحي خيال الكاتب أو تم استخدامها بشكلٍ خيالي، وأي تشابه مع أحداث أو أماكن أو أشخاص حقيقيين، سواء كانوا أحياء أو أمواتًا، هو من قبيل الصدفة.

تم نشر هذا الكتاب في الأصل باللغة البولندية تحت عنوان **Sezon Burz**.

تمت الترجمة العربية بواسطة أدوات الذكاء الإصطناعي لذلك فالترجمة غير مطابقة للنص الأصلي.

تنويه وإخلاء مسؤولية:

هذه الترجمة غير رسمية وغير دقيقة ولاتطابق الرواية أو محتواها. وهي بغرض المراجعة والاطلاع فقط.

لذلك لاتغني عن امتلاك النسخة الأصلية أو ترجمتها الرسمية عند توفرها بالمكتبات العربية علماً أنه لاتوجد ترجمة عربية رسمية حتى الآن.

إن القيام باستخدام شبه الترجمة هذه بخلاف أغراض المراجعة والاطلاع قبل الشراء هي أمانة تقع على عاتق وتحت مسؤولية أصحابها فقط.

نأمل المبادرة بشراء النسخة الأصلية أو ترجمتها الرسمية عند توفرها دعماً للمؤلف وأصحاب الحقوق.

Ai Translator

دماءٌ على يديكِ، فالكا..

دماءٌ على ثوبكِ..

إحترقي، إحترقي يا فالكا، وموتي ..

موتي بوجعٍ جراء جرائمكِ!

الفيديمينز (المعروفون لدى النرويجيين بإسم الويتشرز) هم طائفةٌ غامضة ونخبوية من الكهنة المحاربين، يُعتقد أنهم انبثاق من سلالة الدرويدز في الوعي الشعبي النرويجي، ويُنسب لهم قوى سحرية وقدرات خارقة للطبيعة؛ قيل إنهم يُحاربون الأرواح الشريرة والوحوش وقوى الظلام بكل أشكالها، لكن واقعياً، وبفضل مهارتهم الفذّة في استخدام الأسلحة، استغلهم حكّام الشمال في حروبهم القبلية الداخلية.

في القتال، يَغيب الفيديمينز في غيبوبةٍ تشبه النشوة، يُعتقد أنها ناتجة عن تنويم ذاتي أو مواد مُخدرة، ويقاتلون بطاقةٍ خالصة، غير مُبالين بالألم ولا حتى بالجروح المميتة، مما عزز الأساطير حول قواهم الخارقة، أما النظرية التي تربطهم بالتحوّرات الجينية أو الهندسة الوراثية، فلم تجد تأكيداً من أحد، ظل الفيديمينز أبطالاً لقصص النرويجيين العديدة.

(راجع: ف. ديلانو، أساطير وحكايات النرويج)

الفصل الأول

عندما كان يُخاطب الشبان المنضمين إلى الخدمة، اعتاد "أبلجات" أن يُخبرهم أنَّ امتهان مهنة الرسل الفرسان يتطلّب شيئين: رأسًا من ذهب ومؤخرة من حديد.

فالرأس الذهبي ضروري – كما كان يُعلّم أبلجات الرسلَ اليافعين – لأنَّ الحقيبة الجلدية المسطحة المربوطة على صدر الرسول تحت ثيابه لا تحوي سوى على أخبارٍ ثانوية، يُمكن بتفويضٍ أعمى إيداعُها لأوراقٍ خائنة أو مخطوطات. أما الأخبار السرية المُهمة حقًّا – تلك التي يتوقف عليها مصائر عظيمة – فيجب أن تُحفَر في ذاكرة الرسول، ولا تُنقل إلا للمُرسَل إليه حرفًا بحرف. كلماتٌ قد تكون أحيانًا ملتوية، يصعب نطقها ناهيك عن حفظها. لذا، لا بُدَّ من عقلٍ فطنْ كي يستوعبها دون زلل.

أما فوائد المؤخرة الحديدية، فكلُّ رسولٍ سيكتشفها سريعًا بنفسه. حين يأتي وقتُ الركوب ثلاثة أيامٍ بلياليها، قطعًا مئة ميل أو مئتين على طرقاتٍ وعرةٍ أو ربما عبر أدغالٍ بلا مسالك. بالطبع لن تجلس في السرج بلا توقف؛ فأحيانًا قد تنزل لتستريح. فالرجل قد يتحمل، لكن الحصان أقل صبرًا. لكن حين يحين وقت العودة للسرج بعد الراحة، ستصرخ مؤخرتك: "النجدة! أقتلوني!"

"لكن من يحتاج لرسلٍ فرسان الآن، أيها المُعلّم أبلجات؟" كان الشباب يسألون أحيانًا بدهشة. "خذ مثلاً المسافة من فينجربيرج إلى فيزيميا؛ لا يُمكن اختصارها بأقل من أربعة أيام – بل خمسة – حتى بأسرع الجياد. لكن كم يستغرق الساحر من فينجربيرج ليُرسل خبرًا لساحرٍ في فيزيميا؟ نصف ساعة، أو أقل! فرسُ الرسول قد يعرج، لكن رسالة الساحر تصل دائمًا. لا تضيع، لا تتأخر. ما جدوى الرسل والسحرة في كل بلاط ملكي؟ الرسل لم يعودوا ضروريين!"

منذ فترة، كان أبلجات يُفكّر هو أيضًا أنه لم يعد ذا نفعٍ لأحد. كان في السادسة والثلاثين، قصيرُ القامة لكنه قويٌّ ومتين، ولا يخشى العمل الشاق، ويمتلك – بالطبع – رأسًا من ذهب. كان بمقدوره أن يجد عملًا آخر ليعيل زوجته، ويدّخر مهرًا لابنتيه العازبتين، ويساعد المتزوجة التي زوجها الخاسرُ دائمًا ما يُخفق في تجارته. لكن أبلجات لم يُرد أن يتخيل نفسه في مهنةٍ أخرى. كان رسولًا ملكيًّا فارساً، هكذا ببساطة.

وفجأة، بعد فترةٍ طويلة من النسيان والبطالة المُذلّة، عاد الجميع يحتاجون لأبلجات. وعادت طرقُ الغابات والسهول تدوّي بحوافر الخيل. كالأيام الخوالي، وعاد الرسل يجوبون الأرض حاملين الأنباء من مدينةٍ لأخرى.

أبلجات يعرف السبب. كان يرى الكثير ويسمع أكثر. من المُفترض أن يمحو كل رسالةٍ من ذاكرته بعد إبلاغها، أن ينساها كأنها لم تكن حتى تحت التعذيب. لكن أبلجات تذكّر. يعرف لماذا توقف الملوك فجأة عن استخدام السحر والسحرة في اتصالاتهم. الأخبار التي يحملها الرسل يجب أن تبقى سرًّا عنهم. الملوك لم يعودوا يثقون بالسحرة؛ لم يعودوا يودعونهم أسرارهم.

أبلجات لا يدري ما الذي أشعلَ هذه البرودة المفاجئة في علاقة الملوك بالسحرة، ولا يكترث كثيرًا. هو يرى أن كليهما مخلوقاتٌ غامضة، تصرفاتُهم غريبة ولايمكن التنبؤ بها خاصةً في الأوقات العصيبة. وأن الأوقاتَ الآن هي أوقاتٌ عصيبةٌ بلا شك، لمن يسافر بين القلاع والممالك.

فالطرق تعجّ بالجنود، وفي كل خطوةٍ تقابلك كتيبة مشاة أو فرسان، وكل قائدٍ تقابله متوترٌ وعصبيٌّ متعجرف، كأن مصير العالم كله على كتفيه. والقلاع والمدن أيضًا تغصّ بالمسلحين، وتُخيم عليها ضجةٌ محمومة ليل نهار. حكامُ القلاع وقادة الحصون – الذين نادرًا ما يُرى منهم أحد – يهرولون الآن على الأسوار وفي الأفنية، غاضبين كالنحل قبل العاصفة، يصرخون في قسوة ويُصدرون الأوامر ويركلون من يصادفهم. ليل نهار، فلا ترى سوى عرباتُ إمدادٍ ثقيلة تتدحرج نحو الحصون، تتجاوزها عرباتٍ فارغةً عائدة. وخيولٌ فتيةٌ نَشِطةٌ تُثير الغبارَ في الطرقات، وبغالٌ لم تعتد اللجام أو الفرسان المسلحين تستمتع بأيامها الأخيرة بحرية، وتُزعج الفرسان وتُتعب الحَمَلة.

كانت رائحة الحربُ معلقةً في الهواء الحار الراكد وتنذر بحدوثٍ وشيك.

نهض أبلجات في رِكابه، محدقًا حوله. عند سفح التل، وقد تلألأ نهرٌ متعرج بين المروج وبقع الأشجار. وامتدت الغابات خلفه جنوبًا. أخذ يحثُّ الرسولُ فرسه. فالوقتُ كان ينفد.

لقد قضى يومين على الطريق. وصلته الأوامر الملكية والبريد في "هاجي" أثناء استراحته بعد عودته من "تريتوجور". فغادر الحصن ليلاً يعدو على الطريق الرئيسي شرق نهر "بونتار"، عبر حدود "تميريا" قبل الفجر، والآن - ظهر اليوم التالي - كان على ضفة "إيزمينا". لو كان الملك "فولتست" في "فيزيميا"، لسلَّمه الرسالةَ نفس الليلة. لكن الملك لم يكن في العاصمة، بل في "ماريبور" الجنوبية، على بعد مئتي ميل. عرف أبلجات ذلك، فانحرف عند "الجسر الأبيض" عن الطريق الغربي، متجهًا عبر الغابات نحو "إلاندر". كان يخاطر. فـ"سكواي تيل" لا تزال تجوب الأدغال، وويلٌ لمن يقع بين أيديهم. لكن الرسول الملكي مضطرٌ للمخاطرة. هذه مهنته.

عبر النهر بسهولة - فلم تمطر منذ يونيو، وانخفض منسوب "إيزمينا" - وحافَظَ على حافة الغابة حتى وصل الطريق الجنوبي الشرقي من "فيزيميا" نحو مصانع الأقزام في جبال "مهاكام". كان الطريق مزدحمًا بالعربات وفرق الفرسان الصغيرة. تنفَّس أبلجات الصعداء: حيث يكثر البشر، وتختفي "سكواي تيل". الحملة ضد المتمردين الألف استمرت عامًا في "تميريا"، فتفرقوا إلى جماعاتٍ صغيرةٍ تتجنب الطرق المزدحمة.

قبل الغروب، وصل إلى تقاطع "زافادا" على حدود "الإلاندر". من هنا، طريقٌ آمنٌ إلى "ماريبور": 42 ميلاً من المسارات المليئة بالغابات، وحانةٌ عند التقاطع. قرر إراحة فرسه ونفسه. وإذا انطلق عند الفجر، فسيشاهد أعلام "ماريبور" الحمراء قبل الغروب.

نزع سرج الفرس وعناها بنفسه – إذ لا يسمح الرسول الملكي لأحد بلمس فرسه - والتهم بيضًا مقليًّا مع سجق ونصف رغيف خبزٍ أسود، يرافقه مزيجُ جعة. أصغى للإشاعات: اشتباكات جديدة في "دول أنجرا" بين فرسان "ليريا" و"نيلفجارد"، ملكة "ليريا" تتهم "نيلفجارد" بالاستفزاز... إعدام بارون "ريداني" في "تريتوجور" لتحالفه السري مع إمبراطور "نيلفجارد"، مذبحة "فورت ليدا" في "كيدوين" ثم مجزرة الأربعمئة غير بشريٍّ في "أرد كاراي".

بينما وصف تجار الجنوب حزن لاجئي "سينترا" في "تميريا" تحت لواء المارشال "فيسجيرد". تأكدت أخبار مقتل الأميرة "سيريلا" (لبوة سينترا)، آخر سلالة الملكة "كالانثي". ثم إشاعات أكثر قتامة: أبقارٌ تنزف دمًا عند الحلب في "ألدرسبيرج"، ظهور "العذراء النذير" في الضباب، و"الصيد البري" - جيشٌ شبحيٌّ يعدو في السماء - رُصد فوق "بروكيلون" مملكة الحوريات المحرمة. وسفينة أشباح قرب "بريمرفورد" تحمل فارسًا أسودَ بجناحي طيرٍ جارح على خوذته...

توقف الرسول عن الإصغاء؛ فقد أنهكه التعب. وذهب إلى غرفة النوم المشتركة، وتداعى من التعب على فراشه.

استيقظ عند الفجر، ودهش حين رأى في الفناء مهرًا أسودَ مسرجًا بجانب البئر، وامرأةً بملابس رجالية تغسل يديها في الحوض. إلتفتت إليه بعد جمعت شعرها الأسود الكثيف بيدها المبللة، وألقت به للخلف، انحنى أبلجات، فأومأت برأسها.

داخل الإسطبل، كاد يصطدم بفتاةٍ في قبعة مخملية تخرج فرسًا رماديًّا. تثاءبت الفتاة، متكئة على عُرف الفرس:

"أوه، سأنام على ظهر الفرس حتمًا..."

"البرد سيوقظكِ حين تطلقين العنان له،" قال بأدب وهو يرفع السرج. "رحلةً سعيدة، سيدتي."

التفتت الفتاة ونظرت إليه كأنها تلاحظه للمرة الأولى. كانت عيناها واسعتان، خضراوان كالزمرد.

"تمنيتُ لكِ رحلةً آمنة،" قال. لم يكن عادةً ثرثارًا، لكنه الآن شعر برغبةٍ في الحديث، حتى لو كان مع مراهقةٍ نعسانة. ربما بسبب وحدته الطويلة على الطرقات، أو لأن الفتاة ذكّرته بابنته الوسطى. "ليحمِكِ الآلهة من الحوادث والعواصف. أنتِ اثنتان... ونساءٌ في زمنٍ عصيب. الخطرُ يُتربص في كل طريق."

فتحت الفتاة عينيها الخضراوين على وسعهما. شعر أبلجات ببرودةٍ تخترق ظهره. "خطر..." همست الفتاة بصوتٍ غريب، كأنه ليس صوتها. "الخطرُ يأتي بصمت. لن تسمعه حين يهبط بريشٍ رمادي. حلمتُ... الرمال... كانت ساخنةً تحت الشمس."

"ماذا؟" تجمّد أبلجات والسرج يُلامس بطنه. "ماذا تقولين يا آنسة؟ أي رمال؟"

ارتجفت الفتاة بعنف، فركت وجهها. هزت الفرس الرمادية رأسها. "سيري!" صاحت المرأة سوداء الشعر من الفناء وهي تُحكم شدَّ سرج جوادها الأسود. "أسرعي!"

تثاءبت الفتاة، نظرت إلى أبلجات بدهشةٍ وكأنها لم تره من قبل. "آتيةٌ يا السيدة ينيفير."

حين خرج أبلجات إلى الفناء، لم يجد أثرًا لهما.

صاح ديكٌ بصوتٍ أجش، ونبح كلبٌ، ونعق وقوقٌ من بين الأشجار.

قفز إلى سرجه، تذكّر عيني الفتاة الخضراوين وكلماتها الغريبة: "ريش رمادي... رمال ساخنة..." ربما كانت مجنونة، خطر بباله أنه في زمن الحرب، تكثر الفتياتُ المهووسات أو ربما كانت نعسانةً فحسب، تُلقي كلامًا بلا معنى بين اليقظة والنوم.

مرةً أخرى، اخترقته قشعريرةٌ وألمٌ بين كتفيه. دلك ظهره بقبضته، ثم حثَّ فرسه نحو طريق "ماريبور". فوقته كان ينفد.

لم يطل مقامه في "ماريبور". بعد يومٍ واحد، كان الريح يُصفر في أذنيه مجددًا. وجواده الجديد يعدو بسرعةٍ، وحقيبة الرسائل تضغط على صدره. ومؤخرته تؤلمه.

"ليُكسر عنقك، أيها الطريد!" صاح أبلجات في صاحب عربةٌ بينما يمر كالبرق. "تهرب كأن الشيطان يلاحقك! لكنك لن تهرب من الموت نفسه!"

مسح دمعته التي سببتها سرعة الجري. في اليوم السابق، سلّم الملك "فولتست" رسالةً ثم ألقى عليه رسالة "ديمافيند" السرية:

"من ديمافيند إلى فولتست: كل شيءٍ جاهز في دول أنجرا. القوات المُتنكرة تنتظر الأمر. الموعد: الليلة الثانية بعد محاق يوليو. القوارب سترسو بعد يومين."

حلق غربانٌ فوق الطريق، متجهةً شرقًا نحو "ماهاكام" و"دول أنجرا". أثناء العدو، كان أبلجات يُكرر في ذهن الرسالة السرية التي حملها ملك "تميريا" إلى ملك "إيدين":

"من فولتست إلى ديمافيند: أولاً: ألغي الحملة. المثرثرون دعوا لمجلس في جزيرة ثانيد. هذا المجلس قد يغير كل شيء. ثانيًا: توقفوا عن البحث عن لبوة الأسد، تأكد موتها."

كان أبلجات يَحثُّ فرسه. الوقتُ كان ينفد. فقطع طريقًا غابيًّا ضيقًا تعجُّ بالعربات. اقترب من عربةٍ يقودها عجوزان، أحدهما نائم والآخر بلا حياة. "ماذا حدث؟ هل هجومٌ للسكوايتيل؟ أنا مستعجل..."

قبل أن يُجيبا، انطلقت صرخاتٌ من مقدمة القافلة. بدأت العربات تتحرك، والعجوز النائم ينهض يُحرك بغاله. قال العجوز الآخر: "يالحسن حظك فلو أتيت ظهرًا، لعلقت مثلنا فالطريق مسدود."

"مسدود؟ لماذا؟"

"ثمة وحشٌ آكلُ بشر هنا، لقد هاجم فارسًا كان مع فتى. لقد مزق رأس الفارس من خوذته، وشق جواده. لكن الفتى هرب وقال: الوحش جاثمٌ على الطريق، يزمجر... والعربات قد توقفت منذ الصباح، ولا مُحيْدَ عن الطريق بسبب المستنقعات."

"ألم يحاول أحدٌ قتاله؟" سأل أبلجات باستياء.

"وحشٌ طائرٌ ضخم، يقولون إنه مَنتيكور أو ما شابه. الجميع فرّوا خوفًا. العربات متراصةٌ على مدى نصف فرسخ!"

"بلى، حاول البعض!" رد العجوز وهو يُحث بغالَه على المسير إذ تسارع تحرُّك القافلة. "ثلاثة أقزام من حرس التجار، وأربعة مجندين في طريقهم إلى حصن 'كاريراس'. مزق الوحش الأقزام إربًا، أما المجندون..."

"هربوا!" قطع عليه العجوز الثاني بصوتٍ متهكّم، بصقَ بعيدًا بدقةٍ بين أرداف البغال. "هربوا بمجرد لمحةٍ عن المَنتيكور! أحدهما تلطخت سراويله بالغائط، كما سمعت. انظر يا فتى! ها هو! هناك!"

"عن أي شيء تتحدث؟" سأل أبلجات منزعجًا. "تشير إلى مؤخرةٍ قذرة؟ لستُ مهتمًّا..."

"لا! الوحش! جثة الوحش! انظر كيف يرفعها الجنود! أترى؟"

وقف أبلجات في رِكابيه. رغم الظلام والحشد، رأى جسدًا ضخمًا بلون الرمال يُرفع بعناء. الأجنحة الشبيهة بالخفافيش والذيل العقربي يجران على الأرض. هتف الجنود بينما ألقوا الجثة على عربةٍ تهتز، بينما تنفر الخيول من نتن الجيفة والدم.

"تقدموا!" زمجر العريف في العجوزين. "لا تعيقوا الطريق!"

أدار العجوز بغلته، وتبعته العربة المتهالكة على الطريق الوعر. ولحق بهم أبلجات بفرسه:

"يبدو أن الجنود تصدوا للوحش."

"لا!" ضحك العجوز. "الجنود وقفوا كالدمى يصرخون: 'قفوا! تحركوا!' ثم أرسلوا في طلب ويتشر."

"ويتشر؟"

"أجل." أكد العجوز الثاني. "أحدهم تذكر رؤية ويتشر في القرية. بعد قليل، مرَّ بجانبنا: شعرٌ أبيض، وجهٌ مرعب، وسيفٌ قاتل. في أقل من ساعة، صاحوا من المقدمة أن الطريق سيُفتح، فقد قضى الويتشر على الوحش. وهكذا تحركنا، ووصلتَ أنت."

"آه..." همس أبلجات بشرود. "طوال عمري على هذه الطرق، لم أصادف ويتشراً. هل رأى أحدٌ كيف قتله؟"

"أنا رأيت!" صاح صبيٌ أشعث يمتطي فرسًا هزيلًا دون سرج. "كنت في المقدمة مع الجنود!"

"انظروا! فتىً سليط لم يجف حليب أمه بعد!" سخر العجوز. "ويثرثر كالببغاء!"

"دعه!" قاطعه أبلجات. "سنصل إلى مفترق الطرق قريبًا، وأنا متجه إلى 'كاريراس'. أخبرنا يا فتى."

اندفع الصبي: "الويتشر أسمه جيرالت. اقترب من الضابط وطلب مئتي كرون. الضابط شتمه، فقال الويتشر: 'المَنتيكور لن يغادر، وسيأكل الفرسان ذوي الدروع طوال الليل.' تفاوض التجار، ووصلوا لـ170 كرونًا. ثم أخرج سيفه وتقدم!"

"مئتي كرون؟!" صاح العجوز. " هل أصيب بالجنّون؟"

“قال الضابط كلامًا أقذر!” تابع الصبي. “لكن الويتشر رد: 'المَنتيكور كائنٌ خطير، ادفعوا أو دَعوه.' أخيرًا، اتفقوا على 170. أمسك سيفه وذهب. رسم الضابط علامةً ضد السحر، وبصق وقال: 'لماذا تحمل الأرض هذه المخلوقات الشيطانية؟'”

“اختصِر!” زمجر العجوز.

“حسنًا...” تلعثم الصبي. “لم أرى القتل... دفعوني للخلف. لكن الضابط كان شاحبًا كالشبح، وقال لرجاله: 'هذا سحرٌ أو خدعٌ قزمية!' ثم أخذ الويتشر نقوده وغادر!”

“إلى أين؟” سأل أبلجات.

“اتجه إلى 'دوريان' من المفترق. كان مستعجلاً.”

* * *

نادرًا ما كان الويتشر يحلم، وعندما يفعل، نادرًا ما كان يتذكر أحلامه عند الاستيقاظ. حتى لو كانت كوابيسًا، والتي كانت دائمًا تقريبًا كوابيس.

هذه المرة أيضًا كان كابوسًا، لكنه على الأقل تذكّر جزءًا منه. كانت صورة واضحة لسيري قد انبثقت فجأة من دوامة أشكالٍ غامضةٍ مُقلقة، وكلماتٍ شريرةٍ غير مفهومة. لكنها لم تكن سيري التي عرفها في كير مورين؛ شعرها الكتّاني الطويل ينساب خلفها أثناء العدو، كما كانت عند لقائهما الأول في بروكيلون. أراد أن يصرخ لها لكن صوته احتُبس، أراد أن يتبعها لكن ساقيه غاصتا في قارٍ لزج. وبينما هي تواصل العدو في الليل، بين أشجارٍ مشوّهةٍ تهز أغصانها ككائنات حية. رأى فارسًا أسودَ يلاحقها، خوذته مُزيّنة بجناحي طائر جارح.

لم يستطع الحراك. لم يستطع سوى المشاهدة بينما يمسك الفارس بشعرها، يجرّها من نحو السرج. رأى وجهها يتشوّه بالألم، وفمها يُطلق صرخةً صامتة.

“إستيقظ!” أمراً نفسه، لم يكن قادراً على تحمل الكابوس.

إستيقظ.

استلقى بلا حراكٍ لفترة، يستعيد تفاصيل الحلم. ثم نهض، أخرج حقيبةً من تحت وسادته وعدَّ عملاتٍ ذهبية: 150 كرونًا لقاء المَنتيكور البارحة، 50 لالفوجلر الذي كلفه قرويون بقتله قرب كاريراس، و50 أخرى لالمستذئب الذي طارد مستوطنو بوردورف حتى أوقعوه في فخ.

خمسون كرونًا مقابل مستذئب. مبلغٌ وفيرٌ مقابل مهمةٍ سهلة. حتى أن الوحش لم يقاتل. اكتفى بالجلوس في الكهف بانتظار السيف. شعر جيرالت بالشفقة عليه.

لكنه احتاج المال.

قبل أن تمر ساعة، كان يتجول في شوارعِ بلدة دوريان، يبحث عن الزقاق المألوف واللافتة التي تحمل اسم:

"كودرينجر وفين: استشارات قانونية وخدمات".

لكن جيرالت يعرف جيدًا أن عمل "كودرينجر وفين" لا علاقة له بالقانون، وأن الشركاء أنفسهم لديهم أسبابٌ كثيرة لتجنب أي تواصل مع رجال القانون. كما يشك كثيرًا في فهم زبائنهم لمعنى كلمة "استشارات".

المدخل لم يكن في الطابق الأرضي، بل عبر بابٍ مُحكمٍ يؤدي إلى فناءٍ موحلٍ مليءٍ بالبط والدجاج، ثم صعود درجاتٍ ضيقةٍ إلى ممرٍ مظلم. هناك فقط، يقف الباب الضخم من خشب الماهوجني، مُزيّنًا بضفدعٍ نحاسي على شكل رأس أسد.

دق جيرالت الباب ثم تراجع بسرعة. يعرف أن الباب مُزوّد بآلية تطلق مساميرَ حديدية عند العبث. لكن الباب فُتح دون حوادث، وظهر كودرينجر وحده كالعادة.

"مرحبًا، جيرالت." قال الرجل القصير الأشيب ذو البشرة الشاحبة. "أدخل. لا داعي للالتصاق بالجدار، فقد تعطلت الآلية. أصابت بائعًا متجولًا قبل أيام. أتريد خدمةً اليوم؟"

"لا." دخل الويتشر الغرفة العتيقة ذات رائحة القطط. "لستُ هنا من أجلك. بل من أجل فين."

ضحك كودرينجر بصوتٍ عالٍ، مؤكدًا شكوك جيرالت بأن "فين" شخصيةٌ وهميةٌ لذرّ الرماد في العيون.

في المكتب المضاء بنور الشمس، جلس كودرينجر خلف مكتبه البلوطي، يربّت على قطه الأسود والأبيض الذي يشاركه نظراته الصفراء الخضراء المُقلقة.

"تلقيت رسالتك." قال المحامي بينما يتشارك هو والقط في تفحص جيرالت. "كما زارني دانديليون قبل أسابيع. أخبرني القليل عن مخاوفك... قليلٌ جدًا."

"حقًا؟ هذه أول مرة أسمع أن دانديليون يُقل من الكلام!"

"لم يقل الكثير لأنه لا يعرف الكثير." تجاهل كودرينجر سخرية جيرالت. "بل قال أقل مما يعلم لأنك منعته. لماذا عدم الثقة؟ خاصةً تجاه زميلٍ في المهنة؟"

استشاط جيرالت غضبًا. القط فتح عينيه، كشر عن أنيابه وهمهم.

"لا تُغضب قطتي." هدأ كودرينجر الحيوان. "أزعجك أن أسميك زميلاً؟ لكنها الحقيقة. أنا أيضًا أخلّص الناس من الوحوش... ومن مصاعبهم الوحشية. وأيضًا مقابل المال."

"ثمّة فروق." تمتم الويتشر تحت نظرات القط الباردة.

"أتفق معك." قال كودرينجر بينما يداعب قطته التي تقوس ظهرها وهي تخرخر بنبرةٍ عالية. "أنت ويتشر من الزمن البائد، وأنا ويتشر عصريٌّ يسير مع روح العصر. لهذا ستصبح عاطلًا قريبًا بينما أزدهر أنا. قريبًا لن تبقى ستريجا أو وايفيرنات أو مستذئبين. لكن الأوغاد سيظلون موجودين."

"لكنك أنت من يُخلّص الأوغاد من مشاكلهم، كودرينجر. الفقراء لا يستطيعون دفع أتعابك."

"الفقراء لا يستطيعون دفع أتعابك أنت أيضًا. الفقراء لا يقدرون على أي شيء، ولهذا سُمُّوا فقراء."

"منطقٌ مذهل! وأصالةٌ تَسْلب الأنفاس!"

"الحقيقة دومًا تفعل ذلك. والحقيقة أن الأوغاد هم أساس مهنتينا. لكن مهنتك بالية، بينما مهنتي حقيقيةٌ ومزدهرة."

"حسنًا، لننتقل إلى صلب الموضوع."

"حان الوقت." أومأ كودرينجر، بينما تغرز القطة مخالبها في ركبته. "سنبدأ بالأهم: الأتعاب 250 كرونًا من عملة نوفيجراد. هل تملك المبلغ؟ أم أنك من فقراء المشاكل؟"

"دعنا أولًا نتحقق مما فعلته ليستحق هذا المبلغ."

"قرر بنفسك." قال المحامي ببرودة. "وبسرعة. إن اقتنعت، ضع النقود على الطاولة. ثم ننتقل إلى أمورٍ أقل أهمية."

فك جيرالت حقيبةً من حزامه وألقاها على المكتب بضجةٍ معدنية. قفزت القطة من حضن كودرينجر وهربت. أخفى المحامي الحقيبة في درج دون عدّها.

"أخفت قطتي." قال بتوبيخٍ صريح.

"اعتذر. ظننت أن صوت المال لا يُخيفها. أخبرني ما اكتشفته."

"ذلك ريانس الذي يهمك، شخصيةٌ غامضة، درس في أكاديمية السحر في بان آرد عامين قبل طرده لسرقته. جُنِّدَ في مخابرات كيدوين. لا أعلم مهمته، لكن المطرودين من السحرة يُدرَّبون عادةً كقتلة. هل ينطبق عليه هذا؟"

"تمامًا. أكمل."

"المعلومة التالية من سينترا. سُجن ريانس هناك في عهد الملكة كالانثي."

"لماذا؟"

"لديون! لكن أحدهم فدى سجنه عبر بنكٍ مجهول. حاولت كشف هويته لكني فشلت. فمن افتداه محترفٌ يحرص على السرية."

سعل كودرينجر بقوةٍ في منديله ثم تابع: "بعد الحرب، ظهر ريانس في سودن وأنجرن وبروج. بسلوكٍ مختلفٍ وأموالٍ طائلة. لم يخفِ هويته حتى مع الندبة التي تركها ينيفير على وجهه. زار درويدز أنجرن الذين يعتنون بأيتام الحرب. لاحقًا، عُثر على جثة أحدهم في الغاب مُعذَّبة. ثم ظهر في ريفرديل..."

قاطع حديثه جيرالت "أعرف ما فعل بعائلة ريفرديل، كنت أتوقع معلوماتٍ جديدة مقابل 250 كرونًا. كل ما قلته أعرفه سوى تفاصيل الأكاديمية والمخابرات. من يعمل لصالحه ريانس؟"

"لساحرٍ ما، ساحرٌ فداه من السجن. أنت قلتَ إنه يستخدم سحرًا حقيقيًّا، وليس حيل المطرودين. إن أحد السحرة يزوِّده بتمائم ويُدرِّبه سرًّا. وفي مصطلحاتهم: 'وضعوه في رسن'."

"لو كان تابعًا لساحر، لاستخدم تمويهًا سحريًّا."

سعل مجددًا: "هذا يؤكد العكس! التمويه السحري يلفت الانتباه. ولو أخفى وجهه، لانكشف بسهولة. فالسحرة يكتشفون الأقنعة الوهمية فورًا. لهذا يعمل دون تمويهٍ ليخفي ارتباطه بسيده."

"البعض يقول إنه جاسوس نيلفجارد."

"مثل ديجكسترا رئيس مخابرات ريدانيا. قد يكون محقًّا. لكن كونه تابعًا لساحرٍ لا ينفي الجاسوسية."

"أتقول إن ساحرًا مرخَّصًا يتجسس لصالح نيلفجارد عبر ريانس؟"

"هراء!" نظَر في منديله. "لماذا يتجسس السحرة؟ للمال؟ سخيف! الإمبراطور إمهر يعامل سحرته كخَدَم. هل سيقاتل فيليبا إيلهارت – التي تُصدر الأوامر لفيزيمير – من أجل إمبراطورٍ يستعبدها؟ أو سابرينا جليفسيج التي تصرخ في هينسلت؟ أو فيلجفورتز الذي يطلب من ديمافيند الانتظار؟"

"اخْتَصِرْ، كودرينجر. ما علاقة هذا كله بريانس؟"

"الأمر بسيط. مخابرات نيلفجارد تحاول الوصول لساحرٍ عبر تابعِه. ريانس لن يرفض فلورين الذهب، وقد يخون سيده بلا تردد."

"هذا هراء. حتى سحرتنا المتمردين يعرفون متى يُخانون. لو اكتُشف ريانس، سينتهي به الأمر مشنوقًا."

"تتصرف كطفلٍ، جيرالت. الجواسيس لا يُشنَقون – يُستغلون. تُغذيهم بمعلوماتٍ زائفة وتحوّلهم لجواسيس مزدوجين..."

"لا تُملّ عليّ. لا تهتمني تفاصيل الجاسوسية أو السياسة. ريانس يلاحقني، وأريد معرفة مَن وراءه. ويبدو أن من وراءه ساحر. مَن هو؟"

"لا أعرف بعد. لكنني سأعرف قريبًا."

"قريبًا..." همس الويتشر، "قد يكون متأخرًا."

"لا أستبعد ذلك." قال كودرينجر بجدية. "أنت في مأزقٍ خطير، جيرالت. حمدًا للآله أنك أتيت إليّ، فأنا خبيرٌ في حلّ المآزق. وقد بدأت بالفعل."

"حقًّا؟"

"أجل." ضغط المنديل على شفتيه وسعل. "فهناك طرفٌ ثالثٌ في اللعبة: جواسيس الملك فولتست. كانوا يبحثون عن أميرةٍ مفقودة، واشتبهوا أنك تعرف مكانها."

"وماذا فعل المُختص؟"

"في البداية، استغرب ألّا يعذبوك لاستخراج المعلومات. لكن الجواسيس أوضحوا أن الويتشرز يموتون تحت التعذيب فورًا. فقرر المُختص إقناعهم بشهودٍ يؤكدون موت الأميرة سيريلا في مخيم لاجئين بسبب الدفتيريا. بكى الجواسيس أثناء الشهادة."

"أنا أيضًا أبكي. أعتقد أنهم دفعوا أكثر من 250 كرونًا؟"

"سخريتك تؤلمني، ويتشر. أنقذتك من المأزق، وأنت لا تشكرني."

"أشكرك. لماذا يريد فولتست قتل سيري؟"

"لأنها تُعتبر منافسةً لعرش سينترا، لكن العرش احترق، ونيلفجارد تحكم الآن. كيف تطالب بعرشٍ غير موجود؟"

"تعال." نهض كودرينجر، "لنجد الإجابة معًا. ولأثبت ثقتي بك... لماذا تحدق في تلك اللوحة المثقوبة؟"

"لأنها تصور أحمقَ نادرًا."

"إنه أبي الراحل." ابتسم بشموخ. "علّقتها كتحذيرٍ دائم. تعال."

خرجوا إلى الرواق. وكان القطّ الذكر، المتمدّد في منتصف السجادة منشغِلًا بلعق قائمته الخلفية الممدودة بزاوية غريبة، قد اختفى في عتمة الرواق ما إن لمح الويتشر.

– "لماذا لا تحبّك القطط، يا جيرالت؟ هل للأمر صلةٌ بـ ..."

– "نعم"، قاطعه الويتشر، "له علاقةٌ بذلك."

انزلق أحد الألواح الخشبية من خشب الماهوغيني بسلاسةٍ كاشفًا عن عن ممرٍّ سرّي. تقدَّم كودرينغر أوّلًا. وأُغلِق اللوح خلفهما — ولا ريب أنّ السحر هو الذي حرّكه —لكنّهما لم ينغمسا في الظلام تمامًا، إذ تسلَّل ضوءٌ من أقصى الممرّ السرّي.

في الغرفة الواقعة في نهاية الرواق، كان البرد جافًّا، وثمّة رائحةٌ خانقة من الغبار وشمع واحتراق الشموع تخيّم على المكان.

– "تستطيع الآن لقاء شريكي، جيرالت."

– "فِن؟" ابتسم الويتشر. "هل تمزح معي؟"

– "أبدًا. اعترف أنّك شككت في وجود فن أصلًا!"

– "ليس تمامًا."

تناهى إليهما صوتُ أزيزٍ بين صفوف الخزائن والرفوف الممتلئة بالكتب حتى سقفٍ مقبَّبٍ منخفض، ثمّ ظهرت عَرَبةٌ بعجلاتٍ ذات مسندٍ عالٍ. وعلى العربة قد جلس قزمٌ له رأسٌ ضخمٌ يستقرّ مباشرةً على كتفين نحيلَين على نحوٍ غير متناسب مع بقيّة جسده، كما أن لم تكن له ساقين.

– "أقدّم لك جاكوب فن"، قال كودرينغر، "قانونيٌّ ضليع، وشريكي، وزميلي الذي أثق به كلّ الثقة. وهذا ضيفُنا وعميلنا ..."

– "الويتشر، جيرالت من ريفيا"، أكمل المُقعد مبتسمًا. "لم يكن تخمين ذلك صعبًا. لقد عكفتُ على هذه القضيّة عدّة أشهر. إتبعاني، أيّها السادة."

مضوا خلف العربة المُصدِرة للأزيز في دهاليز رفوف الكتب التي كانت تتأوّه تحت ثِقل أعمال مطبوعةٍ لربّما افتخرت مكتبة جامعة أوكسنفورت نفسها باقتنائها. تقدير جيرالت أنّ تلك الإنكونابولا — النسخ الطباعيّة النادرة — قد جُمعت على مدى أجيالٍ متعاقبة من عائلة كودرينغر وفن. وكان واضحًا أنّ السماح له بتأمّل هذا الكنز إشارةٌ إلى ثقةٍ كبيرةٍ به، لا سيّما وأنّه أخيرًا سنحت له الفرصة للقاء فن شخصيًّا. بيد أنّه لم يشكّ لحظةً في كون فن — على واقعيّته — يضطلع أيضًا بدورٍ خيالي؛ فـ"فن" الآخر، المزعوم أنّه يتنقّل كثيرًا في الخارج، ليس سوى الوجه الخفي لشخصيّة كودرينغر الداهية، بينما يظلّ فنّ الكسيح، القانونيّ الضليع، حبيسًا في هذا المبنى.

في مركز الغرفة، كانت الإضاءة قويّة على منبرٍ منخفضٍ يمكن للعربة أن تصعده، وفوقه أكوامٌ من الكتب ولفائف الرقّ والرقّ المُعالج، وأوراقٌ كبيرة وقوارير حبر وحِزَم ريش كتابة، فضلًا عن عددٍ لا يُحصى من الأدوات الغامضة. ليست كلّها عسيرة التفسير، إذ تعرّف جيرالت على قوالبٍ لتزوير الأختام، ومِبرَدٍ ماسيٍّ يُستخدَم لمسح النصوص عن الوثائق الرسميّة. في وسط المنبر برزت قاذفةٌ مكرّرةٌ للسهام على هيئة قوس نشّابٍ صغير، وعلى مقربةٍ منها رُصَّت عدساتٌ مُكبِّرة عملاقة من البلّور الصخري المصقول، مختبئةً تحت قطعة مخملٍ. مثل تلك العدسات نادرةٌ وثمينة للغاية.

– "هل وجدتَ جديدًا يا فن؟"

– "ليس كثيرًا،" قال المقعد مبتسمًا، وكانت ابتسامته وديعةً ساحرة. "قلّصتُ لائحة السحَرة المحتمل وقوفهم وراء رينس إلى ثمانيةٍ وعشرين ساحرًا..."

– "لندَع هذا جانبًا الآن،" قاطع كودرينغر سريعًا. "ثمّة أمرٌ آخر يشغلنا. فسِّر لجيرالت أسباب البحث المحموم من عملاء الممالك الأربع عن الأميرة المفقودة من سينترا."

– "تجري في عروق الفتاة دماء الملكة كالينثي،" قال فن، وكأنّه استغرب حاجته إلى توضيح أمرٍ بديهيّ. "إنّها آخر من بقي من السلالة الملكيّة. وسينترا تتبوّأ موقعًا استراتيجيًّا وسياسيًّا مهمًّا. وأن تختفي مُدّعيةٌ محتملةٌ للعرش وتظلّ بعيدةً عن نطاق النفوذ فذلك يُعدّ أمرًا مُزعجًا، وقد يغدو خطرًا إن وقعت تحت نفوذٍ مُغايِر—كأن يكون نفوذ نيلفغارد مثلًا."

– "على حدّ علمي،" قال جيرالت، "قانون سينترا يحرم الإناث من تولّي العرش."

– "هذا صحيح،" أقرّ فن، مبتسمًا مجدّدًا. "لكنّ المرأة قد تصبح زوجةً وأُمًّا لوريثٍ ذكر. عندما التقطت أجهزة مخابرات الممالك الأربع تحرّكات رينس المحمومة بحثًا عن الأميرة، استنتجوا أنّ هذا هو الهدف. وعليه، اتُّخذ قرارٌ بمنع تحقُّق الأمر؛ وسبيلهم كان حاسمًا وإن بدا بسيطًا."

– "لكنّ الأميرة ميّتة،" أردف كودرينغر، وقد لمَح التغيُّرَ الذي اعترى وجه الويتشر عند سماعه كلمات القزم المبتسم. "حين نما لعلم الوكلاء هذا الخبر، أوقفوا كلّ محاولاتهم للعثور عليها."

– "هذا مؤقّتٌ فحسب،" قال الويتشر، محاولًا جاهدًا البقاء هادئًا ومتماسكًا بلا انفعال. "المشكلة في الأكاذيب أنّها سرعان ما تنكشف. وفوق ذلك، عملاء القصر ليسوا الطرف الوحيد في هذه اللعبة. فالعملاء—كما قلتما أنتما—كانوا يتعقّبون سيري كي يُفسدوا خطط الآخرين الذين يطاردونها. وهؤلاء الآخرون قد لا يقعون في شَرَك التضليل بهذه السهولة. لقد استأجرتُكما لتجدوا طريقةً تضمن سلامة الطفلة. إذن، ما اقتراحكما؟"

– "تبلورت لدينا فكرةٌ ما"، قال فن وهو ينظر إلى شريكه، فلم يجد في نظراته ما يحثّه على الكتمان. "نريد أن نُشيع—بشكلٍ متحفّظ لكن واسع النطاق—أنّ الأميرة سيريلّا، وأيًّا كان من أبنائها الذكور لاحقًا، لا يتمتّعون بأيّ حقٍّ في عرش سينترا."

– "في سينترا، لا يرث جانب المغزل (السلالة الأنثويّة)،" أوضح كودرينغر وهو يُكابد نوبة سعالٍ أخرى، "بل يرث جانب الحربة (السلالة الذكوريّة) فقط."

– "بالضبط،" أكّد القانونيّ الضليع. "وقد قال جيرالت ذلك بنفسه قبل قليل. إنّه قانونٌ عتيق، حتى تلك الشيطانة كالينثي لم تفلح في إلغائه—مع أنّها حاولت مرارًا."

– "حاولت التلاعب بالقانون بطرقٍ ملتوية،" قال كودرينغر بثقة، وهو يمسح شفتيه بمنديل. "لكن تلك الطرق كانت غير شرعيّة. اشرح، يا فن."

– "كالينشي كانت الابنة الوحيدة للملك داغوراد والملكة أداليا. بعد موتهما، عارضتْ طبقة النبلاء التي لم ترَ فيها سوى زوجة للملك الجديد.

أرادت أن تحكم بمفردها؛ وأقصى ما كانت تقبل به — حفاظًا على الشكليّات واستمرار السلالة — هو وجود أمير قرين يحكم معها، لكن لا تزيد قيمته عن دميةٍ من قشّ. غير أنّ البيوت العريقة رفضت ذلك. فكان أمامها ثلاثة خيارات: حربٌ أهليّة، أو التنازل عن العرش لصالح فرعٍ آخر، أو الزواج من روغنر أمير إيبينغ. فاختارت الخيار الثالث، وهكذا حكمت البلاد... لكن إلى جانب روغنر. بطبيعة الحال لم تسمح لأحدٍ باستعبادها أو حبسها في جناح النساء؛ فقد كانت لبؤة سينترا. ومع ذلك، كان روغنر هو الحاكم الرسمي—مع أنّ أحدًا لم ينعَته قَطّ بـ"بالأسد"."

– "وهكذا"، تابع كودرينغر، "اجتهدت كالينشي كثيرًا لتحمل وتُنجب ابنًا؛ فلم تفلح. وأنجبت ابنةً — بافيتا — ثم أجهضت مرّتين، واتّضح بعدها أنّها لن تنجب مزيدًا من الأطفال. فانهارت بذلك كلّ مخطّطاتها. وهكذا يكون مصير المرأة أحيانًا؛ فدمارُ رَحِمها أطاح بأسمى طموحاتها."

قطّب جيرالت جبينه.

– "أنت سوقيٌّ للغاية، يا كودرينغر."

"أعلم ذلك. فقد كانت الحقيقة فظّة هي الأخرى. فروغنر بدأ يبحث عن أميرة شابّة ذات أردافٍ واسعة، ويفضَّل أن تنحدر من أسرةٍ موثوقة الخصوبة حتى جدّتها الكبرى. وهكذا وجدت كالانثِه نفسها على أرضٍ مهتزّة؛ إذ بات احتمال الموت كامنًا في كل وجبةٍ وكل كأس خمر، وصار أيُّ صيدٍ قد ينتهي بحادثٍ مؤسف. وهناك كثير من الدلائل على أنّه ما إن قرّرت لبؤة سينترا المبادرة، حتى مات روغنر. كان الجدريّ مستشريًا في البلاد، فلم يتفاجأ أحدٌ بموت الملك."

قال الويتشر بنبرةٍ توحي بعدم التأثر:

"أفهم مقصدكما بشأن الخبر الذي تنويان نشره سرًّا وبشكلٍ واسع. ستُعرَف سيري إذن بأنّها حفيدة سيّدةٍ مسمِّمةٍ قاتلةٍ لزوجها؟"

"لا تستعجل الأمور، جيرالت. تابع، يا فن."

ابتسم المَقعَد وهو يتحدّث:

"أنقذت كالينثي حياتها، لكنّ التاج ابتعد عنها أكثر من ذي قبل. فعندما حاولت لبؤة سينترا أن تستأثر بالسلطة المطلقة بعد وفاة روغنر، ثار عليها النبلاء مجدّدًا رافضين انتهاكها للقانون والتقاليد. إذ كان لا بدّ من جلوس ملكٍ على عرش سينترا، لا ملكة. وفي النهاية تبيّن الحل: ما إن تبدأ بافيتا الصغيرة في اكتساب أيّ مظهرٍ أنثويّ، وجب تزويجها ممّن يصلح ليكون الملك الجديد. أمّا زواجٌ ثانٍ للملكة العاقر فلم يكن واردًا. وكلّ ما كان يمكن للبؤة سينترا أن تطمح إليه هو دور الملكة الأم. والأسوأ من ذلك أنّ زوج بافيتا قد يأتي ليمحو أثر حماته عن الحكم بالمرّة."

حذّر كودرينغر بنبرته الفظة المعتادة:

"سأعود للفظاظة مرّةً أخرى. لقد أخّرت كالينثي زواج بافيتا قدر الإمكان. دمّرت الخطة الأولى للزواج وهي في العاشرة، ثم خطّةً ثانية وهي في الثالثة عشرة. وطالب النبلاء بأن يكون عيد ميلاد بافيتا الخامس عشر آخر يومٍ لها عزباء. اضطرت كالينثي للموافقة، لكن بعد أن حقّقت ما كانت ترنو إليه. فقد ظلّت بافيتا عذراء فترةً طويلة حتّى باتت متلهّفة للرجل، وفي النهاية حملت من أول عابر سبيل؛ والأسوأ أنّه كان وحشًا مسحورًا فوق ذلك. وحدثت أمورٌ خارقة للطبيعة، ونبوءاتٌ، وسِحر، ووعود... شيءٌ ما يسمّى قانون المفاجأة؟ أليس كذلك، جيرالت؟ وأنت تذكر بالتأكيد ما حصل لاحقًا. استقدمت كالينثي ويتشرًا إلى سينترا، والويتشر تسبّب في فوضى كبيرة. لم يكن يدري أنه أُستُغلّ، فكسر لعنة أورشيون الوحشيّ، ما سمح له بالزواج من بافيتا. وبذلك أتاح الويتشر لكالينثي فرصة الاحتفاظ بالعرش. لقد شكّل زواج بافيتا من وحشٍ– حتى لو عاد إلى هيئته البشريّة — صدمةً كبرى للنبلاء جعلتهم يتقبّلون فجأةً زواج لبؤة سينترا من إيست تيرساخ. فجارلُ جُزُر سكيلغا بدا أفضل من ذاك الأورشيون المتشرّد. وهكذا واصلت كالينثي حكم البلاد. أمّا إيست، مثله مثل جميع أبناء الجُزُر، فقد أولى لبؤة سينترا احترامًا بالغًا حتّى لم يعارضها في شيء، كما أنّ شؤون المُلك كانت تُشعره بالضجر. فسَلّمها مقاليد الحكم كلّها. وأما كالينثي، فكانت تلتهم الأدوية والإكسير ليل نهار، وتجرّ زوجها معها إلى الفراش بلا انقطاع. أرادت أن تظلّ تحكم حتى آخر رمق. وإن لم تتمكّن من ذلك كملكةٍ أم، فلتكن أمًّا لولدها هي نفسها. وكما قلت سابقًا، طموحاتٌ عظيمة، ولكن..."

"لقد قلتَ هذا بالفعل. لا تُكرِّرْ نفسك."

"لقد تأخّر الوقت. فالملكة بافيتا، زوجة أورشيون العجيب، كانت ترتدي ثوبًا فضفاضًا مريبًا حتى خلال مراسم الزواج. وهكذا استسلمت كالانثِه وغيّرت خططها؛ فإن لم تستطع أن تحكم عبر ولدها، فليكن عبر ولد بافيتا. لكنّها أنجبت بنتًا. فهل هي لعنة أم ماذا؟ وعلى الرغم من أنّ ملكة بافيتا كانت قادرةً على الإنجاب ثانيةً–أو هكذا كانت لتكون–وقع حادثٌ غامض. باءت بافيتا وأورشيون العجيب بحادثٍ بحريٍّ مميتٍ لا تفسير له."

"ألا تذهب بعيدًا بعض الشيء، يا كودرينغر؟"

"لا أفعل أكثر من توضيح الصورة. فكالانثي تحطّمت نفسيًّا بعد موت بافيتا، لكنّ ذلك لم يدم طويلًا؛ إذ بات أملها الأخير في حفيدتها، ابنة بافيتا، سيريلّا. سيري، تلك الشقيّة الصغيرة التي كانت تجول في أروقة القصر الملكيّ كشيطانٍ متجسّد. البعض رآها جوهرة العائلة، لا سيّما الكبار في السن لأنها ذكّرتهم كثيرًا بكالانثِه في طفولتها. أما بالنسبة للبعض الآخر... فقد كانت أشبه بتبديلٍ خفيّ، ابنة ذلك الأورشيون الوحشيّ، تلك الفتاة التي ادّعى ويتشر ما حقًّا عليها. وهنا لبّ الموضوع: حبيبة كالانثِه الصغيرة، التي كانت تهيّئها بوضوح لتصبح خليفتها وتتعامل معها كما لو كانت تجسيدًا ثانيًا لها، جروًا من دم لبؤة سينترا، كان بعض النبلاء يرونها خاليةً من أي حقٍّ في العرش؛ إذ إنّ سيريلّا تنحدر من نسبٍ ملوّث. فقد امتزج الدم الملكيّ بدمٍ منحطٍّ يعود إلى متشرّدٍ مجهول الأصل."

ابتسم الويتشر، لكن بمرارة:

"اعتمدتَ حيلة بارعة، يا كودرينغر. لكن الأمر لم يكن كذلك. فوالد سيري لم يكن منحطًّا بأيّ حال. كان أميرًا."

"ماذا تقول؟ لم أكن أعرف ذلك. أمير من أيّ مملكة؟"

"إحدى الممالك الجنوبية... من مَيْخت؟ نعم، من مَيْخت فعلًا."

تمتم كودرينغر:

"هذا مثيرٌ للاهتمام. فمملكة مَيْخت أصبحت منذ زمنٍ جزءًا من المسارات الحدودية لنيفجاررد. وهي تتبع إداريًّا مقاطعة ميتينا."

قاطع فِن قائلًا:

"لكنها ما زالت مملكة. ثمّة ملكٌ يحكمها."

فقال كودرينغر بحدّة:

"إمهير فار إمريس هو الحاكم الفعليّ هناك. ومن يجلس على ذاك العرش إنّما يفعل ذلك برضاه ومشيئته. وبما أننا فتحنا هذا الملف، فابحث لي عن اسم الملك الذي نصّبه إمهير هناك. لا أتذكّر اسمه."

قال فنّ على الفور، وهو يدفع عجلات كرسيه متوجّهًا نحو خزانة الكتب محدثًا صريرًا خافتًا. تناول رزمةً ضخمة من اللفائف، وشرع يتصفّحها ويلقي ما انتهى منه منها على الأرض:

"همم... ها هي. مملكة ميخت. يتكوّن شعارها من تقسيمٍ رباعيّ؛ الحقلان الأول والرابع بالأزرق، والثاني والثالث بالأحمر، وفي الحقلين الأول والرابع سمكتان فضيتان، وفي الحقلين الثاني والثالث تاجٌ من اللون ذاته—"

قاطعه كودرينغر بنبرةٍ نافدة الصبر:

"تبًّا لكلّ هذا الهراء في علم الشعارات، يا فن. أريد اسم الملك، من هو الملك الآن؟"

"اسمه هُوِت العادل. جرى اختياره عن طريق الانتخاب..."

علّق كودرينغر ببرود:
"أي انتخابٍ؟ انتخبَه إمهير حاكم نيفجاررد، بلا شك."

"... قبل تسع سنوات."

قال المحامي وهو يعدّ سريعًا:

"ليس هو من يعنينا إذن. مَن كان قبله؟"

"انتظر لحظة... وجدتها. أكرسپارْك. مات—"

قاطع كودرينغر مجدّدًا، مشيرًا بفطنته المعتادة:

"مات نتيجة التهابٍ رئويّ حادّ، بعدما طعن خَدَمه التابعون لإمهير أو لهُوِت العادل رئتَيه بخنجر. جيرالت، هل يذكّرك اسم أكرسپارك بشيء؟ أيمكن أن يكون والد أورشيون؟"

أجاب الويتشر بعد لحظة تفكير:

"أجل. أكرسپارك. أتذكّر أنّ دنِي قال إنّ هذا اسم أبيه."

"دِنِي؟"

"كان ذلك اسمه. كان أميرًا، ابن ذلك الأكَرسبارك..."

قاطعَه فنّ، وهو يحدّق في اللفائف:

"لا، ليس ذلك واردًا هنا. جميع أبنائه الشرعيّين مذكورون: أورم، غورم، تورم، هورم، وغونزالِس. وبناته الشرعيّات: أليا، فاليا، نينا، بولينا، مالفينا، وأرخنتينا..."

أعلن كودرينغر بجدّيةٍ مفتعلة:

"أتراجع عن شائعة أنّ نيفجاررد أو هُوِت العادل قد اغتالوا أكرسپارك. يبدو أنّه قضى نحبه من فرط نزواته النسائيّة. وأُرجّح أن لديه أبناءً غير شرعيّين أيضًا، صحيح يا فن؟"

"نعم، عددٌ كبير منهم. لكن لا أرى اسم 'دنِي' بينهم."

علّق كودرينغر ملتفتًا نحو الويتشر:

"لم أتوقّع أن تراه. جيرالت، إنّ أورشيونكِ لم يكن أميرًا. حتى لو كان ذلك الفظّ أكرسپارك قد أنجبه سرًّا، فإنّ حائلًا شاسعًا—هذا عدا نيفجاررد—يفصل بينه وبين لقب أمير، يتمثّل في قوائم طويلة من الأبناءِ الشرعيّين: أورم، غورم وسائر الغونزالسات، علاوةً على ذرّيتهم—وهي بالتأكيد وفيرة. ومن الناحية الرسميّة، ارتكبت بافيتا بذلك زيجةً غير متكافئة."

سأل الويتشر:

"إذن سيري، بوصفها ابنة زيجةٍ غير متكافئة، لا حقّ لها في العرش؟"

"بالضبط."

تقدّم فنّ بكرسيّه مُصدِرًا صريرًا حتى بلغ المنصّة، ثم رفع رأسه الضخم وقال:

"هذا مجرّد حجّة، لا أكثر. تذكّر يا جيرالت، نحن لا نسعى إلى انتزاع التاج لسيريلّا ولا إلى حرمانها منه. الإشاعة التي سننشرها تهدف لإظهار أنّه لا يمكن استخدام الفتاة للاستيلاء على سينترا، وأنّه إنْ حاول أحدهم ذلك، فبإمكانهم الطعن والاعتراض بسهولة. ستكفّ الفتاة عن أن تكون ورقةً سياسيّة ذات أهميّة كبيرة، فتصير بيادِقًا صغيرةً غير مهمّة. وعندها..."

أكمل كودرينغر ببرود:

"سيتركونها على قيد الحياة."

سأل جيرالت:

"ما مدى قوّة هذه الحُجّة من الناحية القانونيّة البحتة؟"

التفت فنّ إلى كودرينغر ثم إلى الويتشر.

"ليست بالغة القوّة،" اعترف. "فما زالت سيريلّا سليلة كالينثي — وإن بدمٍ أقلّ نقاءً. وفي البلدان المعتادة، قد يؤدّي ذلك ببساطة إلى إقصائها عن التاج. لكنّ هذه الظروف ليست عاديّة. دم لبؤة سينترا له قيمةٌ سياسيّة..."

تنهّد جيرالت ماسحًا جبينه:

"الدمّ، نعم... ما معنى 'طفلة الدّم القديم'، يا كودرينغر؟"

ردّ كودرينغر:

"لا أفهم. هل وصف أحدهم سيريلّا بهذا اللقب؟"

"أجل."

"مَن؟"

"لا يهمّ مَن قاله. ما معنى ذلك؟"

لونيد إيب هن ايشر "Luned aep Hen Ichaer," قال فن فجأة وهو يبتعد عن المنصّة دافعاً كرسيّه. "إذا أخذنا المعنى الحرفي، فهي ليست 'طفل' بل 'ابنة الدم القديم.' همم... الدم القديم... لقد مرّ بي هذا التعبير من قبل، لكن لا أذكر تمامًا سياقه. أظنّه يتعلّق بنبوءةٍ ألفيّة معيّنة. في بعض نسخ نبوءة إيتلينا القديمة، حسبما أتذكّر، هناك إشاراتٌ إلى دمّ الجان القديم أو ما يُسمّى إين هين ايشر Aen Hen Ichaer. لكنّنا لا نملك النصّ الكامل لتلك النبوءة. سنضطرّ لسؤال الجان أنفسهم .."

قاطعَه كودرينغر بنبرةٍ باردة:

"هذا يكفي يا فن. لا تُحَمِّلنا الكثير من الأمور في وقت واحد؛ لا نريد تشعُّبًا أكثر من اللزوم في النبوءات والأسرار. هذا يكفي حاليًّا. شكرًا لك. وداعًا، وعملٌ مثمر لك. جيرالت، تفضّل بالعودة معي إلى المكتب."

عندما عادا وجلسا في المكتب — المحامي خلف طاولته، والويتشر مواجهًا له — قال الويتشر وكأنّه يريد أن يتأكّد:

"القليل جدًّا، أليس كذلك؟ أعني الأجر منخفض للغاية، صحيح؟"

رفع كودرينغر قطعةً معدنيةً نجميّة الشكل من على سطح المكتب وأخذ يقلّبها بين أصابعه عدّة مرّات، ثم قال:

"صحيح، جيرالت. النبش في النبوءات الألفيّة جحيمٌ بالنسبة إليّ، مضيعةٌ للوقت والجهد. ينبغي البحث عن صِلاتٍ مع الجان (الإلف)، إذ لا أحد سواهم يفهم كتاباتهم. ومخطوطاتهم غالبًا ما تكون مثقلة بالرمزيّات الملتوية وتضميناتٍ شعريةٍ عسيرة، وأحيانًا تتضمّن شيفرات حقيقيّة. أمّا اللغة الألفيّة نفسها، فمن العسير فكّ رموزها، إذ باستطاعة النصّ الواحد احتواء ما يصل إلى عشرة معانٍ. ولم يبدُ الجان يومًا مائلين لمساعدة البشر في التنقيب في نبوءاتهم. وفي ظلّ الأوضاع الراهنة، حيث الغابات تشتعل بالحرب ضدّ فرقة 'السناجب' وحيث تُرتَكَب مذابح، بات الاقتراب منهم مسعى محفوفًا بالخطر - خطرٌ مضاعف - فقد يراك الجان مُندسًّا، بينما قد يتّهمك البشر بالخيانة..."

سأله جيرالت:

"ما المطلوب يا كودرينغر؟"

أمسك المحامي بالقطعة النجميّة وهزّها قليلًا بين أصابعه، ثم أجاب بعد صمتٍ قصير:

"عشرة بالمئة."

"عشرة بالمئة من ماذا؟"

علّق كودرينغر بنبرةٍ هادئة تنطوي على حزم:

"لا تمزح معي يا ويتشر. الأمور آخذة في التعقيد، وما عدنا ندري على وجه اليقين لِمَ يحدث كلّ هذا. وعندما لا يعرف أحدٌ الغاية، فاعلم أنها حتمًا ستدور حول المال. وعليه، أفضّل نسبةً مئويّة بدلًا من أجرٍ مقطوع. أعطني عشرة بالمئة ممّا ستحقّقه، مطروحًا منها ما دفعته سلفًا. هل نوقّع العقد؟"

"لا. لا أريدك أن تخسر شيئًا. عشرة بالمئة من لا شيء تعني لا شيء، كودرينغر. صديقي العزيز، لن أجني قرشًا من كلّ هذا."

قال المحامي بنفاد صبر:

"أكرّر، لا تسخر مني. لا أصدّق أنّك لا تتحرّك بدافع الربح. لا أصدّق أنّه لا يكمن خلف ذلك... شيءٌ ما."

ردّ الويتشر ببرود:

"لا يهمّني ما تصدّقه. لن يكون هناك عقد ولا نسبٌ مئويّة. حدّد أجرتك لقاء جمع المعلومات."

تنحنح كودرينغر وقد التهب صدره بنوبة سعال، ثم أردف:

"لو كان أيّ شخصٍ آخر غيرك لطردتُه حالًا، مقتنعًا بأنّه يحاول خداعي. لكنّ مثاليّتك النبيلة الساذجة، أيها الويتشر الرجعيّ، تليق بك على نحوٍ غريب؛ إنّه أسلوبك، وأراه عتيقًا لدرجةٍ تدعو إلى الشفقة، أن تسمح بقتل نفسك دون مقابل..."

حسم جيرالت الأمر:

"دعنا لا نُطِلّ الكلام. كم تريد يا كودرينغر؟"

"المبلغ ذاته. خمسمائة بالمجمل."

هزّ جيرالت رأسه أسفًا:

"لا أملك مثل هذا المبلغ في الوقت الحالي."

قال المحامي ببطء، وما زال يُقلّب القطعة المعدنية النجميّة بين أصابعه:

"أكرّر عليك العرض الذي طرحته في بداية تعارفنا: اعمل معي، وستملك المال الكافي، وستتمكن من أن تدفع ثمن المعلومات وغيرها من الكماليات."

"لا، يا كودرينغر."

"لماذا لا؟"

قال جيرالت بنبرةٍ هادئة:

"لن تفهم."

تنهد كودرينغر وهو يتصنّع الألم:

"في هذه المرّة أنت لا تجرح قلبي فحسب، بل تجرح كبريائي المهني. إذ أسمح لنفسي بالظن أني أفهم كل شيء تقريبًا. أن تكون وغدًا صريحًا هو أساس مهنتينا، ولكنك تصرّ على النسخة القديمة البالية بدلًا من الحديثة."

ابتسم الويتشر:

"أصبت كبد الحقيقة."

شرع كودرينغر في السعال مرةً أخرى بعنف، ثم مسح شفتيه وتفحّص منديله قبل أن يرفع عينيه الخضراوين المصفرّتين نحو جيرالت:

"ألقى نظرك على قائمة السحرة الساحرات الملقاة على المنصّة؟ القائمة التي تضمّ المموّلين المحتملين لرينس؟"

"رأيتها بالفعل."

"لن أُسلمك هذه القائمة حتى أتأكد منها جيدًا. لا تدع ما رأيته يخدعك. دانديليون أخبرني أنّ فيليبا إيلهارت قد تعرف من هو الذي يشرف على رينس، لكنها لم تُطلعك على ذلك. لن تحمي فيليبا أي مهرّجٍ عابر؛ إذن هذا الشخص المهم الذي يقف وراء ذلك الوغد."

لم ينبس الويتشر ببنت شفة.

"احذر يا جيرالت. إنّك في خطرٍ جسيم. ثمّة مَن يلعب بك، شخص يتوقّع خطواتك بدقّةٍ إن لم يكن يتحكّم بها من الأساس. لا تدَع الغرور يحملك على الطيش والمثاليّة الفارغة. مَن يتلاعب بك ليس بمستذئبٍ ولا مسخٍ من نوع ستريغا، ولا هم إخوة ميشيليه، بل ليس حتى رينس نفسه. طفلة الدمّ القديم، تبًّا لكلّ شيء! وكأنّ عرش سينترا والسحرة والملوك ونيفجاررد لا يكفون، فتطلّ علينا الآن مسألة الجان. أوقف هذه اللعبة يا ويتشر. انسحب منها. أفسد خططهم بفعل ما لا يتوقّعونه: إكسر تلك الرابطة المجنونة، لا تسمح لنفسك بأن ترتبط بسيريلّا. اتركها لينيفر وعد إلى كار مورهن وتوارَ عن الأنظار. وانكفئ في الجبال بينما أبحث أنا على رِسْلي في المخطوطات الألفيّة؛ قد أجدُ شيئًا بخصوص طفلة الدمّ القديم، وربما أكتشف أيضًا اسم الساحر المتورّط في كلّ هذا، فنقوم لاحقًا بمقايضةٍ عندما تجمع المال."

قال جيرالت:

"لا أستطيع الانتظار. الفتاة معرّضةٌ للخطر."

"هذا صحيح. لكنّني أعلم أيضًا أنّك تُعَدّ عقبةً في الطريق إليها. عقبة يُراد التخلّص منها بلا رحمة. إذن أنت في دائرة الخطر أيضًا. سيلاحقون الفتاة حالما يجهزون عليك."

"أو حين أنسحب من اللعبة وألوذ بكار مورهن. أنا دفعت لك ما يكفي، كودرينغر، حتى لا أسمع نصيحةً كهذه."

تناول كودرينغر نجمةً معدنيّة عن الطاولة وأخذ يتقلّبها بين أنامله:

"لقد باشرتُ العمل بالفعل مقابل المبلغ الذي سلّمتني إياه اليوم، يا ويتشر،" قال ذلك محاولاً كبح سعال حاول الخروج.

"والنصيحة التي أُقدّمها لك مدروسةٌ بعناية. اذهب إلى كار مورهن واختفِ؛ عندئذٍ سيلقى مَن يبحث عن سيريلّا الفرصة لاقتناصها."

قطّب جيرالت عينيه وارتسمت على شفتيه ابتسامةٌ باردة، لكنّ كودرينغر لم يرفّ له جفن:

"أعرف ما أقوله،" أضاف، متجاهلًا النظرة والابتسامة.

"سيجد معذّبو سيري طريقهم إليها ويفعلون بها ما يريدون، وفي الأثناء ستكونان كلاكما في مأمن."

قال جيرالت بنفاد صبر:

"أفصح رجاءً. وبإيجاز."

"عثرتُ على فتاةٍ بعينها؛ تنتمي لأرستقراطيّة سينترا، تيتمت في الحرب. جالت مع مخيّمات اللاجئين، وحاليًا تعمل في متجرٍ للأقمشة في بروغ بعد أن آواها تاجرٌ هناك. لا تتميّز بشيءٍ سوى أنّها شديدة الشبه بتلك الصورة المصغّرة التي تصوّر جرو لبؤة سينترا... هل ترغب برؤيتها؟"

"لا، كودرينغر. لا أريد. ولا أقبل بحلٍّ كهذا."

أغمض كودرينغر عينيه وقال:

"جيرالت، ما الذي يدفعك؟ إن كنت تسعى لإنقاذ سيري... فلا أظنّ أنّ بإمكانك تحمّل رفاهية الازدراء. كلا، لا .. لقد أحسنتُ التعبير. لا تستطيع تحمّل رفاهية نبذ الازدراء. نحن مقبلون على زمنٍ من الازدراء، يا ويتشر. زمنٍ يعمّه الاحتقار والاستهانة بكل شيء. عليك أن تتكيّف. الحلّ الذي أقدّمه لك يسير: شخصٌ ما يموت ليحيا شخصٌ آخر. سيظلّ من تحبّه على قيد الحياة، بينما فتاةٌ لا تعرفها ولم ترها قطّ..."

قاطعَه الويتشر:

"أ وأنا حرٌّ في أن أحتقر نفسي؟ أأدفع ثمن ما أحبّ باحتقارٍ لذاتي؟ لا، يا كودرينغر. د ع الفتاة وشأنها لتستمرّ في بيع الأقمشة. أتلف صورتها، أحرقها. وامنحني شيئًا آخر لقاء مائتَيْ وخمسين كراون جمعتها بشقّ الأنفس وألصقتها في درجك. أريد معلومات. إن ينيفر وسيري غادرتا إيلاندر، وأنا واثقٌ أنّك تعلم ذلك. أعلم أنك تعلم وجهتهما، وأعلم أنك تعلم من يتعقّبهما."

ضرب كودرينغر أصابعه على سطح الطاولة واعتراه سعالٌ آخر:

"إذن فالذئب، رغم التحذيرات، يصرّ على المضيّ في المطاردة، ولا ينتبه إلى أنّه هو ذاته مُطارَدٌ يتقدّم نحو طُعْمٍ شهيّ عُلِّق عمدًا على يد صيّادٍ حقيقيّ."

"كفى من هذه المقدمات. ادخل في صلب الموضوع."

"إن كنتَ تريد الحقيقة، فمن السهل تخمين وجهة ينيفر؛ فهي تتّجه نحو اجتما ع السحرة الذي سيُعقد في بداية شهر يوليه في غارستانغ بجزيرة ثانِد. تتنقّل بذكاء من دون استخدام السحر، مما يجعل رصدها صعبًا. قبل أسبوع كانت لا تزال في إيلاندر، وأحسب أنها ستصل إلى مدينة غورس فيلن خلال ثلاثة أو أربعة أيام؛ ومن هناك لا يفصلها عن ثاند سوى مسافة قصيرة. في طريقها إلى غورس فيلن ستمرّ بقرية آنكور. ولو انطلقتَ حالًا، قد تسنح لك الفرصة لملاقاة من يطاردها. لأنّ هناك فعلًا مَن يلاحقها."

ابتسم جيرالت بابتسامةٍ كريهة وقال:

"ليسوا، على أيّ حال، عملاءً ملكيين؟"

هزّ كودرينغر رأسه وهو يتأمّل النجمة المعدنية في يده:

"لا. ليسوا عملاء. ولا رينس أيضًا؛ فهو أذكى منك، إذ بعد فوضى الميشيليت انكمش في جحرٍ ما وأخفى رأسه عن الأنظار. ثلاثةٌ من المرتزقة هم من يطاردون ينيفر."

"أفترض أنك تعرفهم؟"

"أعرفهم جميعًا. ولهذا أقترح عليك أمرًا: دَعْهم وشأنهم. لا تذهب إلى آنكور. وسأستغلّ علاقاتي واتصالاتي كلّها في محاولة رشوتهم وتعديل بند العقد. أي بتوجيههم بدلًا من ذلك نحو رينس. فإذا نجحتُ..."

توقّف كودرينغر فجأة، ثم أطلق بذراعه حركةً خاطفة. انطلقت النجمة الفولاذية في الهواء محدثةً صفيرًا حادًّا قبل أن تستقرّ في جبين صورة كودرينغر الأب المعلّقة على الجدار، مخلّفةً ثقبًا في القماش، وعالقةً في الحائط حتى منتصفها تقريبًا.

ضحك المحامي وهو ينظر إلى أثرها:

"أليست رائعة؟ يسمّونها 'أوريون'. اختراعٌ أجنبي. تدربتُ عليها شهرًا كاملًا حتى صرت لا أُخطئ الهدف. ربما تفيد يومًا ما. هذه النجمة الصغيرة تصيبُ الهدف وتقتله على بعد ثلاثين قدمًا، ويمكن إخفاؤها في كمّ الثوب أو خلف شريط القبّعة. مضى عامٌ الآن وهي جزء من عتاد الاستخبارات النيفغارديّة. هاها! إذا كان رينس يعمل لصالح نيفغاررد، فسيكون طريفًا أن يجدوه مقتولًا بأوريون مغروسةً في صِدْغِهْ... ما رأيك؟"

ردّ الويتشر بنبرةٍ باردة:

"لا شيء. ذلك شأنك. مائتان وخمسون كراون تقبع الآن في درجك."

أومأ كودرينغر برأسه وهو يردّ:

"نعم. أفهم من كلماتك أنك تمنحني حرّية التصرّف. فلنصمت قليلًا يا جيرالت، ولنكرّم الموت الوشيك لرينس بدقيقة صمت. لماذا تجهّم وجهك هكذا؟ ألا تحترم جلال الموت؟"

قال جيرالت:

"أحترمه، بل أحترمه أكثر من أن أستمع إلى الحمقى وهم يسخرون منه. هل فكّرت يومًا في موتك، كودرينغر؟"

كحّ كودرينغر بعنف، ثم تطلّع طويلًا إلى المنديل الملصق بفمه قبل أن يرفع عينيه:

"طبعًا فكّرت فيه، وبشكلٍ عميق. لكن هذه الأفكار لا تخصّك، يا ويتشر. هل ستذهب إلى آنكور؟"

"سأذهب."

"رالف بلوندِن، الملقّب بالأستاذ. هايمو كانتور. ياكسا الصغير. هل تعني لك هذه الأسماء شيئًا؟"

"لا."

"جميعهم قادرون على استخدام السيف ببراعة، بل أفضل من الميشيليت. لذا أنصحك بسلاحٍ يضمن المسافة، وربما نجمات الرمي النيفغاردية. أستطيع أن أبيعك بعضها إن أردت. لديّ منها وفرة."

"لا شكرًا. إنها غير عمليّة، وتُحدث صخبًا أثناء انطلاقها في الهواء."

"الصّفير له بُعدٌ نفسيّ. بإمكانه شلّ الضحيّة من شدّة الخوف."

قال جيرالت:

"ربما، لكنّه في الوقت نفسه قد ينذرها بالخطر. سأمتلك ما يكفي من الوقت لتفاديه."

"لو أبصرته وهو ينطلق صوبك، نعم. أعلمُ أنك تستطيع تفادي سهمٍ أو نصل نشّاب... لكن من الخلف..."

قاطعَه الويتشر وهو يبتسم ابتسامةً باهتة:

"حتى لو جاء من الخلف."

"هراء!"

قال جيرالت ببرودةٍ واضحة:

"دعنا نتراهن إذن. سأدير وجهي صوب صورة والدك البليد، وترمي أنت الأوريون نحوي. إن أصبتني، تفوز. وإن أخطأت، تخسر. وإن خسرت، فسوف تَفكّ طلاسم تلك المخطوطات الألفيّة وتجمع لي المعلومات عن طفلة الدمّ القديم، حالًا وعلى حسابك."

سأله كودرينغر:

"وإن فزتُ؟"

"ستجلب تلك المعلومات أيضًا، لكنّك ستسلّمها لينيفر كي تدفع ثمنها. لن تخسر شيئًا بذلك."

فتح كودرينغر الدرج وأخرج منه أوريونًا آخر. حدّق في جيرالت وقال جملةً بدت أقرب للتقرير منها إلى السؤال:

"لا تظنّ أنّي سأقبل بهذه المقامرة."

ابتسم الويتشر ابتسامةً لا تخلو من برود:

"لا، بل أنا واثقٌ من قبولك لها."

"يالك من متهوّر. ألا تذكر أنّي بلا ضمير؟"

"لم أنسَ. فزمن الاحتقار يقترب، وأنت مواكبٌ للتقدّم ولروح العصر. لكني تأثّرت قليلًا بملاحظتك عن سذاجتي البالية، ولذا سأخاطر هذه المرّة، من دون أن أغفل احتمال الربح. إذن، ما قولك؟ أتقبل التحدّي؟"

"أقبل." قالها كودرينغر وهو يمسك بالنجمة الفولاذية من إحدى شُعبها وينهض واقفًا.

"لطالما غلبني الفضول على صوت الحكمة، ناهيك عن رحمةٍ لا مبرر لها. استدر."

استدار الويتشر. رمق بعينيه وجه الرجل المرسوم في اللوحة، المثقّب بالفتحات والمتدلّي منه أوريونٌ آخر. ثم أغمض عينيه.

انطلق النجم مصدّرًا صفيرًا، وارتطم بالجدار على بُعد أربع بوصات من إطار الصورة.

صرخ كودرينغر ساخطًا:

"اللعنة! لم ترتجف ولو بمقدار شعرة أيها اللعين!"

استدار جيرالت نحوه، ترتسم على وجهه ابتسامةً مخيفة:

"لِمَ كنتُ لأرتجف؟ سمعتُ بوضوح أنّك تعمّدت الإخفاق في إصابتي."

* * *

كان النزل شبه خاوٍ. وقد جلست امرأةٌ شابّةٌ ذات هالاتٍ داكنة حول عينيها على مقعدٍ في الركن، تنظر بتوتّرٍ إلى جانبها وهي تُرضع طفلًا. إلى جوارها—وربّما هو زوجها—استند رجل عريض المنكبين إلى الجدار مستغرقًا في غفوةٍ خفيفة. أمّا في العتمة وراء الموقد، فجلس شخصٌ آخر لم تستطع عينا أبلجات تبيُّن ملامحه.

عندما رفع صاحب النزل بصره ورأى أبلجات، التمعت في عينيه نظرةُ وجومٍ حذر. لم يتفاجأ الرسول الملكيّ بهذا الاستقبال؛ فقد اعتاد عليه. إذ تسمح المراسيم الملكيّة للرسول بحقٍّ مطلقٍ في استبدال حصانه؛ إذ يفرض القانون أنّ للرسول أن يطالب بحصانٍ جديد من أيّة بلدةٍ أو قريةٍ أو نزلٍ أو مزرعة، ولا يجرؤ أحدٌ على الرفض. صحيحٌ أنّ الرسول يترك حصانه القديم ويوقّع إيصالًا بالحصان الجديد كي يتمكّن صاحبه من طلب التعويض إن شاء، لكن في الواقع تبقى الهواجس قائمة: هل سيطلب حقًّا حصانًا أم لا؟ هل سيأخذ "غولدا" فلا تعود أبدًا؟ أم "بيوتي" التي نشأت في الإسطبل منذ أن كانت مُهرًا؟ أو "إبوني" الفرسُ المدلّل؟ أكثر من مرّة رأى أبلجات الأطفال وهم يبكون متشبّثين بأطراف الحصان الذي تعلّقوا به كصديقٍ للّعب، بينما يُساق خارج الإسطبل وقد وُضع عليه السرج. ومرّاتٍ أخرى واجه نظرات الراشدين المليئة بالإحساس بالظلم والعجز.

"لا أريد حصانًا جديدًا،" قال ذلك بلهجةٍ حادة. وخُيّل إليه أن تنهد صاحب الحانة كان تنفّس راحة.

"سأتناول لقمةً فقط، فالطريق حفّز شهيّتي،" أضاف الرسول. "أيوجد أيّ طعام في القدر؟"

"ما زال لدينا بعض العصيدة. سأُحضِرها لك في الحال. اجلس. أتحتاج سريرًا؟ فليلُنا آخذٌ بالحلول."

أخذ أبلجات يفكر. التقى بهانسوم منذ يومين. يعرفه الرسول جيدًا، وتبادلا الرسائل بناءً على التعليمات. استلم هانسوم الرُّسائل والبيان الموجّه للملك ديمفند، وانطلق بأقصى سرعته عبر تيميريا ومهاكَم صوب فينغربرغ. أمّا أبلجات، وقد تسلّم الرُّسائل الموجّهة للملك فيزيمير ملك رِدانيا، فقد انطلق في طريقه إلى أوكسنفورت وترِتوغور. لا يزال أمامه أكثر من ثلاثمائة ميل ليقطعها.

"سآكل وأتابع المسير،" قال أخيرًا. "البدر مكتمل والطريق ممهد."

"كما تشاء."

قدّم له صاحب الحانة صحن العصيدة؛ كانت خفيفةً لا طعم لها، لكنّ أبلجات لم يهتمّ بهذه التفاصيل. ففي منزله يستمتع بأطباق زوجته، أمّا على الطريق فيرضى بأيّ طعامٍ يُقدّم. أخذ يتناولها ببطء، وهو يمسك الملعقة بيدٍ تُعاني التنميل من كثرة الإمساك باللجام.

عندها، انتفض القطّ الذي كان يستلقي على مقعد الموقد، رافعًا رأسه وأصدره حسيساً.

"رسولٌ ملكيّ؟"

انتفض أبلجات في مكانه. جاء السؤال من الرجل الجالس في العتمة والذي تقدّم الآن إلى جانبه. كان شعره أبيض كالحليب، ولفّ جبينه شريطٌ جلديّ، وكان يرتدي سترةً جلديّة مُرصّعة بالمعدن وجزمةً عالية. أما مقبض سيفه المُعلّق على ظهره فكان يلمع فوق كتفه الأيمن.

"إلى أين تقودك الطريق؟"

أجاب أبلجات ببرودٍ اعتياديّ:

"حيثما تأمرني إرادة الملك."

إذ لطالما كانت هذه هي إجابته المحفوظة على مثل تلك الأسئلة.

ظلّ الرجل أبيض الشعر صامتًا لبرهةٍ وهو يحدّق في الرسول بتمعّن، ووجهه شاحب على نحوٍ غير طبيعي وعيناه داكنتان وغريبتان.

"أظنّ،" قال في النهاية بصوتٍ مُنفّرٍ أجشّ بعض الشيء، "أن إرادة الملك تحضّك على الاستعجال؟ لا بدّ أنك على عجلةٍ من أمرك؟"

"وما شأنك أنت؟ من تكون لتستعجلني؟"

ابتسم الرجل ابتسامةً قبيحة:

"أنا لا أحد، ولستُ أُسرعك. لكن لو كنت مكانك، لانصرفتُ من هنا بأسرع وقت ممكن. لا أُريد أن يُصيبي أيُّ أذى."

كان لأبلجات إجابةٌ معتادة لهذه النوعية من التعليقات، موجزة وحازمة، تذكّر المتحدّث فورًا بمن يخدم الرسول وما قد يلقاه أيّ مَن يجرؤ على المساس به. غير أنّ نبرة الرجل الأبيض الشعر أثنته عن تكرار تلك الكلمات المعلّبة.

"حصاني بحاجةٍ للراحة، يا سيدي. ساعة، ربما ساعتان."

أومأ أبيضُ الشعر برأسه، ثم رفعه فجأة وكأنه يصغي إلى أصواتٍ آتيةٍ من الخارج. حاول أبلجات الإنصات أيضًا، فلم يميّز سوى صرير الحشرات الليليّة.

"إذن فلتسترح،" قال الرجل أبيض الشعر وهو يشدّ حزام السيف المائل على صدره، "ولكن إيّاك أن تخرج إلى الباحة. مهما حدث، لا تخرج."

أمسك أبلجات عن مزيدٍ من الأسئلة؛ لقد أحسّ في قرارة نفسه أن من الأفضل عدم طرحها. انحنى نحو صحنه وواصل البحث بملعقته عن قطع اللحم القليلة الطافية في تلك العصيدة الهزيلة. وعندما رفع بصره مجدّدًا، كان الرجل قد غادر المكان.

بعد لحظاتٍ قليلة، سُمع صوت صهيل حصان ووقع حوافرٍ في الباحة.

دخل ثلاثة رجالٍ إلى الحانة. حين رآهم صاحبها، راح يمسح كأس الجعة التي في يده بوتيرةٍ أسرع. أما المرأة التي تحمل الطفل فاقتربت من زوجها النائم وأيقظته بكوعها. وبدوره مدّ أبلجات يده باتجاه المقعد الذي وضع عليه حزامه وسيفه القصير، وجرّه أقرب إليه.

اتجه الرجال نحو البار، يطوفون بنظراتٍ حادّة مسحًا للحاضرين، متفحّصين إيّاهم. كانوا يسيرون ببطء، فتسمع رنين المهاميز والأسلحة مع كل خطوة.

"مرحبًا بكم أيها السادة الكرام،" قال صاحب الحانة وهو ينحنح، "كيف أخدمكم؟"

"بالفودكا،" قال أحد الرجال، قصيرٌ ممتلئ العضلات، ذو ذراعين طويلتين كذراعي قرد، وفي ظهره سيفان زيريكانيّان موضوعان على شكل صليب. "هل ترغب بجرعة يا بروفيسور؟"

"يسعدني ذلك غاية السعادة،" ردّ الآخر وهو يعدّل نظارته ذات الإطار الذهبي والزجاج البلوري المائل إلى الزرقة فوق أنفه المعقوف، "شريطة ألا يكون الخمر مغشوشًا بأي إضافات."

صبّ صاحب النزل الشراب، ولاحظ أبلجات أن يديه ترتجفان قليلًا. استند الرجال بظهورهم إلى البار وراحوا يرتشفون أكوابهم الفخارية بهدوء.

"أيها السيّد صاحب النزل،" بدأ الرجل ذو النظارة بنبرةٍ مفاجئة، "أظنّ أن سيدتين مرّتا من هنا مؤخرًا، في طريقهما سريعًا إلى غورس فيلن؟"

"كثيرون يعبرون هذا المكان،" تمتم صاحب النزل.

"لا يمكن أن تفوِّت مَن ذكرتُهما،" قال الرجل بالنظارة ببطء، "إحداهما سوداء الشعر، فاتنة جدًا، تمتطي حصانًا أسود مخصيًّا، والأخرى أصغر سنًّا، شقراء ذات عينين خضراوين، تركب فرسًا رُماديّة مُبقّعة. هل رأيتهما؟"

"لا،" قاطعه أبلجات فجأة، وقد داهمه إحساسٌ بالبرودة.

ريش رماديّ للخطر. رملٌ حارّ...

"رسولٌ ملكيّ؟"

أومأ أبلجات.

"من أي مكانٍ وإلى أي مكانٍ أنت مسافر؟"

"من حيث يأمرني الملك وإلى حيث يأمرني،" أجاب أبلجات ببرودٍ ثابت.

ساد الصمت لحظةً، قبل أن يقول الرجل الأبيض ذو النظارة بصوته الأجشّ:

"هل التقت مساراتُكَ مصادفةً بمسار تلكما المرأتين اللتين سألتك عنهما؟"

"لا."

"نفيُك سريع جدًّا،" زمجر الثالث، طويلٌ نحيلٌ أسود الشعر يلمع شعره كما لو كان مدهونًا بالزيت، "ويبدو لي أنك لم تحاول التذكّر مليًّا."

"دَعْهُ وشأنه يا هايمو،" قال ذو النظارة، ولوّح بيده بلا اهتمام. "إنه رسول. لا داعي للانزعاج. ما اسم هذا المكان يا صاحب النزل؟"

"آنكور."

"ما مدى قُرب غورس فيلن؟"

"عذرًا؟"

"كم ميلًا تفصلنا عنها؟"

"ما سبق لي قياسها. لكنّها تحتاج ثلاثة أيام من السير..."

"على ظهور الخيل؟"

"بالعربة."

"هه!" قال الرجل القصير البدين فجأة وبصوتٍ منخفض وهو يعتدل في وقفته، موجّهًا نظره خارج باب النزل المفتوح على باحة النزل. "انظر يا بروفيسور، من هذا؟ أليس هو...؟"

ألقى ذو النظارة نظرةً نحو الفناء، فتبدّلت ملامحه على الفور وانقبض وجهه.

"أجل،" قالها بصوتٍ مبحوح يكاد يكون همسًا. "إنّه بلا ريب هو. يبدو أنّ الحظّ يبتسم لنا."

"هل ننتظر حتى يدخل؟"

"لن يفعل. لقد رأى خيولنا."

"إذن هو يعرف أننا..."

"اصمت، ياكسا. أظنه سيقول شيئًا."

"لديكم خيار،" دوّى صوتٌ أجشّ لكنه قويّ من ساحة النزل، صوتٌ عرفه أبلجات على الفور.

"يخرج أحدكم ويخبرني مَن استأجركم، ثم ترحلون في سلام. أو تخرجون كلكم. أنا في انتظاركم."

"ابن المومس..." زمجر الرجل الأسود الشعر، "إنه يعلم. ماذا نفعل؟"

وضع الرجل ذو النظارات كأسه على البار بحركةٍ بطيئة.

"نفعل ما دُفع لنا لنفعله."

بصق في راحة يده وفرك أصابعه، ثم استلّ سيفه. عند رؤيته، سحب الرجلان الآخران سيفيهما أيضًا. فتح صاحب النزل فمه ليتكلّم لكنه صمت في الحال، إذ وقعت عيناه على نظراتٍ باردة خلف تلك العدسات الزرقاء.

“لا يتحرّك أحد،” قال ذو النظارات بنبرةٍ حادّة. “والزموا الصمت التامّ. هايمو، حين تبدأ المعركة، حاول أن تلتفّ من خلفه. حسنٌ يا رفاق، حظًّا موفّقًا. فلنخرج.”

ما إن خرجوا حتى بدأ كل شيء دفعةً واحدة—أصوات الأنين ووقع الأقدام وارتطام السيوف. تبعها صرخةٌ شنيعة تشيب لها الرؤوس.

شحُب وجه صاحب النزل، وصرخت المرأة ذات الهالات حول عينيها وهي تضغط رضيعها إلى صدرها. أما القطّ خلف الموقد فوثب منتصبًا مُحدِّبًا ظهره، وقد انتفش ذيله حتى صار كفرشاة. في حين تراجع أبلجات على مقعده إلى الزاوية، واضعًا يده على سيفه القصير الملقى في حِجره دون أن يستله.

عادت أصوات الأقدام وهي تضرب الألواح الخشبيّة في الباحة، تلاها صفيرُ الحديد وارتطامُه.

“أنت...” دوّى صوتٌ ممتلئٌ بالانفعال - رغم أنه انتهى بشتيمة بذيئة - بدا فيه اليأسُ أكثر من الغضب. “أنت...”

صدح بعدها صفير شفرةٍ تندفع بقوّة، وأعقبه على الفور صرخةٌ حادّة عالية تقطّع الهواء. دوّى صوت ارتطامٍ مكتوم، كأنّ كيسًا ثقيلًا من الحبوب سقط على الأرض. ركلت الخيول المقيّدة في الخارج الأرض بأطرافها وهي تئنّ مرعوبة.

دوى ارتطامٌ آخر على الألواح الخشبية، وأعقبه صوت خطواتٍ ثقيلة وسريعة لرجلٍ يعدو. التفتت المرأة الحاملة للطفل إلى زوجها وضمّته بقوّة، بينما اسند صاحب النزل ظهره إلى الجدار. أمسك أبلجات بسيفه القصير ولكنّه ظلّ يخفيه تحت الطاولة. كان القادم يندفع مباشرةً نحو النزل، واضحًا أنه سيظهر عند الباب في أيّ لحظة.

بيد أنه قبل أن يقتحم العتبة، انطلق صوت صليل شفرة. تعثر الرجل واندفع إلى الداخل؛ بدا أنه سيسقط عند العتبة لكنه واصل التقدّم خطواتٍ مختلّة مضطربة قبل أن يخرّ على وجهه أخيرًا في وسط الحجرة، لتتناثر سحابةٌ من الغبار المتراكم في الشقوق بين الألواح الخشبيّة. سقط على وجهه بلا حَراك، مثنيًا ذراعيه تحته وركبتيه منحنيتين. ارتطمت نظّارته ذات البلّور الأزرق بالأرض وتكسّرت إلى شظايا صغيرة، وراح سائلٌ داكن لامع ينتشر تحته، مكوِّنًا بركةً تعكس ضوءًا خافتًا.

لم يتحرّك أحد. ولم يطلق أحدٌ صرخة.

دخل الرجل أبيض الشعر إلى النزل.

أعاد سيفه الذي كان يمسكه بإحكام إلى غمده المثبّت على ظهره بخفّةٍ ومهارة. تقدّم نحو البار دون أن يلقي نظرةً على الجثّة الملقاة على الأرض. ارتجف صاحب النزل في مكانه.

"أولئك الأوغاد..." قال أبيض الشعر بصوته الأجشّ، "أولئك الأوغاد قد ماتوا، حين يصل الحاكم أو المسؤول، لربما يتبيّن أن هناك جائزةً على رؤوسهم، فليفعل بها ما يشاء."

أومأ صاحب النزل برأسه بحماسة.

"قد يتبيّن أيضًا،" قال الرجل أبيض الشعر بعد لحظة، "أن رفاقًا أو شركاء لأولئك الأوغاد قد يأتون للسؤال عمّا حصل. أخبِرهم أنّ الذئب قد عضّهم. الذئب الأبيض. وقل لهم أن يظلّوا ملتفتين وراءهم كلّ حين؛ ففي يومٍ ما سينظرون للخلف فيجدون الذئب هناك."

* * *

حين بلغ أبلجات أبواب ترِتوغور بعد ثلاثة أيام، كان الليل قد انتصف منذ زمن. كان غاضبًا، لأنه أضاع وقتًا عند الخندق واضطرّ إلى الصراخ حتى بحَّ صوته، فقد كان الحراس يغطّون في نومٍ مخزٍ وتردّدوا كثيرًا قبل أن يفتحوا الباب، فصبّ جام غضبه عليهم وشتمهم بأقسى عباراتٍ وبدقّةٍ امتدّت حتى أسلافهم في الجيل الثالث. بعد ذلك، سمع بارتياحٍ القائدَ — الذي استيقظ أخيرًا — وهو يضيف تفاصيل جديدة كليًّا إلى قائمة الإهانات التي وجّهها أبلجات نحو أمهات وجدّات وجدّات الجدّ لأولئك الجنود.

بالطبع، كان من المستحيل مقابلة الملك فيزيمير في تلك الساعة. وهذا وافق رغبة أبلجات، إذ كان يأمل أن ينام حتى يصدح جرس صلاة السَّحَر ثم جرس الصباح. لكنه كان مخطئًا. فبدلًا من إرشاده إلى مخدعه، اقتادوه إلى مخفر الحراسة. وهناك لم يجد الملك بل وجد الآخر البدين الضخم. عرفه أبلجات؛ إنّه ديكسترا، صاحب ثقة ملك رِيدانيا. وكان أبلجات يعلم أنّ ديكسترا مخوّلٌ باستلام الرسائل الموجَّهة حصريًّا للملك. سلّمه الرسائل.

"هل لديك رسالة شفهية؟"

"نعم، يا سيدي."

"تكلّم."

"من ديمفند إلى فيزيمير،" رتّل أبلجات وهو يغمض عينيه:

"أوّلًا: القوات المتخفّية جاهزةٌ اعتبارًا من الليلة الثانية بعد المحاق في شهر يوليه. احرص على أن لا يتخلّى عنّا فولتست. ثانيًا: لن أشرّف اجتماع السحرة الماكرين العجَزة في ثاند بحضوري، وأنصحك بعدم الحضور أيضًا. ثالثًا: جرو اللبؤة مات."

قطّب ديكسترا جبينه، وراح يقرع بأصابعه على الطاولة.

"إليك هذه الرسائل الموجّهة للملك ديمفند، وهناك رسالةٌ شفهية أيضًا... افتح أذنيك جيّدًا وانتبه. كرّرها كما أقول لك تمامًا أمام ملكك وحده، ديمفند، ولا أحد سواه. مفهوم؟"

"مفهوم، يا سيدي."

"الرسالة هي كالآتي: 'من فيزيمير إلى ديمفند: يجب أن تُرجئ إرسال القوات المتخفّية. هناك خيانة. اللهيب حشد جيشًا في دول آنغرا وينتظر فقط ذريعةً للهجوم.' الآن كرّر."*

كرّر أبلجات ما قاله ديكسترا كلمةً كلمة.

"جيد." أومأ ديكسترا. "ستنطلق عند شروق الشمس."

"لقد قضيتُ خمسة أيامٍ على الطريق، يا صاحب السعادة،" قال أبلجات وهو يفرك مؤخرته، "أيمكنني على الأقل أن أنام حتى الصباح... أتأذن لي بذلك؟"

"وهل ينام ملكك ديمفند ليله؟ هل أنام أنا؟ تستحق لكمةً على وجهك لمجرّد طرحك هذا السؤال، أيها الفتى. سيُقدَّم لك الطعام، ثم تمدّ ساقيك قليلًا على التبن. لكنك سترحل مع بزوغ الفجر. لقد طلبتُ لك حصانًا أصيلًا شابًّا، سيحملك كالريح. ولا تعبس هكذا. خذ هذه الصُرّة فيها مكافأةٌ إضافية، فلا تتّهم فيزيمير بالبخل."

"شكرًا، يا سيدي."

"أحرص على حذرك في الغابات قرب بونتار، فقد شوهدت فيها فرقة السناجب. ذلك عدا اللصوص العاديّين."

"أعلم هذا، يا سيدي. آه، لو رأيتَ ما رأيتُ قبل ثلاثة أيام..."

"ماذا رأيت؟"

سرد أبلجات بسرعة ما حصل في آنكور، فأصغى ديكسترا إليه واضعًا ساعديه القويّين متشابكين فوق صدره.

"البروفيسور..." قال متأمّلًا، "وهايمو كانتور وياكسا الصغير. قتلهم ويتشر، في آنكور، على طريق غورس فيلن؛ أي طريق ثاند وغارستانغ... وجرو اللبؤة مات؟"

"ماذا تعني، يا سيدي؟"

"لا يهمّك." رفع ديكسترا رأسه. "على الأقل لا يعنيك أنت. ارتح الآن. وعند الفجر ترحل."

أكل أبلجات ما قُدِّم له، ثم تمدّد قليلًا دون أن يغمض له جفن. وبمجرد انبلاج الفجر كان خارج البوابة. كان الحصان بالفعل سريعًا ولكنه متوتّر الطباع، وأبلجات لا يحبّ الجياد التي تكون على هذه الشاكلة.

أخذ يحسّ بحكّةٍ مزعجة في ظهره، تحديدًا بين لوح كتفه الأيسر وعموده الفقري. لاشكّ أنّ برغوثًا لدغه في الإسطبل. لكنه لم يجد فرصةً ليحكّ تلك الموضع.

كان الحصان الأصيل يرقص وينهنه بعصبية. وخزه الرسول أبلجات بالمِهماز، فانطلق يعدو. الوقت يضيق.

* * *

قال كيربري وهو يختلس النظر من وراء غصن شجرة، يراقب الطريق:

قار إن داهو ان ايفال ستريسيد "Gar'ean. En Dh'oine aen evall a strsede!"

قفزت توروفييل على قدميها، ممسكةً بسيفها ومشدّةً حزامه حول خصرها، ثم وخزت يايڤين بسنّ حذائها في فخذه. كان يايڤين غارقًا في إغفاءةٍ وهو مسنودٌ إلى جدارٍ رمليّ مُجَوّف، فلما نهض حرق يده باحتكاكها بالرمل الساخن.

كوي سويسس "Que succ's؟"

ردّت توروفييل:

"هناك فارسٌ على الطريق."

سأل يايڤين وهو يلتقط قوسه وترسه:

"أهو واحد فقط؟ يا كيربري؟"

"واحد فقط. وهاهو يقترب الآن."

قال يايڤين:

"فلننصب له كمينًا إذن. سيكون هناك بشريٌّ (Dh'oine) أقلّ في العالم."

أمسكت توروفييل كمَّه:

"لا تهتمّ. وما الفائدة؟ مهمّتنا هي الاستطلاع ثم اللّحاق بالفرقة. هل سنقتل مدنيًّا يمرّ بالطريق؟ أهكذا تكون حريّتنا؟"

ردّ يايڤين بحزم:

"بل بالضبط هكذا. ابتعدي."

أضافت توروفييل:

"لو وجدوا جثّةً على الطريق، فكلّ دوريّةٍ عابرة سترفع الإنذار، وسينطلق الجيش وراءنا. سيُحاصرون المعابر، ونخاطر بتعذّر اجتيازنا النهر!"

قال يايڤين بلا اكتراث:

"قليلون هم الذين يمرّون هذا الطريق. سنكون قد ابتعدنا كثيرًا قبل العثور على الجثّة."

ناداهم كيربري من الشجرة:

"لقد بات الفارس بعيدًا الآن. كان عليك إطلاق سهمك بدلًا من الثرثرة. لن يصيبه سهمك من هذه المسافة. تجاوز مئتي خطوة."

مسح يايڤين قوسه براحة يده، وقال:

"بقوسي ذي الستين رطلًا؟ وسهمٍ بطول ثلاثين بوصة؟ ثم إنه لا يبدو لي أنه مئتا خطوة؛ ربما مئة وخمسون على الأكثر. Mire, que spar aen'le."

هتفت توروفييل:

"يايڤين، انس الأمر..."

ردّ باقتضاب:

"Thaess aep, Toruviel."

قلّب يايڤين قبعته بحيث لا يعيقه ذيل السنجاب المثبّت عليها، ثم مدّ وتر القوس بقوّةٍ وسرعة حتى بلغ أذنه. تثبّت برهةً، ثم أطلق.

لم يسمع أبلجات صوت السهم. كان سهمًا "صامتًا"، مُزوّدًا بريشٍ طويلٍ رماديٍّ نحيل، وساقِه مُحلزنةٍ لتوفير صلابةٍ أكبر ووزنٍ أقل. رأسه ثلاثيُّ الشفرات وحادٌّ كالموسى. أصاب السهم الرسول في ظهره بقوّة، في الموضع بين لوح كتفه الأيسر وعموده الفقري. كانت الشفرات مثبتةً بزاويةٍ معيّنة بحيث تدور وتثقب الجسد كسكّينٍ حلزونيّ، ممزّقةً الأنسجة وقاطعةً الأوعية الدموية ومُحطّمةً العظم.

اندفع أبلجات للأمام مستلقيًا على رقبة حصانه، ثم انزلق جثّةً لا حراك فيها على الأرض، كمجرّد كيس صوفٍ فارغ.

كان الرمل فوق الطريق حارقًا من وهج الشمس، لكنّ الرسول لم يشعر بشيء. فقد مات على الفور.

** القول إنني كنت أعرفها حقًّا سيكون ضربًا من المبالغة. أعتقد أنّ أحدًا لم يعرفها معرفةً حقيقية سوى الويتشر والساحرة. حين رأيتها أول مرة، لم تترك فيّ أيّ انطباعٍ مميز، رغم كل الظروف الاستثنائية التي أحاطت بظهورها. لقد قابلت أشخاصًا زعموا أنهم شعروا منذ اللحظة الأولى بنذير الموت يسير خلف الفتاة بخطًى حثيثة. أمّا بالنسبة لي، فقد بدت لي عاديةً تمامًا، رغم يقيني أنها لم تكن عاديةً أبدًا؛ ولهذا سعيت أن أتبين وأستشفّ شيئًا من تفردها. لكنّني لم ألاحظ شيئًا، ولم أشعر بشيء. لا شيء يشير إلى أي نذير أو إحساس مسبق بالأحداث المأساوية التي تلت، تلك التي أثارتها بمجرّد وجودها، والتي فجّرتها بأفعالها **

داندليون، نصف قرنٍ من الشعر.

الفصل الثاني

عند المفترق، حيث انتهى الغابة، غُرزت تسعُ قوائم في الأرض. فوق كلّ منها وُضعت عجلة عربة بشكلٍ مسطَّح. احتشدت الغربان والغربان السوداء أعلاها، تنقر وتمزّق الجثث المربوطة بحواف العجلات ومراكزها. ولأنّ القوائم مرتفعة والطيور كثيرة، لم يمكن تبيُّن ماهية تلك البقايا التي تعلو العجلات، وإن كانت بلا شك أجسادًا. لايمكن أن تكون سوى ذلك.

أدارت سيري رأسها وقطّبت أنفها في اشمئزاز. هبّت الريح من جهة القوائم، حاملةً رائحةً نتنةً بشعة تزكم الأنوف عند مفترق الطرق.

"منظرٌ رائع،" قالت ينيفر وهي تنحني على سرجها لتبصق على الأرض، ناسيةً للحظة أنّها وبّخت سيري قبل قليل على فعلٍ مماثل، "منظرٌ خلّابٌ ورائحةٌ زكيّة. ولكن لماذا يفعلون هذا هنا، عند حافة البرّية؟ عادةً ما تُنصب مثل هذه المناظر خارج أسوار المدن مباشرة. أليس كذلك، أيها الناس الطيبون؟"

سارعِ أحد التجّار المتنقلين، الذي لحقتا به عند التقاطع، للردّ وهو يقود حصانه المرقّط المربوط إلى عربةٍ مثقلة بالأمتعة:

"إنها جثث السناجب، سيّدتي النبيلة. جثث الجان الإلفيين. أولئك المصلوبون على القوائم. لهذا وُضعت القوائم بجوار الغابة، لتحذير بقية السناجب."

سألت الساحرة وهي تنظر إليه:

"أيعني ذلك أنّ السناجب الذين يقعون في الأسر يُؤتى بهم أحياءً إلى هنا...؟"

قاطعها التاجر بسرعة:

"الجان نادرًا ما يُمسكون أحياءً يا سيّدتي. ولو أمسكهم الجنود، يأخذونهم إلى المدينة؛ فهناك أناسٌ من غير البشر يعيشون في سلام. ويرون بأعينهم عذاب السناجب وتعذيبهم في ساحة المدينة، فيفقدون حماستهم للانضمام إليهم. أمّا إن قُتل جان في المعركة، فيأتون بجثته إلى تقاطع الطرق هذا ويعلّقونها هكذا على القوائم. أحيانًا يجلبونها من أماكن بعيدة، وحين تصل تكون قد فاحت رائحتها..."

"تفكّر في الأمر،" قاطعته ينيفر بحدّة، "بينما نحن السحرة محرّمٌ علينا اللجوء إلى ممارسات النكرومانسيّة[1] إكرامًا لحرمة الموتى وإجلال رفاتهم—لأنّهم يستحقون السكينة وطقوس الدفن... ماذا تقول أنت؟"

تساءل التاجر:

"عفوك يا مولاتي، ماذا عنيتِ؟"

لوّحت ينيفر بيدها في ضيق:

"لا شيء. لنبتعد عن هنا يا سيري، ما زلتُ أشعر أنّ هذه الرائحة قد التصقت بي."

قالت سيري وهي تنحرف بفرسها بعيدًا عن عربة التاجر:

"أفّ، وأنا أيضًا. هيا ننطلق بسرعة، موافقة؟"

"حسنًا... سيري! انطلقي سريعًا لكن لا تُعرضي نفسك للخطر!"

سرعان ما ظهرت المدينة أمامهما؛ تحيطها الأسوار وتعجُّ بالأبراج ذات الأسقف اللامعة المستدقة. وخلف المدينة، استوى البحر رماديًّا مُخضَرًّا يبرق تحت شمس الصباح، تتناثر فوقه هنا وهناك نقاطٌ بيضاء هي الأشرعة. أوقفت سيري حصانها عند حافة منحدرٍ رملي، وقوّمت ظهرها في الركابين واستنشقت الريح بنهم.

"غورس فيلن،" قالت ينيفر وهي تلحق بها وتقف إلى جوارها. "ها قد وصلنا أخيرًا. فلنعد إلى الطريق."

مضتا في طريقهما بخطًى أسرع، متجاوزتين عدّة عربات تجرّها الثيران وأشخاصًا يسيرون وهم يحملون حِزَمًا من الحطب. وما إن خلَت الطريق من المارة من حولهما، أبطأت الساحرة خطواتها وأشارت لسيري بالتوقف.

"اقتربي،" قالت بصوتٍ خافت، "أقرب من هذا. خذي اللِّجام وقودي حصاني. أحتاج كلتا يديّ."

"ولمَ ذلك؟"

---

1. [1] **النكرومانسيّة** (Necromancy)هي ممارسات سحرية أو روحانية تُعنى بالتواصل مع أرواح الموتى لأغراض مختلفة، مثل التنبؤ بالمستقبل، استدعاء المعلومات الخفية، أو حتى محاولة السيطرة على الأرواح.

"قلتُ لكِ: خذي اللِّجام يا سيري."

تناولت ينيفر مرآةً فضيّةً صغيرة من حقيبة سرجها، مسحتها ثم همست بتعويذةٍ خفيفة. طَفَت المرآة من يدها، وارتفعت لتستقرّ في الهواء أمام وجه الساحرة مباشرةً، عند عنق حصانها. شهقت سيري انبهارًا ولعقت شفتيها.

أخرجت ينيفر مشطًا من حقيبة السرج أيضًا، ونزعت البيريه عن رأسها وشرعت تمشّط شعرها بعناية لبضع دقائق. ظلت سيري صامتة، عالمةً أنها ممنوعة من مضايقة الساحرة أو تشتيت انتباهها أثناء تمشيط شعرها. فهي تدري أنّ هذه الفوضى "العفويّة" البادية على خصلات ينيفر المموّجة والمترفة تتطلّب جهدًا ليس بالهيّن.

ما إن انتهت ينيفر من تمشيط غُرَّتها، حتى أدخلت يدها ثانيةً في حقيبة السرج. علّقت في أذنيها قرطين من الألماس ووضعت أساور في كلتا يديها. خلعت شالها، ثم فتحت بضع أزرارٍ من بلوزتها فكشفت عن عنقها وعن شريطة مخملٍ أسود يتدلّى منها نجمٌ من حجر الأوبسيديان.

لم تتمالك سيري نفسها فقالت أخيرًا:

"هاه! عرفتُ لماذا تفعلين هذا! تريدين أن تكوني جميلة لأننا سندخل المدينة، صحيح؟"

"صحيح تمامًا."

"وماذا عني؟"

"ماذا بكِ؟"

"أريد أن أبدو جميلة أيضًا! سأصفّف شعري"

قاطعتها ينيفر بنبرةٍ حادّة، وعيناها لا تبرحان صورة انعكاسها في المرآة السابحة أمام أذني الجواد:

"ضعي البيريه كما كان، وأخفي شعرك تحته."

زمجرت سيري بضيق، لكنها أسرعت إلى الامتثال. لقد تعلّمت منذ مدة طويلة كيف تميّز طبقات صوت الساحرة ودرجاتها، وعرفت تمامًا متى يمكنها المجادلة ومتى ينبغي ألا تخوض فيها.

تابعت ينيفر عملها بهدوء، وأخرجت من حقيبتها قارورةً زجاجيةً خضراء صغيرة:

"سيري،" قالت بنبرة أكثر لطفًا، "نحن نسافر سرًّا، والرحلة لم تنتهِ. لهذا عليكِ أن تُخفِي شعرك تحت البيريه. في كل بوّابةٍ هناك مَن يتقاضى أجرًا ليسجّل أوصاف المسافرين بدقّة. أتفهمين؟"

ردّت سيري بوقاحة وقد أوقفت فحل ينيفر الأسود:

"لا! لقد تبرّجتِ أنتِ نفسكِ لتجعلي عيون حرّاس البوابة تخرج من محاجرها انبهارًا! سرّيٌّ جدًّا، إذن!"

ابتسمت ينيفر:

"المدينة التي نقصُدها الآن هي غورس فيلن، ولا حاجة بي إلى التخفّي هناك، بل العكس تمامًا. أما وضعكِ أنتِ فمختلف. يجب ألا يذكركِ أحدٌ أو يتذكركِ."

"من سيرى جمالكِ سيراني أيضًا!"

فتحت الساحرة قارورتها، ففاح منها عبق الليلك وعنب الثعلب. غمست إصبعها فيها وطَلت تحت عينيها بالقليل من المزيج العطري.

"أشكُّ، واصلت كلامها بابتسامةٍ غامضة، "في أن يلتفت إليكِ أحد."

امتدّت أمام الجسر طابورٌ طويلٌ من الفرسان والعربات، واجتمع المسافرون عند بوّابة الحراسة، ينتظرون دورهم للتفتيش. كانت سيري تزمجر غيظًا، متبرّمةً من فكرة الانتظار الطويل. أمّا ينيفر فجلست مُنتصبةً في السرج، وتقدّمت بخُطى خيولها بوتيرةٍ محسوبة، مرفوعة الرأس فوق حشود المسافرين - الذين تنحّوا بسرعةٍ لإفساح الطريق أمامها - وبعضهم انحنى احترامًا. وما إن لمحها الحراس المدرّعون بقمصان الزرد حتى أفسحوا لها المجال؛ فلم يتورّعوا عن توجيه ضرباتٍ بقِمَع رماحهم إلى العنيدين أو المتباطئين.

"من هنا، من هنا يا سيّدتي النبيلة،" نادى أحد الحرس، مُحدّقًا بوجه ينيفر وقد احمّر خجلًا. "اعبري من هنا، أرجوكِ. افسحوا الطريق، افسحوا الطريق أيها السفلة!"

خرج الضابط المناوب - الذي استُدعي على عجلٍ - من غرفة الحراسة وهو يُبدي تجهّمًا وامتعاضًا، لكنّ ملامحه تغيّرت تمامًا عند رؤية ينيفر؛ إذ شحب لونه قليلًا، ثم احمرّ ثانيةً، وفتح عينيه وفمه في دهشةٍ، وانحنى انحناءةً عميقة.

"أهلًا بكم في غورس فيلن، يا سيّدتي،" تمتم، منتصبًا في وقفته وحدّق. "أنا رهن إشارتكم... هل ترغبون في شيء؟ ربّما مرافقةٌ أو دليل؟ هل أستدعي أحدًا؟"

ردّت ينيفر بصوتٍ واثق وهي تشدّ قامتها فوق السرج وتنظر إليه نزولًا:

"لا داعي لذلك. سأقيم في المدينة إقامةً قصيرةً فقط. طريقي إلى ثاند."

"طبعًا، يا سيّدتي،" قال الضابط وهو يُحوّل ثقله من قدمٍ لأخرى، عاجزًا عن صرف نظراته عن ينيفر. على مقربةٍ منه، كان بقية الحراس يحملقون فيها أيضًا. أمّا سيري فرفعت كتفيها في كبرياءٍ وشمخت بعنقها، لكن بلا جدوى—لم يُعرها أحدٌ أيّ اهتمام، كأنها غير مرئيّة.

"أجل يا سيّدتي،" كرّر ضابط الحراسة، "إلى ثاند، أجل... من أجل اجتماع السحرة. أفهم جيدًا. إذن أتمنّى لكِ..."

"شكرًا،" قاطَعته ينيفر، وضربت حصانها بالسوط اندفاعًا، وقد بدا أنّها غير مهتمّةٍ بسماع ما كان ينوي تمنّيه لها. فلحقتها سيري على الفور. وانحنى الجنود مرّةً أخرى حين مرت ينيفر، لكنّ أحدًا لم يرمق سيري بنظرةٍ واحدة.

"لم يسألوكِ حتى عن اسمك،" تمتمت سيري وهي تلحق بها، وتحاول السيطرة على جوادها وسط الحفر والمنخفضات الطينيّة في الطريق. "هل ألقيتِ عليهم تعويذة؟"

"ليس عليهم، بل على نفسي."

التفتت ينيفر نحوها، فتنهّدت سيري. اشتعلت عينا الساحرة بضوءٍ بنفسجي، وأشعّ وجهها بجمالٍ آسرٍ—جمالٍ أخّاذٍ، استفزازيٍّ وخطِر، لكنه لم يكن بشريًّا تمامًا.

"إذن كانت تلك القارورة الخضراء،" أدركت سيري. "ما الذي كان فيها؟"

"إكسيرٌ[2] غلَماري أو بالأحرى كريمٌ خاص للمناسبات المتميّزة. سيري، أضروريّ أن تحشري جوادكِ في كلّ بركةٍ على الطريق؟"

ردّت سيري وهي تستحثّ حصانها عبر المياه الموحلة:

2. [2] **الإكسير** :مصطلح قديم يشير إلى مادة خيميائية أسطورية يُعتقد أنها تمنح الخلود أو تحول المعادن إلى ذهب، كما أنه يُستخدم مجازيًا للإشارة إلى أي مادة أو فكرة ذات تأثير سحري.

"أحاول غسل قوائم جوادي الخلفية."

"لم تمطر منذ شهر. تلك ليست ماءً بل مياهٌ قذرة وبول خيول."

"أها... قولي لي، لماذا استعملتِ ذلك الإكسير؟ هل يهمّكِ لهذه الدرجة أن—"

قاطعتها ينيفر:

"نحن في غورس فيلن، مدينةٌ مدينةٌ ازدهرت بفضل السحرة والساحرات. أو، إن أردتِ الحقيقة، بفضل الساحرات على وجه الخصوص. رأيتِ بنفسك كيف يُعاملون الساحرات هنا. وما رغبتُ في التعريف بنفسي أو إثبات هويّتي؛ فضّلتُ أن يفهم الجميع من النظرة الأولى. ها هو المنزل الأحمر، سندور يسارًا. احرصي على خفض سرعة خيلك، كي لا تدهسي أحد الصغار."

"لكن لماذا جئنا إلى هذه المدينة إذن؟"

"قلتُ لكِ للتو."

زمجرت سيري بصوتٍ مكتوم بينما كانت تفكّر في الأمر، ثم شدّت ساقيها على جانبي الجواد بقوةٍ مفاجئة، فكاد الحصان يندفع مصطدمًا بعربةٍ مارّة. نهض السائق واقفًا فوق مقعده وكاد ينهال عليها بوابلٍ من شتائمه، لكنّه التزم الصمت على الفور حين وقعت عيناه على ينيفر، وجلس بهدوءٍ متأملًا حذاءه.

قالت ينيفر بنبرةٍ واضحة التهديد:

"إن حاولتِ الهروب بتلك الطريقة مرّةً أخرى، سنغضب منكِ حقًّا. تتصرّفين كمعزةٍ صغيرةٍ متمرّدة وتحرجينني."

قالت سيري وهي تهزُّ رأسها بتحدٍّ:

"فهمتُ كلّ شيء. تريدين وضعي في مدرسةٍ أو ملجأ للأيتام، صحيح؟ لا أريد الذهاب!"

"اصمتي. الناس ينظرون إلينا."

"ينظرون إليكِ لا إليّ! لا أريد المدرسة! وعدتِني ألا تتركيني أبدًا، والآن تخططين لتركتي وحيدةً! لا أريد البقاء وحدي!"

تنهدت ينيفر:

"لن تكوني وحدكِ. هناك كثيرٌ من الفتيات في سنّكِ في المدرسة. ستجدين صديقاتٍ كثيرات."

"لا أريد صديقات، أريد البقاء معكِ... وظننتُ أننا..."

التفتت ينيفر فجأة نحوها:

"ماذا ظننتِ؟"

ألقت سيري رأسها للخلف بعناد:

"ظننتُ أننا سنلتقي جيرالت. أعرف جيّدًا ما يشغل بالك طوال الطريق. وأعرف سبب تنهداتكِ في الليل..."

انفجرت الساحرة بهمسةٍ حانقة وعيناها تومضان بنظرة حادة:

"كفى. لقد تجاوزتِ الحدود. تذكّري أنّ زمن معاندتكِ لي قد ولّى إلى الأبد؛ أنتِ المسؤولة عن ذلك، وعليك الآن طاعتي. أفهمتِ؟"

أومأت سيري برأسها. واصلت ينيفر:

"كل ما أقوله يكون في مصلحتكِ دائمًا. لهذا ستطيعينني وتلتزمين بتعليماتي. واضح؟ اسحبي لجام فرسكِ. لقد وصلنا."

تطلّعت سيري إلى المبنى الشاهق بواجهته الفخمة وقالت بامتعاضٍ:

"هذه مدرسةٌ أخرى؟ أهذا هو..؟"

قاطعتها ينيفر بحزم:

"لا أريد سماع كلمة أخرى. انزلي عن الحصان. وأحسني التصرّف. هذه ليست المدرسة، فالمدرسة في أريتوزا وليست في غورس فيلن. هنا بنك."

اتسعت عينا سيري:

"ولِمَ نحتاج إلى بنك؟"

"فكّري قليلًا. والآن انزلي كما قلتُ لك. ولا تضعي قدمَيك في تلك المياه القذرة! دعي الأمر للخادم. وانزعي قفازيكِ؛ لا يُعقل أن تدخلي البنك بقفازَي الركوب هذين. انظري إليّ يا سيري... رتّبي بيريتكِ، وعدّلي قبة قميصكِ. وقفي مستقيمة. وإذا كنتِ لا تعرفين ما تفعلين بيديكِ، فلا تفعلي بهما أي شيء!"

تنهدت سيري بيأس.

اندفع الخدم من مدخل المكان لمساعدتهما — يتعثّرون في بعضهم بعضًا بانحناءاتهم — وكلّهم كانوا من الأقزام. تطلّعت إليهم سيري باهتمام. صحيح أنّهم كلّهم كانوا قصارًا، متينين، ملتحين، لكن لم يكن فيهم من يشبه يارپن زيغرين أو رفاقه؛ فقد بدوا كُسَلاء شاحبين، يلبسون أزياءً موحّدة متشابهة، عديمي التميّز، وخاضعين خضوعًا بعيدًا كل البعد عن روح يارپن و"فتيانه" المتمرّدة.

دلفتا إلى الداخل. ظلّ مفعول الإكسير السحري فعّالًا، فولج حضور ينيفر المكان فتسبّب في ربكةٍ واضحة، إذ التفّت حولهما مجموعةٌ أخرى من الأقزام بالانحناءات والترحيبات المغالى فيها وهم يصدرون الوعود والطاعة والخدمات، ولم يتوقّف ذلك إلا حين ظهر قزمٌ سمين، متأنّق الثياب، أبيض اللحية.

"يينيڤر العزيزة!" زمجر بصوتٍ جهير، وهو يحرّك سلسلةً ذهبيةً تتدلّى من عنقه العريض وتنحدر لمسافةٍ تغطي جزءً من لحيته البيضاء. "يا له من مفاجأة! ويا له من شرف! تفضّلي، تفضّلي إلى مكتبي. وأنتم يا جماعة، كفى وقوفًا هكذا! عودوا إلى عدّاداتكم وحساباتكم! ويلفلي، أحضر إلى مكتبي زجاجةً من كاستل دي نوف. أي عامٍ تحديدًا؟ أنت تعلم أيّ عام. أسرِع! من هنا يا يينيڤر، من هنا. أنا سعيدٌ جدًّا برؤيتكِ. تبدين... آه، اللعنة، تبدين فاتنةً حدّ الموت!"

ابتسمت ينيفر بلطف:

"وأنتَ أيضًا، مولنار جيانكاردي، تبدو في خير حال."

"لا ريب في ذلك. تفضّلي من هنا إلى مكتبي. لا، لا، سيدتي اذهبي أنتِ أوّلًا. فأنتِ تعرفين المكان جيدًا يا يينيڤر."

كان المكان مظلمًا بعض الشيء لكنّ برودته كانت مريحة، وعبق هواءه بشذا الحبر والرَّقّ المصنوع من الجلود والغبار، ما أحيا في ذهن سيري ذكرى برج جارِه الكاتب؛ إذ اختلطت رائحة الأثاث الخشبي البلوطي واللوحات القديمة والكتب.

"اجلسي، تفضّلي." قال المصرفي وهو يجرّ كرسيًّا خشبيًّا ثقيلًا عن الطاولة لتجلس عليه ينيفر، بينما ألقى نظرةً فضوليّةً نحو سيري.

غمغم ببضع كلماتٍ غير واضحة:

"همم..."

قالت ينيفر بلهجةٍ عابرة، بعدما التقطت نظرة القزم:

"ناولها كتابًا يا مولنار. تعشق القراءة. ستجلس آخر الطاولة ولن تزعجنا. أليس كذلك، سيري؟"

لم تُكلّف سيري نفسها الردّ.

قال القزم بنبرةٍ لطيفة وهو يتوجّه نحو خزانة أدراج:

"كتاب؟ همم، همم. ماذا لدينا هنا؟ أوه، دفتر حسابات... لا، ليس مناسبًا. رسومٌ وجمارك المرفأ... لا يصلح أيضًا. أرصدة وقروض؟ لا. كيف وصل هذا إلى هنا؟ لا يعلم إلا الله... لكن ربّما يناسبها هذا. خذي، يا آنسة."

كان الكتاب يحمل العنوان "فيزيولوغوس[3]"، وكان قديمًا وممزّقًا بعض الشيء. فتحته سيري بحذر، وقلّبت بعض صفحاته. سرعان ما اجتذب اهتمامها، إذ تحدّث عن وحوشٍ ومخلوقاتٍ غامضة، وكان مليئًا بالرسوم التوضيحيّة. حاولت لوهلة أن توزّع تركيزها بين الكتاب وبين ما يدور من حديثٍ بين ينيفر والقزم.

"هل لديك رسائل لي، مولنار؟"

"لا،" أجاب المصرفيّ وهو يصبّ الخمر لنفسه ولينيفر. "لم يصلني أيّ جديد. سلّمتُكِ آخر مجموعة قبل شهر، بالطريقة المعتادة."

"وصلتني، أشكرك. هل لاحظتَ اهتمام أحدٍ بتلك الرسائل؟"

ابتسم مولنار جيانكاردي:

3. [3] **فيزيولوغوس** (*Physiologus*)هو كتاب قديم يعود تاريخه إلى القرنين الثاني أو الثالث بعد الميلاد، ويُعتبر من أقدم الأعمال الموسوعية التي جمعت بين الأسطورة، والطبيعة، والرمزية الدينية.

"ليس هنا. لكن شكوككِ ليست من فراغ يا عزيزتي. لقد وصلني تنبيهٌ سرّيٌ من بنك فيڤالدي يفيد بأنّهم رصدوا محاولاتٍ لتتبّع تلك الرسائل. فرعهم في فينغربرغ رصد أيضًا محاولة تتبّع جميع تعاملات حسابكِ الخاصّ. يبدو أنّ أحد الموظّفين لم يكن أمينًا."

توقّف القزم عن الكلام ونظر إلى الساحرة من تحت حاجبيه الكثّين. أصغت سيري بانتباه وهي تقلب صفحات الكتاب. لم تقل ينيفر شيئًا واكتفت بلمس نجمة الأوبسيديان حول عنقها.

خفض المصرفي صوته وقال:

"بنك فيڤالدي ما استطاع— أو لم يشأ — إجراء تحقيقٍ موسّع. الموظّف الخائن كان ثمِلًا، فسقط في خندقٍ وغرق. حادثٌ مؤسف. لكن على ما يبدو كان الأمر سريعًا ومتعجّلًا..."

قطّبت ينيفر شفتيها وقالت:

"لا جدوى من النحيب على ما مضى. أعرف تمامًا مَن اهتمّ برسائلي وبحسابي؛ لن تضيف تحقيقات فيڤالدي شيئًا يُذكر."

"إن قلتِ ذلك... " مسد جيانكاردي لحيته الكثّة مقاطعاً "هل أنتِ ذاهبة إلى ثاند يا ينيفر؟ لحضور مجمّع السحرة العام؟"

"بالفعل."

"لتقرّروا مصير العالم؟"

"لا تُبالغ."

"تدور أقاويل شتى،" قال القزم ببرود، "وتحدث أمور شتى."

"وما هذه الأمور إن لم تكن سرًّا؟"

"منذ العام الماضي،" قال جيانكاردي وهو يربّت على لحيته، "لوحظت تقلّبات غريبة في السياسة الضريبية... أعلم أنّها لا تهمّكِ..."

"تابع."

"هناك ضريبة الرؤوس وضريبة الإيواء الشتوي، وكِلتاهما تُفرض مباشرةً من السلطات العسكرية، وقد تضاعفتا. كل تاجرٍ أو صاحب مصلحة يدفع أيضًا 'الغرش العاشر' لخزينة الملك، وهي ضريبةٌ جديدة تمامًا: غرشان على كل عشرة نقودٍ من قيمة المبيعات. أضِف إلى ذلك أنّ الأقزام والغنوم والجان وأنصاف البشر يدفعون ضريبةً أعلى على الرؤوس والمدافئ، وإن مارسوا التجارة أو الصناعة فيدفعون مساهمةً إلزامية تُسمّى 'مساهمة غير البشريّين' نسبتها عشرة في المئة من كل مئة غرش. بهذه الطريقة أدفع أنا وحدي ستين بالمئة من دخلي لخزينة الدولة. مصرفي مع كل فروعه يقدّم للممالك الأربع ستمئة مارك سنويًّا. للمعلومة، هذا يقارب ثلاثة أضعاف ما يدفعه دوقٌ ثريّ أو إيرلٌ ثريّ لقاء ملكيّةٍ شاسعة."

"ألا يدفع البشر أيضًا شيئًا للمجهود الحربي؟"

"لا، فقط الضريبة الشتوية وضريبة الرؤوس."

"يعني هذا،" أومأت الساحرة، "أنّ الأقزام وغيرهم من غير البشر يمولون الحملة ضدّ السناجب في الغابات. توقعتُ شيئًا كهذا. ولكن ما علاقة الضرائب بمجمّع السحرة في ثاند؟"

"بعد كل مجمّعٍ لكم يحدث شيءٌ ما،" تمتم المصرفي. "شيءٌ ما يحصل دائمًا. وهذه المرة آمل أن يسير العكس؛ أن يوقف مجمّعكم ما قد يحدث. سأكون سعيدًا لو توقفت—مثالًا—هذه الارتفاعات الغريبة في الأسعار."

"كنْ أكثر تحديدًا."

اتكأ القزم على ظهر كرسيه وشبّك أصابعه فوق كرشه المكسوّ باللحية:

"عمِلتُ في مهنتي هذه سنواتٍ طوالًا بما يكفي لأربط بعض تقلبات الأسعار بوقائع بعينها. مؤخرًا، ارتفعت أسعار الأحجار الكريمة فجأةً، لأنّ الطلب عليها ازداد."

"أليس من المعتاد أن يستبدل الناس أموالهم بالأحجار الكريمة لتجنّب خسائر فروق أسعار العملات وتقلب قيم النقود؟"

"نعم، هذا أيضًا، لكن للأحجار الكريمة ميزةٌ أخرى. إذ إن كيسًا من الألماس يزن بضعة أونصات—يمكن وضعه في الجيب—يعادل قيمته نحو خمسين ماركًا. أمّا القدر نفسه من العملات النقدية فوزنه خمسةٌ وعشرون رطلًا ويمتلئ به كيسٌ كبيرٌ لا بأس به. وبديهيّ أنّ الهرب وبجعبتك جرابٌ صغير أخفّ

بكثير ممّا لو اضطررت إلى حمل كيسٍ ضخم على ظهرك. هذا فضلًا عن أنّ يديك تكونان حرّتين، فتمسك بواحدةٍ زوجتك وبالأخرى تستطيع، عند الضرورة، توجيه لكمةٍ لأحدهم."

أصدرت سيري ضحكةً مكتومة، لكن ينيفر أرسلت نحوها نظرةً صارمة أجبرتها على الصمت.

"إذًا،" قالت الساحرة وهي ترفع بصرها، "البعض يستعدّ مسبقًا للهرب. ولكن إلى أين، يا تُرى؟"

"الوجهة الأولى هي الشمال البعيد: هينغفورس، كوفير، وبوفيس. أولًا، لبعدها الكبير، وثانيًا لأن تلك البلاد محايدة ولديها علاقات جيدة مع نيلفغاررد."

ابتسمت ينيفر ابتسامةً ماكرة وهي تعلّق:

"فإذًا نضع الألماس في الجيب ونجرّ الزوجة نحو الشمال... ألا يبدو الأمر مبكّرًا بعض الشيء؟ لا بأس. أخبرني، ما الذي ارتفعت أسعاره أيضًا؟"

"القوارب."

"ماذا؟"

"القوارب،" كرّر القزم بابتسامة. "كلّ بُناة السفن على الساحل يصنعون القوارب للضبّاط المكلّفين من قبل جيش الملك فولتست. أولئك الضبّاط يدفعون بسخاء، ويواصلون طلب المزيد. لو استثمرتِ في صناعة القوارب، يا ينيفر، وامتلكتِ فائضًا من المال، لكان كمنجم ذهب. إذ يمكنك صنع قاربٍ من اللّحاء والقصب وإصدار فاتورةٍ بقاربٍ مصنوعٍ من أخشاب الصنوبر الممتاز وتقاسم الربح مع الضابط..."

"كفى مزاحًا، جيانكاردي. أخبرني الحقيقة."

لوى المصرفي عنقه متطلّعًا إلى السقف قبل أن يجيب بنبرةٍ هادئة:

"تُنقَل تلك القوارب جنوبًا، إلى سودين وبروغ ثم إلى نهر ياروغا. لكن من الواضح أنها لاتُستعمَل لصيد السمك هناك؛ إنّها تُخفى في الغابة على الضفة الشرقية. حسبما يُقال، يمضي الجيش ساعاتٍ طويلةً في مناورات الصعود والنزول—لكن حتى الآن ليس هناك أي تحرّكٍ حقيقي."

تنهّدت ينيفر، وهي تكتّم حيرتها بعض الشيء:

"آه. ولمَ يُسرع بعض الناس إلى التعاون في هذا الشأن؟ ياروغا تقع جنوبًا."

غمغم القزم بقلقٍ، موجهًا نظرةً نحو سيري:

"هناك خشيةٌ مفهومة من أنّ الإمبراطور إمهير ڤار إمريس لن يسرّه سماع أنّ تلك القوارب وُضِعت في الخدمة. بعضهم يظنّ أنّه سيستشيط غضبًا، فيفضّل أن يبتعد قدر الإمكان عن حدود نيلفغاررد... تبا، على الأقل حتى مواسم الحصاد. ما إن يُجمع المحصول حتّى أتنفّس الصعداء. لو كان هناك ما سيحدث، فسيحدث قبل الحصاد."

"قبل أن تُخزّن المحاصيل في الصوامع،" تمتمت ينيفر ببطء.

"صحيح. من الصعب ترك الخيول ترعى في قشّ الحصيد، كما أنّ الحصون الممتلئة بالحبوب بإمكانها تحمّل حصارٍ طويل. حالة الطقس تساعد المزارعين هذه السنة والمحصول مبشّر... نعم، الجوّ جميل بشكل استثنائي. الحرّ يضرب بشدّة، والناس يحلمون بأن تمطر 'قططًا وكلابًا'. ونهر ياروغا في دول آنغرا منخفض حاليًّا، ومن السهل عبوره على الأقدام... في الاتجاهين."

"لماذا دول آنغرا بالتحديد؟"

نظر المصرفيّ نظرةً ثاقبة إلى الساحرة وقد طوى لحيته بين أصابعه:

"آملُ أني أستطيع الوثوق بك."

"لطالما وثقتَ بي، يا جيانكاردي. لم يتغيّر ذلك أبدًا."

"دول آنغرا،" قال القزم ببطء، "تعني ليريا وأيدين، اللتين ترتبطان بتحالفٍ عسكري مع تيميريا. لا تظنّي أنّ فولتست، الذي يشتري القوارب، يعتزم استخدامها لأهدافٍ تخصّه هو وحده، أليس كذلك؟"

"لا،" ردّت الساحرة بنفس البطء. "لا أظنّ ذلك. شكرًا على المعلومة يا مولنار. مَن يدري، ربما تكون على حقّ. وربما يتسنّى لنا في مجمّع ثاند أن نؤثّر، بطريقةٍ ما، في مصير العالم ومصائر سكّانه."

"لا تنسوا الأقزام،" زمجر جيانكاردي. "ولا تنسوا مصارفهم أيضًا."

"سنحاول ألّا نفعل. وبما أننا في هذا الحديث..."

"أنا مُصغٍ."

"عليّ تدبير مصروفات معيّنة يا مولنار. ولو سحبتُ مبلغًا من حسابي في بنك فيفالدي، فقد يغرق أحدهم من جديد، إذن..."

"ينيڤر،" قاطعها القزم. "لديك رصيدٌ غير محدود عندي. مذ حصلت تلك المجزرة في فينغربرغ منذ زمن بعيد؛ لعلّكِ نسيتها لكنّي لم أنسها قط، ولن ينساها أحدٌ من عائلة جيانكاردي. كم تحتاجين؟"

"خمسمائة وخمسون من عملة الأورن التيميري—لا، عفوًا... بل ألف وخمسمائة.

محوَّلة إلى فرع مصرف سيانفانيلي في إيلاندر، لحساب معبد ميليتيلِه."

"سيتمّ الأمر. تحويلٌ رائع، والتبرّعات للمعابد لا تفرض عليها ضرائب. ماذا بعد؟"

"ما مصروفات الدراسة السنويّة في أريتوزا؟"

أنصتت سيري باهتمام.

"ألف ومئتا كراون من نوفيغراد،" أجاب جيانكاردي، "ويُضاف إليها رسوم التسجيل قرابة مئتين للمستجدة."

"يبدو أنّ المبلغ ارتفع كثيرًا."

"كلّ شيءٍ قد ارتفع. لكنهم لا يبخلون على المستجدّات؛ فهن يعشن كملكاتٍ في أريتوزا. ونصف المدينة يقتات منهنّ: خيّاطون، إسكافيّون، صانعو الحلوى، المورّدون..."

"أعرف. حوِّل ألفي كراون إلى حساب المدرسة. بشكلٍ مجهول. وأرفِق ملاحظةً تفيد بأنه رسم التسجيل ورسوم السنة الدراسيّة لطالبةٍ مستجدة."

وضع القزمُ قلمه جانبًا، ونظر إلى سيري وابتسم ابتسامةً تنمّ عن الفهم. تظاهرت سيري بتصفّح الكتاب، لكنها في الحقيقة كانت تنصت بكل حواسّها.

أهذا كلّ شيء، يا ينيفر؟"

"وثلاث مائة كراون نوڤيغراديٍّ نقدًا لي شخصيًّا. سأحتاج على الأقل ثلاثة فساتين لاجتماع ثاند."

"ولمَ النقد؟ بإمكاني منحُكِ ورقةً مصرفيّةً بخمسمائة. أسعار الأقمشة المستوردة قد ارتفعت بصورة مرعبة، وأنتِ لا ترتدين الصوف أو الكتّان في كلّ الأحوال. وإن احتجتِ لأي شيء—لنفسكِ أو لتلك التلميذة المستقبلية في أريتوزا—فمتاجري ومخازني تحت تصرفك."

"شكرًا لك. ما الفائدة (الفائدة الماليّة) التي سنقرّها إذن؟"

رفع القزم ناظريه وقال:
"فوائد؟ لقد دفعتِ لعائلة جيانكاردي سلفًا يا ينيفر، في فينغربرغ. لندع هذا الأمر ولا نذكره ثانية."

قالت الساحرة وهي تلوّي فمها بامتعاض طفيف:

"لا أحبّ هذا النوع من الديون يا مولنار."

"وأنا كذلك. لكنني تاجر، قزمٌ من أهل العمل، وأفهم معنى الالتزام وأقدّر قيمته. لذا أعيد القول: لا داعي لنقاش الأمر مجدّدًا. اعتبري أنّ تلك الخدمات التي طلبتِها منّي قد أُنجزت. وكذلك الخدمة التي لم تطلبيها بعد."

رفعت ينيفر حاجبًا في تساؤل:

"ثمة ويتشرٌ معيّن أعدّه من العائلة،" قال جيانكاردي ضاحكًا، "زار مؤخرًا مدينة دوريان. علمتُ أنّه استدان مئة كراون من أحد المرابين هناك. وهذا المرابي يعمل لديّ. سأُلغي عنه الدين يا ينيفر."

أرسلت الساحرة نظرةً خاطفة نحو سيري، وارتسم على شفتيها عبوسٌ خفيف:

"مولنار،" قالت ببرود، "لا تزجّ بأصابعك في بابٍ قد تكسّرت مفاصله. أشكّ في أنه ما يزال يحمل لي أيّ مودّة، وإن عرف بإلغاء هذا الدين فسيشتعل حقدًا عليّ. أنت تعرفه، أليس كذلك؟ الشرف عنده هوس. هل زار دوريان منذ زمن؟"

"قبل نحو عشرة أيام. ثم شوهد في 'المستنقع الصغير'، وقيل لي إنّه قصد هيروندوم بعد ذلك، فقد استدعاه المزارعون هناك للتخلّص من وحشٍ ما... كالعادة."

تغيّر قليلًا صوت ينيفر وهي تردّ:

"وكالعادة، سيدفعون له فُتاتًا لقاء قتل الوحش. وهو، كالعادة أيضًا، لن يكفيه هذا الفتات لتغطية تكاليف علاجه لو أفترسه الوحش وأصابه بجراح بالغة. هذه الدورة المعتادة. إذا كنت ترغب فعلًا في خدمتي يا مولنار، فادخل أنت على الخط: تواصل مع أولئك الفلاحين في هيروندوم وارفع قيمة المكافأة، امنحه قدرًا يكفيه للعيش."

أطلق جيانكاردي نفَسًا ساخرًا:

"الأعمال المعهودة. وماذا لو أُكتشف الأمر لاحقًا؟"

تطلّعت ينيفر نحو سيري، التي كانت تراقب وتستمع الآن بوضوح، غير متظاهرة حتى بالانشغال بكتاب "فيزيولوغوس".

"وممّن،" تمتمت، "قد يعرف بذلك؟"

خفضت سيري عينيها، في حين ابتسم القزم ابتسامةً تنطوي على معنى وهو يربّت على لحيته.

"هل ستتّجهين نحو هيروندوم قبل شدّ الرحال إلى ثاند؟ طبعًا مجرّد صدفة؟"

هزّت ينيفر رأسها وهي تُدير وجهها جانبًا:

"لا. لن أفعل. غيّر الموضوع يا مولنار."

مرّر جيانكاردي يده مجددًا على لحيته، ونظر نحو سيري التي خفضت رأسها وحاولت تنقية حنجرتها بينما تهتزّ قليلاً في مقعدها.

"صحيح، قال. "حان وقت تغيير الموضوع. لكن يبدو أنّ فتاتك قد ملّت ذلك الكتاب وملّت حديثنا أيضًا. والموضوع التالي ربّما يكون أشدّ مللًا بالنسبة لها: مصير العالم، مصير أقزام هذا العالم، ومصير مصارفهم. يا له من موضوع مملّ للفتيات، لطالبات أريتوزا المستقبليات... دعيها تحلّق قليلًا، يا ينيفر. دعيها تتجوّل في المدينة..."

صرخت سيري على الفور:

"أوه، نعم!"

قطّبت ينيفر جبينها، وهمّت بالاعتراض، لكن سرعان ما تراجعت. خمنت سيري أنّ غمزةً خفيفةً من المصرفيّ ربما دفعتها إلى تغيير رأيها.

"دعيها تُلقي نظرةً على روائع مدينة غورس فيلن العتيقة،" أضاف جيانكاردي مبتسمًا ابتسامة عريضة. "تستحق قليلًا من الحرية قبل أريتوزا. وسنتحدث نحن عن أمور شخصية... همم... خاصة. لا، لا أقترح أن تخرج وحدها، رغم أنها مدينة آمنة. سوف أكلّف موظفًا شابًا بمرافقتها وحمايتها. أحد كتبة المصرف عندي..."

قالت ينيفر، متجاهلة ابتسامة القزم:

"معذرةً يا مولنار، لكنني لست مقتنعة — في ظلّ هذه الأوقات، وحتى في مدينة آمنة —بأنّ مرافقة قزم..."

رفع جيانكاردي حاجبيه باستياءٍ واضح:

"لم يخطر ببالي أبدًا أن أرسلها برفقة قزم. الكاتب الذي أعنيه هو ابنُ تاجرٍ موثوق، بشريٌّ حتى النخاع عذرًا على التعبير. أتظنين أنني لا أوظّف سوى الأقزام؟ هاي، ويلفلي! استدعِ فابيو في الحال!"

تقدّمت ينيفر من سيري وانحنت قليلًا نحولها وقالت بصوتٍ منخفض:

"اسمعي جيّدًا، لا أريد أيّ حماقاتٍ تُخجلني لاحقًا. تذكّري ألّا تبوحي بشيءٍ يلزمنا الكتمانُ بشأنه. أتفهمين؟ هيا، عِديني بأن تضبطي كلامكِ وتصرفاتك. لا تومئي برأسكِ فقط؛ أعطني وعدًا شفهيًّا."

"أعدكِ، يا ينيفر."

"وتحرّي الوقت بين حينٍ وآخر؛ عليكِ أن تعودي عند الظهر تمامًا. ولو حصل—لا أتصوّر أن أحدًا سيتعرّف عليكِ، ولكن لو لاحظتِ أحدًا يراقبكِ بعنايةٍ بالغة..."

مدّت ينيفر يدها إلى جيبها وأخرجت قطعةً صغيرة من حجر الكريسوبراس[4]، نُقشت عليها رُقُمٌ وصُقِلت بشكل ساعةٍ رملية.

"ضعي هذا في جرابكِ ولا تضيعيه. للحالات الطارئة... هل تتذكّرين التعويذة؟ استعمليها بحذر؛ إذ تُطلق عند التفعيل صدىً قويًّا، وينبعث عن التميمة موجاتٌ أثناء استخدامها. ولو كان هناك شخصٌ قريبٌ حساسٌ تجاه السحر، فسوف تكشفين نفسكِ له بدلًا من أن تبقي متخفية. آه، وخذي هذه أيضًا... إن رغبتِ في شراء شيء."

"شكرًا لكِ، سيّدتي." وضعت سيري التميمة والنقود في جرابها ونظرت باهتمام إلى الفتى الذي اندفع إلى المكتب. كان وجهه مليئًا بالنمش، وتساقط شعره الكستنائيّ المتموّج على ياقة زيه الرماديّ المرتفعة.

"فابيو ساكس،" قال جيانكاردي بلهجة التعريف. انحنى الفتى بانحناءةٍ مهذّبة.

---

4. [4] حجر الكريسوبراس (Chrysoprase) هو نوع نادر من حجر العقيق الأبيض (الكالسيدوني) يتميز بلونه الأخضر التفاحي أو الأخضر الزمردي، ويعود لونه إلى وجود كميات صغيرة من النيكل في تركيبه

"فابيو، هذه السيّدة ينيفر، ضيفتنا الكريمة وعميلتنا المحترمة. وهذه الشابّة الصغيرة، تلميذتها، ترغب في التجوّل في المدينة. ستكون مرافقها، مرشدها، وحارسها."

انحنى الفتى مرةً أخرى، هذه المرة باتجاه سيري.

"سيري،" قالت ينيفر ببرود. "انهضي من مقعدكِ."

نهضت سيري، متفاجئةً قليلًا، فقد كانت تعرف القواعد جيدًا وتعلم أنّ هذا لم يكن متوقعًا منها. لكنّها فهمت على الفور ما رأته ينيفر. قد يبدو الكاتب في عمرها، لكنه كان أقصر برأسٍ منها.

"مولنار،" قالت الساحرة. "من يرعى مَن هنا؟ ألم يكن بوسعك أن تعيّن شخصًا ذا حجمٍ أكثر ملاءمةً لهذه المهمّة؟"

احمرّ وجه الفتى ونظر إلى رئيسه متسائلًا. أومأ جيانكاردي برأسه موافقًا. فانحنى الكاتب للمرة الثالثة.

"جلالتك،" بدأ الفتى يتحدث بسلاسةٍ وثقة. "قد لا أكون طويلًا، لكن بإمكانكِ الاعتماد عليّ. أعرف المدينة، الضواحي، والمناطق المحيطة جيدًا. سأعتني بهذه الشابّة قدر استطاعتي. وإن فعلتُ شيئًا بأقصى ما أستطيع، فلن يتمكن كثيرٌ من الفتيان الأكبر مني من مجاراتي."

حدّقت ينيفر فيه للحظة، ثم استدارت نحو المصرفيّ.

"تهانينا، مولنار،" قالت. "تعرف كيف تختار موظفيك. ستشكر كاتبك الصغير يومًا ما. إنّه كما يُقال: أنقى الذهب يرنّ أصدق من غيره إذا طرقته. سيري، أُوكلك إلى رعاية فابيو، ابن فابيو، بكل ثقة، فهو شابٌّ جادٌّ وجديرٌ بالاعتماد عليه."

احمرّ وجه الفتى حتى جذور شعره الكستنائيّ، وشعرت سيري بأنّها تحمرّ خجلًا أيضًا.

"فابيو،" قال القزم وهو يفتح صندوقًا صغيرًا ويبحث وسط محتوياته الرنانة، "إليك نصف نوبل وخمس قطعٍ من الغروش، في حال أرادت الشابة شراء شيء. وإن لم تفعل، فعليك بإعادتها. حسنًا، انطلقا."

"عند الظهر، سيري،" ذكّرت ينيفر. "ليس بعد دقيقة واحدة."

"أذكر، أذكر."

"اسمي فابيو،" قال الفتى فور نزولهما السلالم وخروجهما إلى الشارع المزدحم. "وأنتِ سيري، صحيح؟"

"نعم."

"ماذا ترغبين في رؤيته في غورس فيلن يا سيري؟ الشارع الرئيسي؟ زقاق الصاغة؟ الميناء؟ أم ربما الساحة والأسواق؟"

"كل شيء."

"هممم..." تأمل الفتى بجدية. "لم يبقَ لدينا سوى حتى الظهر... الأفضل أن نذهب إلى السوق الكبير. اليوم هو يوم السوق؛ سترين أشياء مذهلة! لكن أولًا سنصعد إلى السور، حيث يمكنك رؤية الخليج بالكامل وجزيرة ثاند الشهيرة. ما رأيك؟"

"فلنذهب."

دوت أصوات العربات المتدحرجة، وسارت الخيول والثيران ببطء، وتدحرج السقّاؤون براميلهم على الشارع الصاخب، والجميع على عجلةٍ من أمرهم. شعرت سيري ببعض الارتباك بسبب الضجيج والازدحام، فتعثرت ونزلت من الرصيف الخشبي، لتجد قدميها غارقتين في الوحل.

حاول فابيو أن يمسك بيدها، لكنها سحبتها بسرعة.

"لست بحاجةٍ للمساعدة في المشي!"

"همم... بالطبع لا. حسنًا، فلنواصل."

"نحن الآن في الشارع الرئيسي. يُدعى شارع كاردو ويربط بين البوابتين الرئيسيتين: البوابة الكبرى والبوابة البحرية. من هناك يمكنكِ رؤية قاعة المدينة. ترين البرج ذا الريشة الذهبية؟ هذه هي قاعة المدينة. وهناك، حيث تُعلّق تلك اللافتة الملوّنة، توجد حانةٌ تُسمّى 'المشدّ غير المربوط'. لكننا لن... آه، لن ندخل هناك. سنتّجه هناك. سنأخذ طريقًا مختصرًا عبر سوق السمك في شارع ونديغ."

انعطفا في زقاقٍ ضيق، ليجدا نفسيهما في ساحةٍ صغيرة محاطةٍ بالمباني، تعجّ بالأكشاك والبراميل والأحواض، تفوح منها رائحة السمك القوية. غصّت السوق بالحركة والضجيج، حيث كان البائعون والزبائن يتسابقون في رفع أصواتهم متجاوزين صخب النوارس التي تحلّق فوقهم.

جلست قططٌ عدة أسفل الجدران، تتصنّع اللامبالاة تجاه الأسماك.

"سيّدتُكِ،" قال فابيو فجأة وهو يشقّ طريقه بين الأكشاك، "صارمةٌ جدًّا."

"أعلم."

"ليست قريبةً لكِ، صحيح؟ هذا واضحٌ تمامًا."

"حقًّا؟ كيف عرفت؟"

"إنها جميلةٌ جدًّا،" قال فابيو، بوحشيّة الصراحة غير المتكلفة التي يتمتّع بها الشباب. استدارت سيري بسرعة، لكن قبل أن تتمكن من صبّ تعليقٍ لاذع عن نمش فابيو أو قصر قامته، كان الفتى يسحبها بين العربات والبراميل والأكشاك، مشيرًا إلى الباستيون الذي يعلو الساحة، مفسّرًا أنّ الأحجار المستخدمة في بنائه جُلِبَت من قاع البحر، وأن الأشجار التي تنمو عند سفحه تُسمّى أشجار الجميز.

"أنتِ صامتةٌ جدًّا يا سيري،" قال فابيو فجأة.

"أنا؟" تظاهرت سيري بالدهشة. "ليس إطلاقًا! أنا فقط أُصغي بانتباهٍ لما تقوله. كلّ هذا مثيرٌ جدًّا، تعلم؟ وكنتُ أودّ سؤالكَ عن شيءٍ ما..."

"اسألي ما شئتِ."

"هل مدينة أريتوزا بعيدة؟"

"ليست بعيدة على الإطلاق. وأريتوزا ليست مدينةً في الأساس. سنصعد إلى السور وسأريكِ. انظري، الدرج هناك."

كان السور مرتفعًا والدرج شديد الانحدار. تعرّق فابيو وأخذ يلهث، ولم يكن ذلك مستغربًا، فقد كان يتحدث بلا انقطاعٍ طوال صعودهما. تعلّمت سيري أن سور مدينة غورس فيلن حديث البناء نسبيًّا، أحدث بكثير من المدينة نفسها التي شيّدها الجان منذ زمنٍ سحيق. عرفت أيضًا أنّ ارتفاعه يبلغ خمسةً وثلاثين قدمًا، وأنه من نوع الجدران المُتّكَأة، مصنوعٌ من حجارةٍ منحوتةٍ وطوبٍ غير مُحرَق، لأنّ هذا النوع من البناء أكثر مقاومةً لهجمات الأكباش الدافعة.

عند القمة، استقبلهم نسيم البحر المنعش. استنشقت سيري الهواء بفرح بعد أن كانت محاطةً بجوّ المدينة الراكد الخانق. اتّكأت بمرفقيها على الحافة، ونظرت إلى الأسفل نحو المرفأ المزدحم بالأشرعة الملوّنة.

"ما ذلك الجبل، فابيو؟"

"تلك هي جزيرة ثاند."

بدت الجزيرة قريبةً جدًّا، ولم تكن تشبه الجزر في شيء. بل كانت أقرب إلى قاعدةِ عمودٍ حجريٍّ هائلٍ مغروسٍ في قاع البحر، أشبه بزيجوراتٍ ضخمة، تلتفّ حولها طريقٌ متعرّجةٌ وأدراجٌ متشابكةٌ وتراساتٌ متداخلة. التراسات كانت خضراء تزخر بالغابات والحدائق، ومن بين تلك المساحات التي بدت معلّقةً على الصخور كأعشاش السنونو، ارتفعت أبراجٌ بيضاء أنيقةٌ وقببٌ مزخرفةٌ تتوّج مجمّعاتٍ من المباني المحاطة بالأروقة. بدت تلك البنايات وكأنها لم تُشيَّد من الحجر، بل نُحِتت مباشرةً من سفوح الجبل الصخرية.

"الجان هم من بنوا كل هذا،" شرح فابيو. "يُقال إنهم فعلوا ذلك بالسحر. لكن، منذ أقدم العصور، كانت ثاند ملكًا للسحرة. هناك، قرب القمة، حيث ترين تلك القبب اللامعة، يوجد قصر جارستانغ. بعد بضعة أيام، سيبدأ هناك مجمّع السحرة العظيم. وهناك، انظري، على القمة تمامًا. ذلك البرج الوحيد المُسنّن هو تور لارا، برج النوارس..."

"هل يمكن الذهاب إلى هناك برًّا؟ أراه قريبًا جدًّا."

"نعم، يمكن ذلك. هناك جسرٌ يربط الخليج بالجزيرة. لا نستطيع رؤيته بسبب الأشجار. هل ترين تلك الأسطح الحمراء عند سفح الجبل؟ ذلك هو قصر لوكسيا. الجسر ينتهي هناك. عليكِ المرور بلوكسيا للوصول إلى الطريق المؤدية إلى التراسات العلوية..."

"وهذه الأروقة والجسور الصغيرة الجميلة؟ وتلك الحدائق؟ كيف تظلّ ثابتةً على الصخر دون أن تسقط...؟ وما ذلك القصر؟"

"ذلك هو أريتوزا، المكان الذي كنتِ تسألين عنه. مدرسة الساحرات الشهيرة."

"أوه،" قالت سيري، مرطّبةً شفتيها. "إنه هناك... فابيو؟"

"نعم؟"

"هل ترى فتيات المدرسة أحيانًا؟ طالبات أريتوزا؟"

نظر إليها الفتى باندهاشٍ واضح.

"لا، أبدًا! لا أحد يراهنّ! غير مسموحٍ لهنّ بمغادرة الجزيرة أو زيارة المدينة. ولا يُسمح لأحدٍ بدخول المدرسة. حتى القائم بأعمال القلعة والحاكم لا يُسمح لهما إلا بالوصول إلى لوكسيا إن كان لديهما عملٌ مع الساحرات. إنه في المستوى الأدنى."

"كما توقعت." أومأت سيري، وهي تحدّق بأسطح أريتوزا المتلألئة. "إنها ليست مدرسة. إنها سجن. جزيرةٌ، صخرةٌ، منحدرٌ شاهق. ببساطة: سجن."

"أعتقد ذلك،" اعترف فابيو بعد لحظة تأمل. "من الصعب الخروج من هناك... لكن، لا، لا أعتقد أنّه مثل السجن. الفتيات لسنَ مسجونات... إنهنّ بحاجةٍ إلى الحماية—"

"من ماذا؟"

"آه... أعني، تعلمين... من... من أشياء..."

"لا، لا أعلم."

"أوه... أظنّ... انظري، سيري، لا يُجبِرُهُنّ أحدٌ على البقاء هناك. لا بدّ أنهنّ يرغبنَ في ذلك..."

"بالطبع،" ابتسمت سيري بمكر. "إن كُنّ يردنَ البقاء في السجن، فليَفعلن. لكن إن لم يُرِدنَ ذلك، فبإمكانهنّ الهرب قبل أن يُحبسنَ فيه. يجب فقط اختيار اللحظة المناسبة. لكن يجب أن يكون القرار قبل دخولهنّ، لأنه إن دخلنَ... فسيكون الأوان قد فات."

"ماذا؟ الهرب؟ إلى أين قد يهربنَ—؟"

"هُنّ،" قاطعته، "ربما لا يجدنَ وجهةً أخرى، المسكينات. فابيو؟ أين تقع تلك البلدة... هيروندوم؟"

نظر الفتى إليها بدهشة.

"هيروندوم ليست مدينة،" قال فابيو. "إنها مزرعةٌ ضخمة. هناك بساتين وحدائق تُزوّد كل البلدات والمدن في المنطقة بالخضروات والفواكه. كما أنّ لديهم بركًا لتربية أسماك الكارب وغيرها."

"كم تبعد هيروندوم عن هنا؟ وأي طريقٍ يؤدي إليها؟ أرِني."

"لماذا تسألين؟"

"فقط أرِني، أرجوك."

"هل ترين ذلك الطريق المتّجه غربًا؟ حيث تمرّ العربات؟ ذلك هو طريق هيروندوم. تبعد حوالي خمسة عشر ميلًا، والطريق يمرّ بغاباتٍ طوال المسافة."

"خمسة عشر ميلًا،" كرّرت سيري. "ليست بعيدة... إن كان لديكِ حصانٌ جيّد... شكرًا لك، فابيو."

"على ماذا تشكرينني؟"

"لا شيء. والآن، خذني إلى الساحة. لقد وعدتني."

"لنذهب."

لم يسبق لسيري أن رأت مثل هذا الازدحام والصخب كما هو الحال في ساحة السوق في غورس فيلن. بدا سوق السمك الصاخب الذي مرّا به في وقتٍ سابق كمعبدٍ هادئ بالمقارنة مع هذا المكان. كانت الساحة واسعةً للغاية، لكنها رغم ذلك كانت تعجّ بالناس لدرجة أنّ سيري ظنّت أنّها لن تتمكن سوى من إلقاء نظرةٍ عليها من بعيد، دون أيّ أملٍ في الوصول إلى وسطها. لكنّ فابيو شقّ طريقه بشجاعةٍ وسط الحشد، ساحِبًا إياها من يدها.

سرعان ما شعرت سيري بالدوار.

كان الباعة يصيحون، والزبائن يصرخون بأعلى صوت، والأطفال التائهون بين الجموع يصرخون وينتحبون. الأبقار تخور، والخراف تثغو، والدواجن تصيح وتُقرقر. الحرفيون الأقزام كانوا يضربون بمطارقهم على صفائح المعدن بإصرار، ولا يتوقفون إلا ليشتموا بصوتٍ عالٍ قبل أن يشربوا من أقداحهم.

كانت المزامير والكمانات والسنطور تُعزف في أماكن مختلفةٍ من الساحة؛ كان هناك موسيقيّون وجوّالون يُحيون العروض. وفوق كلّ ذلك، كان هناك شخصٌ ما، مختفٍ وسط الحشد، ينفخ في بوقٍ نحاسيٍّ بلا انقطاع، وبوضوح لم يكن موسيقيًّا.

تفادت سيري خنزيرًا صغيرًا كان يركض وهو يصرخ بصوتٍ حاد، فاصطدمت بقفصٍ ممتلئٍ بالدجاج. وبعد لحظة، دفعها أحد المارة، فوطأت قدمُها على شيءٍ طريٍّ أطلق مواءً غاضبًا. قفزت إلى الوراء، بالكاد متفاديةً أن تُدهَس من قبل وحشٍ ضخم، كريه الرائحة، مشعث الفراء، بدا مرعبًا وهو يدفع الناس بجوانبه الكثيفة.

"ما هذا؟" تأوهت وهي تحاول استعادة توازنها. "فابيو؟"

"جمل. لا تخافي."

"أنا لا أخاف! كيف تجرؤ!"

نظرت سيري حولها بفضول.

راقبت حرافيش الهالفلين وهم يصنعون قِرب النبيذ المزيّنة من جلود الماعز أمام الجميع، وأعجبتها الدمى الجميلة التي كان يبيعها زوجٌ من أنصاف الجان. نظرت إلى المصوغات المصنوعة من الملاكيت واليشب، والتي كان يبيعها قزمٌ كئيبٌ غاضب الملامح. تفحّصت السيوف المعروضة في متجر الحدّاد بعين الخبيرة، وراقبت الفتيات وهنّ ينسجن السلال من القش، واستنتجت أنّه لا يوجد شيءٌ أسوأ من العمل.

توقّف نافخ البوق عن النفخ؛ لا بدّ أنّ أحدهم قد قتله.

"ما هذه الرائحة الشهية التي تفوح هنا؟"

"دونات," قال فابيو وهو يتحسس جرابه. "هل ترغبين في تناول واحدة؟"

"أرغب بتناول اثنتين."

ناولهم البائع ثلاث دونات، واستلم قطعة الغروش الخماسية، ثم أعطاهم أربعة نحاسية كفكة، واحدة منها كسرها إلى نصفين. بينما كانت سيري تستعيد توازنها ببطء، راقبت بعينٍ فضولية عملية كسر العملة، وهي تلتهم الدونات الأولى بنهم.

"هل هذا،" سألت وهي تبدأ بتناول الثانية، "أهو أصل التعبير 'لا تساوي غروشاً مكسوراً'؟"

"هذا صحيح," قال فابيو وهو يبلع الدونات. "ليس هناك عملات أصغر من الغروش. ألا يستخدم الناس أنصاف الغروش في بلدكِ؟"

"لا," لحست سيري. "في موطني كنا نستعمل الدوكات الذهبية. وعلى كل حال، كل تلك الحركات في كسر العملة كانت سخيفة وعديمة الجدوى."

"ولماذا؟"

"لأنني أرغب في تناول دونات ثالثة."

عملت دونات مربّى البرقوق كإكسير سحري، فاستعادَت سيري مزاجها الجميل، وتوقف الزحام الهائل في الساحة عن إخوفها بل بدأ يُسعدها. فلم تعد تترك فابيو يسحبها خلفه، بل جذبته بنفسها إلى وسط الحشد، متجهةً نحو مكانٍ يقف فيه شخصٌ على منبر مؤقت مبني من البراميل يلقي خطبة على الجمهور. كان الخطيب بديناً ومنذ وقتٍ قد فات عمره قليلاً؛ تعرفت سيري عليه فوراً ككاهن متجوّل، برأس حليق ورداء بنيّ رمادي. لقد رأت أمثاله من قبل، إذ كانوا يزورون معبد ميليتلي في إيلاندر بين الحين والآخر، وكانت الأم نينيكي تصفهم دائمًا بأنهم "أغبياء متعصبين."

"ليس في هذا العالم سوى قانون واحد!" زأر الكاهن البدين. "القانون الإلهي! إنّ الطبيعة بأسرها تخضع لذلك القانون، والأرض وكل ما يعيش عليها! والسحر والتعاويذ تخالف هذا القانون! ولهذا، يُلعن السحرة، وقد اقترب يوم الغضب حين تنهمر النيران من السماوات وتدمّر جزيرتهم الحقيرة! عندها ستنهار أسوار لوكسيا وأريتوزا وجارستانغ، حيث يتجمّع هؤلاء الوثنيون ليتآمروا! تلك الأسوار ستسقط..."

"وسيتوجّب علينا إعادة بناء تلك اللعينة من الأسوار مجدداً," تمتم عامل بناءٍ مبتلٍ بالجير وهو يقف بجانب سيري.

"أحذركم جميعاً، يا أيها المؤمنون الأتقياء!" صرخ الكاهن. "لا تصدقوا السحرة، ولا تلجأوا إليهم لطلب النصح أو المساعدة! لا تنخدعوا بمظهرهم الجميل أو بخطابهم البليغ، فإنني أقول لكم: هؤلاء السحرة مثل القبور المبيضة، جميلون من الخارج لكنهم ممتلئون بالتعفّن والعظام المتعفنة من الداخل!"

«انظروا إلى فصاحة لسانه!» علّقت امرأة شابة تحمل سلة ممتلئة بالجزر. «إنه يهاجم السحرة لأنه يغار منهم، هذا كل ما في الأمر.»

«بالطبع يغار،» قال عامل البناء وهو يضحك. «انظروا إلى رأسه، أصلع كالبيضة، وبطنه متدلية حتى ركبتيه. أما السحرة، فهم وسيمون، لا يسمنون ولا يفقدون شعرهم... وأما الساحرات، فهن بكل بساطة آسرات الجمال...»

«لكن فقط لأنهن بعن أرواحهن للشيطان مقابل ذلك الجمال!» صرخ رجل قصير القامة، وقد دُسَّت مطرقة صانع الأحذية في حزامه.

«أيها الإسكافي الأحمق! لولا سيدات أريتوزا، لكنت منذ زمن طويل تتسول لقمة العيش! بفضلهن، أنت لا تزال تملك ما تضعه في جوفك!»

شدّ فابيو سيري من كمّها، وانغمسا مرة أخرى وسط الحشد، الذي جرفهما باتجاه وسط الساحة. سمعا قرع الطبول وصيحات عالية تنادي بالصمت. لم يكن للحشد أدنى نية للهدوء، لكن ذلك لم يزعج المنادي الواقف على المنصة الخشبية؛ فقد كان يملك صوتًا قويًا مدرّبًا، وكان يعرف كيف يستخدمه.

«ليُعلن للجميع!» صاح بصوت جهوري، وهو يفرد لفافة من الرق. «أن هوجو أنسباخ، من سلالة الهالفلينغ[5]، قد أُعلن خارجًا عن القانون، لأنه وفّر مأوى وطعامًا لأولئك الجان الأوغاد المعروفين بالسناجب. وينطبق الأمر ذاته على جاستن إنغفار، الحداد القزم، الذي صنع رؤوس السهام لهؤلاء المجرمين. وبناءً عليه، يعلن القائد أنهما مطلوبان، ويأمر بمطاردتهما. ومن يمسك بهما سينال مكافأة قدرها خمسون كراون. وأي شخص يمنحهما مأوى أو طعامًا سيُعتبر شريكًا في جريمتهما وسينال ذات العقوبة. وإن تم القبض عليهما في قرية أو ضيعة، فسيُفرض على سكانها غرامة ثقيلة...»

«ولكن من، بحق الآلهة، سيؤوي هالفلينغ؟» صرخ أحدهم من وسط الحشد. «يجب أن يُطاردوا في مزارعهم، وحالما يُعثر عليهم، ينبغي أن يُلقى بكل هؤلاء غير البشر في الزنازين!»

«بل إلى المشنقة، وليس الزنازين!»

واصل المنادي قراءة مزيد من الإعلانات الصادرة عن القائد ومجلس المدينة، لكن سيري فقدت اهتمامها. كانت على وشك أن تنسلّ من الحشد، عندما شعرت فجأة بيد على مؤخرتها. لم تكن مصادفة. كانت يدًا جريئة، متقنة، ومدرّبة تمامًا.

كان الازدحام كفيلًا بأن يمنعها من الالتفات، لكن في كاير مورهن، تعلّمت سيري كيف تتنقل في الأماكن الضيقة والصعبة. استدارت بسرعة، متسببة في بعض الاضطراب. كان هناك كاهن شاب، حليق الرأس، واقف خلفها، يبتسم ابتسامة متغطرسة مدروسة.

«حسنًا إذًا،» قالت ابتسامته الوقحة، «ما الذي سنفعله الآن؟ ستخجلين بلطف، وسينتهي الأمر، أليس كذلك؟»

كان واضحًا أن هذا الكاهن لم يسبق له التعامل مع إحدى تلميذات ينيفر.

«أبعد يديك عني، أيها الأصلع!» صاحت سيري، شاحبة من الغضب. «أمسك بمؤخرتك أنت، أيها... أيها القبر المُتكلّس!»

---

5. [5] **الهالفلينغ (Halfling)** هو مصطلح يستخدم في أدب الفانتازيا للإشارة إلى جنس خيالي من الكائنات الشبيهة بالبشر، لكنهم أصغر حجمًا وأقصر قامة وهو مرادف لـ الهوبيت.

واستغلالًا لحقيقة أن الكاهن كان محشورًا وسط الحشد ولم يستطع التحرك، نوت أن تركله، لكن فابيو منعها، وسحبها بسرعة بعيدًا عن موقع الحادث. وحين رأى أنها كانت ترتجف من شدة الغضب، ابتاع لها بعض الفطائر المغطاة بالسكر الناعم، وبمجرد أن وقع بصرها عليها، هدأت سيري على الفور ونسيت الحادثة تمامًا.

من موقعهما بجوار العربة، تمكنا من رؤية منصة خشبية بها قفص للعار، لكن دون مجرم فيه. كانت المنصة مزينة بأكاليل من الزهور، وكان يستخدمها حاليًا مجموعة من الموسيقيين المتجولين، يرتدون ملابس زاهية الألوان، يعزفون على الكمان والناي والقِرب بحماسة. كانت هناك شابة سوداء الشعر ترتدي صديرية مرصعة، تغني وترقص، وهي تهز الدفّ وتدق بحذائها الصغير الصاخب:

«لدغت ساحرةً بجوار الطريق،
بعض الأفاعي الماكرة.
فماتت الأفاعي واحدة تلو الأخرى،
وظلت الساحرة حية باقية.»

ضحك الجمهور المتجمع حول المنصة بحرارة، وصفقوا بإيقاع الأغنية. ألقى بائع الفطائر دفعة أخرى في الزيت الساخن. لحس فابيو أصابعه وسحب سيري من كمها.

كانت الأكشاك كثيرة، والمأكولات الشهية تُعرض في كل مكان. تناول كل منهما كعكة بالكريمة، ثم اقتسما ثعبانًا مدخنًا، وتبعاه بطبق غريب تم قليه ووضعه على سيخ. بعد ذلك، توقفا بجوار براميل مملوءة بالملفوف المخلل، متظاهرين بتذوقه كما لو كانا يعتزمان شراء كمية كبيرة، ولكن عندما شبعا ولم يشتروا شيئًا، صاح فيهما البائع: «أيها اللصوص الصغار!»

واصلا سيرهما. اشترى فابيو سلة صغيرة من الكمثرى البرغموتية بما تبقى لديه من نقود. نظرت سيري إلى السماء، لكنها قررت أن الوقت لم يحن بعد للعودة.

«فابيو؟ ما هذه الخيام والأكشاك هناك، بجوار السور؟»

«عروض جانبية. هل تودين رؤيتها؟»

«نعم.»

كان هناك حشد من الرجال متجمّعين أمام الخيمة الأولى، يتزاحمون بحماس. ترددت من الداخل أنغام ناي ناعمة.

«ليلى السمراء...» قرأت سيري بصعوبة وهي تحاول فك الخط المائل غير المتناسق على ستارة المدخل، «تكشف كل أسرار جسدها في الرقص... أي هراء هذا! أي نوع من الأسرار...؟»

«تعالي، لنذهب،» قال فابيو وهو يدفعها للأمام، محاولًا إخفاء احمرار وجهه. «أوه، انظري، هذا أكثر إثارة للاهتمام. هناك عرافة هنا ستخبرنا بمستقبلنا. لا يزال معي عملتان من فئة الغروت. ينبغي أن تكفي...»

«مضيعة للمال،» شخرت سيري بازدراء. «يا لها من نبوءة سنحصل عليها مقابل غروتين! لكي تتنبأ بالمستقبل، عليك أن تكون نبية. العرافة هبة عظيمة، وحتى بين الساحرات، لا تمتلك أكثر من واحدة من كل مئة تلك القدرة...»

«لكن العرافة تنبأت،» قاطعه الفتى، «بأن شقيقتي الكبرى ستتزوج، وقد تحقق ذلك! لا تتجهمي هكذا، سيري. تعالي، دعينا نرى ما يخبئه لنا القدر...»

«أنا لا أريد الزواج. ولا أريد أن أعرف مصيري. الجو حار وهذه الخيمة تفوح منها رائحة البخور. لن أدخل. ادخل أنت إذا شئت، وسأنتظرك هنا. لكنني لا أفهم لماذا تريد معرفة مستقبلك. ماذا تريد أن تعرف؟»

«حسنًا... في الواقع،» تمتم فابيو، «إنه... إنه عن السفر. أود أن أسافر. وأرى العالم بأسره...»

شعرت بدوار وتغير صوتها: ".. سيفعل، سيبحر على متن سفن شراعية بيضاء عظيمة... سيبحر إلى بلاد لم يرها أحد قبله... فابيو ساكس، المستكشف. سيحمل اسمه رأس قارة لم يُطلق عليها اسم بعد، عندما يبلغ الرابعة والخمسين، متزوجًا ولديه ابن وثلاث بنات، سيموت بعيدًا عن وطنه وأحبائه... بسبب مرض لم يُعرف بعد...»

«سيري! ما بك؟»

أفاقت سيري ومسحت وجهها بيدها. شعرت وكأنها تصعد من أعماق بحيرة جليدية، تخرج إلى السطح بعد أن كانت تغرق في ظلام الماء العميق.

«لا شيء...» تمتمت، وهي تنظر حولها وكأنها تستعيد وعيها. «شعرت بدوار... إنه بسبب الحرارة. ورائحة البخور تلك من الخيمة...»

«بل بسبب الملفوف، على الأرجح،» قال فابيو بجدية. «لم يكن علينا أن نأكل كل ذلك. معدتي تصدر أصواتًا غريبة أيضًا.»

«أنا بخير تمامًا!» احتجت سيري، وهي ترفع رأسها بعناد، وقد بدأت تشعر بتحسن فعليًا. تلاشت الأفكار التي مرت بعقلها مثل زوبعة، وضاعت في طيات النسيان. «هيا، فابيو. لنذهب.»

«هل تريدين كمثرى؟»

«بالطبع!»

كانت مجموعة من الصبية المراهقين يلعبون لعبة النحلات الدوارة على الرهان. كانت القواعد واضحة: على النحلة، الملفوفة بعناية بالخيط، أن تدور برشاقة وسرعة، كالسوط المجلود، لتتبع مسارًا دائريًا مرسومًا بالطباشير. كانت سيري قد هزمت معظم الأولاد في سكيلغا، وكل المبتدئات في معبد ميليتيلي في هذه اللعبة. لذا، راودتها فكرة الانضمام إليهم وانتزاع ليس فقط نقودهم النحاسية، بل حتى سراويلهم المهترئة، لولا أن جذب انتباهها فجأة هتاف عالٍ.

في نهاية صف من الخيام والأكشاك، كان هناك حظيرة غريبة الشكل، نصف دائرية، محشورة بين قاعدة السور الحجري وبعض الدرجات المؤدية إلى زقاق جانبي. كانت مصنوعة من ألواح قماشية مشدودة على أعمدة بطول ستة أقدام. عند المدخل، وقف رجل طويل الوجه، ذو ندوب وبشرة مليئة بالحفر، يرتدي سترة جلدية وسروالًا مخططًا مدسوسًا في حذاء بحري.

كانت مجموعة من الناس تتجمع أمامه، يلقون بعض العملات النحاسية في يده قبل أن يختفوا خلف القماش. كان الرجل يسقط المال في كيس جلدي كبير، يهزه بصوت معدني بينما يهتف بصوته الأجش:

"تعالوا، تعالوا! هنا ستشاهدون بأعينكم أفظع مخلوق خلقته الآلهة! رعب الرعب! بازليسك حي، الرعب السام من صحارى زيريكان، تجسيد للشيطان، مفترس لا يشبع! لم تروا في حياتكم مثل هذا الوحش، أيها الناس. طازج، ممسوك حديثًا، أُحضر من وراء البحار في قارب صغير! تعالوا وشاهدوا هذا البازليسك[6] الشرير، الحي، بأعينكم، لأنكم لن تروا مثله أبدًا! لا هنا ولا هناك! آخر فرصة! هنا، ورائي، بخمسة عشر غروتًا فقط. عشر غروتات فقط للنساء مع الأطفال!"

---

6. [6] **البازليسك** هو مخلوق أسطوري في الفولكلور الأوروبي، يُعرف بأنه **ملك الزواحف**، وغالبًا ما يُوصف بأنه **أفعى عملاقة أو مزيج بين الأفعى والدجاجة**، يتمتع بقوى خارقة مميتة.

7.

"هاه،" قالت سيري، مبعدة الدبابير عن الكمثرى التي كانت تمسك بها. "بازليسك؟ حي؟ لا بد أن أرى هذا. لم أرَه إلا في الكتب. هيا، فابيو."

"ليس لدي مزيد من المال..."

"لكن معي. سأدفع لك. هيا، لندخل."

"هذا سيكلف ستة،" قال الرجل ذو الندوب، ناظرًا إلى الأربعة كوبرات في يده. "ثلاث قطع من فئة خمسة غروت لكل واحد. فقط النساء الحاملات للأطفال يحصلن على خصم."

"هو،" أشارت سيري إلى فابيو بالكمثرى، "طفل. وأنا امرأة."

"فقط النساء اللواتي يحملن أطفالًا،" تمتم الرجل بنبرة خشنة. "إما أن تدفعي عملتين إضافيتين من فئة الخمسة غروت، أيتها الذكية الصغيرة، أو تنصرفي وتتركي المجال لغيرك. أسرعوا، أيها الناس! لم يتبقَ سوى ثلاثة أماكن شاغرة!"

في الداخل، كان أهل المدينة يتدافعون ليشكلوا حلقة حول منصة خشبية مرتفعة. في منتصف المنصة، كان هناك قفص خشبي مغطى بسجادة ثقيلة. وما إن أُغلقت البوابة خلف الداخلين الجدد، حتى قفز الرجل الندوب على المنصة، أمسك بعصا طويلة وسحب السجادة بعيدًا.

انتشر في الأجواء مزيج من رائحة الأحشاء المتعفنة، ممزوجة برائحة زواحف كريهة. تراجع المتفرجون إلى الخلف بخطوات حذرة، وهم يتهامسون فيما بينهم.

"تُحسنون صنعًا، أيها الطيبون،" قال الرجل ذو الندوب بصوت خفيض، لكنه واضح. "لا تقتربوا أكثر... فقد يكون هذا خطرًا!"

داخل القفص، الذي بدا ضيقًا للغاية عليه، كان هناك زاحف ملتف على نفسه. كانت حراشفه داكنة وغريبة الشكل، وانكمش على نفسه ككرة. وعندما قرع الرجل المليء بالندوب القفص بعصاه، تلوّى الحيوان، وأحدث صوت احتكاك حراشفه بقضبان القفص، ثم مدّ عنقه الطويل مطلقًا هسيسًا حادًا، كاشفًا عن أنياب بيضاء حادة، بدت متناقضة بوضوح مع سواد الحراشف المحيطة بفمه. أطلق المتفرجون زفرات مسموعة، بينما نبح كلب أشعث صغير، كانت تحمله امرأة بدت وكأنها تاجرة بالسوق، بنباح حاد.

"انظروا جيدًا، أيها الناس الطيبون،" صاح الرجل المليء بالندوب. "وافرحوا لأن وحوشًا كهذه لا تعيش بالقرب من مدينتنا! هذا البازليسك المرعب قادم من زيريكانيا البعيدة! لا تقتربوا أكثر، لأنه حتى لو كان آمنًا داخل القفص، فإن أنفاسه وحدها قد تسممكم!"

تمكنت سيري وفابيو أخيرًا من شق طريقهما عبر حلقة المتفرجين.

"البازليسك،" واصل الرجل حديثه، مستندًا إلى العصا كما لو كان حارسًا يستند إلى رمحه. "هو أكثر الوحوش سُمًّا في العالم! فهو ملك جميع الأفاعي! لو كان هناك المزيد من البازليسك، لاختفى هذا العالم بلا أثر! لحسن الحظ، إنه وحش نادر للغاية؛ لا يفقس إلا من بيضة تضعها ديك! وكما تعرفون، ليس كل ديك يمكنه أن يضع بيضة، بل فقط ذلك الفاجر الذي يقدّم مؤخرته لديك آخر، كما تفعل الدجاجة الأم!"

انفجرت الجماهير بالضحك لهذا التعليق الساخر – أو ربما كان تعليقًا مؤخرًا – الوحيد الذي لم يضحك كان سيري. لم تكن ترفع عينيها عن المخلوق الذي، بسبب الضوضاء، كان يتلوى، ويضرب قضبان القفص بأسنانه، ويحاول عبثًا فرد جناحيه في المساحة الضيقة.

"البيضة التي يضعها ديك كهذا،" تابع الرجل الندوب، "يجب أن تحضنها مائة وواحدة من الأفاعي السامة! وعندما يفقس البازليسك من البيضة.."

"هذا ليس بازليسك،" قالت سيري، تمضغ كمثرى البرغموت. حدّق الرجل الندوب فيها بريبة.

"... عندما يفقس البازليسك، كما كنت أقول، فإنه يلتهم جميع الأفاعي في العش، ويشرب سمها دون أن يتأثر به. يمتلئ بجسده بالسم لدرجة أنه يستطيع قتل ضحاياه ليس فقط بأسنانه، وليس فقط بلمسته، بل بأنفاسه وحدها! وعندما يهجم فارس راكبًا بحربته، يجري السم على طول الرمح، ليقتل الفارس وحصانه في الحال!"

"هذا كذب بحت،" قالت سيري بصوت مرتفع، مبصقة نواة الكمثرى.

"بل إنه الحقيقة المطلقة!" احتجّ الرجل الندوب. "إنه يقتلهم، يقتل الحصان وفارسه!"

"نعم، بالطبع!"

"اصمتي، آنستي!" صاحت التاجرة التي تحمل الكلب. "لا تفسدي علينا الأمر! نريد أن نندهش ونستمع!"

“سيري، توقفي،” همس فابيو، ناغزًا إياها في أضلاعها. زفرت سيري بغضب، وامتدت إلى السلة لتأخذ كمثرى أخرى.

“كل الحيوانات،” تابع الرجل الندوب، رافعًا صوته ليغطي على التمتمات المتزايدة بين الجماهير، “تهرب من البازليسك بمجرد أن تسمع هسيسه. كل الحيوانات، حتى التنانين— ماذا أقول؟ حتى التمساح-الديك، والتمساح-الديك مخلوق مرعب للغاية، كما يعلم كل من رآه. الحيوان الوحيد الذي لا يخاف من البازليسك هو ابن عرس. عندما يرى ابن عرس هذا الوحش في البرية، يجري بأقصى سرعة إلى الغابة، يبحث عن أعشاب خاصة لا يعرفها سوى هو، ويأكلها. ثم يصبح سم البازليسك غير ضار، ويتمكن ابن عرس من عضّه حتى الموت...”

قهقهت سيري بسخرية، مطلقة صوتًا طويلاً وقحًا بشفتيها.

“هيه، يا صغيرة المتعالمين!” انفجر الرجل الندوب. “إذا لم يعجبكِ، فالباب هناك! لا أحد يجبركِ على الاستماع أو التحديق في البازليسك!”

“هذا ليس بازليسك!”

“أوه، حقًا؟ إذن ما هو، يا آنسة الفيلسوفة؟”

“إنه وايفرن[7]،” قالت سيري، ملقية ساق الكمثرى بعيدًا، ولعقت أصابعها. “إنه وايفرن عادي. صغير، جائع، وقذر. لكنه وايفرن، لا أكثر. فيفرن، بلغة القدماء.”

“أوه، انظروا لهذا!” صاح الرجل الندوب. “يا لها من عبقرية! اخرسي قبل أن...”

“مهلاً،” تدخل شاب أشقر يرتدي بيريه مخمليًا وزيًّا من الدوبلت بلا شارة نبالة. كان يمسك بذراع فتاة رقيقة البشرة ترتدي فستانًا بلون المشمش. “تمهّل، أيها الصياد الجشع! لا تهدد السيدة النبيلة، وإلا فلن أتردد في تأديبك بسيفي. وبالمناسبة، هناك رائحة خداع هنا!”

“ما الخداع في الأمر، أيها السيد الفارس؟” تلعثم الرجل الندوب. “إنها تكذب، هذه البغي... أعني، هذه الشابة النبيلة مخطئة. إنه بازليسك!”

“إنه وايفرن،” كررت سيري بثبات.

8. [7] **الوايفرن (Wyvern)** هو مخلوق أسطوري يشبه التنين، لكنه يتميز ببعض الاختلافات الرئيسية عن التنانين التقليدية في الفولكلور الأوروبي. يُشتهر بكونه **كائنًا شرسًا ومرعبًا** ظهر في العديد من الأساطير والأعمال الأدبية والمرئية

"ماذا تعنين بـ فيرنون؟ إنه بازليسك! انظروا كيف يبدو مرعبًا، كيف يهسّ، كيف يعض قضبانه! انظروا إلى تلك الأنياب! لديه أنياب، أقول لكم، مثل..."

"مثل الوايفرن،" تمتمت سيري، عابسة.

"إذا كنتِ قد فقدتِ صوابكِ،" قال الرجل المليء بالندوب، مثبتًا نظراته الحادة عليها، بنظرة كان بازليسك حقيقي سيفتخر بها، "فاقتربي إذن! تقدّمي ودعيه ينفث أنفاسه عليكِ! لقد سخرتِ من سُمّه، فلنرَ الآن إن كنتِ ستسقطين صريعة! تعالي، اقتربي!"

"لا مشكلة،" قالت سيري، مسحوبةً ذراعها من قبضة فابيو، متقدمةً خطوةً واحدةً للأمام.

"لن أسمح بذلك!" صرخ الفارس الشاب الأشقر، تاركًا ذراع رفيقته ذات الفستان المشمشي ليعترض طريقها. "لا يمكن! أنتِ تخاطرين كثيرًا، سيدتي الفاضلة."

احمرّت وجنتا سيري قليلاً، إذ لم يسبق لها أن خُوطبت بهذه الطريقة، ونظرت إلى الشاب وهي ترفرف بأهدابها، تمامًا كما كانت تفعل أمام الكاتب يارّي.

"لا يوجد أي خطر، أيها الفارس النبيل،" ابتسمت بمكر، متجاهلةً كل تحذيرات ينيفر وتذكيراتها بقصة الأبله الذي تطلع إلى الجبنة، "لن يحدث لي شيء. كل ما يُقال عن أنفاسه السامة محض هراء."

"ولكنني أود أن أقف إلى جانبكِ،" قال الشاب، واضعًا يده على مقبض سيفه. "لحمايتكِ والدفاع عنكِ... هل تسمحين لي؟"

"أسمح لك،" قالت سيري، ولم تعرف سبب المتعة الغريبة التي شعرت بها حين رأت الغضب المرسوم على وجه الفتاة ذات الفستان المشمشي.

"أنا من سيحميها ويدافع عنها!" قال فابيو، نافخًا صدره، ناظرًا إلى الفارس بتحدٍّ. "وسأقف معها أيضًا!"

"أيها السادة،" قالت سيري، منتفخةً بكبرياء، رافعةً أنفها عاليًا. "تحلّوا ببعض الكرامة. لا تدفعوا بعضكم. هناك مساحة للجميع."

تمايل الحشد حولها، يهمهمون، وهي تتقدم بشجاعة نحو القفص، بينما كان الشابان يسيران خلفها لدرجة أنها شعرت بأنفاسهما تلفح رقبتها. كان الوحش يهمهم بغضب ويتلوّى، وتتصاعد منه رائحة

زاحفة كريهة نفذت إلى أنوفهم. شهق فابيو بصوت مسموع، لكن سيري لم تتراجع. تقدمت أكثر، ومدّت يدها، كادت أن تلامس القفص.

انقضّ الوحش على القضبان، يخدشها بأسنانه، بينما اهتز الحشد وتراجع، وصرخ أحدهم من الذعر.

"حسنًا؟" استدارت سيري، ووضعت يديها على خصرها بفخر. "هل متُّ؟ هل سمّمَني هذا الوحش المزعوم؟ إنه ليس بازليسك أكثر مما أنا.. "

توقفت فجأة، إذ رأت الوجوه الشاحبة لفابيو والفارس الشاب. استدارت بسرعة، وعندها رأت ما جعل الدماء تتجمد في عروقها.

كانت قضبان القفص تتباعد تحت قوة الوحش الهائج، والمسامير الصدئة تُقتلع من الإطار.

"اهربوا!" صرخت بأعلى صوتها. "القفص ينهار!"

اندفع الحشد نحو الباب، يصرخون بجنون. حاول البعض تمزيق قماش الخيمة للفرار، لكنهم لم ينجحوا إلا في التشابك مع الآخرين، لتنهار المجموعة فوق بعضها، تتحوّل إلى كومة مضطربة من الأجساد المتشابكة والصراخ المذعور.

أما سيري، فبينما كانت تحاول أن تقفز مبتعدة، أمسك الفارس الشاب بذراعها، فسقطا معًا أرضًا، وسحبوا معهم فابيو، الذي هبط فوقهما بعنف.

ومن بين كل هذا الفوضى، انطلقت نباحات متوترة من كلب التاجرة الأشعث، وصرخات حادة من الفتاة المشمشية، وشتائم غاضبة من الرجل المليء بالندوب.

تحطمت قضبان القفص بفرقعة مدوية، وانطلق الوايفرن متحررًا من قيوده. قفز الرجل المليء بالندوب من على المنصة محاولًا ترويضه بعصاه، لكن الوحش المتلوّي أسقط العصا من يده بضربة واحدة من مخالبه، ثم جلده بذيله الشوكي، ليحول خده المليء بالندوب إلى كتلة دموية ممزقة.

هسّ الوايفرن، ناشرًا جناحيه الممزقين، وانقض من فوق المنصة، وعيناه مصوّبتان نحو سيري، وفابيو، والسّكواير، الذين كانوا يحاولون النهوض بصعوبة. أما الفتاة المشمشية فقد أطلقت شهقة متحشرجة قبل أن تنهار مغشيًا عليها.

توترت سيري، تستعد للقفز، لكن غريزتها أدركت أنها لن تتمكن من تجنب الهجوم في الوقت المناسب.

ما أنقذهم لم يكن سوى الكلب الأشعث الصغير، الذي لا يزال ينبح بصوت حاد، والذي أفلت من ذراعي صاحبته – التي تعثرت وسقطت وسط تنانيرها الستة – لينقضّ على الوحش بجسارة.

هسّ الوايفرن، ارتفع عاليًا، ثم بسط مخالبه على الكلب المسكين، وثنى جسده بحركة أفعوانية سريعة، قبل أن يغرز أنيابه الحادة في عنقه. أطلق الكلب عواءً حادًا، تبعه صوت تمزق مفاجئ.

في هذه اللحظة، كافح الفتى الشاب للنهوض، ومد يده إلى خصره، لكنه لم يجد سيفه. كان ذلك لأن سيري كانت أسرع منه. ففي حركة خاطفة، انتزعت سيفه من غمده، واستدارت بنصف قفزة، مستعدة للهجوم.

ارتفع الوايفرن، رأس الكلب المبتور يتدلى من بين أنيابه المتوحشة.

شعرت سيري أن كل التدريبات التي تلقتها في كاير مورهن كانت تتحرك من تلقاء نفسها، كما لو أن جسدها لم يعد بحاجة إلى عقلها لقيادته. وبضربة سريعة، شقت بطن الوايفرن بحدّ السيف، ثم قفزت على الفور، متفادية ردّ فعله الغريزي. سقط الوحش الجريح على الرمال، نافثًا دماً كثيفًا.

قفزت سيري فوقه، متجنبة ذيله الذي كان يضرب الأرض بعنف، ثم انقضت عليه مجددًا بضربة حاسمة، تقطع رقبته بدقة. تراجعت بخفة، متخذة وضعية دفاعية، لكن ذلك لم يكن ضروريًا بعد الآن. بضربة أخيرة، اخترقت عموده الفقري.

إهتز الوحش للحظات أخيرة، تلوّى جسده في رعشة الموت، ثم هدأ تمامًا. لم يبقَ منه سوى ذيله، الذي ظل يضرب الرمال بلا هدف، ناشرًا غبارًا خفيفًا من حوله.

أعادت سيري السيف الملطخ بالدماء بسرعة إلى يد الفتى، ثم التفتت إلى الحشد الذي كان إما يفر مذعورًا أو يحاول الخروج من تحت القماش الممزق.

"الخطر انتهى!" صرخت بأعلى صوتها. "لقد مات الوحش! هذا الفارس الشجاع هو من قتله!"

لكن فجأة، شعرت بغصة في حلقها، وباضطراب في معدتها. بدأ العالم يظلم أمام عينيها.

ثم جاء الاصطدام.

ضرب شيء صلب أسفل ظهرها بقوة مذهلة، جعل أسنانها تصطك ببعضها. نظرت حولها بذهول. الشيء الذي صدمها لم يكن سوى الأرض.

"سيري..." همس فابيو، راكعًا بجانبها، عرقه يتصبب. "ما بكِ؟ بحق الآلهة، وجهك شاحب كالشبح!"

"من المؤسف،" تمتمت، بالكاد قادرة على تحريك شفتيها، "أنك لا تستطيع رؤية نفسك."

تجمّع الناس حولهم. بدأ البعض في فحص جثة الوايفرن بعصيّ وحدائد، بينما انشغل آخرون بلف جراح الرجل المليء بالندوب. أما البقية، فقد كانوا يهتفون ويحيّون الفتى الشاب، البطل المغوار، قاتل التنانين الذي حافظ على برودة أعصابه، ومنع وقوع مذبحة.

وقف الفتى الشاب، ولا يزال يحدّق في نصل سيفه المغطى بخطوط داكنة من الدماء المتخثرة، بينما استعادت الفتاة المشمشية وعيها، تحدّق فيه بذهول، وكأنها ترى فارس أحلامها أمامها لأول مرة.

"بطلي..." همست الفتاة المشمشية، التي استعادت وعيها، وألقت ذراعيها حول عنق السّكواير. "منقذي! عزيزي!"

"فابيو،" تمتمت سيري بضعف، وهي تلمح حراس المدينة وهم يدفعون طريقهم عبر الحشد. "ساعدني على النهوض، علينا الخروج من هنا بسرعة."

"أطفال مساكين..." تمتمت امرأة بدينة ترتدي قبعة وهي تراقبهم يتسللون بعيدًا. "لقد كنتم محظوظين. لولا هذا الفارس الشاب الشجاع، لكانت أمهاتكم الآن في حداد!"

"اكتشفوا لمن يخدم هذا الفارس الشاب!" صاح أحد الحرفيين وهو يلوّح بمطرقته. "إنه يستحق لقب فارس وحزام الشرف!"

"أما ذلك الصياد عديم الضمير، فيجب أن يُعاقب!" زأر رجل آخر. "إحضار وحش كهذا إلى المدينة بين الناس... لا بد له من حساب!"

"الماء، بسرعة! لقد أغمي على الفتاة مجددًا!"

وفجأة، ارتفع عويل آخر، لكنه هذه المرة جاء من صاحبة الكلب. كانت جاثية فوق بقايا كلبها الصغير، تهزّه بلا فائدة.

"فوفو العزيز! حبيبي الصغير!" صرخت المرأة، ودموعها تتساقط على الجثة المشوهة. "امسكوا بتلك المشاكسة! هي من أغضبت التنين! أين هي؟ شخص ما أوقفها!"

بدأ الحراس، بمساعدة متطوعين متحمسين، في البحث عن الفتاة التي أثارت هذه الفوضى. شعرت سيري بأن الدوار قد بدأ يخف عنها.

"فابيو،" همست. "فلنفترق. سنلتقي لاحقًا في الزقاق الذي جئنا منه. انطلق، وإذا سُئلت عني، فلا تعرفني ولا تعرف شيئًا عني."

"لكن... سيري.."

"اذهب!"

شدّت قبضتها على تعويذة ينيفر وتمتمت بالتعويذة لتفعيلها. بدأ تأثيرها على الفور، ولم يكن هناك وقت لتضيعه. توقف الحراس الذين كانوا يقتربون منها فجأة، في حيرة واضحة.

"ما هذا بحق الآلهة؟" قال أحدهم بدهشة، وهو يحدق فيما بدا وكأنه ينظر مباشرة نحو سيري. "أين ذهبت؟ كنت أراها قبل لحظة..."

"هناك، هناك!" صاح آخر، مشيرًا إلى الاتجاه الخاطئ.

استدارت سيري وبدأت بالابتعاد، لا تزال متأثرة بالإجهاد والتوتر. كانت التعويذة تعمل بكفاءة؛ لم يعد أحد يراها، ولم يعرها أحد أي اهتمام. لكن هذا، كما اكتشفت بسرعة، كان سلاحًا ذا حدين. فقد تم دفعها ودهسها عدة مرات، وكادت أن تسحق بصندوق ثقيل سقط من عربة، بل وكاد رمح مشحون بكومة من القش أن يفقأ عينها.

"حتى السحر،" فكرت وهي تتألم، "له جانب سيئ."

لم يستمر تأثير التعويذة طويلًا، إذ لم تكن سيري قوية بما يكفي للتحكم فيه أو تمديد فترة عمله. لكن لحسن حظها، انتهى تأثيره في اللحظة المناسبة تمامًا، عندما خرجت أخيرًا من الحشد ورأت فابيو ينتظرها عند الزقاق، ينظر حوله بقلق، حتى لمحها تهرع إليه.

"يا إلهي،" قال الصبي، وقد بدت الدهشة والقلق على وجهه. "يا للعجب، سيري، أنتِ هنا. كنتُ قلقًا عليكِ..."

"لم يكن عليك أن تقلق. هيا، بسرعة. لقد تجاوزنا منتصف النهار، عليّ العودة فورًا."

"لقد كنتِ بارعة حقًا في مواجهة ذلك الوحش." نظر إليها فابيو بإعجاب. "تحركتِ كأنكِ البرق! أين تعلمتِ القيام بذلك؟"

"ماذا؟ الفارس هو من قتل الوِيفرن."

"هذا غير صحيح. لقد رأيتُ.."

"أنتَ لم ترَ شيئًا! فابيو، أرجوك، لا تخبر أحدًا. أيّ أحد. وخصوصًا السيدة يَنيفر. أوه، سأكون في ورطة حقيقية إن علمت بذلك..."

ثم صمتت فجأة.

"كان أولئك الناس على حق." أشارت خلفها نحو ساحة السوق. "لقد استفززتُ الوِيفرن... كان كل هذا خطأي..."

"لا، لم يكن كذلك،" ردّ فابيو بحزم. "ذلك القفص كان مهترئًا ومتهالكًا. كان سينهار في أي لحظة: بعد ساعة، أو غدًا، أو بعد غد... من الأفضل أنه حدث الآن، لأنكِ أنقذتِ..."

"الفارس هو من أنقذ الجميع!" صاحت سيري بغضب. "الفارس! هل ستستوعب هذا أخيرًا؟ أخبرتك، إن وشتَ بي، سأحوّلك إلى... إلى... حسنًا، شيء مرعب! أعرف تعاويذ! سأحوّلك إلى—"

"توقفي،" جاء صوت حازم من خلفهم. "هذا يكفي!"

كانت واحدة من النساء اللواتي يمشين خلفهم، بشعر داكن مصفف بعناية، وعينين متألقتين، وشفاه رفيعة مشدودة. كان رداؤها القصير المصنوع من قماش الـ كامَكا الأرجواني مزينًا بفرو زغبة النوم، وقد ألقت به على كتفيها.

"لماذا لستِ في المدرسة، أيتها المستجدة؟" قالت بصوت بارد، قويّ الرنين، وهي تحدّق في سيري بنظرة ثاقبة.

"انتظري، تيسايا،" قالت المرأة الأخرى، التي كانت أصغر سنًا، طويلة القامة، بشعر أشقر، وترتدي فستانًا أخضر ذو فتحة عنق عميقة. "لا أعرفها. لا أعتقد أنها..."

"بل هي كذلك،" قاطعتها المرأة ذات الشعر الداكن. "أنا واثقة بأنها واحدة من فتياتكِ، ريتا. لا يمكنكِ معرفة جميعهن. إنها من أولئك اللاتي تسللن من لوكسيا أثناء الاضطراب الذي حصل خلال نقل المهاجع. وستعترف بذلك بعد قليل. حسنًا، يا مستجدة، أنا بانتظاركِ."

"ماذا؟" عقدت سيري حاجبيها في استغراب.

ضمت المرأة شفتيها الرفيعتين، وسوّت أطراف ردائها.

"مِمّن سرقتِ ذلك التميمة التخفي؟ أم أن أحدًا ما منحها لكِ؟"

"ماذا؟"

"لا تختبري صبري. الاسم، الفصل الدراسي، واسم مشرفتكِ. بسرعة!"

"ماذا؟"

"هل تتظاهرين بالغباء، أيتها المستجدة؟ اسمكِ! ما هو اسمكِ؟"

عضّت سيري على أسنانها، واشتعل بريق أخضر في عينيها. ثم قالت بجرأة:

"آنا إنجبورغا كلوبستوك."

رفعت المرأة يدها، وفي تلك اللحظة أدركت سيري تمامًا مدى خطئها.

لم يكن هناك سوى مرة واحدة استخدمت فيها ينيفر تعويذة الشلل عليها، بعد أن أرهقتها شكاوى سيري التي لا تنتهي، وكان الشعور حينها شديد السوء. والآن، ها هو الشعور نفسه يتكرر.

صرخ فابيو بضعف وهمّ بالاندفاع نحوها، لكن المرأة الشقراء أمسكته من ياقته بقوة حديدية. حاول الفتى التملص، لكن قبضتها كانت كالفولاذ. أما سيري، فلم تستطع التحرك قيد أنملة. أحست كأن جسدها يُجبر ببطءٍ على التجذر في الأرض. مالت المرأة ذات الشعر الداكن نحوها، عيناها المتألقتان تنفذان في أعماقها.

"أنا لا أؤمن بالعقوبات البدنية،" قالت بصوت بارد وهي تعيد ترتيب أطراف كُمّيها. "لكنني سأبذل قصارى جهدي لأضمن أن تُجلَدين، أيتها المستجدة. ليس لعصيانكِ، ولا لسرقتكِ، ولا لهروبكِ من المدرسة. ولا حتى لارتدائكِ ملابس غير لائقة، أو لكونكِ برفقة فتى، أو حتى لمحادثتكِ معه حول أمور محظورة. بل ستُجلَدين لعدم تعرّفكِ على سيدة عليا في السحر."

"لا!" صرخ فابيو بيأس. "لا تؤذوها، سيدتي النبيلة! أنا كاتب في مصرف مولنار جيانكاردي، وهذه الفتاة هي.."

"اصمت!" صاحت سيري. "اصمُت..."

لكن التعويذة الكاتمة أُطلقت بسرعة وقسوة. شعرت بطعم الدم في فمها.

"حسنًا؟" حثّت المرأة الشقراء فابيو، وهي تفلت ياقة قميصه وتعيد ترتيبها بلطف. "تكلّم. من هي هذه الفتاة المتغطرسة؟"

* * *

خرجت مارجريتا لوكس-أنتيل من الحوض برشقة قوية، متناثرةً المياه في كل الاتجاهات. لم تستطع سيري منع نفسها من التحديق. كانت قد رأت ينيفر عارية عدة مرات من قبل، ولم تتخيل أن بإمكان أحد امتلاك قوام أكثر سحراً. لكنها كانت مخطئة. حتى تماثيل الآلهة والحوريات المنحوتة في الرخام كانت ستخجل أمام جمال مارجريتا لوكس-أنتيل العاري.

تناولت الساحرة دلوًا من الماء البارد وسكبته فوق صدرها، مُطلقةً سيلًا من الشتائم الوقحة قبل أن تهز نفسها لتجف.

"أنتِ هناك، أيتها الفتاة." أشارت إلى سيري. "كوني لطيفة وأعطني منشفة. وتوقفي عن العبوس، رجاءً."

زمجرت سيري بصوت خافت، لا تزال مستاءة.

عندما كشف فابيو عن هويتها، كانت الساحرتان قد جرّتاها عبر نصف المدينة، محولةً إياها إلى أضحوكة. بالطبع، تم حل المسألة على الفور داخل مصرف جيانكاردي، حيث قدمت الساحرتان اعتذارات رسمية إلى ينيفر، طالبتين منها الصفح عن سلوكهما. شرحوا أن نُزيلات أريتوزا كن قد نُقلن مؤقتًا إلى لوكسيا، لأن حجرات المدرسة قد تم تخصيصها لإيواء المشاركين في مجمع السحرة الكبير. واستغلّت بعض الفتيات الفوضى للهروب والتجول في المدينة. وبسبب تفعيل تعويذة التخفي الخاصة بسيري، ظنّت مارجريتا لوكس-أنتيل وتيسايا دي فريس أنها واحدة من الهاربات.

لكن رغم الاعتذار لينيڤر، لم يفكر أحد في الاعتذار لسيري. وقفت ينيفر، تستمع إليهم، بنظرة جعلت وجه سيري يحترق خجلًا. ولكن كان الأمر أشد سوءًا بالنسبة لفابيو؛ إذ وبّخه مولنار جيانكاردي بشدة

لدرجة أن الدموع تجمعت في عينيه. شعرت سيري بالأسف من أجله، لكنها كانت فخورة به أيضًا؛ فقد حافظ على وعده ولم ينبس ببنت شفة عن حادثة الوِيفرن.

اتضح أن ينيفر كانت تعرف تيسايا ومارجريتا جيدًا.

دعت الساحرتان ينيفر إلى نزل "مالك الحزين الفضي"، وهو أفخم وأغلى نزل في غورز فيلين، حيث كانت تيسايا دي فريس تقيم مؤقتًا، متأخرةً في رحلتها إلى جزيرة ثانيد لأسباب غامضة. أما مارجريتا لوكس-أنتيل، التي تبين أنها المديرة الفعلية لأريتوزا، فقد قبلت دعوة الساحرة الأكبر، وأصبحت تتشارك معها السكن مؤقتًا.

كان النزل بالفعل في غاية الفخامة، يضم حمّامًا خاصًا في أقبية الطابق السفلي، والذي قامت تيسايا ومارجريتا باستئجاره حصريًا لهما بمبالغ فاحشة.

بطبيعة الحال، شجعتا ينيفر وسيري على استخدام الحمّام أيضًا. وهكذا، أمضت الساحرات جميعًا ساعات في نقع أجسادهن بالمياه الساخنة، والتعرّق في غرفة البخار، متبادلات الأحاديث والثرثرة بلا توقف.

قدمت سيري المنشفة للساحرة، فضغطت مارجريتا على خدها بلطف.

زمجرت سيري مجددًا، ثم قفزت برشاقة إلى المياه العطرة برائحة إكليل الجبل، مُحدثةً دفقة قوية.

"تسبح كأنها فقمة صغيرة،" ضحكت مارجريتا وهي تستلقي بجانب ينيفر على كرسي خشبي، "وجسدها ممشوق كحورية ماء. هل ستعطينها لي، يا ينّا؟"

"ألهذا أحضرتها هنا."

"في أي فصل سأضعها؟ هل تعرف الأساسيات؟"

"تعرف، لكنها ستبدأ من البداية مثل الجميع. لن يضرها ذلك."

"سيكون ذلك حكيمًا،" علّقت تيسايا دي فريس وهي منهمكة في ترتيب الكؤوس على الطاولة الرخامية المغطاة بطبقة رقيقة من التكثيف. "نعم، حكيم جدًا، ينيفر. سيكون الأمر أسهل عليها إن بدأت مع المستجدات الأخريات."

سحبت سيري نفسها من الحوض وجلست على الحافة، تعصر الماء من شعرها وتضرب قدميها في الماء. ينيفر ومرجريتا كانتا مسترخيتين، تتبادلان الأحاديث والضحكات بين الحين والآخر، تمسحان وجهيهما بقطع قماش مبللة بالماء البارد. أما تيسايا، فكانت تجلس محتشمة داخل رداء، غارقة في ترتيب الأشياء على الطاولة وكأنها غير معنية بالمحادثة.

"معذرة، سيداتي النبيلات،" نادى صاحب النزل من فوق، صوته يحمل مزيجًا من الاحترام والتوتر. "أرجو الصفح عن إزعاجي، ولكن ... هناك ضابط يرغب في التحدث مع السيدة دي فريس على وجه السرعة. يقول إن الأمر لا يحتمل التأخير!"

ضحكت مارجريتا لوكس-أنتيل وتبادلت النظرات مع ينيفر بمكر، ثم سحبت كل منهما المنشفة عن خصرها واتخذت أوضاعًا غاية في الجرأة والإغراء.

"فليدخل الضابط،" نادت مارجريتا وهي تحاول كبح ضحكتها. "نحن جاهزات، أهلاً وسهلاً."

"أطفال،" تنهدت تيسايا دي فريس وهي تهز رأسها بأسى. "غطي نفسكِ، سيري."

دخل الضابط، لكن مزحة الساحرات لم تنجح. لم يظهر عليه الحرج عند رؤيتهن، لم يحمرّ وجهه أو يحدق بذهول، لأن الضابط لم يكن رجلًا، بل امرأة.

امرأة طويلة القامة، ممشوقة القوام، بشعر أسود مجدول يتدلى على ظهرها، وسيف مشدود إلى جنبها.

"سيدتي،" قالت بصوت رسمي، ودرعها يقرقع مع انحناءة خفيفة باتجاه تيسايا دي فريس، "أبلغكم بتنفيذ أوامركم. وأطلب الإذن بالعودة إلى الحامية."

"لك ذلك،" ردّت تيسايا ببرود. "أشكرك على الحراسة والمساعدة. أتمنى لكِ رحلة آمنة."

جلست ينيفر منتصبة على كرسيها، تتأمل الشارة المزخرفة بالأسود والذهبي والأحمر على كتف الجندية.

"هل أعرفكِ؟"

انحنت المحاربة بصلابة، ومسحت العرق عن وجهها. كان الجو حارًا في الحمام، وهي لا تزال ترتدي درعًا وسُترة جلدية.

"كنت أزور فينغيربرغ كثيرًا، يا سيدتي ينيفر،" قالت الجندية. "اسمي رايلا."

"أرى من الشارة أنكِ تخدمين في الوحدات الخاصة للملك ديميفند."

"نعم، سيدتي."

"رتبتك؟"

"نقيب."

"جيد جدًا." ضحكت مارجريتا لوكس-أنتيل. "يسرني أن أرى أن جيش ديميفند قد بدأ أخيرًا في منح الرتب للجنود الذين يملكون شجاعة حقيقية."

"هل يمكنني الانصراف؟" قالت الجندية، منتصبة القامة ويدها على مقبض سيفها.

"يمكنكِ ذلك."

بعد لحظات، علّقت مارجريتا: "لقد شعرت بعدائية في صوتكِ، ينّا. ماذا لديكِ ضد القائدة؟"

نهضت ينيفر وأخذت كأسين من الطاولة.

"هل رأيتِ الأعمدة عند مفترق الطرق؟ لا بد أنكِ رأيتها، لا بد أنكِ شممتِ رائحة الجثث المتعفنة. تلك الأعمدة هي فكرتها، من عملها هي وجنودها في الوحدات الخاصة. إنهم عصابة من الساديين!"

"هذه حرب، ينيفر. رايلا لا بد أنها رأت رفاقها في السلاح يقعون في قبضة السناجب أحياء، ثم يُعلَّقون من أذرعهم على الأشجار ليكونوا أهدافًا للرماية. مشوهين، مخصيين، وأقدامهم محترقة في نيران المخيمات. حتى فالكا نفسها لم تكن لتخجل من الفظائع التي ارتكبها السكويا'تايل."

"أساليب الوحدات الخاصة تشبه إلى حد كبير أساليب فالكا. لكن هذه ليست المسألة، ريتا. لستُ متأثرة بمصير الجان، وأنا أفهم ما هي الحرب. وأعرف كيف تُربح الحروب أيضًا. تُربح بالجنود الذين يقاتلون من أجل أوطانهم بمعتقداتهم وتضحياتهم. لا بجنود مثلها، مرتزقة يقاتلون من أجل المال، غير قادرين أو راغبين في التضحية بأنفسهم. لا يعرفون حتى معنى التضحية. وإن عرفوا، فإنهم يحتقرونها."

"إلى الجحيم بها وبإخلاصها واحتقارها. ما شأننا بذلك؟ سيري، ارتدي شيئًا لائقًا، واذهبي للطابق العلوي وأحضري لنا قنينة أخرى. أشعر برغبة في السكر اليوم."

تنهدت تيسايا دي فريس، وهزت رأسها. لم يفت الأمر على مارجريتا، التي ضحكت قائلة: "لحسن الحظ، لم نعد في المدرسة، سيدتي العزيزة. يمكننا فعل ما نشاء الآن."

"حتى بوجود مبتدئة مستقبلية؟" قالت تيسايا بحدة. "عندما كنتُ مديرة لأريتوزا.."

"نتذكر، نتذكر،" قاطعتها ينيفر بابتسامة. "وحتى لو فضلنا النسيان، فلن نتمكن من ذلك. هيا، سيري، أحضري القنينة."

في الطابق العلوي، وبينما كانت تنتظر القنينة، شاهدت سيري القائدة رايلا وهي تغادر مع وحدتها المكونة من أربعة جنود. كانت تراقب وضعياتهم، تعابيرهم، ملابسهم وأسلحتهم بإعجاب وفضول. في تلك اللحظة، كانت رايلا تجادل صاحب النزل.

"لن أنتظر حتى الفجر! ولا يهمني إن كانت البوابات مغلقة. أريد المغادرة فورًا. أعلم أن النزل لديه باب سري في الإسطبلات. آمرك بفتحه!"

"لكن القوانين..."

"لا يهمني القوانين! أنا أنفذ أوامر السيدة العظمى دي فريس!"

"حسنًا، حسنًا، أيتها القائدة. لا تصرخي. سأفتح الباب . . ."

اتضح أن الباب السري كان في ممر ضيق محاط ببوابة قوية، يؤدي مباشرة إلى خارج أسوار المدينة. قبل أن تأخذ سيري القنينة من يد الخادم، رأت البوابة تُفتح، ورايلا مع جنودها يخرجون إلى الليل المظلم.

كانت سيري غارقة في التفكير.

"أوه، أخيرًا،" قالت مارجريتا بمرح، لكن لم يكن واضحًا إن كانت تقصد ظهور سيري أم القارورة التي كانت تحملها. وضعت سيري القارورة على الطاولة وبوضوح في المكان الخطأ، لكن تيسايا دي فريس أعادت وضعها فورًا. وعندما صبت ينيفر النبيذ، أفسدت الترتيب بأكمله أيضًا، مما أجبر تيسايا على تصحيحه مجددًا. تخيل سيري لتيسايا كمعلمة جعلها تشعر بالخوف.

عادت ينيفر و مارجريتا إلى محادثتهما التي توقفت مؤقتًا، ولم تكن تبخلان في استهلاك محتوى القارورة. أدركت سيري أنها ستُطلب قريبًا لإحضار واحدة أخرى. وبينما كانت تستمع إلى نقاش الساحرات، بدأت بالتأمل.

"لا، ينّا،" هزّت مارجريتا رأسها. "أنتِ لستِ على اطلاع بالأحداث، أرى ذلك. لقد أنهيت علاقتي مع لارس. انتهى الأمر. إيلين ديريدايه، كما يقول الجان."

"وهذا هو سبب رغبتكِ في السكر؟"

"هذا أحد الأسباب،" أكدت مارجريتا لوكس-أنتيل. "أنا حزينة. لا يمكنني إخفاء ذلك. كنتُ معه لأربع سنوات، في النهاية. لكن كان عليّ تركه. كان الأمر ميؤوسًا منه..."

"خصوصًا،" علّقت تيسايا دي فريس وهي تحدّق في النبيذ الذهبي وهي تحركه داخل كأسها، "بما أن لارس كان متزوجًا."

"أنا أعتبر ذلك أمرًا غير ذي أهمية،" ردّت الساحرة بلامبالاة. "جميع الرجال الجذابين في عمر معين، والذين يثيرون اهتمامي، متزوجون. لا يمكنني تغيير ذلك. لارس أحبني، وأود أن أضيف، أحبني لفترة طويلة... آه، ماذا يمكنني أن أقول؟ كان يريد الكثير. كان يهدد حريتي، وفكرة الالتزام بزوج واحد تصيبني بالغثيان. وبعد كل شيء، كنتُ فقط أتبع مثالكِ، ينّا. هل تتذكرين تلك المحادثة في فينغيربرغ؟ عندما قررتِ إنهاء علاقتكِ بذلك الويتشر الخاص بكِ؟ نصحتكِ حينها بالتفكير مرتين. قلتُ لكِ، الحب لا يُعثر عليه في الشوارع. لكنكِ كنتِ محقة. الحب هو الحب، والحياة هي الحياة. الحب يرحل..."

"لا تستمعي لها، ينيفر،" قالت تيسايا ببرود. "إنها مُحبطة ومليئة بالندم. هل تعلمين لماذا لن تذهب إلى الوليمة في أريتوزا؟ لأنها تشعر بالخجل من الظهور وحدها، بدون الرجل الذي كانت معه لأربع سنوات. الرجل الذي كانت النساء يحسدنها عليه. الرجل الذي فقدته لأنها لم تستطع تقدير حبه."

"ربما علينا تغيير الموضوع،" اقترحت ينيفر بصوت ظاهريًا خالٍ من الهموم، لكنه بدا مختلفًا قليلًا. "سيري، اسكبي لنا بعض النبيذ. أوه اللعنة، هذه القارورة صغيرة. كوني لطيفة وأحضري لنا أخرى."

"أحضري اثنتين،" ضحكت مارجريتا، "وكجائزة، ستحصلين على رشفة، ويمكنكِ الجلوس معنا، بدلاً من التنصت من بعيد. تعليمكِ يمكن أن يبدأ هنا، الآن، قبل أن تنضمي إلي في أريتوزا."

"تعليم!" رفعت تيسايا عينيها إلى السقف. "يا للآلهة!"

"أوه، اصمتي، يا معلمتنا العزيزة،" قالت مارجريتا، صافعة يدها على فخذها المبلل، متظاهرة بالغضب. "أنا الآن المديرة في المدرسة! لم تنجحي في إفشالي أثناء الامتحانات النهائية!"

"أنا نادمة على ذلك."

"وأنا كذلك! تخيلي فقط، كنتُ سأملك عملي الخاص الآن، مثل ينّا. لم أكن لأضطر إلى التعرّق مع المبتدئات. لم أكن لأضطر إلى مسح أنوف الباكيات أو التعامل مع الجريئات. سيري، استمعي إليّ وتعلمي. الساحرة تتصرف دائمًا. سواء كان التصرف صائبًا أم خاطئًا، هذا يتضح لاحقًا. لكن عليكِ أن تفعلي، أن تكوني شجاعة، أن تمسكي بالحياة من عنقها. صدقيني، يا صغيرتي، لا يجب أن تندمي إلا على التردد، والتخاذل، والتأجيل. لا ينبغي أن تندمي على الأفعال أو القرارات، حتى لو انتهت أحيانًا بالحزن والندم. انظري إلى تلك السيدة الجادة الجالسة هناك، تعدل كل شيء أمامها بدقة متناهية. هذه تيسايا دي فريس، الساحرة العظمى، التي درّبت عشرات الساحرات. علمتهن كيف يتصرفن. علمتهن أن التردد.."

"يكفي، ريتا."

"تيسايا محقة،" قالت ينيفر، ما زالت تحدق في زاوية الحمام، "توقفي. أعلم أنكِ تشعرين بالإحباط بسبب لارس، لكن لا تنظّري. الفتاة لا تزال لديها وقت لتعلم هذه الأمور. ولن تحصل عليه في المدرسة. سيري، اذهبي وأحضري قارورة أخرى."

سيري وقفت.

كانت مكتملة اللباس.

لكن عقلها كان قد اتخذ قراره النهائي.

* * *

"ماذا؟" صرخت ينيفر. "ماذا تعني بأنها غادرت؟"

"لقد أمرتني..." تمتم صاحب النزل، شاحب الوجه، وظهره ملتصق بالحائط. "أمرتني أن أجهز لها حصانًا..."

"وأطعتها؟ بدلًا من أن تسألنا؟"

"سيدتي! كيف لي أن أعرف؟ كنت متأكدًا أنها تغادر بأوامركم... لم يخطر ببالي أبدًا—"

"أيها الأحمق اللعين!"

"اهدئي، ينيفر،" قالت تيسايا، ضاغطة يدها على جبينها. "لا تدعي عواطفكِ تسيطر عليكِ. إنها ليلة، لن يسمحوا لها بالمرور عبر البوابة."

"لقد أمرت بفتح الممر الخلفي..." همس صاحب النزل.

"وهل فُتح؟"

"بسبب الاجتماع السحري، سيدتي،" قال صاحب النزل، مُطرقًا رأسه، "المدينة مليئة بالسحرة... الناس خائفون. لا أحد يجرؤ على الوقوف في وجههم... كيف لي أن أرفض طلبها؟ لقد تحدثت بنفس طريقتكِ تمامًا، سيدتي، وبنفس النبرة، وبدت بنفس المظهر... لم يجرؤ أحد حتى على النظر في عينيها، ناهيك عن سؤالها... كانت تشبهكِ تمامًا... نسخة طبق الأصل... حتى أنها طلبت قلمًا وحبرًا وكتبت رسالة."

"أحضرها!"

لكن تيسايا دي فريس كانت أسرع، وبدأت تقرأ بصوت مرتفع:

"سيدتي ينيفر،

اغفري لي. أنا ذاهبة إلى هيروندوم، لأني أريد رؤية جيرالت. أريد رؤيته قبل أن أبدأ المدرسة. سامحيني على عصياني، ولكن عليّ أن أفعل. أعلم أنكِ ستعاقبينني، لكنني لا أريد أن أندم على التردد والتخاذل. إن كان لا بد من الندم، فليكن على الأفعال وليس على الفرص الضائعة. أنا ساحرة، وأمسك بالحياة من عنقها. سأعود عندما أستطيع."

— سيري

"هل هذا كل شيء؟"

"هناك ملحق."

"أخبري السيدة ريتا أنها لن تضطر إلى مسح أنفي في المدرسة."

مارجريتا لوكس-أنتيل هزت رأسها في عدم تصديق بينما كانت ينيفر تلعن بغضب. احمرّ وجه صاحب النزل وفتح فمه. لقد سمع العديد من الشتائم في حياته، لكنه لم يسمع مثل هذه من قبل.

* * *

هبّت الريح من اليابسة نحو البحر. وتلاطمت الغيوم السوداء عبر السماء، حاجبةً ضوء القمر، فيما كانت الطريق إلى هيروندوم مغمورة في الظلام، مما جعل الركض السريع خطيرًا للغاية.

خفّضت سيري سرعتها على نحو سريع، لكنها لم تفكر حتى في المشي. كانت في عجلة من أمرها.

كان هدير عاصفة تقترب يملأ الأفق، ومن حينٍ لآخر كانت هناك ومضات من البرق تضيء السماء كاشفةً عن خط الأشجار المتعرج الذي بدا كأنياب تنغرس في الظلام.

أوقفت حصانها عند مفترق طرق؛ تفرعت الطريق إلى مسارين، وكان كلاهما يبدو متطابقًا.

لماذا لم يذكر فابيو شيئًا عن انقسام الطريق؟

ثم، أنا لا أضيع الطريق أبدًا. دائمًا أعرف أين أمضي، وأي اتجاه أسلك...

إذن لماذا لا أعرف الآن أي طريق أختار؟

شبحٌ ضخم مرّ بصمت فوق رأسها، مما جعل قلبها يقفز إلى حلقها. صهل الحصان، ورفرف بحوافره، ثم انطلق بسرعة، مختارًا الطريق على اليمين. بعد لحظة، شدّت اللجام لتوقفه.

"مجرد بومة..." تمتمت وهي تحاول تهدئة نفسها وحصانها. "طائر عادي... لا شيء يدعو للخوف..."

اشتدت الرياح، وأطبقت الغيوم السوداء بالكامل على القمر، لكن أمامها، في امتداد الطريق، في الفراغ المفتوح بين الأشجار، كان هناك ضوء.

أسرعت، متناثرة الرمال تحت حوافر حصانها.

لكنها اضطرت إلى التوقف بعد وقت قصير. أمامها كان جرف، والبحر الذي يرتفع منه المخروط الأسود المألوف للجزيرة. لم تستطع رؤية أضواء غارستانغ أو لوكسيا أو أريتوزا من موقعها. كان كل ما يمكنها رؤيته هو البرج الشاهق الوحيد الذي يتوّج ثانيد.تور لارا.

انطلقت ومضة برق، ربطت السماء الداكنة بقمة البرج، وتلاها هدير الرعد المدوي. أطل تور لارا عليها، نوافذه أصبحت كعيون قرمزية تتوهج في الظلام، وكأن نارًا مشتعلة في أحشائه.

تور لارا... برج النوارس... لماذا يملؤني اسمه بهذا الرعب؟

عصفت الرياح بالأشجار من حولها. فأصبحت تسمع حفيف الأغصان. ضاقت عيناها، وتطاير الغبار والأوراق لتضرب وجهها. استدارت بالحصان، الذي كان يلهث ويرتجف، وعادت أدراجها، وقد استعادت إحساسها بالاتجاه. جزيرة ثانيد تتجه شمالًا، إذن لا بد أنني كنت أركض غربًا.

بدت الطريق الرملية في الظلام كأنها شريط أبيض لامع. انطلقت مرة أخرى بالركض السريع.

ثم رأتهما.

في وميض البرق، رأت فرسانًا. أشكالًا غامضة، مظلمة، تتحرك على جانبي الطريق. دوّى الرعد مجددًا، وعلا صراخ من بين الأشجار:

"غارِئان!"

بلا تفكير، غرزت سيري كعبيها في جانبي الحصان، أدارت عنانها، واستدارت في الاتجاه المعاكس، مندفعة بسرعة البرق.

خلفها، تعالت الصيحات، الصافرات، صهيل الخيول، ووقع الحوافر المدوية فوق الأرض.

"غارئان! دهواين!"

كان وقع حوافر الخيول يهدر مع الريح، والظلام يتخلله لمعان جذوع البتولا البيضاء على جانبي الطريق. برقٌ خاطف، يليه دوي الرعد. وفي ضوء الوميض، رأت راكبين يحاولان اعتراض طريقها. أحدهما مد يده محاولًا الإمساك بعنان حصانها. كان لديه ذيل سنجاب مثبتًا على قبعته.

غرست سيري كعبيها في جانبي حصانها، متشبثة بعنقه، بينما اجتذبها اندفاع السرعة إلى أحد الجوانب. وميض برق آخر، ثم صرخات وصفير، ثم دوي الرعد من جديد.

"سْبار'لي، يايفين!"

اركض، اركض! أسرع، أيها الحصان!

البرق، الرعد. مفترق طرق. إلى اليسار! أنا لا أضل طريقي أبدًا!

مفترق آخر. إلى اليمين! اركض، أيها الحصان! أسرع، أسرع!

ارتفعت الطريق، والرمل انزلق تحت حوافر الحصان. ورغم تحفيزها المستمر، بدأ الحصان يتباطأ...

عند قمة التل، استدارت لتنظر خلفها. وميض البرق أضاء الطريق المهجور. استمعت بإنصات، فلم تسمع إلا صفير الرياح بين الأوراق. دوى الرعد مرة أخرى.

"لا أحد هنا... السناجب؟ مجرد ذكرى من كيدوين... زهرة شاراويد... لقد تخيلت الأمر. لا يوجد أحد يطاردني..."

لكن الريح عصفت بها، وارتعشت رغماً عنها.

الريح تهب من اليابسة... أشعر بها على خدي الأيمن...

أنا ضائعة.

لمعت السماء مرة أخرى، فأضاء البرق سطح البحر، وسراب الجزيرة السوداء جزيرة ثانيد. ثم... تور لارا.

برج النوارس.

البرج الذي كان يجذبها كما لو كان مغناطيسًا... لكنها لم تكن تريد الذهاب إليه. كانت متجهة إلى هيروندوم. يجب أن ترى جيرالت.

وهنا، لمعت السماء مجددًا.

أمامها، بين طريقها والمنحدر، وقف حصان أسود. وعلى ظهره فارس، خوذته مزينة بجناحي صقر. فجأة، رفرفا... ثم ارتفع الطائر إلى السماء...

سِنترا!

تصلب جسدها من شدة الرعب. قبضت على اللجام بيدين مرتعشتين.

البرق.

الفارس الأسود غرز قدميه في جنبي حصانه. كان وجهه مخفيًا خلف قناع مروع. الجناحان رفرفا بقوة...

الحصان انطلق كالسهم دون أن تحتاج إلى دفعه!

الظلام، ينشق بضوء البرق. الغابة تقترب من نهايتها. أصوات الطين المبتل تُسمع تحت الحوافر. خلفها، رفرفة أجنحة جارحة.

أقرب... أقرب...

انطلقت بجنون، عيناها تدمعان من شدة الريح. وميض برق جديد، وفيه رأت صفوفًا من أشجار ألدر وصفصاف على جانبي الطريق. لكنها أدركت أنها لم تكن أشجارًا...

كانت خدم ملك الألدر. خدم الفارس الأسود الذي كان يطاردها، أجنحته القاتمة تصدر صفيرًا فوق خوذته.

وحوش مشوهة على جانبي الطريق مدوا أذرعهم المتشابكة نحوها، ضاحكين بجنون، وأفواه تجاويفهم السوداء تفتح على مصراعيها. ضغطت جسدها على عنق حصانها، حاولت تجاوزهم.

"لبوة الأسد من سنترا! طفل الدم القديم!"

الفارس الأسود كان خلفها مباشرة! شعرت بيده تحاول الإمساك بشعرها الطويل!

صرخت، ثم دفعت حصانها بقوة، فقفز بحركة جبارة، اجتاز حاجزًا غير مرئي، اخترق القصب، تعثر...

شدت اللجام، مالت إلى الخلف في السرج، استدارت والدماء تغلي في عروقها.

"لا!"

صرخت بجنون، تسحب سيفها من غمده، تدور به فوق رأسها.

"هذه لم تعد سنترا! لم أعد طفلة! لم أعد عاجزة! لن أسمح لك..."

“أمنعك! لن تلمسني مرة أخرى! لن تلمسني أبدًا!”

هبط حصانها فجأة في مياه موحلة، المياه غمرت بطنه. سيري انحنت، صرخت، دفعت الحصان إلى الأمام بحوافرها، ثم سحبت نفسها من المستنقع.

“برك ماء...”

تذكرت فجأة. فابيو تحدث عن برك الأسماك. إنها هيروندوم. لقد وصلت. لم أضل الطريق...

أنا لا أضل طريقي أبدًا!

ومضة برق أخيرة، كشفت عن الطريق الترابية خلفها، والجدار الأسود للغابة أمامها، يشق السماء مثل نصل مسنن.

لكن لم يكن هناك أحد.

فقط صمت، يكسره عواء الرياح.

ومن مكان ما في المستنقع، سمعت صوت بطة مذعورة ترفرف بجناحيها.

لا أحد. لا أحد على الطريق الحجري. لا أحد يلاحقني.

مجرد وهم، كابوس. ذكريات من سينترا. لقد تخيلت الأمر فقط.

نور خافت في البعيد. منارة؟ أم نار مشتعلة؟ إنها مزرعة. هيروندوم.

لم يتبقَ إلا القليل... مجرد جهد أخير...

وميض برق. ثم آخر. ثم آخر.

دون صوت للرعد.

سكنت الريح فجأة. وأخذ الحصان يصهل رافعاً رأسه، ثم ينتفض واقفًا على قائمتيه الخلفيتين.

ظهرت في السماء السوداء شرائط لبنية متشابكة، تلتوي كالأفاعي، وتتوهج بسرعة.

اندفعت الرياح مرة أخرى، تعصف بالصفصاف، تثير زوابع من الأوراق والعشب الجاف.

الأضواء البعيدة... تختفي.

تتلاشى، تذوب وسط سيل من الشرارات الزرقاء التي فجأة أضاءت المستنقع بأسره.

الفرس ينهق، يصهل بجنون، ثم ينطلق هائجًا عبر الطريق الحجري.

سيري تتشبث بالسرج، تكافح لتبقى متوازنة.

ثم... بدأت الأشكال الغامضة، الرهيبة، تظهر داخل الشرائط المتراقصة في السماء.

تقترب... وتقترب...

أصبحت ملامحهم أكثر وضوحًا.

قرون جاموس وأعراف ممزقة تتمايل فوق خوذاتهم، وأقنعة الموتى الشاحبة تبرز أسفلها.

يركبون هياكل عظمية لخيول، عباءاتهم المهترئة ترفرف مثل أشباح ممزقة.

عاصفة عاتية تعصف عبر الصفصاف، والسيوف اللامعة تقطع السماء السوداء.

ثم... ارتفع العواء من الرياح.

لا... ليس الرياح.

إنها أغنية أشباح.

الموكب الجهنمي يستدير، يندفع مباشرة نحوها.

حوافر خيول الظلال تثير وهجًا غريبًا من نيران المستنقعات العائمة.

في المقدمة، يركض ملك المطاردة البرية.

خوذة صدئة تتمايل فوق وجهه العظمي، تجويفا عينيه المتقدان يلتهبان بوهج باهت.

عباءة بالية ترفرف خلفه. عقد فارغ، كقرون البازلاء اليابسة، يرن على درعه الصدئ.

يقال إن هذا العقد كان يحتوي على جواهر ثمينة، لكنها سقطت أثناء مطاردته المحمومة عبر السماوات... وتحولت إلى نجوم...

كذب! هذا غير حقيقي! لا وجود لهم! مجرد كابوس، وهم، خداع بصري!

أنا فقط أتخيل هذا!

ملك المطاردة البرية يغرس كعبيه في فرسه العظمي، ينفجر ضاحكًا، ضحكة وحشية، مرعبة.

"أوه، ياطفلة الدم القديم! أنتِ لنا! أنتِ ملكنا!

انضمي إلى موكبنا، انضمي إلى مطاردتنا! سوف نركض، نركض حتى نهاية الزمن، حتى آخر لحظة في الوجود!

أنتِ لنا، يا ابنة الفوضى ذات العيون النجمية!

انضمي إلينا، تذوقي فرحة المطاردة!

أنتِ منا. مكانك بيننا!"

"لا!" صرخت. "ابتعدوا! أنتم مجرد جثث!"

ملك المطاردة البرية ضحك، أسنانه المتعفنة تصطك تحت طوقه الصدئ. تجويفا عينيه العظميتين يشعان بوهج مميت.

"نعم، نحن جثث. لكن أنتِ... أنتِ الموت."

تشبثت سيري بعنق حصانها. لم تكن بحاجة لتحفيزه.

لقد شعرَ بالأطياف التي تلاحقه، فاندفع الحصان بجنون عبر الطريق الحجري، يجري بسرعة لا تعرف الحدود.

* * *

الهالفلينغ بيرني هوفماير، مزارع من هيروندوم، رفع خصلات شعره المجعدة الكثيفة، منصتًا إلى دوي الرعد البعيد.

“هذا أمر خطير،” قال بقلق. “عاصفة كهذه بدون أمطار... البرق سيضرب في مكان ما، وستنشب النيران...”.

“القليل من المطر لن يضر،” تنهد دانديليون وهو يشد أوتار عوده. “فالجو خانق كما لو أنك تستطيع تقطيعه بسكين... قميصي التصق بظهري، والبعوض ينهشني... لكنني أظن أن العاصفة ستمر دون أن تمطر. لقد كانت تدور، وتدور، والبرق ظل يلمع لفترة شمالًا. أعتقد أنه فوق البحر.”

“يضرب في ثانيد،” أكد الهالفلينغ، “إنها أعلى نقطة في المنطقة. ذلك البرج في الجزيرة، تور لارا، يجذب الصواعق كما لو كان مغناطيسًا سماويًا. يبدو وكأنه يشتعل أثناء العواصف العنيفة. من العجيب أنه لم ينهار بعد...”

“إنه السحر،” قال الشاعر بيقين. “كل شيء في ثانيد مسحور، حتى صخورها نفسها. والسحرة لا يخافون من البرق. ماذا أقول؟ هل تعلم، بيرني، أنهم يستطيعون حتى أن يمسكوا بالصواعق؟”

“كف عن المزاح! أنت تكذب، دانديليون.”

“ليضربني البرق إن كنت...” توقف الشاعر فجأة، ونظر بقلق نحو السماء. “ليعضني أوز بري إن كنت أكذب! أقول لك، هوفماير، السحرة يمسكون بالصواعق. لقد رأيت ذلك بعيني. غورازد العجوز، ذلك الذي قُتل على تل سودين، أمسك بصاعقة أمامي. أخذ قطعة معدنية طويلة ورفيعة، وربط أحد طرفيها بأعلى برجه، والطرف الآخر—”

“يجب أن تضع الطرف الآخر في زجاجة،” صرخ فجأة ابن هوفماير، الصغير المتدلي من شرفة المنزل. كان هالفلينغًا صغيرًا بشعر كثيف متجعد مثل صوف الكبش. “في جرة زجاجية، مثل تلك التي يخزن فيها أبي النبيذ. الصاعقة تسري عبر السلك إلى الجرة...”

“ادخل إلى الداخل، فرانكلين!” صاح المزارع. “لقد حان وقت النوم، فورًا! منتصف الليل يقترب، وهناك عمل ينتظرنا غدًا! وانتظر حتى أقبض عليك تتحدث عن الجرار والأسلاك مرة أخرى. الحزام سيكون بانتظارك! لن تتمكن من الجلوس يوم الأحد القادم ولا الذي يليه! بيتونيا، خذيه للداخل! وأحضري لنا مزيدًا من الجعة!”

“لقد شربت بما يكفي،” قالت بيتونيا هوفماير بغضب وهي تجمع ابنها من الشرفة. “لقد سكرت بما فيه الكفاية.”

“توقفي عن التذمر. فقط راقبي إن كان الويتشر سيصل. يجب أن يُستقبل الضيف كما ينبغي.”

"سأحضر بعض الجعة حين يصل الويتشر. له فقط."

"بخيلة لئيمة،" تمتم هوفماير بصوت خفيض كي لا تسمعه زوجته. "كل عائلتها، آل بيبرفيلدت من مرج نوتويد، كلهم بخيلون مثلها..."

"لكنه يتأخر. لقد ذهب نحو البرك ولم يعد. إنه غريب الأطوار. هل رأيت كيف كان ينظر إلى الفتيات، سينيا وتانجرين، عندما كن يلعبن في الفناء في المساء؟ كانت لديه نظرة غريبة. والآن... لدي شعور بأنه ذهب ليكون بمفرده. وربما اختار البقاء هنا لأن مزرعتي بعيدة عن باقي المزارع."

"أنت تعرفه أكثر مني، دانديليون، أخبرني..."

"هل أعرفه؟" قال الشاعر، بينما يصفع بعوضة على عنقه، ويعزف لحنًا بسيطًا على أوتار عوده، ناظرًا إلى ظلال الصفصاف السوداء عند البركة. "لا، بيرني. لا أعتقد أن أحدًا يعرفه حقًا. لكن هناك شيء ما يحدث له، هذا واضح. لماذا أتى إلى هنا، إلى هيروندوم؟ ليكون أقرب إلى جزيرة ثانيد؟ وعندما اقترحت عليه أمس أن نذهب إلى غورز فيلين، حيث يمكننا رؤية ثانيد، رفض دون تردد. ما الذي يبقيه هنا؟ هل منحته عقود صيد وحوش جيدة؟"

"لا فرصة لذلك،" تمتم الهالفلينغ. "بصراحة، لا أعتقد أن هناك وحشًا في الأساس. الطفل الذي غرق في البركة ربما أصيب بتشنج. لكن الجميع بدأ يصرخ بأنه غرق بسبب دراونر أو كيكي مورا، وقالوا إنه علينا استدعاء ويتشر... وأعطوه مكافأة هزيلة بالكاد تستحق العناء. وماذا يفعل؟ لقد أمضى ثلاث ليالٍ يتجول في الطريق الحجري؛ ينام أثناء النهار أو يجلس صامتًا، كأنه دمية من القش، يراقب الأطفال والمنزل... غريب. غريب جدًا."

"وأنت محق."

برق أضاء السماء، ساطعًا على الفناء والمباني الزراعية. للحظة، تألقت أنقاض القصر الإلفي عند نهاية الطريق الحجري باللون الأبيض. بعد بضع ثوانٍ، دوت الرعود فوق البرك. هبت ريح مفاجئة، فتراقصت الأشجار والأعشاب المائية، وتموج سطح الماء، ثم تحول إلى لون كئيب قبل أن تهتز أوراق زهور الزنبق.

"يبدو أن العاصفة تقترب منا،" قال المزارع، رافعًا رأسه نحو السماء. "ربما استخدم السحرة السحر لطردها من الجزيرة. يقال إن ما لا يقل عن مئتي ساحر قد تجمعوا في ثانيد... ما رأيك، دانديليون، ما الذي سيناقشونه هناك؟ هل سيخرج أي خير من اجتماعهم؟"

"لنا؟ أشك في ذلك،" قال الشاعر، يمرر إبهامه على أوتار العود. "هذه الاجتماعات عادة ما تكون مجرد عروض أزياء، الكثير من الثرثرة، وفرصة سانحة للطعن في الظهر والخوض في المؤامرات. مشاحنات حول ما إذا كان يجب نشر السحر للعامة أم جعله حكرًا للنخبة. جدالات بين من يخدمون الملوك ومن يفضلون ممارسة الضغط عليهم من بعيد..."

"هاه،" قال بيرني هوفماير. "يبدو لي أنه سيكون هناك ضجيج وصواعق في ثانيد خلال الاجتماع تمامًا كما هو الحال في هذه العاصفة."

"ربما. لكن ما شأننا نحن؟"

"أنت؟ لا شيء،" قال الهالفلينغ بوجه كئيب. "لأنك لا تفعل شيئًا سوى العزف على عودك والغناء. أنت تنظر إلى العالم ولا ترى إلا القوافي والنغمات. لكنني أرى الأمور بشكل مختلف. الأسبوع الماضي فقط، داست مجموعة من الفرسان على ملفوفاتي ولفتتي. مرتين. الجيش يطارد السناجب، والسناجب تهرب من الجيش، وكلاهما يستخدم نفس الطريق عبر حقلي!"

"لا تحزن على الكرنب حين يحترق الغاب"، غناها دانديليون بنبرةٍ ساخرة.

زمّ بيرني هوفماير شفتيه وهو يرمق دانديليون بنظرةٍ قاسية.

"عندما تخرج بمثل هذا الكلام، لا أدري إن كان الأجدر بي أن أبكي، أم أضحك، أم أركلك في مؤخرتك. أنا لا أمزح معك! أقول لك، لقد حلّ زمنٌ كئيب. فالأعمدة والخوازيق تنتصب عند جوانب الطرق، والجثث تنتشر في الحقول وعلى ممرات الغابات. بحق الآلهة، لا بدّ أنّ البلاد بدت هكذا في عهد فالكا. كيف يعيش المرء في هذا الوضع؟ نهارًا يأتي رجال الملك يهدّدوننا بالسجن إن قدّمنا أي عونٍ للسناجب، وليلاً يحضر الإلفيون، ولا أجرؤ أن أحاول رفض مطلبهم! يعدوننا بشاعريّةٍ بأنّ السماء ستتوهّج لونًا أحمر، إنهم شعراء لدرجة تدفعك للتقيؤ. لكن على أيّة حال، نحن عالقون بين نارين..."

"وهل تعوّل على أنّ اجتماع السحرة سيغيّر من الأمر شيئًا؟"

"أجل. لقد قلت أنت بنفسك إن هناك فصيلَين يتنازعان بين السحرة. أحيانًا كان السحرة هم من يكبحون جماح الملوك ويضعون حدًا للحروب والقلاقل. بعد كل شيء، هم من عقدوا السلام مع نيلفغارد قبل ثلاث سنوات. وربما —من يدري — قد يتكرر ذلك اليوم..."

ساد الصمت، وأصغى بيرني هوفماير بانتباه. ثم وضع دانديليون يده على أوتار عوده ليلجمها عن الرنين.

خرج الويتشر من عتمة الطريق الرملي المؤدي إلى البيت، يسير بخطواتٍ بطيئة باتجاه المنزل. لمعت صاعقةٌ أخرى في الأجواء، وبحلول الوقت الذي دوّى فيه الرعد، كان الويتشر قد صعد بالفعل إلى الشرفة.

"حسنًا، جيرالت؟" قال دانديليون، محاولًا كسر حرج الصمت. "هل تعقّبت الوحش؟"

"لا. هذه الليلة ليست مناسبةً للتعقب. الليل مضطرب... مقلق... وأنا منهك يا دانديليون."

"إذن اجلس واسترح."

"لم تفهم ما أعنيه."

"حقًّا؟" تمتم الهوفلينغ، متلفّتًا نحو السماء وكأنّما ينصت، "ليلة مضطربة، هناك نذير سوءٍ يخيّم على المكان... الحيوانات في الحظيرة لا تهدأ... وصرخاتٌ تتردد في أصداء الريح..."

"المطاردة البرّية،" قال الويتشر بصوتٍ منخفض. "أحكم إغلاق النوافذ يا سيد هوفماير."

"المطاردة البرّية؟" تمتم بيرني بفزع، "أشباح؟"

"لا تخف. سوف تمرّ عالياً في السماء. هكذا تفعل دائمًا في فصل الصيف. لكن الأطفال قد يستيقظون، فالمطاردة تجلب الكوابيس. من الأفضل أن تُحكموا غلق النوافذ."

"المطاردة البرّية،" علّق دانديليون، وهو يرفع عينيه بقلق نحو الأعالي، "تنذر بالحرب."

"هراء. خرافات باطلة."

"انتظر! قبل وقتٍ قصير من هجوم نيلفغارد على سينترا..."

"اصمت!" أمره الويتشر بالإشارة، ثم انتفض جالسًا، وعيناه تنغرسان في ظلام الليل.

"ما الأمر...؟"

"فرسان."

"اللعنة،" هسهس هوفماير وهو يقفز من على مقعده. "لا يمكن أن يكونوا سوى السناجب إذا ظهروا ليلًا..."

"حصانٌ واحد لا غير،" قاطعه الويتشر، بينما يلتقط سيفه عن المقعد. "حصانٌ واحد حقيقي. أما البقية فهم أطياف المطاردة... تبًّا، لا يعقل... في الصيف؟"

قفز دانديليون على قدميه أيضًا، لكنه شعر بالحرج من الفرار، إذ لم يبدُ على جيرالت ولا على بيرني نيّةٌ للهرب. استلّ الويتشر سيفه وركض باتجاه الممر، في حين انطلق الهوفلينغ خلفه بلا تردد، وقد أشهر شوكةً زراعيةً طويلة. لمعت السماء مجددًا بالبرق، فكشفت في غمضة عين حصانًا مندفعًا يعدو فوق الطريق الحجري. وراء الحصان بدا شيءٌ ملتبس، سحابةٌ غير متناسقة، دوامةٌ، شبحٌ، منسوجٌ من العتمة والضوء؛ كيانٌ يبعث في النفس ذعرًا خانقًا ونفورًا يقبض الروح.

صرخ الويتشر رافعًا سيفه. رأه الفارس، فضرب حصانه بعقبيه ليندفع أسرع، والتفت وراءه بنظرة خاطفة. صرخ الويتشر ثانية، فدوى الرعد.

وقع وميض، لكنه لم يكن برقًا هذه المرة.

تراجع دانديليون منخفضًا قرب المقعد، وكاد يحاول الزحف تحته لولا أنّ ارتفاعه المحدود منعه. أسقط بيرني شوكته الزراعية، بينما اندفعت بيتونيا هوفماير من عتبة المنزل وهي تصرخ بذعر.

انبثق ضوءٌ مبهِر، وتحوّل إلى كرةٍ شفافةٍ ضخمة، وداخلها ظهرت هيئةٌ تتشكّل بسرعةٍ مخيفة. عرفها دانديليون على الفور؛ فقد رأى تلك الخصلات السوداء المتوحشة، والنجمة المصنوعة من الأوبسيديان المعلقة على شريط مخملي. ما لم يكن يعرفه، ولم يرَه من قبل، كان ذلك الوجه ... وجهُ غضبٍ عارم، وجه آلهة الانتقام والدمار والموت.

رفعت ينيفر يدها وأطلقت تعويذةً صارخة. تطايرت حلزوناتٌ سحريةٌ من كفّيها محدثةً فحيحًا، وانهمرت شراراتها، تمزّق سماء الليل وتعكس آلاف الومضات اللامعة على سطح البرك. اخترقت تلك الحلزونات السحابة التي كانت تطارد الفارس الوحيد كأنّها رماحٌ حادة. تململت السحابة، وبدا لدانديليون أنه يسمع صرخاتٍ مرعبة، وأنه يرى خيالاتٍ كابوسيّةً لخيولٍ شبحيّة. لكن لم يدم ذلك إلا للحظة خاطفة، إذ انكمشت السحابة فجأة، وتحولت إلى كتلةٍ متجمّعة ثم انطلقت صاعدةً في عنان السماء، ممدودةً خلفها ذيلًا طويلًا يشبه ذيل المذنب، وابتعدت بسرعة.

عمّ الظلام مجددًا، ولم يعد يضيئه سوى بريق المصباح المُرتعش في يد بيتونيا هوفماير.

ان الراكب يقترب بسرعة، متشبثًا بعنان حصانه المتعب، والغبار يتطاير تحت حوافره الثقيلة. كانت صرخات الريح ما زالت تملأ الأجواء، لكن هدير الصياد البري قد تلاشى، مبعثرًا بفعل السحر الذي ألقته ينيفر.

توقف الحصان أخيرًا، يلهث متعبًا، وكاد يسقط على ركبتيه. ترنح الفارس فوق السرج، بالكاد قادرًا على التمسك. هرع جيرالت نحوه، وعندما رآه عن قرب، تجمد في مكانه، وعيناه تتسعان بدهشة.

"سيري!"

انزلقت الفتاة من ظهر الحصان، ساقاها بالكاد تحملانها. كانت مغطاة بالغبار، شعرها الأشقر الكتاني متشابكًا بفعل الرياح، ووجهها شاحبًا كما لو أنها رأت الموت نفسه. ارتجفت شفتاها وهي تحاول التحدث، لكن صوتها لم يخرج.

"سيري!" كرر الويتشر، متجهًا نحوها، لكنه لم يكن أسرع من ينيفر، التي وصلت بجانبه في لحظة، تمسك وجه الفتاة بيديها، تبحث عن إصابات، عن جروح، عن أي علامة تدل على الأذى.

لكن سيري لم تتكلم، لم تستطع التفسير. كان جسدها يرتجف بالكامل، عيناها الواسعتان ممتلئتين بالخوف والرعب. وأخيرًا، تمتمت بصوت خافت، بالكاد يُسمع وسط هدير العاصفة التي بدأت بالانحسار:

"لقد رأيته... رأيته مرة أخرى..."

تبادلت ينيفر وجيرالت النظرات. لم يكن هناك حاجة لذكر من تقصد. لقد كان هناك. فارس الخوف. الفارس الأسود الذي كان يطاردها في كوابيسها منذ أن سقطت سينترا. الذي ظل يطاردها، في أحلامها... وفي الواقع.

لكن ليس هذه الليلة. ليس بعد الآن.

احتضنت ينيفر سيري بقوة، وضغطت شفتيها على جبينها.

"لقد انتهى ذلك، يا صغيرتي..." همست، لكن لم يكن أحد يصدق ذلك حقًا.

* * *

كان المنزل خاليًا، لقد غادر النصف قزم وعائلته للعمل عند الفجر. إدعت سيري أنها نائمة، لكنها سمعت جيرالت وينيڤر يغادران. فتسللت خارج الفراش بسرعة، ارتدت ملابسها وخرجت بهدوء من الغرفة، متبعةً إياهما إلى البستان.

وجه جيرالت وينيڤر نحو الممر بين البرك، التي كانت بيضاء وصفراء بأزهار الزنبق. اختبأت سيري وراء جدار متهدم وراقبتهما من خلال شق في الجدار. كانت قد تخيلت أن دانديليون، الشاعر الشهير الذي قرأت أعماله مرارًا، ما يزال نائمًا. لكنها كانت مخطئة. لم يكن الشاعر دانديليون نائمًا. فقد قبض عليها بالجرم المشهود.

قال مبتسمًا: "مرحبًا"، وهو يقترب منها فجأة. "هل من اللائق الاستماع والتجسس على الناس؟ يجب أن تكون أكثر حذرًا، يا صغيرتي. دعهم يقضون بعض الوقت معًا."

احمر وجه سيري، لكنها سرعان ما ضيّقت شفتيها.

"أولًا، أنا لست صغيرتك" همست بتعالي. "وثانيًا، لست أزعجهما، أليس كذلك؟"

أصبح دانديليون أكثر جدية.

"أظن أنني على صواب." قال. "يبدو لي أنك قد تساعدينهم بالفعل."

"كيف؟ بأي طريقة؟"

"لا تمزحي معي. كان ذلك ذكيًا جدًا بالأمس، لكنكِ لم تخدعيني، لقد تظاهرتِ بالإغماء، أليس كذلك؟"

"نعم، فعلت." تمتمت، موجهة وجهها بعيدًا. "السيدة ينيڤر أدركت ذلك لكن جيرالت لم يفعل..."

"لقد حملوكِ إلى المنزل معًا. كانت يداهما متلامستين. جلسا بجانب سريرك تقريبًا حتى الصباح، لكنهما لم يقولا كلمة لبعضهما. وقد قررا الحديث الآن فقط. هناك، على الممر، بجانب البركة. وأنتِ قررتِ الاستماع لما يقولان... ومراقبتهما من خلال ثقب في الجدار. هل أنتِ يائسة جدًا لمعرفة ما يفعلانه هناك؟"

"لا يفعلان شيئًا هناك." قالت سيري، وقد احمرت وجنتاها قليلًا. "إنهما يتحدثان قليلًا، هذا كل شيء."

"وأنتِ," قال دانديليون وهو يجلس على العشب تحت شجرة تفاح، مستندًا إلى الجذع بعد أن تأكد أولًا من عدم وجود نمل أو يرقات على الشجرة. "ستودين معرفة ما يتحدثان عنه، أليس كذلك؟"

"نعم... لا! وعلى أي حال... لا أستطيع سماع شيء. إنهما بعيدان جدًا."

"سأخبرك," ضحك الشاعر. "إن أردتِ."

"وكيف ستعرف؟"

"هاها. أنا، يا عزيزتي سيري، شاعر. الشعراء يعرفون كل شيء عن مثل هذه الأمور. سأقول لكِ شيئًا آخر؛ الشعراء يعرفون أكثر عن هذا النوع من الأمور مما يعرفه الأشخاص المعنيون."

"بالطبع تعرف!"

"أعطيك كلمتي. كلمة شاعر."

"حقًا؟ إذًا... أخبرني، ما الذي يتحدثان عنه؟ أخبرني ما يعنيه كل هذا!"

"انظري من خلال ذلك الثقب مرة أخرى وأخبريني بما يفعلان."

"همم..." عضت سيري على شفتها السفلى، ثم اقتربت ووضعّت عينها بالقرب من الثقب. "السيدة ينيفر واقفة بجانب شجرة الصفصاف... هي تقطف الأوراق وتلعب بنجمها. لا تقول شيئًا ولا تنظر حتى إلى جيرالت... وجيرالت واقف بجانبها. ينظر إلى الأسفل ويقول شيئًا. لا، لا يقول. أوه، إنه يشد وجهه... يا له من تعبير غريب..."

"بسيط للغاية،" قال دانديليون وهو يجد تفاحة في العشب، يمسحها على سرواله ويفحصها بتشكك. "هو يطلب منها أن تغفر له كلمات وأفعال غبية قام بها. يعتذر لها عن نفاد صبره، وعن قلة إيمانه وأمله، وعن عناده، وإصراره. عن عبوسه وتكلفه؛ وهي أمور لا تليق برجل. يعتذر لها عن أشياء لم يفهمها وعن أشياء لم يرغب في فهمها..."

"هذه أكذوبة بحتة!" قالت سيري، وهي ترفع نفسها عن الأرض وترتجح شعرها بعيدًا عن جبهتها بحركة مفاجئة. "أنت تخترع كل هذا!"

"هو يعتذر عن الأشياء التي بدأ الآن في فهمها," قال دانديليون، وهو يحدق في السماء وبدأ يتحدث بإيقاع شعري. "عن ما يود فهمه، لكنه يخشى أن لا يكون لديه وقت لذلك... وعن ما لن يفهمه أبدًا. هو يعتذر ويطلب المغفرة... همم، همم... المعنى، الضمير، القدر؟ عن كل شيء تافه للغاية..."

"هذا ليس صحيحًا!" دمدمت سيري بغضب. "جيرالت لا يقول شيئًا من هذا! إنه حتى لا يتكلم. رأيت ذلك بنفسي. هو واقف هناك معها، ولا يقول شيئًا..."

"هذه هي وظيفة الشعر، سيري. أن يقول ما لا يستطيع الآخرون قوله."

"إنها وظيفة غبية. وأنت تختلق كل شيء!"

"هذه هي أيضًا وظيفة الشعر. مهلاً، أسمع بعض الأصوات المرتفعة تأتي من البركة. ألقي نظرة سريعة، وانظر ماذا يحدث هناك."

"جيرالت" قالت سيري، وهي تضع عينها مجددًا على الثقب في الجدار، "واقف برأسه منخفض. وينيفر تصرخ عليه. إنها تصيح وتلوح بيديها. أوه، عزيزي... ماذا يمكن أن يعني هذا؟"

"بسيط للغاية." حدق دانديليون في الغيوم التي تمر عبر السماء. "الآن هي تعتذر له."

هكذا أَقبلكِ، لأمتلككِ وأحتفظ بكِ، في أجمل وأبشع الأوقات، في أفضل وأسوأ اللحظات، بالنهار والليل، في المرض والصحة. فإني أحبكِ بكل قلبي وأقسم أن أحبكِ إلى الأبد، حتى يفصل بيننا الموت.

الوعود التقليدية في الزواج

نحن نعرف القليل عن الحب، الحب يشبه الكمثرى.

الكمثرى حلوة ولها شكل مميز.

حاول أن تعرف شكل الكمثرى.

داندليون، نصف قرن من الشعر

الفصل الثالث

كان لدى جيرالت سبب للاشتباه – وقد اشتبه لفترة طويلة – أن حفلات السحرة تختلف عن حفلات البشر العاديين. لكنه لم يشتبه قط في أن الفروق قد تكون كبيرة أو أساسية إلى هذا الحد.

لقد فاجأته دعوة ينيفر لمرافقته إلى العشاء الذي يسبق مؤتمر السحرة، لكنه لم يشعر بالدهشة، لأن ذلك لم يكن العرض الأول من نوعه. ففي الماضي عندما كانا يعيشان معًا وكانت الأمور بينهما جيدة، كانت ينيفر ترغب في حضور الاجتماعات والمؤتمرات وهو إلى جانبها. في ذلك الوقت، كان يرفض ذلك بشدة. كان مقتنعًا بأنه سيعامل من قبل السحرة على أفضل تقدير كغريب ومنظر، وعلى أسوأ تقدير كغريب دنس ومرتزق. كانت ينيفر تسخر من مخاوفه، لكنها لم تصر على الأمر. ومنذ أن كانت قادرة في مواقف أخرى على الإصرار حتى يهتز البيت وتتحطم النوافذ، كان ذلك قد عزز إيمان جيرالت بأن قراره كان صحيحًا.

هذه المرة وافق- دون تفكير - جاء العرض بعد محادثة طويلة وصادقة وعاطفية. بعد محادثة قربت بينهما من جديد، وألقت بالصراعات القديمة إلى الظلال والنسيان، وذابت جليد الاستياء والكبرياء والعناد. بعد محادثتهما على الجسر في هيروندوم، كان جيرالت سيوافق على أي اقتراح كان من ينيفر، لم يكن ليرفض لها طلباً حتى لو اقترحت عليهما أن يسيرا إلى الجحيم ليشربان كوباً من القطران المغلي مع بعض الشياطين المشتعلة.

وفوق كل ذلك كانت سيري، التي بدونها لم يكن لتحدث تلك المحادثة أو تلك اللقاءات. سيري التي – وفقًا لقول كودرينغهر – ربما قد لفتت إنتباه ساحر مجهول. كان جيرالت يتوقع أن وجوده في المؤتمر سيثير ذلك الساحر ويجبره على التحرك. لكنه لم يخبر ينيفر بكلمة واحدة عن ذلك.

ركبوا مباشرة من هيروندوم إلى ثانيد: جيرالت، ينيفر، سيري، وداندليون. توقفوا أولاً في المجمع الملكي الضخم في لوكسيَا، عند قدم الجبل الجنوبية الشرقية.

كان القصر يعج بالفعل بمندوبي المؤتمر وأصحابهم، لكن تم العثور على مكان للإقامة لينيڤر فورًا.

قضوا اليوم كله في لوكسيَا. قضى جيرالت اليوم في الحديث مع سيري. ركض داندليون لجمع ونشر الشائعات، وكانت الساحرة تختار الملابس وتقيّمها. وعندما جاء المساء أخيرًا، انضم الجانبان، جيرالت

وينيڤر، إلى الموكب الملون المتجه نحو أريتووززا والقصر، حيث كان من المفترض أن يقام العشاء.
والآن، في أريتووززا،

كان جيرالت يعرف المفاجأة والدهشة، رغم أنه كان قد تعهد لنفسه بأنه لن يفاجأ بشيء وأنه لن يدهشه أي شيء.

كان القاعة المركزية الكبيرة في القصر قد تم تصميمها على شكل حرف "T". والجانب الطويل منها يحتوي على نوافذ ضيقة وطويلة للغاية، تصل تقريبًا إلى قمة الأعمدة التي تدعم السقف. كان السقف مرتفعًا جدًا لدرجة أنه كان من الصعب تمييز تفاصيل الجداريات التي تزينه، وخاصة جنس الشخصيات العارية التي كانت من أكثر الأنماط شيوعاً حينها.

كانت النوافذ مصنوعة من الزجاج المعشق، الذي لابد أنه كلف ثروة طائلة، ولكن بالرغم من ذلك كان من الممكن الشعور بالتيار الهوائي بوضوح في القاعة. في البداية، تفاجأ جيرالت من أن الشموع لم تنطفئ، لكن عند الفحص الدقيق فهم السبب. كانت القناديل سحرية، وربما حتى وهمية. على أية حال، كانت توفر كمية كبيرة من الضوء، أكثر بكثير مما كانت توفره الشموع.

عندما دخلوا، كان هناك حوالي مئة شخص موجودين بالفعل. وقدر جيرالت أن القاعة يمكن أن تستوعب ثلاثة أضعاف هذا العدد، حتى لو كانت الطاولات مرتبة على شكل نصف دائرة في المنتصف، كما هو معتاد. لكن لم تكن هناك دائرة نصفية تقليدية. بدا أن الجميع سيأكلون وهم واقفون، يتجولون بعناد على طول الجدران المزيّنة بالزخارف والتفاصيل، وكلها تتمايل بفعل التيار الهوائي. تم ترتيب صفوف من الطاولات الطويلة تحت الزخارف والورد، وكانت الطاولات مكدسة بالأطباق المتقنة المقدمة على إعدادات طاولات أكثر تعقيدًا، مابين ترتيبات الزهور المدهشة إلى منحوتات الثلج الغريبة. وعند الفحص الدقيق، لاحظ جيرالت أن هناك الكثير من تلك التفاصيل الزائدة مقارنة بالطعام.

"لا يوجد طعام"، قال بصوت مكفهر، وهو ينظم التنورة القصيرة السوداء المزخرفة بالفضة والتي قامت ينيفر بارتدائه إياها. كانت الملابس من هذا النوع – وهي آخر صيحات الموضة – تُسمى "الدوبلييه". لم يكن جيرالت يعلم من أين أتى هذا الاسم، ولم يكن لديه رغبة في معرفة ذلك.

لم ترد ينيفر. ولم يكن جيرالت يتوقع أن ترد، لأنه كان يعلم جيدًا أن الساحرة ليست ميالة للرد على مثل هذه التصريحات. لكنه لم يتوقف عن الشكوى. شعر أنه بحاجةٍ ماسة إلى التذمر.

"لا يوجد موسيقى. المكان يعج بالتيارات الهوائية. لا يوجد مكان للجلوس. هل سنتناول الطعام والشراب ونحن واقفون؟"

أعطته الساحرة نظرة ذات مغزى، ناعمة بلون البنفسج.

"نعم"، قالت بهدوء مدهش، "سنأكل ونحن واقفون. يجب أن تعرف أيضًا أن التوقف طويلًا بالقرب من طاولة الطعام يُعتبر تصرفًا غير لائق."

"سأحاول أن أتصرف"، تمتم، "خصوصًا لأنني ألاحظ أنه لا يوجد الكثير للتوقف عنده."

"الشرب بشكل غير مقيد يُعتبر أيضًا خرقًا لآداب السلوك"، قالت ينيفر، مستمرة في تعليماتها دون أن تعير اهتمامًا لتذمره، "وتجنب المحادثات يُعتبر تصرفًا غير مبرر."

"وإذا أشار لي هذا الرجل النحيل في تلك السراويل السخيفة إلى اثنتين من صديقاته"، قاطعه، "هل يُعتبر ذلك خطأ؟"

"نعم. ولكنه خطأ صغير."

"ماذا سنفعل إذًا، ينى؟"

"سنتجول في القاعة، نرحب بالناس، نوجه لهم المجاملات، نخوض في محادثات... توقف عن شد بدلتك وترتيب شعرك."

"لم تسمحي لي بارتداء رباط رأس..."

"رباط رأسك متكلف. حسنًا، خذ ذراعي ودعنا نذهب. الوقوف بالقرب من المدخل يُعتبر خطأ."

تجولوا في القاعة التي كانت تزدحم تدريجياً بالضيوف. كان جيرالت جائعًا بشدة، لكنه أدرك بسرعة أن ينيفر لم تكن تمزح. أصبح من الواضح أن الآداب التي يتبعها السحرة تتطلب فعلاً أن يأكل الشخص ويشرب القليل جدًا، وأن يفعل ذلك بروح غير مكترثة. ولإضافة المزيد من التعقيد، كل توقف عند طاولة الطعام كان يحمل معه التزامات اجتماعية. كان أحدهم يلاحظك، يعبر عن سروره بذلك، ثم يقترب ليقدم تحياته التي كانت حماسية بقدر ما كانت زائفة. بعد القبلات الهوائية الإلزامية أو المصافحات الضعيفة المزعجة، وبعد الابتسامات غير الصادقة والمجاملات الأقل صدقًا، رغم أنها كانت مصاغة بشكل جيد، كان يتبعها حديث مختصر وممل حول لا شيء.

نظر جيرالت حوله بحماس، باحثًا عن وجوه مألوفة، آملاً في ألا يكون الشخص الوحيد الحاضر الذي لا ينتمي إلى هذه الأخوية السحرية. كانت ينيفر قد ضمنت له أنه لن يكون الوحيد، ولكن بالرغم من ذلك لم يستطع رؤية أي شخص لم يكن عضوًا في الأخوية، أو على الأقل لم يتمكن من التعرف على أحد.

كان خدم يحملون صواني يتنقلون بين الضيوف، يقدمون النبيذ. لم تشرب ينيفر على الإطلاق. كان جيرالت يريد أن يسكر، لكنه لم يستطع. بدلاً من ذلك، اكتشف أن بدلته كانت ضيقة تحت الإبطين.

بحركة ماهرة، قامت الساحرة بتوجيه جيرالت بذراعها، وسحبته بعيدًا عن الطاولة وأخذته إلى وسط القاعة، إلى قلب دائرة اهتمام العامة. كانت مقاومته بلا جدوى. أدرك ما كان يحدث. كان ببساطة عرضًا.

كان جيرالت يعرف ما يمكن توقعه، لذلك تحمل بنفاد صبر نظرات الساحرات المليئة بالفضول المزعج، وابتسامات السحرة الغامضة. رغم أن ينيفر كانت قد أكدت له أن الأدب والكياسة يمنعان استخدام السحر في هذا النوع من الفعاليات، إلا أنه لم يصدق أن السحرة قادرون على كبح أنفسهم، خصوصًا وأن ينيفر كانت تدفعه بقوة إلى دائرة الضوء. وكان محقًا في عدم تصديقه. شعر بأن قلادته تهتز عدة مرات، مع وخزات من التموجات السحرية. بعض السحرة، أو بالأحرى بعض الساحرات، حاولوا بشكل فاضح قراءة أفكاره. كان مستعدًا لذلك، وعرف ما كان يحدث، وعرف كيف يرد. نظر إلى ينيفر التي كانت تسير إلى جانبه، ينيفر ذات الشعر الأسود والأعين البنفسجية، والسحرة الذين حاولوا استكشافه أصبحوا مضطربين ومشوشين؛ وعندما واجهوا سعادته العارمة، كانوا يفقدون توازنهم بوضوح. نعم، أجاب في أفكاره، أنتم لا تخطئون. هناك فقط هي، ينيفر، إلى جانبي، هنا والآن، وهي فقط التي تهم. هنا والآن. وما كانت عليه منذ زمن بعيد، وأين كانت منذ زمن بعيد، ومن كانت مع من قبل لا يهم، لا يهم أبدًا. الآن هي معي، هنا، بينكم جميعًا. معي، وليست مع أحد آخر. هذا ما أفكر فيه الآن، أفكر فيها فقط، أفكر فيها بلا توقف، أشم عطرها وأشعر بحرارة جسدها. ويمكنكم جميعًا أن تختنقوا من حسدكم.

ضغطت الساحرة على ساعده بإحكام واقتربت منه مرة أخرى.

- "شكرًا لك." همست، موجهة إياه نحو الطاولات مرة أخرى. "لكن بدون هذا التباهي المبالغ فيه، إن لم تمانع."

- "هل أنتم السحرة دائمًا تعتبرون الإخلاص تباهيًا؟ هل هذا هو السبب في عدم إيمانكم بالإخلاص، حتى عندما تقرأونه في عقول الآخرين؟"

- "نعم. هذا هو السبب."

- "ولكنك لا تزالين تشكرينني؟"

- "لأنني أصدقك," قالت، وهي تضغط على ذراعه أكثر وتلتقط طبقًا. "أعطني بعض السلمون، يا جيرالت. وبعض السلطعون."

- "هذه السلطعونات من بوفيس. ربما تم اصطيادها منذ شهر؛ والجو حار جدًا الآن. ألن تكوني قلقة من ذلك...؟"

- "هذه السلطعونات," قاطعت، "كانت لا تزال تزحف على قاع البحر هذا الصباح. التليبورتيشن إختراع رائع."

- "بالتأكيد," وافق. "يجب أن يصبح متاحًا بشكل أوسع، أليس كذلك؟"

- "نحن نعمل على ذلك. هيا أعطني بعضها أنا جائعة."

- "أحبك، يا يني."

- "قلت لك أن تترك التباهي..." توقفت، وألقت رأسها إلى الوراء، وسحبت بعض خصلات شعرها السوداء عن وجنتها وفتحت عينيها البنفسجيتين على وسعهما. "جيرالت! هذه هي المرة الأولى التي تقول فيها ذلك!"

- "لا يمكن أن يكون. أنتِ تستهزئين بي."

- "لا، لا أستهزئ. كنتَ تفكر بذلك فقط، لكن اليوم قلتها."

- "هل هناك فرق كبير؟"

- "فرق كبير."

- "يا يني..."

- "لا تتكلم وفمك مليء. أنا أيضًا أحبك. ألم أخبرك بذلك من قبل؟ يا إلهي، ستختنق! ارفع يديك وسأضربك على ظهرك. خذ نفسًا عميقًا."

- "يا يني..."

- "استمر في التنفس، سيتحسن الأمر قريبًا."

- "يني!"

- "نعم. أنا أبادل الإخلاص بالإخلاص."

- "هل أنتِ بخير؟"

- "كنتُ في الانتظار," قالت، وهي تعصر الليمون على السلمون. "لم يكن من المناسب أن أرد على إعلان تم قوله كفكرة. كنت في انتظار الكلمات. الآن أستطيع الرد، لذلك رددت. أشعر أنني في قمة سعادتي."

- "ما الذي يحدث؟"

"سأخبرك لاحقًا. كل هذا السلمون لذيذ، أقسم بقوة، لذيذ للغاية."

- "هل لي أن أقبلك؟ الآن، هنا، أمام الجميع؟"

- "لا."

- "يني!" كانت ساحرة ذات شعر داكن تمر بجانبهم، فحررت ذراعها من مرفق رفيقها واقتربت. "هل نجحتِ؟ أوه، كم هو الوقتُ سريع يا إلهي! لم أركِ منذ زمن!"

- "سابينا!" قالت ينيفر، مُظهرة فرحًا حقيقيًا لدرجة أن أي شخص غير جيرالت كان سيصدق. "عزيزتي! كم هو رائع!"

احتضنت الساحرتان بحذر وقبلتا بعضهما قرب أذنيهما وحليهما الماسية والجزعية. كانت أقراط الساحرتين، التي تشبه عناقيد العنب الصغيرة، متطابقة؛ لكن رائحة العداء الشديد سادت في الجو على الفور.

- "جيرالت، إذا سمحت. هذه صديقة من أيام الدراسة، سابينا جليفيسيج من أرد كارايغ."

انحنى الجيرالت وقبّل اليد المرفوعة. لقد لاحظ بالفعل أن جميع الساحرات يتوقعن أن يتم تحيتهن بتقبيل اليد، وهي لفتة تمنحهن نفس مكانة الأميرات، لتكون بصراحة، لفتة تبجيلية. رفعت سابينا جليفيسيج رأسها، وكان أقراطها تتأرجح وتقرقر بلطف، ولكن بتفاخر ووقاحة في آن واحد.

"لقد كنت متشوقة للغاية للقاءك، جيرالت" قالت وهي تبتسم. مثل جميع الساحرات، لم تكن تعترف بـ "السادة" أو "فخامتكم" أو أي من الألقاب الأخرى التي يستخدمها النبلاء. "لا يمكنك أن تتخيل كم أنا مسرورة. أخيرًا توقفت عن إخفائه عنا، يا يني. بصراحة، أنا مندهشة أنك أجلت هذا الأمر كل هذا الوقت. ليس لديك أي شيء لتخجلي منه."

"أتفق معك" أجابت ينيفر بلا مبالاة، وهي تضيق عينيها قليلاً وتفعل حركة بانتقاد لتسريح شعرها من حول أقراطها. "بلوزة رائعة، سابينا. ببساطة مذهلة. أليست كذلك، جيرالت؟"

أومأ الجيرالت بابتسامة وابتلع ريقه.كانت بلوزة سابينا جليفيسيج - المصنوعة من الشيفون الأسود - تكشف عن كل شيء يمكن أن يُكشف، وكان هناك الكثير مما يمكن أن يُكشف. كانت تنورتها القرمزية، التي كانت مزينة بحزام فضي مزخرف بكبك زهري ضخم، مشقوقة على الجانب، بما يتماشى مع آخر صيحات الموضة. كانت الموضة تتطلب أن تكون الشق إلى نصف الفخذ، لكن سابينا ارتدتها مشقوقة إلى منتصف الورك. وورك جميل، لا شك.

"ما الجديد في كايدوين؟" سألت ينيفر، متظاهرة بعدم رؤية ما كان الجيرالت ينظر إليه. "هل لا يزال ملككم هنستل يضيع الطاقة والموارد في مطاردة السناجب عبر الغابات؟ ألا يزال يفكر في حملة عقابية ضد الجان من دول بلاث؟"

"لنترك السياسة جانبًا," ابتسمت سابينا. أنفها الطويل قليلًا وعيونها المفترسة جعلتها تشبه الصورة التقليدية للساحرة. "غدًا، في المجلس، سنقوم بالتحدث عن السياسة حتى تخرج من آذاننا. وسنسمع الكثير من الوعظ أيضًا. عن الحاجة للتعايش السلمي... عن الصداقة... عن ضرورة تبني موقف مخلص تجاه خطط ملوكنا وطموحاتهم... ماذا سنسمع أيضًا، ينيفر؟ ماذا يخبئ لنا المجلس وفيلجيفورتز؟"

"لنترك السياسة جانبًا."

ضحكت سابينا جليفيسيج ضحكة فضية، رد عليها رنين أقراطها الناعم.

"بالتأكيد. لننتظر حتى الغد. غدًا... كل شيء سيصبح واضحًا غدًا. أوه، السياسة، وتلك النقاشات التي لا تنتهي، كم لها من تأثير فظيع على البشرة. لحسن الحظ، لدي كريم ممتاز. صدقيني، حبوب الوجه تختفي مثل ضباب الصباح... هل أقدم لكِ الصيغة؟"

"شكرًا عزيزتي، لكنني لا أحتاج إليه. حقًا."

"أوه، أعلم. كنت دائمًا أغار من بشرتك في المدرسة. كم مر من الوقت الآن، يا إلهي؟"

تظاهرت ينيفر بأنها ترد على تحية من شخص كان يمر بجانبها، بينما ابتسمت سابينا لجيرالت وأظهرت بفرح كل ما لم يكن الشيفون الأسود يخفيه. ابتلع الجيرالت ريقه مرة أخرى، محاولًا ألا ينظر بشكل فاضح إلى حلماتها الوردية، التي كانت بارزة جدًا تحت المادة الشفافة. نظر بخجل إلى ينيفر. ابتسمت الساحرة، لكنه كان يعرفها جيدًا. كانت غاضبة بشكل واضح.

"أوه، اعذريني," قالت ينيفر فجأة. "أرى فيليبا هناك؛ يجب عليّ التحدث إليها. تعال معي، جيرالت. إلى اللقاء، سابينا."

"وداعًا، يينا" قالت سابينا جليفيسيج، وهي تنظر إلى الجيرالت في عينيه. "تهانينا مرة أخرى على ذوقك..."

"شكرًا لكِ" قالت ينيفر، بصوت بارد بشكل مريب. "شكرًا، عزيزتي."

كانت فيليبا إيلهارت بصحبة ديكسترا. كان جيرالت، تواصل مع الجاسوس الرداني لفترة وجيزة في الماضي، وكان من المفترض أن يشعر بالسعادة لأنه أخيرًا التقى بشخص يعرفه، شخصًا – مثله – لا ينتمي إلى الأخوية. ومع ذلك، لم يكن يشعر بالسعادة على الإطلاق.

"كم هو جميل أن أراكِ، يينا" قالت فيليبا، وهي تقبل ينيفر قبلة هوائية.

"تحياتنا، جيرالت. أنتما تعرفان الكونت ديكسترا، أليس كذلك؟"

"من لا يعرفه؟" قالت ينيفر، وهي تُخفض رأسها وتُقدم يدها لديكسترا. قبل الجاسوس يدها باحترام. "سعدت بلقائك مجددًا، سموك."

"يسعدني أن أراكِ مرة أخرى، ينيفر," رد رئيس جهاز الاستخبارات الملكي لفيزيماير. "خصوصًا في مثل هذه الصحبة الممتعة. جيرالت، تحياتي لك من أعماق قلبي..."

كان جيرالت يجاهد بمنع نفسه عن إخبار ديكسترا بأن تحيته كانت من قلب مؤخرته، صافح اليد الممدودة أو بالأحرى حاول أن يصافحها. كانت أبعاد يده تتجاوز المعايير، مما جعل المصافحة أمراً شبه مستحيل.

كان الجاسوس العملاق يرتدي بدلة بلون رملي فاتح ودافئ، مفتوح على غير العادة. كان يشعر بارتياح واضح في ملابسه.

"لاحظت" قالت فيليبا "أنك كنت تتحدث إلى سابينا."

"صحيح," تنهدت ينيفر. "هل رأيت ما كانت ترتديه؟ يجب أن يكون لديك إما ذوق سيء أو قلة حياء لت... إنها أكبر مني بسنوات على الأقل .. لا يهم. وكأنها لا تزال تمتلك شيئًا لعرضه! تلك البقرة المقيتة!"

"هل حاولت أن تستجوبك؟ الجميع يعرف أنها جاسوسة لصالح هنستل من كايدوين."

"أهذا صحيح؟" قالت ينيفر، متظاهرة بالدهشة، وهو ما اعتبره الجميع نكتة ممتازة.

"وأنت، سموك، هل تستمتعين باحتفالنا؟" سألت ينيفر، بعد أن توقفت فيليبا وديكسترا عن الضحك.

"بالتأكيد" قال الجاسوس، منحنيًا باحترام ملكي.

"إذا افترضنا" قالت فيليبا، مبتسمة, "أن الكونت هنا في مهمة، فمثل هذا التأكيد يعتبر مجاملة كبيرة. وكما هو الحال مع كل مجاملة مماثلة، فهي ليست صادقة للغاية. منذ لحظات، قد اعترف بأنه يفضل جوًا مليئًا بالدخان، ورائحة الفحم المحترق واللحم المشوي على الجمر. كما يفتقد إلى طاولة تقليدية مغطاة بالصوص والبيرة، التي يمكنه ضربها بكأس بيرة على إيقاع بعض الأغاني القذرة والمخمورة، والتي يمكنه الانزلاق تحتها في ساعات الصباح الباكر لينام وسط الكلاب التي تأكل العظام. وتخيلوا، يبقى أصم تجاه حججي التي تمدح تفوق طريقتنا في الولائم."

"حقًا؟" قال جيرالت، وهو ينظر إلى الجاسوس بنظرة أكثر تسامحًا. "وماذا كانت تلك الحجج، إذا سمحت لي أن أسأل؟"

هذه المرة تم اعتبار سؤاله نكتة ممتازة، لأن الساحرتين بدأتا الضحك في الوقت نفسه.

"أوه، أنتم أيها الرجال," قالت فيليبا. "أنتم لا تفهمون شيئًا. كيف يمكنكم أن تعرضوا فستانكم أو جسمكم إذا كنتم تختبئون خلف طاولة في الظلام والدخان؟"

لم يستطع جيرالت إيجاد الكلمات، فاقتصر على الانحناء. ضغطة ينيفر على ذراعه كانت لطيفة.

"أوه," قالت. "أرى تريس ميريجولد هناك. يجب عليّ تبادل بعض الكلمات معها... اعذرني على تركك. اهتم بنفسك، فيليبا. سنجد فرصة للدردشة اليوم، أليس كذلك، سموك؟"

"بالتأكيد," قال ديكسترا، مبتسمًا ومنحنيًا بعمق. "في خدمتكِ، ينيفر. رغبتكِ أمرٌ لي."

ذهبوا إلى تريس، التي كانت تتلألأ بدرجات الأزرق والأخضر الباهت.

عند رؤيتهم، قطعت تريس حديثها مع ساحرين، وابتسمت بإشراقة كبيرة قبل أن تعانق ينيفر؛ وتكرر الطقس المعتاد في تقبيل الهواء قرب أذني بعضهم البعض.

أخذ جيرالت اليد الممدودة، لكنه قرر أن يتصرف عكس قواعد الإتيكيت؛ فاحتضن الساحرة ذات الشعر الكستنائي وقبّل خدها الناعم، الذي كان ناعمًا كخوخة ناضجة. احمرّ وجه تريس قليلًا.

عرّف الساحران عن نفسيهما. كان أحدهما دريثيلم من بونت فانس، والآخر شقيقه ديتمولد، وكلاهما في خدمة الملك إيستيراد من كوفير. بدا أنهما قليلان الكلام، وسرعان ما انسحبا عند أول فرصة سنحت لهما.

"كنتِ تتحدثين مع فيليبا وديكسترا من تريتوغور،" لاحظت تريس وهي تلعب بقلب من اللازورد مثبت في الفضة والماس، يتدلى من عنقها. "أنتِ تعلمين من هو ديكسترا، أليس كذلك؟"

"نعم، نعرفه"، قالت ينيفر. "هل تحدث إليكِ؟ هل حاول أن يستخرج منكِ شيئًا؟"

"حاول"، قالت الساحرة وهي تبتسم ابتسامة تحمل معرفة مسبقة وتضحك برقة. "بأسلوب بارع للغاية. لكن فيليبا كانت تؤدي دورًا جيدًا في إرباكه. وكنت أعتقد أنهما على علاقة أفضل."

"إنهما على علاقة ممتازة"، حذرتها ينيفر بجديّة. "كوني حذرة، تريس. لا تتفوّهي بأي كلمة له عن .. عن من تعرفين."

"أعلم. سأكون حذرة. وعلى فكرة..." خفضت تريس صوتها. "كيف حالها؟ هل سأتمكن من رؤيتها؟"

"إذا قررتِ أخيرًا أن تديري الفصول الدراسية في أريتوزا"، ابتسمت ينيفر، "ستتمكنين من رؤيتها كثيرًا."

"آه"، قالت تريس وهي تفتح عينيها على مصراعيهما. "أفهم. هل سيري...؟"

"اصمتي، تريس. سنتحدث عن ذلك لاحقًا. غدًا. بعد المجلس."

"غدًا؟" قالت تريس وهي تبتسم ابتسامة غريبة. عبست ينيفر، ولكن قبل أن تسأل سؤالًا، اندلع اضطراب طفيف فجأة في القاعة.

"إنهم هنا"، قالت تريس وهي تسعل خفيفة. "لقد وصلوا أخيرًا."

"نعم"، أكدت ينيفر وهي تمزق نظرتها بعيدًا عن عيون صديقتها. "إنهم هنا. جيرالت، أخيرًا ستحظى بفرصة مقابلة أعضاء الفصيل والمجلس الأعلى. إذا سنحت الفرصة، سأقدمك لهم، لكن لن يضر أن تعرف من هو من قبل."

افترق السحرة المجتمعون، وهم ينحنون احترامًا للشخصيات التي كانت تدخل القاعة. كان الأول رجلًا في منتصف العمر لكنه حيويّ للغاية، يرتدي ملابس صوفية متواضعة جدًا. إلى جانبه كانت تسير امرأة طويلة ذات ملامح حادة وشعر داكن مصفف بسلاسة.

"ذلك هو جيرهارت من آبيل، المعروف أيضًا باسم هن جيدمدايث، أقدم ساحر حي"، أوضحت ينيفر بصوت خافت. "المرأة التي تسير بجانبه هي تيسايا دي فريس. ليست أصغر منه بكثير، لكنها لا تتردد في استخدام الإكسير لإخفاء ذلك."

خلفهما كانت تسير امرأة فاتنة ذات شعر ذهبي داكن طويل، ترتدي ثوبًا رماديًا مائلًا إلى الأخضر، مزينًا بالدانتيل، يصدر خشخشة ناعمة مع حركتها.

"فرانشيسكا فيندابير، وتُعرف أيضًا باسم إينيد آن غلينّا، زهرة الوديان. لا تحدق هكذا، ويتشر. يُعتقد على نطاق واسع أنها أجمل امرأة في العالم."

"هل هي عضو في المجلس؟" همس بدهشة. "تبدو شابة جدًا. هل هذا أيضًا بفضل الإكسير السحري؟"

"ليس في حالتها. فرانشيسكا جنية ذات دم نقي. انظر إلى الرجل الذي يرافقها. إنه فيلغافورتز من روغيفين، وهو شاب حقًا. لكنه موهوب بشكل مذهل."

في عالم السحرة، كما كان جيرالت يعلم، كان مصطلح "شاب" يشمل أي عمر يصل إلى مئة عام. فيلغافورتز بدا وكأنه في الخامسة والثلاثين. كان طويل القامة، ذا بنية قوية، يرتدي سترة قصيرة ذات طراز فرسان ولكن بلا شعار نبالة، بالطبع. كان وسيمًا بشكل شيطاني. وكان لهذا أثرٌ عميق، خاصةً بالنظر إلى أن فرانشيسكا فيندابير كانت تنساب بجانبه برشاقة، بعيونها الكبيرة الشبيهة بعيون الظباء وجمالها المذهل.

"ذلك الرجل القصير الذي يسير إلى جانب فيلغافورتز هو أرتاود تيرانوفا"، أوضحت تريس ميريجولد. "هؤلاء الخمسة يشكلون الفصل..."

"ومن تلك الفتاة ذات الوجه الغريب التي تمشي خلف فيلغافورتز؟"

"إنها مساعدته، ليديا فان بريديفورت"، قالت ينيفر ببرود. "شخصية لا معنى لها، لكن التحديق مباشرة في وجهها يعتبر خطأً فادحًا. انتبه إلى هؤلاء الرجال الثلاثة في المؤخرة؛ جميعهم أعضاء في المجلس: فيركارت من سيداريس، رادكليف من أوكسنفورت، وكاردوين من لان إكستر."

"هل هذا هو المجلس بكامله؟ بكل أعضائه؟ ظننت أنهم أكثر من ذلك."

"يتكون الفصل من خمسة أعضاء، وهناك خمسة آخرون في المجلس. فيليبا إيلهارت أيضًا عضو في المجلس."

"الأرقام لا تتطابق مع ذلك"، قال وهو يهز رأسه. ضحكت تريس.

"ألم تخبريه؟ ألا يعرف حقًا، جيرالت؟"

"يعرف ماذا بالضبط؟"

"أن ينيفر أيضًا عضو في المجلس. منذ معركة سودين. ألم تتباهي بذلك أمامه بعد، عزيزتي؟"

"لا، عزيزتي"، قالت الساحرة وهي تنظر مباشرة في عيني صديقتها. "أولًا، لا أحب التباهي. ثانيًا، لم يكن هناك وقت. لم ألتقِ بجيرالت منذ زمن طويل، وهناك الكثير لنعوضه. القائمة طويلة بالفعل، ونتقدم فيها نقطة بعد نقطة."

"أفهم"، قالت تريس بتردد. "همم... بعد كل هذا الوقت، لا شك أن لديكما الكثير لتتحدثا عنه..."

"الكلام"، ابتسمت ينيفر بغمزة ذات مغزى، وأرسلت إلى الويتشر نظرة نارية، "في قاع القائمة، في آخر نقطة منها، تريس."

كانت الساحرة ذات الشعر الكستنائي واضحة الاضطراب، محمرة الوجه قليلًا.

"أفهم"، قالت وهي تلعب بخجل بالقلب المصنوع من اللازورد المعلق في عقدها.

"أنا سعيدة لأنك تفهمين. جيرالت، أحضر لنا بعض النبيذ. لا، ليس من هذا الخادم. من ذلك هناك."

امتثل للأمر على الفور، مدركًا وجود نبرة من الإلزام في صوتها. بينما كان يأخذ الكؤوس من الصينية التي يحملها الخادم، راقب الساحرتين عن كثب، بقدر ما استطاع أن يفعل ذلك دون لفت الانتباه. كانت ينيفر تتحدث بسرعة وبصوت خفيض، بينما كانت تريس ميريجولد تستمع بانتباه، برأس منحنٍ قليلًا.

عندما عاد، كانت تريس قد اختفت. لم تبدُ ينيفر مهتمة بالنبيذ، لذا وضع الكأسين غير المرغوب فيهما على طاولة قريبة.

"هل أنت متأكدة أنكِ لم تذهبي بعيدًا؟" سأل ببرود. تألقت عينا ينيفر البنفسجيتان بوميض حاد.

"لا تحاول أن تجعلني أبدو غبية. هل تظن أنني لا أعرف بشأنك أنتَ وهي؟"

"إذا كنتِ تقصدين..."

"أنا أقصد ذلك بالضبط"، قاطعته بحدة. "لا تتصنع تلك النظرة الغبية، ولا تحاول تقديم أعذار. والأهم من ذلك كله، لا تحاول الكذب عليّ. أنا أعرف تريس منذ فترة أطول مما أعرفك. نحن نحترم بعضنا، ونفهم بعضنا بشكل رائع، وسنظل كذلك دائمًا، بغض النظر عن بعض... الحوادث الصغيرة. لقد بدا لي للتو أنها كانت مترددة بعض الشيء. فوضحت لها الأمر، وانتهى الموضوع، لا داعي لنقاشه أكثر من ذلك."

لم يكن ينوي ذلك. ينيفر أزاحت خصلاتها المجعدة عن وجنتها.

"سأتركك للحظة؛ يجب أن أتحدث مع تيسايا وفرانشيسكا. تناول بعض الطعام، لأن معدتك تصدر أصواتًا. وكن يقظًا. من المؤكد أن عدة أشخاص سيحاولون التحدث إليك. لا تدعهم يدوسون عليك ولا تشوّه سمعتي."

"يمكنكِ الاعتماد على ذلك."

"جيرالت؟"

"نعم."

"قبل قليل، أظهرت رغبتك في تقبيلي هنا، أمام الجميع. هل لا تزال متمسكًا بذلك؟"

"بالتأكيد."

"حاول فقط ألا تلطخ أحمر شفاهي."

ألقى نظرة خاطفة على الحضور. كانوا يراقبون القبلة، لكن دون تطفل مبالغ فيه. فيليبا إيلهارت، التي كانت تقف على مقربة منه مع مجموعة من السحرة الشباب، غمزت له متظاهرة بالتصفيق.

سحبت ينيفر شفتيها بعيدًا وأطلقت تنهيدة عميقة.

"أمر بسيط، لكنه ممتع"، همست بدلال. "حسنًا، سأذهب الآن. سأعود قريبًا. وبعد الوليمة... هممم..."

"عذرًا؟"

"رجاءً، لا تأكل شيئًا يحتوي على الثوم."

بعد أن غادرت، خالف الويتشر الأعراف، وفك أزرار سترته، وشرب كلا الكأسين من النبيذ، وحاول تناول وجبة مشبعة. لكنه لم ينجح في ذلك.

"جيرالت."

"صاحب السعادة."

"توقف عن الألقاب"، عبس ديكسترا. "لستُ كونتًا. فيزيمير أمرني بتقديم نفسي بهذه الطريقة حتى لا أسيء إلى النبلاء أو السحرة بأصولي الفلاحية. إذن، كيف تجري الأمور في استعراض ملابسك وقوامك؟ والتظاهر بالاستمتاع؟"

"لست بحاجة إلى التظاهر. لست هنا بصفة مهنية."

"هذا مثير للاهتمام"، ابتسم الجاسوس، "لكنه يؤكد الرأي العام عنك، بأنك مميز؛ حالة فريدة من نوعها. لأن الجميع هنا لسبب مهني."

"وهذا ما كنت أخشاه"، قال جيرالت، معتبرًا أنه من المناسب أن يبتسم بدوره. "كنت أعتقد أنني سأكون الوحيد من نوعي. بمعنى آخر، خارج المكان تمامًا."

تفحص الجاسوس الأطباق القريبة، ثم تناول قرنًا أخضر من خضار غير مألوف لجيرالت، وقضمه.

"بالمناسبة"، قال وهو يمضغ، "شكرًا لك على إخوة ميشليه. كثير من الناس في ريدانيا تنفسوا الصعداء عندما قطعت أوصال الأربعة في ميناء أوكسينفورت. لقد ضحكتُ بصوت عالٍ عندما خلص الطبيب الشرعي الذي تم استدعاؤه إلى أن الجروح بدت وكأن شخصًا ما استخدم شفرة منجل مثبتة عموديًا."

لم يُعلّق جيرالت. التهم ديكسترا قرنًا آخر.

"من المؤسف"، واصل حديثه، "أنه بعد أن أنهيتَ أمرهم، لم تذهب إلى العمدة. كان هناك مكافأة على رؤوسهم، أحياءً أو أمواتًا. مكافأة كبيرة."

"لدي مشاكل كثيرة بالفعل مع الإقرارات الضريبية"، قال الويتشر، وهو يقرر تذوق القرن الأخضر الذي تبين أن طعمه يشبه الكرفس الصابوني. "علاوة على ذلك، اضطررت للمغادرة بسرعة، لأن... لكن ربما أُصيبك بالملل، ديكسترا. فأنت تعرف كل شيء بالفعل."

"على العكس تمامًا"، ابتسم الجاسوس. "أنا لا أعرف كل شيء. ومن أين لي أن أعرف، في كل الأحوال؟"

"من تقارير، مثلًا، لا أعلم... فيليبا إيلهارت؟"

"تقارير، حكايات، شائعات. وظيفتي تتطلب مني الاستماع إليها، لكنها تلزمني أيضًا بتمحيص كل تفصيلة بمصفاة دقيقة للغاية. مؤخرًا، تخيل فقط، سمعتُ أن شخصًا ما قتل الأستاذ الشهير واثنين من رفاقه. حدث ذلك خارج حانة في أنكور. والشخص الذي فعلها كان أيضًا في عجلة من أمره لدرجة أنه لم يأخذ المكافأة."

هزَّ جيرالت كتفيه وقال بسخرية:

"شائعات. مررها عبر غربال ناعم، وسترى ما يتبقى."

"لست بحاجة لذلك. أعلم ما سيبقى. في معظم الأحيان، يكون الأمر مجرد محاولة متعمدة للتضليل. آه، وبما أننا نتحدث عن التضليل، كيف حال الصغيرة سيريللا؟ تلك الفتاة المسكينة الضعيفة، المعرضة دائمًا للدفتيريا؟ هل هي بصحة جيدة، آمل ذلك؟"

"كفى، ديكسترا"، ردَّ الويتشر ببرود، ناظرًا إلى الجاسوس مباشرةً في عينيه. "أعلم أنك هنا بصفة مهنية، لكن لا تبالغ في الحماسة."

قهقه الجاسوس بصوت خافت، فالتفتت نحوه ساحرتان مارّتان بدهشة واهتمام.

"الملك فيزيمير"، قال ديكسترا بعد أن انتهى من ضحكته، "يدفع لي مكافآت إضافية مقابل كل لغز أحله. حماستي تضمن لي عيشًا كريمًا. يمكنك أن تضحك، لكن لدي زوجة وأطفال."

"لا أرى في ذلك شيئًا مضحكًا. اعمل لدعم زوجتك وأطفالك، لكن ليس على حسابي، إن لم تمانع. يبدو لي أنه لا نقص في الألغاز في هذه القاعة."

"بالضبط. أريتوزا بأكملها لغز واحد عظيم. لا بد أنك لاحظت ذلك. هناك شيء في الأجواء، جيرالت. وللتوضيح، لا أعني الثريات."

"لست أفهم."

"أصدقك القول. لأنني لا أفهم أيضًا. وأود كثيرًا أن أفهم. وأنت؟ آه، أعتذر. لا بد أنك تعرف كل شيء أيضًا. من تقارير، لا أعلم، الساحرة الفاتنة ينيفر من فينغيربرغ. لكن تخيَّل، كانت هناك أوقات كنت ألتقط فيها شذرات من المعلومات من الفاتنة ينيفر أيضًا. آه، أين ثلوج العام الماضي؟"

"حقًا لا أفهم مقصدك، ديكسترا. هل يمكنك أن تعبّر عن أفكارك بوضوح أكبر؟ افعل ما بوسعك. بشرط ألا يكون ذلك لدوافع مهنية. اعذرني، لكن لا نية لي في كسبك مكافأة إضافية."

"أتظن أنني أحاول خداعك بطريقة غير نزيهة؟ أن أستدرج المعلومات منك بالمكر؟ أنت غير منصف، جيرالت. أنا مهتم فقط بمعرفة ما إذا كنت ترى نفس الأنماط الواضحة أمامي في هذه القاعة."

"وما الذي يبدو لك واضحًا جدًا؟"

"ألا يدهشك الغياب التام للرؤوس المتوجة وهو أمر واضح وضوح الشمس في هذا التجمع؟"

"لا يدهشني على الإطلاق"، قال جيرالت، أخيرًا تمكن من غرز حبة زيتون مخللة في عود أسنان. "أنا متأكد من أن الملوك يفضلون الولائم التقليدية، حيث يمكن للمرء أن يجلس على الطاولة، وينزلق تحتها بكرامة في الساعات الأولى. وعلاوة على ذلك..."

"علاوة على ماذا؟" سأل ديكسترا، واضعًا أربع زيتونات – التي استخرجها بوقاحة من الوعاء بأصابعه – في فمه.

"علاوة على ذلك"، قال الويتشر، وهو يراقب الحشد الصغير الذي يجوب القاعة، "لم يكلف الملوك أنفسهم عناء الحضور. بل أرسلوا جيشًا من الجواسيس بدلاً منهم. سواء من أعضاء الأخوية أو غيرهم. ربما لمعرفة ما الذي يحدث حقًا هنا."

بصق ديكسترا نوى الزيتون على الطاولة، ثم التقط شوكة طويلة من صينية فضية، وبدأ يقلب محتويات وعاء كريستالي عميق.

"وفيلغافورتز"، قال بينما يواصل التقليب، "حرص على ألا يغيب أي جاسوس ملكي. لديه كل جواسيس الملوك مجتمعين في وعاء واحد. لماذا قد يرغب فيلغافورتز في جمع جميع الجواسيس الملكيين في وعاء واحد، ويتشر؟"

"لا فكرة لدي. ولا يهمني الأمر كثيرًا. قلت لك إنني هنا كشخص عادي. أنا – كيف أقولها؟ – خارج الوعاء."

أخرج جاسوس الملك فيزيمير أخطبوطًا صغيرًا من الوعاء، وحدق فيه باشمئزاز.

"هل يأكل الناس هذه الأشياء؟" قال، وهو يهز رأسه بتعاطف زائف، ثم استدار نحو جيرالت.

"استمع إليَّ جيدًا، ويتشر"، قال ديكسترا بصوت هادئ. "قناعاتك حول الخصوصية، ويقينك بأن لا شيء يهمك، وأنه لا شيء يمكن أن يهمك، تثير قلقي وتدفعني إلى الرهان. هل تحب المقامرة؟"

"كن دقيقًا، رجاءً."

"أقترح رهانًا"، قال ديكسترا، رافعًا الشوكة التي غُرِزَ فيها الأخطبوط. "أراهن أنه خلال الساعة القادمة، سيطلب منك فيلغافورتز أن تنضم إليه في حديث طويل. وأراهن أنه خلال هذا الحديث، سيقنعك بأنك لست هنا بصفة شخصية، وأنك بالفعل في وعائه. وإن كنتُ مخطئًا، فسوف آكل هذا الشيء أمامك، بأذرعه ومجساته وكل شيء. هل تقبل الرهان؟"

"وماذا عليَّ أن آكله إن خسرت؟"

"لا شيء"، قال ديكسترا وهو ينظر حوله سريعًا. "لكن إن خسرت، ستخبرني بكل ما دار في حديثك مع فيلغافورتز."

ظل الويتشر صامتًا للحظة، ناظرًا إلى الجاسوس بهدوء.

"وداعًا، سموك"، قال أخيرًا. "شكرًا على الحديث. كان مفيدًا."

ظهر الضيق على ديكسترا.

"هل تقول ذلك حقًا؟"

"نعم، أقول ذلك"، قاطعه جيرالت. "وداعًا."

هز الجاسوس كتفيه بلا مبالاة، وألقى بالأخطبوط والشوكة في الوعاء، واستدار على عقبيه مبتعدًا.

لم يكلف جيرالت نفسه عناء متابعته وهو يرحل، بل تحرك ببطء نحو المائدة التالية، راغبًا في الاستيلاء على بعض الجمبري الوردي والأبيض الضخم، المكدس فوق صينية فضية بين أوراق الخس وقطع الليمون. كان لديه شهية لذلك، لكنه شعر أن عيونًا تراقبه، وكان يريد أن يأكل القشريات بكرامة، دون أن يفقد هيبته. اقترب ببطء مبالغ فيه، ملتقطًا بعض الأطعمة الأخرى بحذر واتزان.

على المائدة المجاورة، وقفت سابرينا غليفيسيج غارقة في حديث مع ساحرة ذات شعر ناري لم يعرفها جيرالت.

كانت ترتدي تنورة بيضاء وبلوزة من الشيفون الأبيض، مثل بلوزة سابرينا، لكنها احتوت على تطريزات وزخارف موضوعة استراتيجيًا. لاحظ جيرالت أن هذه الزخارف كانت شفافة أحيانًا، ثم تصبح معتمة في لحظات أخرى، مما أثار اهتمامه.

كانت الساحرتان تتحدثان بلغة القدماء، وهما تتناولان شرائح اللانجوست، ورغم أنهما لم تنظران إليه مباشرة، كان واضحًا أنهما تتحدثان عنه. ركز الويتشر سمعه الحساس بشكل غير ملحوظ، متظاهرًا بأنه منشغل تمامًا بتناول الجمبري.

"مع ينيفر؟" سألت ذات الشعر الناري، وهي تلعب بعقد من اللؤلؤ ملتف حول عنقها كطوق كلب. "هل أنتِ جادة، سابرينا؟"

"تمامًا"، أجابت سابرينا غليفيسيج. "لن تصدقي، لكنه مستمر منذ سنوات. وأنا مندهشة حقًا من قدرته على تحمل تلك الضفدعة المريعة."

"لمَ الدهشة؟ لقد ألقت عليه تعويذة. إنها تبقيه مسحورًا. أتظنين أنني لم أفعل ذلك من قبل؟"

"لكنَّه ويتشر! لا يمكن سحرهم. على الأقل، ليس لهذه الفترة الطويلة."

"إذن لا بد أن يكون الحب"، تنهدت ذات الشعر الناري. "والحب أعمى."

"بل هو الأعمى"، قالت سابرينا باستخفاف. "هل تصدقين أنها قدمتني له على أنني صديقة قديمة من المدرسة؟ اللعنة، إنها أكبر مني بـ... آه، لا يهم. أقول لك، إنها تغار عليه بجنون. كل ما فعلته ميريغولد هو أن ابتسمت له، فصاحت عليها العجوز وطردتها دون أي تردد. والآن... انظري. إنها واقفة هناك، تتحدث مع فرانسيسكا، لكنها لا ترفع عينيها عن ويتشرها."

"إنها تخشى"، ضحكت ذات الشعر الناري، "أن نستولي عليه، ولو لليلة واحدة. هل أنتِ مستعدة، سابرينا؟ هل نحاول؟ إنه شاب قوي، ليس مثل أولئك المتغطرسين الضعفاء الذين نعرفهم، المليئين بالعقد والادعاءات..."

"لا تتحدثي بصوت عالٍ، مارتي"، همست سابرينا. "لا تنظري إليه ولا تبتسمي. ينيفر تراقبنا أيضًا. وتحفظي قليلًا. أترغبين حقًا في إغوائه؟ سيكون ذلك قلة ذوق."

"هممم، أنتِ محقة"، وافقت مارتي بعد لحظة تفكير. "ولكن ماذا لو جاء هو بنفسه واقترحه علينا؟"

"في هذه الحالة"، قالت سابرينا غليفيسيج، ملقية نظرة عليه بعينين سوداويين تشعان بالمكر "لن أتردد لحظة واحدة، حتى لو كان فوق صخرة."

"أما أنا، فسأفعلها حتى لو كنتُ على ظهر قنفذ!" ضحكت مارتي.

ظل جيرالت محدقًا في مفرش المائدة، مخفيًا تعابيره الحمقاء خلف قطعة جمبري وورقة خس، ممتنًا جدًا لطفرة أوعيته الدموية التي منعت وجهه من الاحمرار.

"ويتشر جيرالت؟"

ابتلع الجمبري واستدار. كان الساحر الذي ابتسم له يبدو مألوفًا. لمس حواف ردائه الأرجواني المطرز بلطف.

"دورغاراي من فول"، قال، مبتسمًا قليلًا. "لكننا نعرف بعضنا. التقينا من قبل..."

"أتذكر. عذرًا، لم أتعرف عليك على الفور. سعيد برؤيتك..."

ابتسم الساحر بقدر أكبر، وأخذ كأسين من النبيذ من صينية كان يحملها أحد الصبية، وناول إحداهما لجيرالت.

"كنت أراقبك منذ فترة"، قال، وهو يقدم له الكأس. "لقد قلتَ للجميع الذين قدمتك إليهم ينيفر أنك تستمتع بوقتك. أهو من قبيل النفاق، أم مجرد غياب للنقد؟"

"مجاملة."

"لهم؟" قال دورغاراي، مشيرًا إلى الحاضرين بحركة واسعة. "صدقني، لا يستحقون العناء. إنهم مجموعة من المتعجرفين الحاسدين الكاذبين؛ لا يقدّرون مجاملتك. بل إنهم يعتبرونها سخرية. مع

هؤلاء، يا ويتشر، عليك أن تستخدم أساليبهم نفسها. كن متعجرفًا، متغطرسًا، فظًا، وعندها على الأقل ستثير إعجابهم. هل تشرب معي كأسًا من النبيذ؟"

"هذا الماء المخفف الذي يقدمونه هنا؟" ابتسم جيرالت بمكر. "بكل اشمئزاز. حسنًا، لكن إن كنت تستلذ به... فسأجبر نفسي."

ضحكت سابرينا ومارتي بصوت مسموع من طاولتهما، بعد أن استمعتا باهتمام. ألقى دورغاراي نظرة ازدراء عليهما، ثم التفت إلى جيرالت، نقر كأسه بكأس الويتشر وابتسم، وهذه المرة بصدق.

"نقطة لك"، اعترف بلا تردد. "أنت تتعلم بسرعة. من أين، بحق الشياطين، اكتسبت هذه اللباقة، يا ويتشر؟ من الطرقات التي تصر على التجوال فيها، تصطاد الأنواع المهددة بالانقراض؟ لصحتك. قد تضحك، لكنك واحد من القلائل في هذه القاعة الذين أشعر برغبة في رفع نخبهم."

"حقًا؟" قال جيرالت، مرتشفًا النبيذ برقة، متذوقًا نكهته. "رغم أنني أكسب عيشي من ذبح الكائنات المهددة بالانقراض؟"

"لا تحاول الإيقاع بي"، قال الساحر، ضاربًا على ظهره. "الحفل بالكاد بدأ. سيعترضك آخرون بالتأكيد، لذا وفر ردودك اللاذعة لما هو قادم. لكن فيما يخص مهنتك... على الأقل، لديك من الكرامة ما يجعلك لا تتزين بالجوائز. ولكن ألقِ نظرة جيدة حولك. هيا، انسَ قواعد اللياقة للحظة؛ فهم يحبون أن يحدق الناس بهم."

نظر الويتشر بطاعة إلى صدر سابرينا غليفيسيج.

"انظر"، قال دورغاراي، ممسكًا بذراعه، مشيرًا إلى ساحرة مرت بجانبهم، يتطاير التول من فستانها. "حذاء مصنوع من جلد الحرذون القرني. هل لاحظت؟"

أومأ جيرالت برأسه ببراءة، فقد كان انتباهه مشدودًا لما لم يكن التول الشفاف يخفيه.

"آه، إن شئت، الكوبرا الصخرية"، تابع الساحر، محددًا زوجًا آخر من الأحذية التي كانت تتبختر عبر القاعة. كان اتجاه الموضة الذي جعل طول الفساتين يصل إلى شبر فوق الكاحل قد سهّل عليه المهمة. "وهناك... الإغوانا البيضاء. السمندل. الويفرن. القاطور عريض النظارة. البازيليسق... كل هذه الزواحف مهددة بالانقراض. ألا يستطيع الناس، بحق الجحيم، ارتداء أحذية من جلد العجل أو الخنزير؟"

"ما زلت تثرثر عن الجلود، كما هو معتاد، دورغاراي؟" قاطعتهم فيليبا إيلهارت، متوقفة بجانبهم. "وتصنيع الجلود ودباغتها؟ يا لها من مواضيع مبتذلة، خالية من الذوق."

"بالفعل، كنت غاضبًا." قال جيرالت بصوت منخفض، وهو يرمقها بنظرة باردة. "ليس فقط لأنك لم تخبريني بمن يعمل لصالحه، بل لأنك جعلتني أبدو كالأحمق."

"لم تكن أحمق،" ردّت فيليبا، وابتسامة ماكرة تلعب على شفتيها. "لقد كنت... حسنًا، ساذجًا بعض الشيء. ولكنك تعلم أن الأمور لم تكن بتلك البساطة."

"الأمور نادرًا ما تكون بسيطة معكم، أنتم السحرة،" تمتم جيرالت، وألقى نظرة خاطفة على الحشد الذي يزداد ازدحامًا حولهم.

"أنت تعلم، يا جيرالت، أن السذاجة ليست من صفاتك. لكنك تصر على الحياد، رغم أنك في قلب العاصفة."

"أنا لا أصر على شيء،" قال وهو يشيح بوجهه بعيدًا، ناظرًا إلى كؤوس النبيذ المتلألئة تحت ضوء الشموع. "أنا فقط أحاول أن أبقى بعيدًا عن المؤامرات قدر الإمكان."

"لكن هذا مستحيل،" همست فيليبا، متكئة على الطاولة، تقرّب وجهها أكثر إلى وجهه. "أنت هنا، أليس كذلك؟ لقد أتيت بنفسك إلى هذا المكان، بين كل هؤلاء السحرة، بين هؤلاء المتآمرين والجواسيس. أنت لست محايدًا، جيرالت. لم تكن كذلك أبدًا."

صمت الويتشر للحظة، محدقًا في عينيها النافذتين. كانت كلماتها تحمل وزنًا، لكنها لم تكن جديدة عليه.

"أتعلمين، فيليبا؟" قال أخيرًا، بنبرة ساخرة. "أنتِ تتحدثين كما لو كنتِ قدري المحتوم."

"ربما لأنني كذلك،" أجابت، رافعة حاجبها بخبث. "أو ربما لأنك تعرف الحقيقة، لكنك ترفض الاعتراف بها."

"الحقيقة؟" ضحك بمرارة. "أي حقيقة؟ أنتم السحرة تجيدون التلاعب بالحقيقة، بثنيها حتى تتناسب مع خططكم؟ الحقيقة بالنسبة لكم ليست سوى أداة، شأنها شأن التعويذات والأسرار التي تحرسونها بشدة."

"ورغم ذلك،" قالت بابتسامة ناعمة، "أنت هنا تتحدث معي، بدلًا من أن تدير ظهرك وترحل."

لم يجبها جيرالت على الفور. بدلًا من ذلك، التقط كأسًا ممتلئًا بالنبيذ، رفعه قليلاً كما لو كان يزن قراره، ثم شرب جرعة طويلة.

"فلنرى ما سيحمله الغد،" قال أخيرًا، صوته يحمل تعبًا خفيفًا. "لكن لا تتوقعي مني أن أكون قطعة أخرى في لعبة الشطرنج الخاصة بكم."

"لعبة؟" همست فيليبا، وعيناها تتلألآن بسخرية. "أوه، جيرالت، عزيزي الويتشر... أنت في هذه اللعبة منذ زمن طويل، سواء أدركت ذلك أم لا."

"ياله من تعبير عن اللطف".

"إذن، حان الوقت لتبرئتي. سأعطيك رينس غدًا. لا تقاطعني ولا تصنع وجوهًا. هذا ليس رهانًا على طريقة ديكسترا، بل وعد. وأنا أفي بوعودي. لا، لا أسئلة من فضلك. انتظر حتى الغد. الآن، فلنركز على الكافيار والثرثرة التافهة."

"لا يوجد كافيار."

"لحظة واحدة."

ألقت نظرة سريعة حولها، لوّحت بيدها وتمتمت بتعويذة. امتلأ الطبق الفضي المصمم على شكل سمكة تقفز فورًا ببيض سمك الحفش المخطط المهدد بالانقراض. ابتسم الويتشر.

"هل يمكن للمرء أن يشبع من وهم؟"

"لا. ولكن يمكن للذوق المتأنق أن يستمتع بالإثارة. جرّب."

"همم... في الواقع... أود أن أقول إنه ألذ من الحقيقي..."

"ولا يسبب السمنة إطلاقًا،" قالت الساحرة بفخر، وهي تعصر عصير الليمون فوق ملعقة مكدسة بالكافيار. "هل لي بكأس أخرى من النبيذ الأبيض؟"

"تحت أمرك. فيليبا؟"

"نعم؟"

"قيل لي إن الآداب هنا تمنع استخدام التعاويذ. ألن يكون أكثر أمانًا لو قمتِ باستحضار وهم مذاق الكافيار فقط، دون الكافيار نفسه؟ مجرد الإحساس به؟ بالتأكيد يمكنكِ..."

"بالطبع أستطيع،" قالت فيليبا إيلهارت، وهي تنظر إليه عبر كأسها البلوري. "إن بناء مثل هذا التعويذة سهل للغاية. ولكن لو شعرت بمجرد الإحساس بالطعم، فستفقد المتعة التي توفرها التجربة ذاتها. العملية، الحركات الطقسية المصاحبة، الإيماءات، المحادثة، والتواصل البصري الذي يرافقها... سأمتعك بمقارنة بارعة. هل تود ذلك؟"

"تفضلي، أنا متشوق لسماعها."

"يمكنني أيضاً استحضار إحساس النشوة الجنسية."

قبل أن يستعيد الويتشر القدرة على النطق، اقتربت منه ساحرة قصيرة القامة، نحيلة، ذات شعر بلون القش، طويل ومستقيم. تعرف عليها على الفور – كانت هي ذاتها صاحبة الأحذية المصنوعة من جلد السحلية أجاما المقرنة، والبلوزة الخضراء المصنوعة من التول، التي لم تكن تغطي حتى تفصيلة صغيرة مثل الشامة الصغيرة فوق صدرها الأيسر.

"عذرًا،" قالت، "لكن عليّ أن أقاطع جلسة المغازلة الصغيرة هذه، فيليبا. رادكليف وديتمولد يرغبان في التحدث إليك للحظة. إنه أمر عاجل."

"حسنًا، إن كان الأمر كذلك، فأنا قادمة. وداعًا، جيرالت. سنواصل مغازلتنا لاحقًا!"

"آه،" قالت الشقراء، وهي تتفحصه بنظرة فاحصة. "جيرالت. الويتشر، الرجل الذي فقدت ينيفر عقلها لأجله؟ كنت أراقبك وأتساءل من تكون. لقد كان ذلك يعذبني بشدة."

"أنا أعرف هذا النوع من العذاب،" رد بابتسامة مهذبة. "وأعيشه في هذه اللحظة."

"اعذرني على الزلة. أنا كيرا ميتز. آه، كافيار!"

"احذري. إنه مجرد وهم."

"اللعنة، أنت محق!" قالت الساحرة، وهي تسقط الملعقة كما لو كانت تمسك بذيل عقرب أسود. "من الذي تجرأ... أنت؟ هل تستطيع إنشاء أوهام من المستوى الرابع؟

"أنا،" كذب، مبتسمًا بثبات، "سيد في السحر. أتظاهر بأنني ويتشر للبقاء متخفيًا. هل تظنين أن ينيفر ستزعج نفسها برجل ويتشر عادي؟"

نظرت إليه كايرا ميتز مباشرة في عينيه وقطبت حاجبيها. كانت ترتدي ميدالية على شكل صليب الأنخ، فضيًّا مرصعًا بالزركون.

"قطرة نبيذ؟" اقترح، محاولًا كسر الصمت المحرج. كان يخشى ألا تكون مزحته قد لاقت استحسانًا.

"لا، شكرًا... أيها السيد الزميل،" قالت كايرا ببرود. "لا أشرب. لا يمكنني ذلك.فأنا أخطط للحمل الليلة."

"مِمَّن؟" سألت صديقة سابرينا غليفيسيج الزائفة الشعر الأحمر، التي كانت ترتدي قميصًا شفافًا من الشيفون الأبيض مزينًا بتفاصيل موضوعة بذكاء، وهي تقترب منهما. "مِمَّن؟" كررت، مرفرفة برموشها الطويلة ببراءة مصطنعة.

استدارت كايرا وألقت عليها نظرة تفحصية من رأسها حتى قدميها، من حذائها المصنوع من جلد الإغوانا البيضاء إلى تاجها المرصع باللؤلؤ.

"وما شأنك أنتِ؟"

"ليس شأني، مجرد فضول مهني. ألن تعرفيني على رفيقك، جيرالت الشهير من ريفيا؟"

"بكل تردد،" قالت كايرا بجفاف. "لكنني أعلم أنني لن أستطيع التخلص منكِ. جيرالت، هذه هي مارتي سوديرغرين، المغوية. تخصصها هو المنشطات العاطفية."

"هل علينا أن نتحدث في أمور العمل؟ آه، هل تركتم لي بعض الكافيار؟ كم أنتم لطفاء."

"احذري،" صاح كلٌّ من كيرا والويتشر معًا. "إنه مجرد وهم."

"هكذا إذن!" قالت مارتي سوديرغرين، وهي تميل للأمام وتتجعد أنفها، قبل أن تلتقط كأسًا وتنظر إلى آثار أحمر الشفاه القرمزي عليه. "آه، فيليبا إيلهارت. كان عليّ أن أعرف. من غيرها يمكن أن يجرؤ على شيء بهذه الجرأة؟ تلك الأفعى البغيضة. هل تعلمان أنها تتجسس لصالح فيزيمير من ريدانيا؟"

"وأنها مهووسة بالرجال؟" غامر الويتشر بالسؤال. فضحكت مارتي وكيرا بصوت واحد.

"هل كان هذا ما كنت تأمل فيه وأنت تغازلها وتتودد إليها؟" سألت مارتي بابتسامة خبيثة. "إذا كان الأمر كذلك، فعليك أن تعلم أن أحدهم قد خدعك خدعة قاسية. فقد فقدت فيليبا شهيتها للرجال منذ وقت طويل."

"لكن ربما أنت في الحقيقة امرأة؟" سألت كيرا ميتز، وهي تبرز شفتيها المبللتين بلون ناعم. "ربما كنت تتظاهر فقط بأنك رجل، يا زميلي في فنون السحر؟ لتبقى متخفيًا؟ هل تعلمين، مارتي، لقد اعترف لي منذ لحظات أنه يحب التظاهر."

"يحب ذلك ويجيده أيضًا،" ابتسمت مارتي بخبث. "أليس كذلك، جيرالت؟ منذ فترة رأيتك تتظاهر بأنك لا تسمع جيدًا ولا تفهم لغة القدماء."

"لديه عيوب لا نهاية لها،" قالت ينيفر ببرود، وهي تقترب منه وتتشبث بذراعه بسلطة واضحة. "ليس لديه سوى العيوب عمليًا. أنتما تضيعان وقتكما، سيداتي."

"يبدو كذلك،" وافقت مارتي سوديرغرين، ولا تزال تبتسم بخبث. "أتمنى لكما أمسية ممتعة إذن. هيا بنا، كيرا، لنأخذ كأسًا من شيء... خالٍ من الكحول. ربما أقرر أن أجرب حظي أنا أيضًا هذه الليلة."

"أوف،" تمتم الويتشر بعدما رحلتا. "في الوقت المناسب تمامًا، يني. شكرًا لك."

"تشكرني؟ ليس بصدق، على ما أظن. هناك بالضبط إحدى عشرة امرأة في هذه القاعة يلمعن صدورهن من خلال بلوزات شفافة. أتركك لنصف ساعة فقط، وأجدك تتحدث مع اثنتين منهن..."

توقفت ينيفر ونظرت إلى الطبق المصمم على شكل سمكة.

"... وتأكل الأوهام،" أنهت جملتها. "أوه، جيرالت، جيرالت. تعال معي. سأعرفك على بعض الأشخاص الذين يستحقون المعرفة."

"هل أحدهم سيكون فيلغافورتز؟"

"مثير للاهتمام،" قالت الساحرة وهي تضيق عينيها. "أن تسأل عنه بالذات. نعم، فيلغافورتز يرغب في مقابلتك والتحدث إليك. أحذرك، قد تبدو المحادثة عادية وسطحية، لكن لا تدع ذلك يخدعك. فيلغافورتز خبير، ذكي بشكل استثنائي، وماكر قديم. لا أعرف ما الذي يريده منك، لكن كن يقظًا."

"سأكون كذلك،" تنهد جيرالت. "لكنني لا أستطيع أن أتخيل أن ثعلبك الماكر العجوز قادر على مفاجأتي. ليس بعد كل ما مررت به هنا. لقد هاجمني الجواسيس، وطاردتني زواحف مهددة بالانقراض

وقاقمات. قُدم لي كافيار لم يكن موجودًا. واستجوبتني مهووسات بالجنس - لا يهتممن بالرجال - عن رجولتي. كما قد هُددت بالاغتصاب على ظهر قنفذ، وخُوفت بإمكانية الحمل، وحتى بشعور النشوة الجنسية، لكن دون أي من الحركات الطقسية. أوه..."

"هل كنت تشرب؟"

"قليلًا من نبيذ سيداريس الأبيض. لكن من المحتمل أنه كان يحتوي على منشط جنسي... ين؟ هل سنعود إلى لوكسيا بعد محادثة فيلغافورتز؟"

"لا، لن نعود."

"أستميحك عذرًا؟"

"أريد أن أقضي الليلة في أريتوزا. معك منشط جنسي، تقول؟ في النبيذ؟ كم هو مثير للاهتمام..."

* * *

"يا للسماوات، يا للسماوات،" تنهدت ينيفر وهي تتمدد، ثم رفعت ساقها فوق ساق الويتشر. "يا للسماوات، يا للسماوات. لم أمارس الحب منذ زمن طويل... منذ زمن طويل جدًا."

فك جيرالت أصابعه من بين تجعيداتها دون أن يرد. أولًا، كان يخشى أن يكون في كلماتها شرك؛ فقد يكون هناك طُعم خفي وراءها. ثانيًا، لم يكن يريد أن يمحو بالكلمات طعم نشوتها، الذي لا يزال عالقًا بشفتيه.

"لم أمارس الحب مع رجل أعلن لي حبه وأعلنت له حبي منذ فترة طويلة جدًا،" همست بعد لحظات، عندما أدركت أن الويتشر لم يلتقط الطُعم. "لقد نسيت كم يمكن أن يكون رائعًا. يا للسماوات، يا للسماوات."

تمدّدت أكثر، مدّت ذراعيها وقبضت على زوايا الوسادة بكلتا يديها، حتى اكتسبت منحنيات صدرها، الذي غمره ضوء القمر، شكلاً جعل قشعريرة ترتعش أسفل ظهر جيرالت. عانقها، واستلقيا معًا بلا حراك، وقد خمدت نيران شغفهما.

في الخارج، غردت صراصير الليل، ومن بعيد، ترددت أصوات هادئة وضحكات خافتة، شهادة على أن الوليمة لم تنتهِ بعد، رغم تأخر الوقت.

"جيرالت؟"

"نعم، يِن؟"

"أخبرني."

"عن حديثي مع فيلغافورتز؟ الآن؟ سأخبركِ في الصباح."

"الآن، لو سمحت."

نظر إلى مكتب الكتابة في زاوية الغرفة. عليه، تراصت كتب وأشياء متنوعة لم تتمكن المتدربة، التي أُعيد إسكانها مؤقتًا لإفساح المجال لِينيفر في لوكسيا، من أخذها معها. كان هناك أيضًا دمية قماشية ممتلئة ترتدي فستانًا مزخرفًا، موضوعة بعناية مستندة إلى الكتب، متجعدة من كثرة الاحتضان.

لم تأخذ دميتها، فكر، لتجنب تعرّضها لسخرية صديقاتها في مهجع لوكسيا. لم تأخذ دميتها معها. وربما لن تتمكن من النوم بدونها الليلة.

حدقت إليه الدمية بعينيها الزرّيتين. فأشاح بنظره بعيدًا.

* * *

عندما قدمته ينيفر إلى المجلس، راقب النخبة السحرية بعناية. هين غيديمديث ألقى عليه نظرة متعبة؛ كان واضحًا أن الوليمة قد أنهكت الرجل العجوز بالفعل. أرتود تيرانوفا انحنى بابتسامة غامضة، متنقلًا بنظره بينه وبين ينيفر، لكنه أصبح جادًا فور أن أدرك أن الآخرين يراقبونه. كانت عينا فرانسيسكا فينداباير الزرقاوان، بعذوبة إلفية، غامضتين وصلبتين كزجاج. زهرة الوديان ابتسمت عند تقديمه إليها، وملأت تلك الابتسامة — على الرغم من جمالها الأخاذ — قلبه بالخوف.

خلال التحيات، كانت تيسايا دو فريس، رغم أنها بدت منشغلة بكمّي ثوبها ومجوهراتها التي بدت وكأنها تتطلب ترتيبًا لا نهائيًا، تبتسم له بابتسامة أقل روعة ولكن بصدق أكبر. وكانت هي من بدأ الحديث معه على الفور، مشيرة إلى واحدة من مغامراته النبيلة، التي لم يستطع تذكرها ويشتبه في أنها مجرد اختلاق منها.

ثم انضم فيلغافورتز إلى المحادثة. فيلغافورتز من روغيفين، الساحر ذو البنية القوية، ذو الملامح النبيلة الجميلة، وصاحب الصوت الصادق والواضح. جيرالت كان يعلم أن الأشخاص الذين يبدون كذلك يمكن أن يتوقع منهم أي شيء.

تحدثا باختصار، بينما كانا يشعران بعيون قلقة تراقبهما. ينيفر كانت تنظر إلى الويتشر، وساحرة شابة ذات عينين وديعتين، تحاول باستمرار إخفاء النصف السفلي من وجهها خلف مروحة، كانت تحدق إلى فيلغافورتز.

تبادلا بعض المجاملات التقليدية، ثم اقترح فيلغافورتز أن يواصلا حديثهما على انفراد. بدا لجيرالت أن الشخص الوحيد الذي فوجئ بهذا الاقتراح كان تيسايا دو فريس.

"هل غلبك النعاس، جيرالت؟" تمتمت ينيفر، وهي تهزه لتخرجه من شروده. "من المفترض أنك تخبرني عن محادثتك."

حدقت إليه الدمية من على مكتب الكتابة بعينيها الزرّيتين. أشاح بنظره بعيدًا مرة أخرى.

"بمجرد أن دخلنا إلى الرواق،" بدأ بعد لحظة، "تلك الفتاة ذات الوجه الغريب..."

"ليديا فان بريديفورت. مساعدة فيلغافورتز."

"نعم، هذا صحيح، كما قلتِ. مجرد شخص بلا أهمية. حسنًا، عندما دخلنا إلى الرواق، توقفت تلك 'الشخصية غير المهمة'، نظرت إليه وسألته شيئًا. تواصلت معه ذهنيًا."

"لم يكن ذلك تطفّلًا. ليديا لا تستطيع استخدام صوتها."

"لقد خمنت ذلك. لأن فيلغافورتز لم يردّ عليها ذهنيًا، بل قال بصوت مسموع..."

"نعم، ليديا، إنها فكرة جيدة،" أجاب فيلغافورتز. "لنتجول في معرض المجد. ستتاح لك الفرصة لإلقاء نظرة على تاريخ السحر، جيرالت من ريفيا. لا شك أنك على دراية به، لكن الآن ستتمكن من التعرف على تاريخه البصري أيضًا. إذا كنت من عشاق الرسم، أرجو ألا تشعر بالاشمئزاز. معظم هذه اللوحات من إبداع طلاب أريتوزا المتحمسين. ليديا، تكرمي وأضيئي المكان قليلًا."

مرت يد ليديا فان بريديفورت في الهواء، فانتشرت الإضاءة في الرواق على الفور.

كانت اللوحة الأولى تُظهر سفينة قديمة تتقاذفها الدوامات بين الشعاب المرجانية التي تبرز من الأمواج المتلاطمة. على مقدمة السفينة، وقف رجل برداء أبيض، تحيط رأسه هالة من النور الساطع.

"الهبوط الأول،" خمّن الويتشر.

"بالفعل،" أكد فيلغافورتز. "سفينة المنبوذين. يان بيكير يطوّع القوة لإرادته. إنه يهدئ الأمواج، مما يثبت أن السحر لا يجب أن يكون شريرًا أو مدمرًا، بل يمكن أن ينقذ الأرواح."

"هل حدث هذا الأمر حقًا؟"

"أشك في ذلك،" ابتسم الساحر. "الأرجح أنه خلال الرحلة الأولى والهبوط، كان بيكير والآخرون يتقيؤون على جانب السفينة من شدة الدوار. وبعد الهبوط، الذي تم بنجاح غريب، تمكن من التغلب على القوة. لنواصل. هنا نرى يان بيكير مرة أخرى، وهو يُخرج الماء من الصخور، في ذات المكان الذي تأسست فيه المستوطنة الأولى. وهنا، إذا سمحت، بيكير - محاطًا بالمستوطنين - يطرد الغيوم ويوقف العاصفة لحماية المحصول."

"وهنا؟ ما الحدث الذي تصوره هذه اللوحة؟"

"تحديد المختارين. بيكير وجيامباتيستا يخضعان أطفال المستوطنين لاختبار سحري عند وصولهم، لاكتشاف المصادر. الأطفال الذين تم اختيارهم أُخذوا من والديهم ونُقلوا إلى ميرث، أول مقر للسحرة. الآن، أنت تنظر إلى لحظة تاريخية. كما ترى، جميع الأطفال مذعورون، باستثناء تلك الفتاة ذات الشعر البني الحازمة، التي تمد يدها إلى جيامباتيستا بابتسامة ثقة تامة. لقد أصبحت الشهيرة أغنيس من غلانفيل، أول امرأة تصبح ساحرة. المرأة التي تقف خلفها هي والدتها. يمكنك أن ترى الحزن في تعابير وجهها."

"وهذا المشهد الجماعي؟"

"اتحاد نوفيغراد. بيكير، وجيامباتيستا، ومونك يعقدون ميثاقًا مع الحكام والكهنة والدرويد. ميثاق عدم اعتداء يُقنّن الفصل بين السحر والدولة. كيتش مروع. لنواصل. هنا نرى جيفري مونك وهو يبحر صعودًا على نهر بونتار، الذي كان يُسمى آنذاك آفون ي بونت آر غوينيلين، أي نهر الجسور المرمرية. مونك أبحر إلى لوك موين ليقنع الجان هناك بقبول مجموعة من الأطفال ذوي المصدر، ليتم تعليمهم على يد سحرة الجان. قد يثير اهتمامك أن أحد هؤلاء الأطفال كان صبيًا صغيرًا، أصبح يُعرف فيما بعد باسم غيرهارت من أيل. لقد قابلته قبل لحظات. ذلك الصبي الصغير يُعرف اليوم باسم هين غيديمديث."

"هذا،" قال الويتشر وهو ينظر إلى الساحر، "يستدعي مشهد معركة بلا شك. بعد كل شيء، بعد عدة سنوات من رحلة مونك الناجحة، قامت قوات المارشال راوبنيك من تريتوغور بمجزرة في لوك موين وإيست هاملت، وقتلت جميع الجان، بغض النظر عن العمر أو الجنس. واندلعت حرب انتهت بالمجزرة في شايراويد."

"ومعرفتك الرائعة بالتاريخ،" ابتسم فيلغافورتز مرة أخرى، "ستذكّرك، مع ذلك، بأن أي ساحر يُعتد به لم يشارك في تلك الحروب. ولهذا السبب لم يلهم الموضوع أيًا من المتدربين لرسم عمل يخلّده. لنواصل."

"حسنًا جدًا. ما الحدث الذي تصوره هذه اللوحة؟ آه، أعرف. إنه رافارد الأبيض وهو يوفّق بين الملوك المتنازعين ويضع حدًا لحرب السنوات الست. وهنا لدينا رافارد وهو يرفض قبول التاج. لفتة جميلة ونبيلة."

"أتعتقد ذلك؟" قال فيلغافورتز وهو يميل رأسه قليلاً. "حسنًا، في كل الأحوال، كانت لفتة تستند إلى سابقة تاريخية. مع ذلك، قبل رافارد منصب المستشار الأول، وأصبح الحاكم الفعلي، لأن الملك كان أبله."

"معرض المجد..." تمتم الويتشر، متقدمًا نحو اللوحة التالية. "وماذا لدينا هنا؟"

"اللحظة التاريخية لتنصيب أول مجلس وسن القانون. من اليسار، ترى الجالسين: هيربرت ستاملفورد، أورورا هينسون، إيفو ريخرت، أغنيس من غلانفيل، جيفري مونك، ورادمير من تور كارنيد. هذا، إن كنت صادقًا، يستدعي أيضًا مشهد معركة ليكتمل. لأنه بعد ذلك بوقت قصير، تم القضاء على أولئك الذين رفضوا الاعتراف بالمجلس والخضوع للقانون في حرب وحشية. من بين الذين سقطوا، كان رافارد الأبيض. لكن المراجع التاريخية صمتت عن ذلك، حتى لا تفسد أسطورةً جميلة."

"وهنا... هممم... نعم، من المؤكد أن مبتدئًا هو من رسم هذه اللوحة. وواحدٌ صغير السن جدًا، فوق ذلك..."

"لا شك في ذلك. فهي لوحة رمزية، بعد كل شيء. يمكنني تسميتها رمزية الأنوثة المنتصرة. الهواء، الماء، الأرض، والنار. وأربع ساحرات شهيرات، جميعهنّ أتقنّ قوى هذه العناصر. أغنيس من غلانفيل، أورورا هينسون، نينا فيورافانتي، وكلارا لاريسا دي وينتر. انظر إلى اللوحة التالية والتي هي أكثر تأثيرًا. هنا ترى أيضًا كلارا لاريسا وهي تفتتح الأكاديمية للفتيات، في هذا المبنى الذي نقف فيه الآن. وهذه صور للخريجات البارزات من أريتوزا. هذه اللوحات تحكي تاريخًا طويلًا من انتصار الأنوثة وتزايد تأنّث المهنة: يانا من مريفيل، نورا فاغنر، شقيقتها أوغوستا، جادا غليفيسيج، ليتيسيا شاربونو، إيلونا لوكس-أنتيل، كارلا ديميتيا كريست، يولينتا سواريز، أبريل وينهافر... والوحيدة التي لا تزال على قيد الحياة: تيسايا دي فريس..."

واصلا التقدم. كان حرير فستان ليديا فان بريديفورت يهمس بصوت خافت، والهمس كان يخفي سرًا مقلقًا.

"وهذه؟" توقف جيرالت. "ما هذا المشهد المروع؟"

"استشهاد الساحر رادمير، الذي سُلخ جلده حيًا أثناء تمرد فالكا. وفي الخلفية، تحترق بلدة ميرث، التي أمرت فالكا بإحراقها حتى الرماد."

"وهو الفعل الذي جلب عليها المصير ذاته، إذ التهمتها النيران قريبًا... فوق المحرقة."

"هذا أمر معروف على نطاق واسع؛ أطفال تيميريا وردانيا لا يزالون يلعبون لعبة حرق فالكا عشية سافوين."

"لنعد إلى الوراء، كي تتمكن من رؤية الجانب الآخر من المعرض... آه، أرى أنك لديك سؤال."

"أتساءل عن التسلسل الزمني. أعلم، بالطبع، كيف تعمل إكسير الشباب، ولكن الظهور المتزامن لأشخاص أحياء وآخرين ماتوا منذ زمن طويل في هذه اللوحات..."

"تقصد: أنك مندهش لأنك قابلت هين غيديمديث وتيسايا دي فريس في الوليمة، بينما لم يكن بيكير، أو أغنيس من غلانفيل، أو ستاملفورد، أو نينا فيورافانتي بيننا؟"

"لا. أعلم أنكم لستم خالدين.."

"ما هي الموت؟" قاطع فيلغافورتز. "بالنسبة لك؟"

"النهاية."

"نهاية ماذا؟"

"الوجود. يبدو لي أننا انتقلنا من تاريخ الفن إلى الفلسفة."

"الطبيعة لا تعرف شيئًا عن الفلسفة، جيرالت من ريفيا. المحاولات البائسة – السخيفة – التي يقوم بها البشر لفهم الطبيعة يُطلق عليها عادةً فلسفة. والنتائج الناتجة عن هذه المحاولات تعتبر أيضًا فلسفة. الأمر أشبه بملفوفة تحاول البحث في أسباب ونتائج وجودها، وتسمي نتيجة هذه التأملات الصراع الأبدي والغامض بين الرأس والجذر، وتعتبر المطر قوة سببية عصية على الفهم. نحن السحرة لا نهدر وقتنا في محاولة تفسير ماهيّة الطبيعة. نحن نعرفها، لأننا نحن الطبيعة ذاتها. هل تفهم؟"

"أحاول أن أفهم، لكن رجاءً تحدّث ببطء أكثر. لا تنسَ أنك تخاطب ملفوفة."

"هل تساءلت يومًا ماذا حدث عندما جعل بيكير الماء يندفع من الصخرة؟ يتم تبسيط الأمر عمومًا بهذه العبارة: بيكير روّض القوة. أجبر العنصر على الطاعة. أخضع الطبيعة؛ سيطر عليها... ما علاقتك بالنساء، جيرالت؟"

"عذرًا؟"

التفتت ليديا فان بريديفورت وهمس الحرير بحركة ناعمة، ثم تجمدت مترقبة. رأى جيرالت أنها كانت تحمل لوحة ملفوفة تحت إحدى ذراعيها. لم يكن لديه أي فكرة من أين جاءت اللوحة، إذ إنها كانت خالية اليدين قبل لحظة فقط. اهتز التميمة حول عنقه برفق.

ابتسم فيلغافورتز.

"لقد سألتُ،" كرر، "عن آرائك بشأن العلاقة بين الرجال والنساء."

"بأي جانب من هذه العلاقة تحديدًا؟"

"هل يمكن، في رأيك، فرض الطاعة على النساء؟ أنا أتحدث عن النساء الحقيقيات، بالطبع، وليس فقط الإناث كجنس. هل يمكن السيطرة على امرأة حقيقية؟ قهرها؟ جعلها تستسلم لإرادتك؟ وإن كان ذلك ممكنًا، فكيف؟ أجبني."

لم تحوّل الدمية القماشية نظرتها عنهم. ينيفر أشاحت بوجهها.

"هل أجبت؟"

"نعم، فعلت."

بيدها اليسرى، شدّت الساحرة على مرفقه، وبيدها اليمنى ضغطت أصابعه التي كانت تلامس صدرها.

"وكيف؟"

"أنتِ تعرفين بالفعل."

"لقد فهمت،" قال فيلغافورتز بعد لحظة. "وربما كنت تفهم دائمًا. وبالتالي ستدرك أيضًا أنه إذا زال مفهوم الإرادة والخضوع، والأوامر والطاعة، والحاكم الرجل والخادمة المرأة، فسيتم تحقيق الوحدة. سيتم

تحقيق اندماج المجتمع في كيان واحد. سيصبح الجميع كيانًا واحدًا. وإذا حدث شيء كهذا، فسيفقد الموت معناه. يان بيكير، الذي كان ماءً يندفع من الصخرة، حاضرٌ هناك في قاعة الوليمة. القول بأن بيكير قد مات، أشبه بالقول إن الماء قد مات. انظر إلى تلك اللوحة."

نظر جيرالت.

"إنها جميلة على نحو غير عادي،" قال جيرالت بعد لحظة، وفي الحال شعر باهتزاز طفيف في تميمته الويتشرية.

"ليديا،" ابتسم فيلغافورتز، "أشكرك على تقديرك. وأهنئك على ذوقك. اللوحة تصوّر لقاء كريغنان من لود ولارا دورين أيب شيادهال، العاشقين الأسطوريين، اللذين مزقهما ودمرهما زمن الاحتقار. كان ساحرًا، وكانت جنية، واحدة من نخبة الأين سيفهيرني، أو العارفين. ما كان يمكن أن يكون بداية للمصالحة، تحول إلى مأساة."

"أنا أعرف تلك القصة. لطالما اعتبرتها حكاية خرافية. ما الذي حدث حقًا؟"

"هذا،" قال الساحر، وقد جديت ملامحه، "لا يعرفه أحد. أعني، تقريبًا لا أحد. ليديا، علّقي لوحتك هنا. جيرالت، ألقِ نظرة على واحدة أخرى من أعمال ليديا الرائعة. إنها بورتريه للارا دورين أيب شيادهال مأخوذ من منمنمة قديمة[8]."

"تهانينا،" قال الويتشر، منحنياً لليديا فان بريديفورت، محاولًا جاهداً ألا يرتجف صوته. "إنها تحفة فنية بحق."

لم يرتجف صوته، رغم أن لارا دورين أيب شيادهال كانت تنظر إليه من اللوحة بعيني سيري.

"وماذا حدث بعد ذلك؟"

"بقيت ليديا في المعرض وحدها. وخرجنا نحن الاثنان إلى الشرفة. واستمتعنا ببعض الوقت"

"من هنا، جيرالت، لو سمحت. احرص على المشي فوق الألواح الداكنة فقط."

---

9. [8] **المنمنمة** هي نوع من الفن يعتمد على **الرسومات المصغّرة الدقيقة**، وغالبًا ما تكون غنية بالتفاصيل وتعتمد على الألوان الزاهية. اشتهرت المنمنمات في **المخطوطات المزخرفة** في العصور الوسطى، خاصة في العالم الإسلامي والأوروبي.

كان البحر يزأر أدناه، وجزيرة ثانيد تقف شامخة وسط الزبد الأبيض للأمواج. كانت الأمواج تتحطم عند جدران لوكسيا، مباشرة أسفلهم. لوكسيا كانت تتلألأ بالأضواء، وكذلك أريتوزا. أما الكتلة الحجرية لغارستانغ، التي تعلوهم بظلالها، فكانت سوداء ومظلمة بلا حياة.

"غدًا،" قال الساحر، متابعًا نظرة الويتشر، "سيرتدي أعضاء المجلس والأخوية رداءهم التقليدي: العباءات السوداء الفضفاضة والقبعات المدببة التي تعرفها من الرسوم القديمة. سنحمل أيضًا العصي والطوالع الطويلة، لنتحول إلى الصورة النمطية للسحرة التي يخيف بها الآباء أطفالهم. هذه هي التقاليد. سنصعد إلى غارستانغ برفقة عدد من المندوبين الآخرين. وهناك، في قاعة معدّة خصيصًا، سنبدأ المداولات. بينما سيظل المندوبون الآخرون في أريتوزا في انتظار عودتنا وقراراتنا."

"هل الاجتماعات الأصغر داخل غارستانغ، خلف الأبواب المغلقة، أيضًا جزء من هذه التقاليد؟"

"بالطبع. إنها تقليد طويل الأمد نشأ بدوافع عملية. من المعروف أن اجتماعات السحرة عاصفة وقد تؤدي إلى تبادل الآراء بصراحة مفرطة. في إحدى المناسبات، تسببت صاعقة كروية في تدمير تسريحة شعر نينا فيورافانتي وإتلاف ثوبها. فقامت نينا بتحصين جدران غارستانغ بهالة قوية للغاية ووضعت حاجزًا مانعًا للسحر، استغرقها عامًا كاملًا لإعداده. ومنذ ذلك الحين، لم يعد لأي تعويذة تأثير داخل غارستانغ، وأصبحت النقاشات أكثر هدوءًا، خاصة عند تذكير الجميع بإزالة جميع الأسلحة الحادة من المندوبين."

أرى ذلك. وتلك البرج المنعزل في القمة، فوق غارستانغ. ما هو؟ هل هو بناء ذو أهمية؟"

"إنه تور لارا، برج النوارس. مجرد أنقاض. هل هو مهم؟ ربما."

"ربما؟"

اتكأ الساحر على الدرابزين. "وفقًا للتقاليد الإلفية، فإن تور لارا مرتبط عبر بوابة سحرية بالبرج الغامض، تور زيرايبيل، برج السنونو."

"وفقًا للتقاليد؟ ألا زلتم عاجزين عن العثور على البوابة؟ لا أصدق ذلك."

"وأنت محق في عدم التصديق. لقد اكتشفنا بالفعل البوابة، لكن كان لا بد من إغلاقها. إذ كانت هناك احتجاجات. والجميع أراد إجراء التجارب، والجميع كان يتوق إلى مجد اكتشاف تور زيرايبيل، المقر الأسطوري لسحرة الإلف وحكمائهم. لكن البوابة مشوهة بشكل لا رجعة فيه، وتنقل الناس عشوائيًا.

كانت هناك خسائر، لذا تم سدها. لنذهب، جيرالت، الجو يزداد برودة. بحذر، سر فقط على الألواح الداكنة."

"لماذا فقط الألواح الداكنة؟"

"هذه المباني في حالة خراب. الرطوبة، التآكل، الرياح العاتية، الهواء المالح؛ كلها عوامل مدمرة للجدران. الإصلاحات ستكلف الكثير، لذا نعتمد على الأوهام السحرية بدلاً من العمال. إنها مسألة هيبة، كما تفهم."

"هذا لا ينطبق على كل شيء."

لوّح الساحر بيده، واختفى التراس. وجد جيرالت نفسه واقفًا فوق هوة سحيقة، فوق هاوية تتكسر عندها الأمواج، حيث برزت الصخور كسكاكين حادة من قلب الزبد الأبيض. لم يبقَ تحت قدميه سوى شريط ضيق من الألواح الداكنة، ممتد كحبل مشدود بين حافة أريتوزا الصخرية والعمود الذي كان يدعم التراس.

شعر الويتشر بصعوبة في الحفاظ على توازنه. لو كان إنسانًا عاديًا، وليس محاربًا مطوّرًا بفنون السحرة، لكان سقط. ومع ذلك، فإن ذلك أزعجه. لم يفت على الساحر ملاحظة حركته المفاجئة، ولم يكن رد فعله خافيًا عليه. الريح تأرجحته فوق الجسر الضيق، فيما الهاوية نادته بصوت مرعب، بزئير الأمواج المتكسرة أدناه.

"أنت تخشى الموت،" لاحظ فيلجيفورتز بابتسامة باردة. "أنت تخاف، في النهاية."

* * *

"نظرت الدمية القماشية إليهما بعينيها الزرّيتين."

"لقد خدعك،" تمتمت ينِّفر وهي تحتضن الويتشر. "لم يكن هناك أي خطر. من المؤكد أنه حمى نفسه وحماك بمجالٍ من الجاذبية المعكوسة. لم يكن ليجازف... ماذا حدث بعد ذلك؟"

"انتقلنا إلى جناح آخر من أريتوزا. قادني إلى غرفة واسعة، كانت على الأرجح مكتبًا لأحد المعلمين، أو حتى مكتب المديرة. جلسنا إلى طاولةٍ عليها ساعة رملية، كان الرمل يتساقط عبرها ببطء. كان عبير عطر ليديا لا يزال في الأجواء، فعلمت أنها كانت هنا قبلنا..."

"وفيلجيفورتز؟"

"سألني سؤالًا."

"لماذا لم تصبح ساحرًا، جيرالت؟ ألم يَجذبك فن السحر؟ كن صريحًا."

"سأكون صريحًا. لقد كنت مفتونًا به."

"لماذا، إذًا، لم تتبع هذا الانجذاب؟"

"قررت أن من الحكمة أن أستمع إلى صوت العقل."

"بمعنى؟"

"سنوات من العمل كويتشر علّمتني ألا أتناول لقمةً أكبر مما يمكنني مضغه. هل تعلم، فيلجيفورتز؟ لقد عرفتُ قزمًا ذات مرة كان، وهو طفل، يحلم بأن يكون قزمًا. ما رأيك؛ هل كان سيصبح واحدًا لو اتبع صوته الداخلي؟"

"هل هذا تشبيه؟ مقارنة؟ إن كان كذلك، فهي غير موفّقة إطلاقًا. القزم لا يمكن أن يصبح قزمًا. ليس دون أن تكون والدته قزمًا."

صمت جيرالت طويلًا.

"أفهم،" قال أخيرًا. "كان يجب أن أتوقع. لقد بحثت في تاريخي. لأي غرض، إذا سمحت؟"

"ربما،" ابتسم الساحر بخفوت. "أحلمُ بلوحة في معرض المجد. نحن الاثنان جالسان إلى طاولة، وعلى لوحة نحاسية تحتها نقشٌ يقول: فيلجيفورتز من روغيفين يبرم اتفاقًا مع جيرالت من ريفيا."

"سيكون ذلك تشبيهًا رمزيًا،" قال الويتشر. "بعنوان: انتصار المعرفة على الجهل. أنا أفضّل لوحة أكثر واقعية بعنوان: فيها يشرح فيلجيفورتز لجيرالت ما الذي يجري هنا."

ضمّ الساحر أطراف أصابعه أمام فمه، متأملًا.

"أليس الأمر واضحًا؟"

"لا."

"هل نسيت؟ اللوحة التي أحلم بها ستُعلّق في معرض المجد، حيث الأجيال القادمة —التي ستعرف تمامًا ماهية الحدث الذي تُصوره — ستنظر إليها. على اللوحة، فيلجيفورتز وجيرالت يتفاوضان ويبرمان اتفاقًا، نتيجته أن جيرالت، متبعًا الصوت — ليس ذلك الصوت الذي ينبع من انجذابٍ عابر أو تفضيل، بل صوت الدعوة الحقيقية — ينضم أخيرًا إلى صفوف السحرة. وهكذا تنتهي حياته السابقة، تلك الحياة التي لم تكن ذات معنى، والتي لم يكن لها مستقبل على الإطلاق."

"فكر في الأمر،" قال الويتشر بعد صمت طويل، "أنه حتى وقت قريب، كنت أعتقد أن لا شيء يمكن أن يدهشني بعد الآن. صدقني، فيلجيفورتز، سأظل أذكر هذا الحفل وهذا الاستعراض للأحداث العجيبة لفترة طويلة. جدير حقًا بلوحة. سيكون عنوانها: جيرالت يغادر جزيرة ثانيد وهو يهتز من الضحك."

"لا أفهم،" قال الساحر، مائلًا قليلًا إلى الأمام. "لقد أضعتني بأسلوبك المنمق هذا، المليء بالكلمات المعقدة."

"أسباب سوء الفهم واضحة لي. نحن مختلفان جدًا بحيث لا يمكننا فهم بعضنا البعض. أنت ساحر عظيم من المجلس، شخصٌ بلغ ذروة الاندماج مع الطبيعة. أما أنا، فمجرد متنقل، ويتشر، طافر، يجوب العالم ويقتل الوحوش لقاء المال..."

"هذا التنميق،" قاطعه الساحر، "تحوّل فجأة إلى ابتذال."

"...نحن مختلفان جدًا،" تابع جيرالت دون أن يسمح لنفسه بالمقاطعة، "والحقيقة التافهة بأن والدتي كانت، بالصدفة، ساحرة، لن تغير شيئًا من هذا الاختلاف. لكن بدافع الفضول فقط: من كانت والدتك؟"

"ليس لدي أدنى فكرة،" قال فيلجيفورتز بهدوء. ساد الصمت بينهما.

"عثر عليَّ الكهنة الدرويد في لان إكسيتر، مرميًا في أحد المزاريب،" تابع الساحر بعد لحظة. "أخذوني وربّوني. كي أصبح درويدًا بالطبع. هل تعرف ما هو الدرويد؟ إنه نوع من الطافر، متنقل، يسافر حول العالم وينحني أمام السنديان المقدس."

لم يُجب الويتشر بشيء.

"وفي وقت لاحق،" واصل فيلجيفورتز، "ظهرت قدراتي أثناء طقوس درويدية معينة. قدرات أوضحت بوضوح ودون شك أصولي. لقد كنت نتيجة علاقة بين شخصين، بلا شك لم يكن في الحسبان، وكان أحدهما على الأقل ساحرًا."

ظل جيرالت صامتًا.

"من اكتشف مواهبي المتواضعة، كان بالطبع ساحرًا، التقيته بالصدفة،" أكمل الساحر بهدوء. "عرض عليَّ هدية عظيمة: فرصة للتعلم والتطور، بغرض الانضمام إلى إخوية السحرة."

"وأنت،" قال الويتشر بصوت منخفض، "قبلت العرض."

"لا،" قال فيلجيفورتز، وصوته يزداد برودة وقسوة. "رفضته بطريقة فظة بل وقحة. صببت عليه كل غضبي. أردت أن يشعر بالذنب، هو وكل زملائه من السحرة. بالذنب، بطبيعة الحال، لأنني وجدت نفسي في مزراب في لان إكسيتر؛ بالذنب لأن اثنين من السحرة البغيضين - حثالة بلا قلوب أو مشاعر إنسانية - رموني هناك عند ولادتي، بدلاً من أن يتخلصوا مني قبل ذلك، عندما لم أكن لأبقى على قيد الحياة. وكما هو متوقع، الساحر لم يفهمني، لم يكن معنيًا بما قلته. اكتفى بهزة كتف، ومضى في طريقه، وهكذا وسم نفسه وزملاءه بوصمة المتكبرين القساة، عديمي الضمير، غير المستحقين لشيء سوى الاحتقار التام."

ظل جيرالت صامتًا.

"لقد سئمت من الدرويد[9]،" قال فيلجيفورتز. "لذلك هجرت بساتين السنديان المقدسة وانطلقت في العالم. فعلت أمورًا شتى، ما زلت أشعر بالخزي من بعضها. وفي النهاية أصبحت مرتزقًا. وكما يمكنك أن تتخيل، سارت حياتي بعد ذلك كما هو متوقع: جندي منتصر، جندي مهزوم، ناهب، لص، مغتصب، قاتل، وأخيرًا هارب يفر من المشنقة. هربت إلى أقاصي الأرض. وهناك، في نهاية العالم، التقيت بامرأة. ساحرة."

"كن حذرًا،" تمتم الويتشر، وعيناه تضيقان. "كن حذرًا، فيلجيفورتز، حتى لا تقودك أوجه التشابه التي تبحث عنها يائسًا إلى ما هو أبعد مما ينبغي."

"التشابهات تنتهي هنا،" قال الساحر دون أن يحيد بنظره. "لأنني لم أستطع التعامل مع المشاعر التي شعرت بها تجاه تلك المرأة. لم أتمكن من فهم مشاعرها، ولم تحاول هي مساعدتي في ذلك. تركتها.

10. **الدرويد (Druid)** هو شخصية محورية في **الميثولوجيا السلتية**، حيث كان يُنظر إليه كـ **كاهن، وحكيم، وساحر، وحارس للطبيعة** بين القبائل السلتية في أوروبا القديمة، خاصة في **بريطانيا، وإيرلندا، وفرنسا (بلاد الغال).**

لأنها كانت منحلة، متكبرة، حقودة، باردة وعديمة الإحساس. لأنها كانت مستحيلة السيطرة، ولأن خضوعي لها كان مهينًا. تركتها لأنني علمت أنها لم تكن مهتمة بي إلا لأن ذكائي، شخصيتي، وغموضي الآسر طغت على حقيقة أنني لم أكن ساحرًا، وأنها عادة ما كانت تكرم بالسماح بأكثر من ليلة واحدة فقط لمن هم كذلك. تركتها لأن... لأنها كانت تشبه أمي. فجأة فهمت أن ما كنت أشعر به تجاهها لم يكن حبًا على الإطلاق، بل كان شعورًا أكثر تعقيدًا، أكثر قوة ولكن يصعب تصنيفه: مزيج من الخوف، الندم، الغضب، وخز الضمير، الحاجة إلى التكفير، الشعور بالذنب، الخسارة، والألم. حاجة منحرفة إلى المعاناة والتوبة. ما شعرت به تجاه تلك المرأة لم يكن إلا الكراهية."

ظل جيرالت صامتًا. بينما ظل فيلجيفورتز ينظر إلى جانب آخر.

"تركتها،" قال بعد برهة. "ثم لم أستطع تحمل الفراغ الذي التهمني. وفجأة أدركت أن غياب امرأة ليس ما يسبب ذلك الفراغ، بل غياب كل ما كنت أشعر به. إنه مفارقة، أليس كذلك؟ أتصور أنني لا أحتاج إلى إنهاء القصة؛ يمكنك أن تخمن ما حدث بعد ذلك. أصبحت ساحرًا. بدافع الكراهية. وعندها فقط فهمت كم كنت أحمق. لقد خلطت بين النجوم المنعكسة في بركة ليلية وتلك الحقيقية في السماء."

"كما لاحظت بحق، فإن أوجه التشابه بيننا ليست متطابقة تمامًا،" تمتم جيرالت. "رغم الظواهر، ليس لدينا الكثير من القواسم المشتركة، فيلجيفورتز. ما الذي كنت تحاول إثباته لي بسرد قصتك؟ أن الطريق إلى التفوق السحري، رغم كونه ملتويًا وصعبًا، متاح للجميع؟ حتى - وعذرًا على المقارنة - للأوغاد أو اللقطاء، المتجولين أو الويتشرز؟"

"لا،" قاطع الساحر. "لم أقصد إثبات أن هذا الطريق مفتوح للجميع، لأن ذلك أمر بديهي وقد ثبت منذ زمن طويل. ولم يكن هناك أيضًا حاجة لإثبات أن بعض الأشخاص ببساطة ليس لديهم خيار آخر."

"وهكذا،" ابتسم الويتشر، "ليس لدي خيار؟ لا بد لي من الدخول في اتفاق معك، اتفاق يجب أن يصبح يومًا ما موضوعًا للوحة، وأن أصبح ساحرًا؟ لمجرد الاعتبارات الجينية؟ هيا، لا تمزح. لدي معرفة بسيطة بنظرية الوراثة. والدي، كما اكتشفت بعد عناء، كان مجرد متجول، وغدًا، مشاكسًا، ومبارزًا بالسيف. ربما تكون جيناتي من جهة الأب أكثر هيمنة من جيناتي من جهة الأم. حقيقة أنني بارع في المبارزة بالسيف تبدو دليلًا على ذلك."

"بالفعل،" ابتسم الساحر بازدراء. "الساعة الرملية أوشكت على النفاد، وأنا، فيلجيفورتز من روغفين، سيد السحر، وعضو المجلس، لا أزال أخوض نقاشًا — ليس مزعجًا تمامًا —مع وغدٍ ومبارز بالسيف، ابن وغدٍ ومبارز بالسيف ومتشرد. نحن نتحدث عن أمور، كما يعلم الجميع، هي موضوعات نقاش نارية يعشقها الأوغاد والمبارزون بالسيف. مثل علم الوراثة، على سبيل المثال. من أين تعرف هذه الكلمة

أصلًا، أيها المبارز المتشرد؟ من مدرسة المعبد في إيلاندر، حيث يعلمون التلاميذ القراءة والكتابة بأربعة وعشرين رمزًا فقط؟ ما الذي دفعك إلى قراءة كتب تحتوي على كلمات كهذه وأخرى مماثلة؟ أين صقلت فن الخطابة والبلاغة؟ ولماذا فعلت ذلك؟ لتتحدث إلى مصاصي الدماء؟ آه، أيها المتشرد الوراثي، ذاك الذي تكرمت تيسايا دي فريس عليه بابتسامة. آه، أيها الويتشر، أيها المبارز، الذي يفتن فيليبا إيلهارت لدرجة أن يديها ترتعشان. والذي تتورد خدود تريس ميريجولد عند تذكره. ناهيك عن التأثير الذي تتركه على ينيفر من فينجيربرج."

"ربما من الأفضل ألا تذكرها،" قال جيرالت ببرود، "بالفعل، لم يتبق سوى القليل من الرمل في الساعة الرملية لدرجة أنني أستطيع تقريبًا عد الحبات. لا ترسم المزيد من الصور، فيلجيفورتز. أخبرني بما يدور هنا. أخبرني بكلمات بسيطة. تخيل أننا جالسان بجانب النار، متشردان، نشوي خنزيرًا سرقناه للتو، ونحاول دون جدوى أن نسكر بعصير البتولا. فقط سؤال بسيط. أجبني. من متشرد إلى متشرد آخر."

"وما هو السؤال البسيط؟"

"ما نوع الاتفاق الذي تقترحه؟ ما الاتفاق الذي سنبرمه؟ لماذا تريدني في قدرك؟ في هذا المرجل، الذي، على ما يبدو، بدأ يغلي؟ ما الذي يلوح في الأفق هنا أيضًا—بصرف النظر عن الشمعدانات؟"

"هممم،" تأمل الساحر، أو تظاهر بذلك. "السؤال ليس بسيطًا، لكنني سأحاول الإجابة عليه. ولكن ليس كمُتشردٍ لمتشرد. سأجيب . . . كمرتزقٍ مُستأجرٍ لمرتزقٍ آخر، مثله تمامًا."

"يناسبني ذلك."

"إذًا استمع إليَّ، أيها الرفيق المبارز. معركة قاسية على وشك أن تندلع. قتال دموي حتى الموت، بلا رحمة. أحد الجانبين سينتصر، والآخر ستُنهشه الغربان. أطرح عليك الأمر، أيها الرفيق: انضم إلى الجانب الذي لديه فرصة أفضل. انضم إلينا. انسَ الآخرين، وازدرِهم بازدراءٍ مطلق، لأنهم بلا أمل. ما الفائدة من الهلاك معهم؟ لا، لا، لا تُقطب حاجبيك، أيها الرفيق. أعلم ما تريد قوله. تريد أن تقول إنك محايد. أنك لا تبالي بأي طرف، وأنك ستجلس مكتوف الأيدي خلال المجزرة، مختبئًا في كاير مورهن، في أعالي الجبال. هذه فكرة سيئة، أيها الرفيق. كل ما تحبه سيكون معنا. إذا لم تنضم إلينا، فستفقد كل شيء. وبعدها ستستهلكك الفراغ، والعدم، والكراهية. سيدمرك الزمن القادم، زمن الاحتقار. لذا كن عقلانيًا وانضم إلى الجانب الصحيح عندما يحين وقت الاختيار. وهو قادم، ثق بي."

"إنه لأمر مذهل،" ابتسم الويتشر ابتسامة بغيضة، "كم تثير حياديتي سخط الجميع. وكم تجعلني عرضة لعروض الاتفاقيات والتحالفات، والخطب عن ضرورة الاختيار والانضمام إلى الجانب الصحيح.

دعنا نُنهي هذا الحديث، فيلجيفورتز. أنت تضيع وقتك. لست شريكًا لك في هذه اللعبة. لا أرى أي فرصة لأن ينتهي بنا المطاف في لوحة داخل 'قاعة المجد'. خاصةً ليست في مشهد معركة."

لم يقل الساحر شيئًا.

"رتب ملوكك، وملكاتك، وفِيَلك، وقِلاعَك على رقعتك الشطرنجية، ولا تشغل بالك بي، لأنني لا أُعادل شيئًا أكثر من الغبار على تلك الرقعة. هذه ليست لعبتي. تقول إنني سأضطر إلى الاختيار؟ وأقول إنك مخطئ. لن أختار. سأستجيب للأحداث. سأتأقلم مع ما يختاره الآخرون. هذا ما كنت أفعله دائمًا."

"أنت قَدَري."

"هذا صحيح. رغم أن هذه كلمة أخرى لا يُفترض بي أن أعرفها. أكرر: هذه ليست لعبتي."

"حقًّا؟" قال فيلجيفورتز، مُنحنيًا عبر الطاولة. "في هذه اللعبة، على رقعة الشطرنج، هناك حصانٌ أسود. مُرتبطٌ بك بروابط القدر. للأفضل أو للأسوأ. أنت تعرف عمن أتحدث، أليس كذلك؟ وأنا واثق من أنك لا تريد أن تفقدها، أليس كذلك؟ فقط اعلم أن هناك طريقة واحدة فقط لعدم فقدانها."

ضاقت عينا الويتشر.

"ما الذي تريده من تلك الطفلة؟"

هناك طريقة واحدة فقط لتعرف."

"أنا أحذرك. لن أسمح لأحد أن يؤذيها..."

"هناك طريقة واحدة فقط يمكنك بها منع ذلك. لقد عرضت عليك تلك الفرصة، جيرالت من ريفيا. فكر في عرضي. لديك الليلة بأكملها. فكر، بينما تنظر إلى السماء. إلى النجوم. ولا تخطئ بينها وبين انعكاسها في البركة. لقد نفد الرمل."

"أنا خائف على سيري، ين."

"لا داعي لذلك."

"لكن . . ."

"ثق بي،" قالت وهي تعانقه. "ثق بي، أرجوك. لا تقلق بشأن فيلجيفورتز. إنه ثعلب ماكر. أراد خداعك، أراد استفزازك. وقد نجح جزئيًا. لكنه ليس مهمًا. سيري في رعايتي، وستكون بأمان في أريتوزا. ستتمكن من تطوير قدراتها هنا، ولن يتدخل أحد في ذلك. لن يسمح أحد بذلك. لكن انسَ أمر تحولها إلى ويتشر. لديها مواهب أخرى. وهي مقدّرة لعمل آخر. يمكنك أن تثق بي."

"أنا أثق بك."

"هذا تقدم ملحوظ. ولا تقلق بشأن فيلجيفورتز. غدًا سيُفسّر الكثير من الأمور ويحل العديد من المشاكل."

"غدًا.." توالت عليه الأفكار .. "إنها تخفي شيئًا عني. وأنا خائف من أن أسأل ماذا. أكان كودرينغير محقًا. لقد تورطت في فوضى رهيبة، ولكن لا يوجد الآن أي مخرج. عليّ أن أنتظر وأرى ماذا سيحمل غدًا، ذاك الذي يُفترض أن يوضح كل شيء. عليّ أن أثق بها. أعلم أن شيئًا ما سيحدث. سأنتظر. وسأتكيّف مع الوضع".

نظر إلى مكتب الكتابة.

"ين؟"

"أنا هنا."

"عندما كنتِ طالبة في أريتوزا . . . عندما كنتِ تنامين في غرفة مثل هذه . . . هل كان لديكِ دمية لا تستطيعين النوم بدونها؟ دمية كنتِ تضعينها على مكتب الكتابة أثناء النهار؟"

"لا،" قالت ينيفر، متحركة فجأة. "لم يكن لديّ أي دمية. لا تسألني عن ذلك، جيرالت. أرجوك، لا تسألني."

"أريتوزا،" همس، ناظرًا حوله. "أريتوزا في جزيرة ثانيد. ستصبح منزلها. لسنوات عديدة . . . عندما تغادر هذا المكان، ستكون امرأة ناضجة . . ."

"كُف عن ذلك. لا تفكر في الأمر ولا تتحدث عنه. بدلاً من ذلك . . ."

"ماذا، ين؟"

"أحبني."

احتضنها. ولمسها. ووجدها.

كانت ينيفر، بطريقة مذهلة، صلبة ولينة في الوقت نفسه، فتنهدت بصوت عالٍ. الكلمات التي تبادلوها انقطعت، تلاشت بين الأنفاس المتسارعة والتنهدات، فقدت معناها وتبعثرت في الفراغ. فبقوا صامتين، منصرفين إلى البحث عن بعضهم البعض، عن الحقيقة. بحثوا طويلًا، بمحبة وتأنٍ، خائفين من التسرع والتهور واللامبالاة. بحثوا بشغف، بعمق، بخوف من التردد وعدم اليقين. بحثوا بحذر، خشية الجفاء أو القسوة غير المقصودة.

وجدوا بعضهم البعض، انتصروا على الخوف، وبعد لحظة، اكتشفوا الحقيقة، تلك التي انفجرت تحت جفونهم بوضوح مريع وساطع، ومزقت الشفاه المنقبضة بالإصرار، فخرج منها أنين. ثم اهتز الزمن بعنف، وتجمد، وتلاشى كل شيء، ولم يبقَ سوى اللمس، الإحساس الوحيد الذي استمر بالوجود.

مرت الأبدية، وعادت الحقيقة، وارتعش الزمن مرة أخرى، ثم استأنف مسيره ببطء، كعربة ثقيلة محملة بأطنان من الأحمال. حدق جيرالت عبر النافذة. القمر لا يزال معلقًا في السماء، رغم أن ما حدث كان ينبغي، نظريًا، أن يسقطه من عليائه.

"يا للسماء، يا للسماء،" قالت ينيفر بعد زمن طويل، وهي تمسح دمعة ببطء عن خدها.

ظلوا مستلقين وسط الملاءات المبعثرة، بين قشعريرة دافئة وسعادة آخذة في التلاشي، وبين الصمت، بينما دارت حولهم عتمة غامضة، مشبعة برائحة الليل وأصوات صراصير الحقول.

كان جيرالت يعلم أنه في لحظات كهذه، تكون قدرات ينيفر التليباثية حادة وقوية للغاية، فكر في أمور جميلة، أشياء تبعث على الفرح. عن انفجار ضوء الفجر عند الشروق. عن الضباب المعلق فوق بحيرة جبلية عند الفجر. عن الشلالات الكريستالية، حيث تقفز أسماك السلمون، متألقة كأنها مصنوعة من الفضة الخالصة. عن قطرات المطر الدافئة وهي تضرب أوراق الأرقطيون، المثقلة بالندى.

فكر لأجلها، وينيڤر ابتسمت، تستمع لأفكاره. وارتعشت الابتسامة على خدها، مع الظلال الهلالية لرموشها.

"وطن؟" سألت ينيفر فجأة. "أي وطن؟ هل لديك وطن؟ هل تريد بناء وطن؟ آه . . . آسفة. لم يكن يجب أن . . ."

ظل صامتًا. كان غاضبًا من نفسه. بينما كان يفكر من أجلها، سمح لها عن غير قصد بقراءة فكرة عنها.

"حلم جميل،" قالت ينيفر، وهي تمسح كتفه بلطف. "وطن. منزل تبنيه بيديك، وأنت وأنا في ذلك المنزل. ستربي الخيول والأغنام، وسأمتلك حديقة صغيرة، أطبخ الطعام وأمشط الصوف، ثم نأخذ الصوف إلى السوق. ومن النقود التي نجنيها من بيعه ومن المحاصيل، سنشتري ما نحتاج إليه؛ لنقل قدورًا نحاسية ومذراة حديدية. من حين لآخر، ستزورنا سيري مع زوجها وأطفالها الثلاثة، وستمر تريس ميريجولد أحيانًا، لتمكث معنا لبضعة أيام. وسنكبر سويًا، بجمال وكرامة. وإذا شعرتُ يومًا بالملل، ستعزف لي في المساء على مزمار القربة المصنوع يدويًا. فكما يعلم الجميع، عزف مزمار القربة هو أفضل علاج للاكتئاب."

لم يقل الويتشر شيئًا. همست الساحرة بلطف، بعد لحظة:

"أنا آسفة."

نهض على مرفقه، مال نحوها وقبّلها. تحركت فجأة، واحتضنته. بلا كلمات.

"قل شيئًا."

"لا أريد أن أفقدكِ، ين."

"لكنني هنا، معك."

"الليل سينتهي."

"كل شيء ينتهي."

لا، فكر. لا أريد أن يكون الأمر كذلك. لقد تعبت. تعبت جدًا من تقبل فكرة أن النهايات ما هي إلا بدايات جديدة، والاضطرار لبدء كل شيء من جديد. أتمنى . . .

"لا تتكلم،" قالت بسرعة، واضعة أصابعها على شفتيه. "لا تخبرني بما تتمناه وما ترغب به. لأن الأمر قد ينتهي إلى أنني لن أستطيع تحقيق رغباتك، وهذا يؤلمني."

"وماذا عنكِ، ين؟ ماذا تتمنين؟ بماذا تحلمين؟"

"أحلم فقط بأشياء يمكن تحقيقها."

"وماذا عني؟"

"أنت لي بالفعل."

بقي صامتًا لوقت طويل، منتظرًا حتى تكسر هي الصمت.

"جيرالت؟"

"مم؟"

"أحببني، أرجوك."

في البداية، كانا مشبعين ببعضهما البعض، مليئين بالخيال والإبداع، متعطشين لكل ما هو جديد. وكما هو الحال دائمًا، سرعان ما اكتشفا أنه كان كثيرًا جدًا، وقليلًا جدًا في آن واحد. أدركا ذلك في نفس اللحظة، وعادا ليحبا بعضهما مرة أخرى.

عندما استعاد جيرالت وعيه، كان القمر لا يزال في مكانه. عزفت صراصير الليل بجنون، وكأنها تحاول أيضًا التغلب على القلق والخوف بالهوس والانغماس.

من نافذة قريبة في الجناح الأيسر من أريتوزا، صرخ شخص يائسًا من النوم، مستنكرًا بشدة ومطالبًا بالهدوء. ومن نافذة على الجانب الآخر، شخص آخر، يبدو أن لديه روحًا فنية أكثر، صفق بحماس وقدم التهاني.

"أوه، ين . . ." همس الويتشر معاتبًا.

"كان لدي سبب . . ." قبلته ثم دفنت خدها في الوسادة. "كان لدي سبب للصراخ. لذا صرخت. صراخي لا ينبغي كبحه. سيكون ذلك غير صحي وغير طبيعي. أحضني، أرجوك."

بوابة لارا، المعروفة أيضًا باسم بوابة بينافنت، نسبة إلى مكتشفها. تقع في جزيرة ثانيد، في الطابق العلوي من برج النوارس. تعد بوابة ثابتة، تعمل بشكل دوري.

مبادئ التشغيل: غير معروفة.

الوجهة: غير معروفة، لكن يُرجّح أنها مشوّهة بسبب الأضرار التي لحقت بها. من المحتمل وجود تفرعات أو تشعبات متعددة.

معلومات هامة:

بوابة فوضوية وخطيرة حد الموت. يُمنع تمامًا إجراء أي تجارب عليها. لا يجوز استخدام السحر في برج النوارس أو بالقرب منه، خاصة السحر المتعلق بالنقل الفوري. في حالات استثنائية، يمكن لـ المجلس الأعلى دراسة طلبات الإذن بالدخول إلى تور لارا وإجراء عمليات تفتيش للبوابة. يجب دعم الطلبات بأدلة على وجود أبحاث قيد التنفيذ، وإثبات التخصص في هذا المجال.

المراجع:

جيفري مونك، سحر العرق القديم

إيمانويل بينافنت، بوابة تور لارا

نينا فيورافانتي، نظرية وممارسة النقل الفوري

رانسانت ألفارو، بوابات الغموض

قائمة الممنوعات: (حظر شامل لبعض الأدوات والقطع الأثرية المرتبطة بالسحر المحظور).

فن السحر، الطبعة الثامنة والخمسون.

الفصل الرابع

في البداية، كان هناك فقط الفوضى النابضة، المشعة ..

شلال من الصور، ودوامة من الأصوات والأصوات المتشابكة.

رأت سيري برجًا يمتد إلى السماء، ترقص الصواعق فوق سطحه. سمعت صرخة جوارح، وفجأة أصبحت هي الجارح، تطير بسرعة هائلة فوق بحر هائج. رأت دمية ذات أزرار لعيون، ثم أصبحت تلك الدمية، تحاصرها عتمة نابضة بصوت الصراصير الليلية. رأت قطًا ضخمًا أبيض وأسود، ثم أصبحت ذلك القط، في منزل كئيب، بألواح خشبية مظلمة ورائحة الشمع والكتب القديمة.

سمعت مرارًا من يناديها باسمها، يستدعيها. رأت سلمونًا فضيًا يقفز عكس التيار، سمعت صوت المطر يطرق على الأوراق، ثم جاءها صوت يينيڤر، صرخة طويلة غريبة، تخترق عالمها، تشدها من هوة اللازمن والفوضى.

فتحت عينيها، تحاول عبثًا أن تتذكر الحلم، لكنها لم تسمع سوى أصوات العود والناي، رنين الدف، الغناء والضحكات. دانديليون ورفاقه من المينسترلات ما زالوا يستمتعون بوقتهم في الغرفة بنهاية الرواق.

ضوء القمر تسلل عبر النافذة، لينير الظلام قليلًا، ويجعل الغرفة في لوكسيا تبدو وكأنها جزء من عالم الأحلام. ألقت سيري الغطاء عنها. كانت مبللة بالعرق، شعرها ملتصق بجبهتها. لقد استغرقت وقتًا طويلًا لتغفو، فالجو كان خانقًا رغم أن النافذة كانت مفتوحة.

كانت تعلم السبب. قبل أن تغادر مع جيرالت، وضعت يينيڤر طلاسم حماية حول الغرفة. ظاهريًا، كان ذلك لمنع أي أحد من الدخول، لكن سيري كانت تشك في السبب الحقيقي: إبقاؤها حبيسة.

يينيڤر، رغم سعادتها الواضحة بعودتها إلى جيرالت، لم تغفر ولم تنسَ هروب سيري الطائش إلى هيروندوم، حتى لو كان ذلك هو ما أدى إلى لقاءها بجيرالت من جديد.

لكن لقاء سيري بجيرالت كان مشوبًا بالحزن وخيبة الأمل. بدا الويتشر صامتًا، متوترًا، مضطربًا، واضح الكذب. المحادثة بينهما تعثرت وتقطعت، الكلمات فقدت مسارها، والجمل والأسئلة انتهت فجأة دون إجابة.

كانت عيناه وأفكاره تهربان منها، تفران إلى مكان آخر. وكانت سيري تعرف إلى أين تهرب عيناه وأفكاره.

انجرفت إلى عالم الألحان الحزينة، حيث ترددت في الأجواء أنغام دانديليون الناعمة، همس أوتار عوده مثل جدول يتدفق بين الصخور. عرفت اللحن، كان الملحمة التي بدأ دانديليون في تأليفها منذ أيام.

كانت الأغنية – كما تباهى بها مرارًا – تحمل عنوان "المراوغة"، وكان يأمل أن تضمن له المركز الأول في مهرجان الشعراء السنوي، المزمع عقده في قلعة فارتبورج في أواخر الخريف.

أرهفت سيري السمع، أرادت أن تعرف الكلمات...

فوق الأسطح اللامعة تطوفين،
في الأنهار المزينة بالزنابق تغوصين،
لكن يومًا ما سأكشف أسرارك،
إذا كنت لا أزال على قيد الحياة...

* * *

ركضت الخيل بقوة، واندفع الفرسان في الليل، بينما ازدهر الأفق بتوهج العديد من الحرائق. صرخ طائر جارح ونشر جناحيه، محلقًا في الظلام.

سيري سقطت في النوم مرة أخرى، لكن الأصوات كانت تناديها، مرارًا وتكرارًا. مرة كان جيرالت، ومرة كانت يينيفر، ومرة أخرى تريس ميريجولد، وأخيرًا – عدة مرات – فتاة حزينة رقيقة، شاحبة الشعر، لم تتعرف عليها سيري، لكنها كانت تحدق بها من داخل صورة مصغرة بإطار من العاج والنحاس.

ثم رأت قطة سوداء وبيضاء، وما إن لمحتها، حتى أصبحت القطة نفسها وأصبحت تنظر من خلال عينيها ماتراه القطه.

كانت داخل منزل غريب ومظلم. رأت أرففًا ضخمة من الكتب، ومكتبًا تعلوه عدة شمعدانات، يجلس عليه رجلان يدرسان مخطوطات قديمة. كان أحدهما يسعل بشدة ويمسح شفتيه بمنديل أبيض. أما الآخر، فكان قزمًا برأس ضخم، يجلس على كرسي بعجلات، بدون ساقين.

"أمر لا يصدق..." تمتم فين وهو يمسح بعينيه المخطوطات المتآكلة. "من أين حصلت على هذه الوثائق؟"

"لن تصدقني لو أخبرتك." سعل كودرينجر بعنف. "هل أدركت الآن فقط من تكون سيريلّا، أميرة سينترا؟ الطفل ذو الدم القديم؛ آخر ثمرة في شجرة الكراهية تلك! آخر غصن، يحمل آخر تفاحة مسمومة..."

"الدم القديم..." تنهد فين، يمرر أصابعه على الحروف الباهتة. "كل هذا يعود إلى الماضي البعيد... بافيتا، كالانثي، أداليا، إيلين، فيونا..."

"وفالكا."

ارتجفت أصابع فين فوق الورق. "بحق الآلهة، هذا مستحيل. أولًا، لم يكن لدى فالكا أطفال! ثانيًا، فيونا كانت الابنة الشرعية لـ..."

"أولًا، لا نعلم شيئًا عن شباب فالكا. ثانيًا، فين، لا تجعلني أضحك. تعلم جيدًا أنني أصاب بنوبات من الضحك الهستيري عندما أسمع كلمة 'شرعية'. أنا أؤمن بهذه الوثيقة، لأنها حقيقية، وتقول الحقيقة. فيونا، جدة بافيتا الكبرى، كانت ابنة فالكا، ذلك الوحش المتجسد في صورة إنسان، تبًا، لا أؤمن بكل تلك التنبؤات المجنونة، النبوءات، والهراء الآخر، لكن عندما أتذكر الآن نبوءة إيثلين..."

"الدم الملوث؟"

"ملوث، ملوث، ملعون؛ يمكن فهمه بطرق كثيرة. وطبقًا للأسطورة، إن كنت تتذكر، فالكا كانت ملعونة لأن لارا دورين أيب شِيدال ألقت لعنة على أمها"

"هذه مجرد قصص، كودرينجر."

"أنت محق، إنها مجرد قصص. لكن هل تعلم متى تتوقف القصص عن كونها مجرد قصص؟ عندما يبدأ أحدهم في تصديقها. وهناك من يؤمن بقصة الدم القديم.

خصوصًا ذلك الجزء الذي يقول إن من دم فالكا سيولد المنتقم، الذي سيدمر العالم القديم ويبني عالمًا جديدًا على أنقاضه."

"وسيريلّا... يُفترض أن تكون ذلك المنتقم؟"

"لا، ليس سيريلا. بل ابنها."

ارتجف فين، وهو يحدق في المخطوطات، بينما تابع كودرينجر بصوت بارد:

"وسيريلا تُطارد من قِبَل... "

"إمْهِير ڤار إمْرِيس، إمبراطور نيلفجارد."

سحب فين نفسًا عميقًا، بينما كان كودرينجر يراقبه بابتسامة خالية من الدفء.

"الآن هل تفهم؟" تابع المحامي بصوت خافت لكنه حاد. "سيريلا، بغض النظر عن إرادتها، مقدَّر لها أن تصبح أمًا لوريث العرش. أمًا لأمير الظلام؛ حفيد المنتقمة، ابنة الشيطانة فالكا. يبدو أن تدمير العالم وإعادة بنائه يُفترض أن يتم بطريقة موجهة ومُسيطر عليها."

ساد صمت طويل، قبل أن يسأل فين ببطء:

"ألا تعتقد أننا يجب أن نُخبر جيرالت عن هذا؟"

قهقه كودرينجر بازدراء.

"جيرالت؟ ومن هو جيرالت؟ تقصد ذلك الأحمق الذي حاول إقناعي منذ وقت ليس ببعيد أنه لا يعمل من أجل الربح؟ آه، أصدقه؛ هو لا يعمل لمنفعته الشخصية. لكنه يعمل لمصلحة آخرين. ودون أن يدرك ذلك، في الواقع. جيرالت يطارد رينس؛ ورينس مقيد بسلسلة، لكن جيرالت لا يعلم حتى أن هناك طوقًا حول عنقه."

حكَّ فين ذقنه بعصبية.

"لكن من يمسك بالسلسلة؟"

"فكر."

ثم، كما لو أن الإجابة ضربته على وجهه، شهق فين بغضب:

"اللعينة!"

"أنت قلتها." تمتم كودرينجر ببرود. "الوحيدة التي تستطيع التأثير عليه. الشخص الذي يثق به. لكنني لا أثق بها، ولم أفعل أبدًا. لذا، سأدخل اللعبة بنفسي."

“إنها لعبة خطيرة، كودرينجر.”

“لا توجد ألعاب آمنة. هناك ألعاب تستحق المغامرة وألعاب لا تستحق. فين، ألا تفهم ماذا وقع بين أيدينا؟ دجاجة ذهبية، وستبيض لنا – وليس لأي أحد آخر – بيضة ضخمة، بصفار غني...”

سعل كودرينجر فجأة، ورفع منديله إلى فمه، وعندما أبعده، كانت بقع الدم واضحة عليه.

نظر إليه فين بعينين حادتين، ثم تمتم بصوت منخفض:

“الذهب لن يشفيك... ولن يعيد إليَّ ساقيَّ...”

“من يعلم؟”

في تلك اللحظة، دقّ أحدهم الباب. انتفض فين في كرسيه المتحرك، بينما ظل كودرينجر ثابتًا، يمسح الدم عن شفتيه.

“هل كنت تتوقع أحدًا؟” تمتم فين بحذر.

“نعم. الرجال الذين أرسلتهم إلى ثانيد. ليجلبوا لنا دجاجتنا الذهبية.”

«لا تفتحه!» صرخت سيري. «لا تفتح الباب! الموت يقف خلفه! لا تفتح الباب!»

«حسنًا، حسنًا، أنا قادم!» نادى كودرينجر، وهو يسحب المزاليج للخلف، ثم التفت إلى قطته التي كانت تموء. «وأنت، اجلس بهدوء، أيها الوحش الصغير الملعون...»

توقف فجأة. الرجال الذين وقفوا في المدخل لم يكونوا من توقعهم. بدلًا من ذلك، كان هناك ثلاثة شخصيات غريبة لا يعرفها.

«السيد كودرينجر المحترم؟»

«السيد غير موجود، مشغول بأعماله»، قال المحامي متخذًا تعبير الأبله، ومتحدثًا بصوت مرتفع قليلًا بنبرة حادة. «أنا كبير الخدم. اسمي دولورد، ميكائيل دولورد. كيف يمكنني خدمة سيادتكم المحترمة؟»

«لا يمكنك ذلك»، قال أحد الرجال، وكان نصف إلف طويل القامة. «بما أن سيدك ليس هنا، سنترك له رسالة وكلمة. هذه هي الرسالة.»

«سأوصلها له بلا شك»، قال كودرينجر وهو يؤدي دور الخادم البسيط بإتقان، منحنيًا بانحناءة خاضعة، مادًا يده ليتناول اللفافة المصنوعة من الرق، والمربوطة بحبل أحمر. «وما هي الكلمة؟»

انحلت العقدة التي تربط اللفافة كأفعى تضرب، متلوية بإحكام حول معصمه. شد الرجل الطويل بقوة، فاختل توازن كودرينجر وترنح للأمام، وبغريزته مد يده اليسرى نحو صدر النصف إلف ليمنع نفسه من السقوط عليه. وبينما كان يسقط، لم يستطع تفادي الخنجر الذي انغرس في بطنه.

شهق متألمًا، واندفع إلى الخلف، لكن الحبل السحري حول معصمه أمسك به بإحكام. سحب النصف إلف كودرينجر إليه، ثم طعنه مرة أخرى. هذه المرة، كان وزن كودرينجر بالكامل مستندًا على النصل.

«هذه هي الرسالة، وتحيات من ريينس»، همس النصف إلف الطويل، ثم رفع الخنجر بقوة، ومزق أحشاء المحامي كما يُمزق السمك. «اذهب إلى الجحيم، كودرينجر. مباشرة إلى الجحيم.»

لهث كودرينجر، شعر بالنصل يحتك بأضلاعه وعظمة صدره، ثم انهار على الأرض، متكورًا على نفسه. أراد أن يصرخ، أن يحذر فين، لكنه لم يستطع سوى إطلاق صرخة مخنوقة، سرعان ما خنقتها دفقة دم متدفقة.

تجاوز النصف إلف الجثة، وتبعه الرجلان الآخران إلى الداخل. كانا بشريين.

لكن فين كان مستعدًا لهما.

انطلقت أوتار القوس، وتحطم أحد السفاحين على ظهره، وقد اخترقت كرة فولاذية جبينه مباشرة. دفع فين نفسه للخلف على كرسيه، محاولًا يائسًا إعادة تلقيم القوس بيدين مرتجفتين.

قفز الرجل الطويل نحوه، ركل الكرسي بقوة، فقلبه رأسًا على عقب. تدحرج القزم بين الأوراق المتناثرة على الأرض، يلوّح بيديه الصغيرتين وبقايا ساقيه بلا حول ولا قوة، أشبه بعنكبوت مشوه.

ركل النصف إلف القوس بعيدًا عن متناول فين. دون أن يكترث بمحاولات القزم اليائسة للهرب، بدأ بتفحص المستندات الملقاة على المنضدة. لفت انتباهه إطار صغير من القرن والنحاس، يحوي صورة لفتاة شقراء. التقطها، ومعها القصاصة الورقية المرفقة بها.

اقترب السفاح الثاني، متجاهلًا رفيقه الذي كان ملقى على الأرض بعد إصابته بطلقة القوس. رفع النصف إلف حاجبيه متسائلًا، فهز السفاح رأسه بالنفي.

التقط النصف إلف عدة وثائق من المنضدة، وحشرها داخل معطفه إلى جانب الصورة المصغرة. ثم تناول حفنة من الريشات من محبرة الحبر، وأشعلها بلهب إحدى الشموع. راح يديرها ببطء، تاركًا النيران تلتهمها جيدًا، ثم ألقاها على المنضدة وسط لفائف الرق، التي اشتعلت فورًا بلهب متراقص.

صرخ فين.

أمسك النصف إلف الطويل بزجاجة مزيل الحبر من الطاولة المشتعلة، ثم وقف فوق القزم الذي كان يتلوى على الأرض، وسكب السائل عليه بالكامل. أطلق فين صرخة معذبة، بينما كان السفاح الآخر يكنس ذراعيه بين الرفوف، مُسقطًا كومة من اللفائف فوق الرجل المشلول.

كان اللهب المتصاعد من المنضدة قد وصل إلى السقف. انفجرت زجاجة ثانية أصغر من المذيب بفرقعة مدوية، فامتدت ألسنة اللهب لتلعق رفوف الكتب. راحت اللفائف، والمخطوطات، والملفات تتفحم، تتلوى، ثم تشتعل. كان فين يصرخ مستغيثًا. تراجع النصف إلف الطويل عن المنصة المشتعلة، ثم لوى قطعة ثانية من الورق وأشعلها. ألقى السفاح الآخر مجموعة جديدة من اللفائف فوق القزم المشتعل.

صرخ فين بألم لا يُحتمل.

وقف النصف إلف فوقه، ممسكًا بالشعلة المشتعلة.

على جدار قريب، هبطت قطة كودرينجر ذات الفراء الأسود والأبيض وقد انعكست النيران المتراقصة في عينيها الصفراء، التي راقبت الحريق وهو يحول ظلمة الليل الجميل إلى مهزلة مرعبة من النهار. تعالت أصوات الصراخ في الخارج. «حريق! حريق! ماء!». اندفع الناس نحو المبنى المشتعل.

تجمدت القطة في مكانها، تحدق فيهم بدهشة واحتقار. هؤلاء الحمقى يركضون مباشرة نحو الجحيم المتقد، المكان ذاته الذي بالكاد تمكنت هي من الفرار منه.

دون أن تكترث، استدارت قطة كودرينجر، وعادت إلى لعق كفيها الملطختين بالدماء.

استيقظت سيري مبللة بالعرق، وقد تشبثت أصابعها بألم في أغطية السرير. كان كل شيء ساكنًا، والسكون الناعم يتخلله شعاع من ضوء القمر، اخترق الظلام مثل خنجر مسلول.

حريق. جحيم مستعر. دماء. كابوس... لا أتذكر، لا أتذكر أي شيء...

أخذت نفسًا عميقًا من هواء الليل البارد. لقد تلاشى ذلك الشعور بالاختناق. كانت تعرف السبب.

التعاويذ الحامية توقفت عن العمل.

حدث شيء ما. فكرت سيري، ثم قفزت من سريرها وارتدت ملابسها بسرعة. شدت حزام خنجرها حول خصرها. لم تعد تملك سيفًا بعد الآن؛ فقد أخذته منها ينيفر، وسلمته إلى دانديليون لحفظه.

لابد أن الشاعر كان قد خلد إلى النوم، إذ كان الصمت يلف "لوكسيا". كانت سيري تفكر فيما إذا كان عليها أن تذهب لإيقاظه، عندما اجتاحها نبض قوي، وشعرت باندفاع الدم في أذنيها.

شعاع القمر الذي تسلل من النافذة تحول إلى طريق ممتد. وفي نهاية الطريق، على مسافة بعيدة، كان هناك باب.

انفتح الباب، وظهرت ينيفر واقفة عند العتبة.

«تعالي معي.»

انفتحت أبواب أخرى خلف الساحرة، الواحد تلو الآخر، في تتابع لا نهائي. من الظلام تشكلت أشكال سوداء لِأعمدة بلورية.

لا... ليست أعمدة .. ربما تماثيل...

أنا أحلم، فكرت سيري. لا أصدق ما تراه عيناي. أنا أحلم. هذا ليس طريقًا، إنه ضوء... شعاع من الضوء. لا يمكنني السير على ذلك...

«تعالي معي.»

أطاعته.

* * *

لو لم يكن الأمر متعلقًا بتلك الضوابط الحمقاء للويتشر، ولو لم تكن مبادئه غير العملية، لكانت العديد من الأحداث التالية قد سارت في مجرى مختلف تمامًا. بل إن كثيرًا منها ربما لم يكن ليحدث إطلاقًا. وربما كانت تاريخ العالم نفسه ليتشكل بطريقة بديلة تمامًا.

لكن التاريخ سار كما سار. والسبب الوحيد وراء ذلك هو أن الويتشر كان لديه ضمير.

عندما استيقظ في الصباح بحاجته إلى قضاء حاجته، لم يفعل ما كان سيفعله أي رجل آخر. لم يخرج إلى الشرفة ليتبول في أصيص أزهار الكبوسينيا.

كان لديه ضمير.

ارتدى ملابسه بهدوء، دون أن يوقظ ينيفر، التي كانت تغط في نوم عميق، بلا حراك، بالكاد تتنفس. غادر الغرفة، وتوجه إلى الحديقة.

كان الحفل لا يزال مستمرًا، لكن وفقًا للأصوات الصادرة، لم يكن ذلك إلا بقايا متفرقة منه. لا تزال الأضواء مشتعلة في نوافذ قاعة الرقص، تلقي بضيائها على الباحة وأحواض الفاوانيا. سار الويتشر أبعد قليلًا، إلى حيث الشجيرات الكثيفة، متأملًا السماء التي بدأت تتلون. كان الأفق يشتعل بالفعل بخطوط بنفسجية من الفجر.

وأثناء عودته ببطء، غارقًا في تأملات عميقة، اهتز قلادته بقوة. أمسكها بيده، شعر بالذبذبات تتغلغل في جسده بالكامل. لم يكن هناك شك—شخص ما في أريتوزا قد ألقى تعويذة.

أرهف جيرالت السمع، فالتقط بعض الصيحات المكبوتة، ووقع ضجيج وضربات قادمة من الممر المسقوف في الجناح الأيسر من القصر.

أي شخص آخر كان سيتجاهل الأمر تمامًا. كان سيستدير فورًا، ويعود من حيث أتى، متظاهرًا بأنه لم يسمع شيئًا. وربما، فقط ربما، كان تاريخ العالم ليتغير.

لكن الويتشر كان لديه ضمير. وكان معتادًا على التصرف وفقًا لمبادئ حمقاء وغير عملية.

عندما اندفع إلى الممر المسقوف والممر الداخلي، رأى أن معركة كانت دائرة.

كان هناك عدة رجال مفتولي العضلات يرتدون سترات رمادية، وكانوا منهمكين في الإطاحة بساحر قصير القامة ألقوه أرضًا.

كان القتال تحت إشراف ديكسترا، رئيس استخبارات الملك فيزيمير، حاكم ريدانيا.

لم يكن لدى جيرالت وقت للتحرك قبل أن تتم السيطرة عليه هو الآخر اثنان من الرجال الضخام دفعاه بقوة نحو الحائط، بينما ضغط ثالث على صدره بشفرة رمح ثلاثي الأسنان.

كان جميع الرجال المدرعين يرتدون دروعًا تحمل شعار النسر الريداني.

«هذا ما يُسمى بأن تكون في الوحل حتى أذنيك»، شرح ديكسترا بصوت هادئ، وهو يقترب من جيرالت. «ويبدو أنك، أيها الويتشر، تمتلك موهبة فطرية للوقوع فيه. قف هنا بهدوء ولطف، وحاول ألا تجذب الانتباه.»

أخيرًا، تمكن الجنود الريدانيون من السيطرة على الساحر القصير ورفعوه عن الأرض، ممسكين به من ذراعيه.

كان ذلك أرتود تيرانوفا، عضو المجلس السحري.

صدر الضوء الذي كشف عن التفاصيل من جوهرة سحرية كانت معلقة في الهواء فوق رأس كيرا ميتز— الساحرة التي كان جيرالت قد تحدث معها في الحفل الليلة الماضية. بالكاد تعرف عليها؛ فقد استبدلت فستانها الشفاف الفضفاض بملابس رجالية صارمة، وكان هناك خنجر مثبت عند خاصرتها.

«قيدوه.» أمرت بصوت حاد. اصطدمت الأصفاد المعدنية الزرقاء ببعضها، محدثة رنينًا في يدها.

«لا تجرؤي على تقييدي بها!» صرخ تيرانوفا. «لا تجرؤي، ميتز! أنا عضو في المجلس!»

«كنت كذلك. أما الآن، فأنت مجرد خائن عادي. وستُعامل على هذا الأساس.»

«وأنتِ مجرد عاهرة رخيـ ...»

لم يكمل الجملة.

تراجعت كيرا خطوة، أدارت وركيها، ثم سددت له لكمة بكل قوتها.

اندفع رأس الساحر للخلف بعنف شديد لدرجة أن جيرالت ظن لوهلة أنه سينفصل عن جسده. تهاوى تيرانوفا في أذرع الرجال الذين يمسكون به، الدم يسيل من أنفه وفمه.

لم توجه له كيرا الضربة الثانية، رغم أن قبضتها كانت لا تزال مرفوعة. رأى الويتشر وميض القبضة النحاسية التي كانت ترتديها. لم يتفاجأ.

كيرا كانت نحيلة البنية، ولكمة كهذه لم يكن من الممكن توجيهها بقبضة عارية.

لم يتحرك جيرالت. كان الرجال يمسكونه بإحكام، ورأس رمح الحرس كان يضغط على صدره. لم يكن متأكدًا مما إذا كان سيتحرك لو كان حرًا، أو ما إذا كان سيعرف ما يجب فعله.

أُغلقت الأصفاد حول معصمي تيرانوفا، بعد أن أُلويتا إلى الخلف بقوة. صرخ الساحر متألمًا، قاوم، انحنى للأمام، ثم تقيأ. عندها فقط أدرك جيرالت مما صُنعت تلك الأصفاد.

كانت مزيجًا من الحديد والديميريتيوم، معدن نادر يمنع استخدام السحر، ويصحبه مجموعة من التأثيرات الجانبية غير السارة للسحرة.

رفعت كيرا ميتز رأسها، أبعدت خصلات شعرها عن جبهتها.

ثم رأت جيرالت.

«ما الذي يفعله هذا اللعين هنا؟ كيف وصل إلى هنا؟»

«مجرد دخل بنفسه.» أجاب ديكسترا ببرود. «لديه موهبة فطرية في التورط بالمشاكل. ماذا تريدين أن أفعل به؟»

أظلم وجه كيرا، ثم نقرت كعب حذائها العالي على الأرض عدة مرات بعصبية.

«راقبوه. لا وقت لدي الآن.»

سارت مبتعدة بسرعة، وتبعها الجنود الريدانيون وهم يسحبون تيرانوفا خلفهم.

كانت الجوهرة السحرية لا تزال تسبح في الهواء خلف الساحرة، رغم أن الفجر قد بزغ وأصبح الضوء يغمر المكان سريعًا.

بإشارة من ديكسترا، أطلق الرجال سراح جيرالت. اقترب الجاسوس ونظر في عيني الويتشر مباشرة.

«لا تحاول أي شيء.»

«ماذا يحدث هنا؟ ما الذي—؟»

«لا تنطق بكلمة.»

عادت كيرا ميتز بعد فترة قصيرة، ولكن لم تكن وحدها.

رافقها ساحر ذو شعر كتانٍ، كان قد قُدِّم لجيرالت في اليوم السابق باسم ديتمولد من بان آرد.

بمجرد أن رأى الويتشر، تمتم بلعنة وصفع قبضته على راحة يده.

«تبًا! هل هو الرجل الذي أعجبت به ينيفر؟»

«نعم، هو.» قالت كيرا. «لكن المشكلة هي أنني لا أعرف ما الذي تفكر فيه ينيفر...»

«وأنا لا أعرف أيضًا.» قال ديتمولد، رافعًا كتفيه بلا مبالاة. «على أي حال، هو متورط في الأمر الآن. لقد رأى أكثر مما ينبغي. خذوه إلى فيليبا، هي ستقرر مصيره. ضعوا القيود في يديه.»

«لا حاجة لذلك.» قال ديكسترا بنبرة متمهلة. «أنا أضمنه. سأوصله إلى حيث ينبغي أن يكون.»

«ممتاز.» أومأ ديتمولد موافقًا. «لأننا لا نملك وقتًا له. هيا، كيرا، الأمور هناك في فوضى عارمة...»

«آه، كم هم قلقون!» تمتم الجاسوس الريداني وهو يراقبهم يبتعدون. «قلة خبرة، لا أكثر. والانقلابات السياسية أشبه بحساء الشمندر الأخضر، لا يؤكل إلا باردًا.»

«هيا بنا، جيرالت.»

ثم أضاف بنبرة تهديد خفي:
«وتذكر: بهدوء، وبكرامة. لا تفتعل أي مشهد. ولا تجعلني أندم على عدم تقييدك أو تكميمك.»

«ما الذي يحدث، ديكسترا؟»

«ألم تستنتج بعد؟» قال الجاسوس، وهو يسير بجانبه، في حين كان الجنود الثلاثة الريدانيون يسيرون خلفهم. «أجبني بصراحة، ويتشر. كيف انتهى بك المطاف هنا؟»

«كنت قلقًا بشأن ذبول أزهار الكبوسينيا.»

«جيرالت.» قال ديكسترا وهو يحدق فيه بعبوس. «لقد وقعت في الوحل حتى رأسك. أنت تسبح للأعلى، بالكاد تحافظ على رأسك فوق السطح، لكن قدميك لم تلامسا القاع بعد. هناك من يمد لك يد العون، رغم أنه يخاطر بالسقوط والتلطخ به مثلك تمامًا. لذا، كُفَّ عن النكات السخيفة. ينيفر هي من جعلتك تأتي إلى هنا، أليس كذلك؟»

«لا. ينيفر لا تزال نائمة في سرير دافئ. هل يطمئنك ذلك؟»

استدار الجاسوس الضخم فجأة، أمسك الويتشر من ذراعيه، ثم دفعه بقوة إلى الحائط.

«لا، لا يطمئنني، أيها الأحمق اللعين.» همس بغضب... «ألم تستوعب بعد، أيها الغبي، أن السحرة الشرفاء، الموالين للملوك، لم يذهبوا للنوم الليلة؟ لم يغمضوا أعينهم أصلًا؟ وحدهم الخونة، الذين باعوا أنفسهم لنيفجارد، هم الذين ينامون في أسرتهم الدافئة. الخونة الذين كانوا يخططون لانقلابهم الخاص، ولكن في وقت لاحق. لم يكن لديهم أدنى فكرة بأن خططهم قد كُشفت، وأن نواياهم قد تم استباقها. وكما ترى، يتم جرُّهم من تلك الأسرّة الدافئة، وضربهم على أسنانهم بالقبضات النحاسية، وتكبيل أيديهم بأساور الديميريتيوم. الخونة قد انتهى أمرهم. فهمت؟ إذا كنت لا تريد أن تسقط معهم، فتوقف عن التصرف كالأبله!»

«هل نجح فيلغفورتز في تجنيدك الليلة الماضية؟ أم أن ينيفر قد قامت بذلك بالفعل؟ تكلم! وبسرعة، قبل أن يمتلئ فمك بالقذارة!»

«حساء الشمندر الأخضر، ديكسترا.» ذكره جيرالت ببرود. «خذني إلى فيليبا. بهدوء، وبكرامة. ودون إثارة أي مشهد.»

أطلقه الجاسوس، تراجع خطوة إلى الخلف.

«هيا بنا.» قال ببرود. «اصعد هذه السلالم. لكن هذه المحادثة لم تنته بعد. أعدك بذلك.»

كان المكان مضاءً بفوانيس متوهجة وجواهر سحرية طافية تحت الأعمدة التي تدعم القباب، حيث تتقاطع أربعة ممرات.

كان يعج بالجنود الريدانيين والسحرة.

من بين السحرة، كان هناك رادكليف وسابرينا غليفيسيج، كلاهما من أعضاء المجلس السحري.

سابرينا، مثل كيرا ميتز، كانت ترتدي ملابس رجالية رمادية. أدرك جيرالت أنه يمكن التعرف على الفصائل المختلفة داخل الانقلاب من خلال زيّهم.

على الأرض، كانت تريس ميريجولد راكعة فوق جسد مسجى في بركة من الدماء.

تعرف جيرالت على الجسد—كان ذلك ليديا فان بريديفورت.

عرفها من شعرها وفستانها الحريري.

لكن وجهها... لم يكن وجهًا بعد الآن.

كان جمجمة مرعبة، بشعة، حيث انكشفت أسنانها اللامعة حتى منتصف الخدين، وفكها مشوه ومنخفض، وعظامها مكسورة وملتحمة بطريقة مروعة.

«غطوها.» قالت سابرينا غليفيسيج بصوت ناعم، لكنها محملة بحدة خفية.

«عندما ماتت، زالت الوهم... قلت لكم اللعنة، غطوها بشيء ما!»

«كيف حدث هذا، رادكليف؟» سألت تريس، وهي تسحب يدها بعيدًا عن قبضة الخنجر الذهبي المزروع أسفل عظمة الصدر لدى ليديا.

«كيف يمكن أن يحدث هذا؟ كان من المفترض أن يكون كل شيء بلا دماء!»

«لقد هاجمتنا.» تمتم الساحر، ثم خفض رأسه.

«هاجمتنا عندما كانوا يقتادون فيلغفورتز. حدث اشتباك... لا أدري... إنه خنجرها.»

«غطوا وجهها!» قالت سابرينا فجأة، قبل أن تدير وجهها بعيدًا.

ثم رأت جيرالت، والتقت نظراتهما. عيناها المتوحشتان تلألأتا مثل الأنثراسايت.

«كيف وصل إلى هنا؟»

نهضت تريس على قدميها بسرعة، واتجهت مباشرة نحو الويتشر.

قبل أن يتمكن من قول شيء، رآها ترفع يدها أمام وجهه مباشرة.

ثم جاء الوميض...

ثم الظلام.

لم يعد يرى شيئًا.

لكنه شعر بيد تمسك بياقة ردائه، ثم جذبة حادة.

«أمسكوه جيدًا، وإلا سيسقط.»

كان صوت تريس مفتعلًا، غاضبًا ظاهريًا.

ثم جذبته مرة أخرى، شدته للحظة وجعلته يقترب منها.

«سامحني.» همست بسرعة. «كان عليّ فعل ذلك.»

كان رجال ديكسترا يمسكونه بإحكام.

أدار رأسه، مفعلًا حواسه الأخرى.

كان هناك تحركات في الممرات، والهواء تموج، حاملاً معه روائح مختلطة.

أصوات. سابرينا تلعن، تريس تحاول تهدئتها.

الجنود الريدانيون يسحبون الجسد عبر الأرض، محدثين خشخشة في الفستان الحريري.

دماء.

رائحة الدماء.

ورائحة الأوزون .. رائحة السحر.

أصوات مرتفعة.

خطوات متوترة.

ارتطام أعقاب الأحذية بالأرض.

«عجلوا! كل هذا يأخذ وقتًا أطول مما يجب! كان ينبغي أن نكون في جارستينج الآن!»

كان ذلك صوت فيليبا إيلهارت، مشحونًا بالقلق.

«سابرينا، ابحثي عن مارتي سوديرجرين فورًا. اسحبيها من سريرها إن لزم الأمر. جديمديث في حالة سيئة. أظنه نوبة قلبية. اجعلي مارتي تعتني به، لكن لا تخبريها بشيء، ولا تخبري أي أحد معها. تريس، ابحثي عن دورريجاري، دريثيلم، وكاردوين، وأحضريهم إلى جارستينج.»

«لماذا؟»

«إنهم يمثلون الملوك. يجب إبلاغ إثاين وإستيراد بعمليتنا ونتائجها. ستأخذينهم بنفسك... لحظة، تريس، هناك دماء على يدك! دم من؟»

«ليديا.»

«اللعنة. متى؟ كيف؟»

«وهل يهم كيف؟»

كان الصوت هادئًا، باردًا.

صوت تيسايا دو فريس.

خشخشة ثوب.

لم تكن ترتدي زي المتمردين، بل كانت بفستان سهرة.

جيرالت أنصت جيدًا، لكنه لم يسمع رنين أصفاد الديميريتيوم.

«هل تتظاهرين بالقلق؟» عادت تيسايا تقول، «بأنكِ مهتمة؟ عندما يتم تنظيم الثورات، وعندما يتم إرسال رجال مسلحين ليلًا، يجب أن تتوقعي وقوع ضحايا.»

«ليديا ماتت. هن جديمديث يحتضر. قبل لحظات، رأيت أرتود وقد شُوّه وجهه. كم عدد الضحايا الآخرين، فيليبا إيلهارت؟»

«لا أعلم.» أجابت فيليبا بحزم. «لكنني لن أتراجع.»

«بالطبع لا. أنتِ لا تتراجعين أبدًا عن أي شيء.»

اهتز الهواء، وتعالت أصوات أعقاب الأحذية الثقيلة وهي تضرب الأرض بإيقاع مألوف.

كانت فيليبا تقترب منه.

تذكر الإيقاع العصبي لخطواتها عندما سارا معًا عبر قاعة أريتوزا، متجهين إلى طاولة الكافيار.

تذكر رائحة القرفة وجذر المسك.

أما الآن، فقد امتزجت تلك الرائحة برائحة بيكربونات الصوديوم.

لم يكن لجيرالت أي نية في المشاركة في أي انقلاب أو تمرد، لكنه تساءل عما إذا كان — لو قرر ذلك — هل كان سيفكر في تنظيف أسنانه مسبقًا؟

«لا يمكنه رؤيتكِ، فيل.» قال ديكسترا بلا مبالاة. «إنه لا يرى شيئًا ولم يرَ شيئًا. صاحبة الشعر الجميل أطفأت بصره.»

سمع جيرالت شهقة فيليبا، وشعر بحركتها، لكنه أدار رأسه بتردد، متصنعًا العجز.

لكن الساحرة لم تنطلِ عليها الحيلة.

«لا تتظاهر، جيرالت.» قالت بصوت بارد. «تريس قد أظلمت عينيك، لكنها لم تسلبك عقلك. كيف بحق الجحيم انتهى بك المطاف هنا؟»

«كنت أمرّ من هنا. أين ينيفر؟»

«طوبى لمن لا يعلمون.» قالت فيليبا، دون أي أثر للسخرية في صوتها.

«لأنهم سيعيشون عمرًا أطول.»

«كن ممتنة لتريس. لقد كانت تعويذتها ناعمة؛ سيزول العمى قريبًا. ولم ترَ أي شيء لم يكن ينبغي لك رؤيته. راقبه، ديكسترا. سأعود بعد قليل.»

ثم جاء اضطراب جديد.

أصوات.

صوت سوبرانو كيرا ميتز القوي، نبرة رادكليف الأنفية.

وقع الأحذية الريدانية الثقيلة.

وصوت تيسايا دو فريس، مرتفعًا وغاضبًا.

«أطلقوا سراحها! كيف تجرؤون؟ كيف يمكنكم فعل ذلك بها؟»

«إنها خائنة!» جاء صوت رادكليف الأنفي.

«أنا لن أصدق ذلك أبدًا!»

«الدم أغلى من الماء.» قالت فيليبا إيلهارت ببرود.

«والإمبراطور إمير وعد الإلفيين بالحرية. وعدهم بدولة مستقلة. هنا، على هذه الأرض. بعد أن يُباد البشر، بالطبع. وهذا وحده كان كافيًا لتخوننا دون أدنى تردد.»

«أجيبي!» قالت تيسايا بقوة.

«أجيبي، إينيد!»

«أجيبي، فرانسيسكا.»

صوت ارتطام أصفاد الديميريتيوم.

ثم جاء الصوت العذب، الغنائي، المميز للإلفية، صوت فرانسيسكا فينداببير، زهرة الوديان، أجمل امرأة في العالم.

“فا فورتا مي داهيون نين تيا ديسين Va vort a me, Dh’oine. N’aen te a dice’n.»

«هل هذا كافٍ لكِ، تيسايا؟» صاحت فيليبا.

«هل تصدقينني الآن؟

«أنتِ، أنا، جميعنا كنا دائمًا وسنبقى دائمًا (داهوين) بشرًا، بالنسبة لها. أما هي، أيل سيذيه، فلا تملك شيئًا تقوله للبشر.

«وأنت، فيركارت؟ ماذا وعدك فيلغفورتز وإمير، ليجعلاك تختار الخيانة؟»

«اذهبي إلى الجحيم، أيتها العاهرة الفاسدة.»

توقف جيرالت عن التنفس للحظة، لكن هذه المرة لم يسمع صوت قبضة نحاسية تضرب العظم.

فيليبا كانت أكثر هدوءًا من كيرا.

أو ربما لم تكن ترتدي قبضات نحاسية.

«رادكليف، خذ الخونة إلى جارستينج!»

«ديتمولد، أعطِ ذراعك للسيدة العظمى دو فريس. هيا، سألحق بكم قريبًا.»

خطوات.

رائحة القرفة وجذر المسك.

«ديكسترا.»

«أنا هنا، فيل.»

«لم نعد بحاجة إلى رجالك هنا. يمكنهم العودة إلى لوكسيا.»

«هل أنتِ متأكدة تمامًا...»

«إلى لوكسيا، ديكسترا!»

«كما تشائين، صاحبة السمو.» كان في صوته ازدراء واضح.

«الخدم يمكنهم المغادرة. لقد أتموا دورهم.

«أما الآن، فقد أصبحت هذه مسألة خاصة بالسحرة.

«وبالتالي، وبدون مزيد من التأخير، سأغادر حضرتكِ السامية. لم أكن أتوقع شكرًا على مساعدتي في انقلابكِ، لكنني على يقين أن سموكِ ستتذكرني بلطف.»

«اغفر لي، سيجيسموند. شكرًا لمساعدتك.»

«لا داعي لذلك. كان من دواعي سروري.»

«هيه، فويماير، اجمع رجالك. أريد خمسة للبقاء معي. خذ البقية إلى الطابق السفلي واصعدوا على متن سبادا. لكن بهدوء، على أطراف أصابعكم، دون أي ضجة، دون إثارة الفوضى أو إطلاق الألعاب النارية. استخدموا الممرات الجانبية. لا تنطقوا بكلمة واحدة عن هذا في لوكسيا أو في الميناء. هذا أمر!»

«أنت لم ترَ شيئًا، جيرالت.»

همست فيليبا إيلهارت، تنثر عليه مزيجًا من رائحة القرفة، جذر المسك، وبيكربونات الصوديوم.

«لم تسمع شيئًا. لم تتحدث أبدًا مع فيلغفورتز".

«ديكسترا سيأخذك إلى لوكسيا الآن. سأحاول العثور عليك عندما... عندما ينتهي كل شيء.

«لقد وعدتك بذلك البارحة، وسأفي بوعدي.»

«وماذا عن ينيفر؟»

«أود القول إنه مهووس.» قال ديكسترا، وهو يعود إلى الغرفة، محركًا قدميه بكسل.

«ينيڤر، ينيڤر... أصبح الأمر مملاً. لا تشغلي بالكِ به، فيل. هناك أمور أكثر أهمية للقيام بها. هل تم العثور على الشيء المتوقع مع فيلغفورتز؟»

«بالفعل. ها هو، هذا لك.»

«أوه!»

خشخشة الورق وهو يُفك.

«يا إلهي، يا إلهي! ممتاز! دوق نيترت... رائع! البارون...»

"بهدوء، دون ذكر أسماء".

«ولا تبدأوا بالإعدامات فور عودتكم إلى تريتوجور. لا تثيروا فضيحة قبل أوانها»

"لا تقلق".

«ماذا عن الأشخاص الواردة أسماؤهم في هذه القائمة..."

«الذين كانوا جشعين للغاية تجاه ذهب نيلفجارد هم في أمان الآن، على الأقل في الوقت الحالي.

«سيصبحون دُمى صغيرة لطيفة، وسأتمكن من تحريك خيوطهم، ثم لاحقًا، سنلف تلك الخيوط حول أعناقهم الصغيرة اللطيفة...»

«بدافع الفضول فقط، هل كانت هناك قوائم أخرى؟ أي خونة من كيدوين، من تيميريا، من إيدين؟ سيكون من دواعي سروري إلقاء نظرة... مجرد لمحة...»

«أعلم أنك ترغب بذلك. لكن هذا ليس من شأنك .. رادكليف وسابرينا غليفيسيج استلما تلك القوائم، وسيقرران ما يجب فعله بها، والآن عليّ الذهاب. أنا مستعجلة.»

«فيل؟»

«نعم.»

«استعيدي بصر الويتشر، حتى لا يتعثر على السلالم.»

* * *

لا يزال الحفل في قاعة أريتوزا مستمرًا، لكنه أصبح أكثر تقليدية واسترخاءً.

تم إزاحة الطاولات جانبًا، وأحضر السحرة والساحرات كراسي وأرائك ومقاعد من الغرف المجاورة، واستلقوا عليها مستمتعين بوسائل الترفيه المختلفة.

معظم وسائل الترفيه كانت فجة.

كانت مجموعة كبيرة متجمعة حول برميل ضخم من الخمر الرديء، يشربون، ويتحدثون، وينفجرون في الضحك بين الحين والآخر.

أولئك الذين كانوا في وقت سابق يستخدمون الشوك الفضية الصغيرة لانتقاء ألذ الأطعمة، كانوا الآن يمسكون أضلاع الضأن بأيديهم ويقضمونها بلا تحفظ.

بعضهم كان يلعب الورق، متجاهلين الجميع.

آخرون كانوا نائمين.

زوجان كانا يقبلان بعضهما البعض بحماس في زاوية، والحماسة التي أظهراها كانت تدل على أن الأمر لن يتوقف عند ذلك.

«انظر إليهم، ويتشر.» قال ديكسترا، مستندًا إلى الدرابزين، يتأمل الحضور أسفلهم.

"يا لها من مجموعةٍ مرحة! تمامًا مثل الأطفال"

"وفي الوقت ذاته، مجلسهم قد اقتلع تقريبًا جميع أعضاء محكمتهم، ويحاكمهم الآن بتهمة الخيانة، لتواطئهم مع نيلفجارد".

"انظر إلى هذين الاثنين. قريبًا، سيبحثان عن ركن منعزل، وبينما يكونان في خضم حماستهما، سيكون فيلغفورتز قد عُلِّق مشنوقًا .. يا له من عالم غريب..."

«أصمت، ديكسترا.»

* * *

كان الطريق المؤدي إلى لوكسيا منحوتًا في منحدرات الجبل، يتعرج عبر سلالم متصلة بشرفات، مزيّنة بأسيجة مهملة، وأحواض زهور، وأغاف مصفرة في أصص.

توقف ديكسترا عند إحدى الشرفات، واتجه إلى جدار مزخرف برؤوس كيميائية حجرية، كان الماء ينساب من أفواهها.

انحنى الجاسوس وشرب جرعة طويلة.

اقترب الويتشر من حاجز الشرفة.

كان البحر يتلألأ ذهبيًا، والسماء بألوان مبالغ فيها، أكثر من تلك التي تملأ قاعة المجد باللوحات الزيتية.

أسفلهم، رأى كتيبة الجنود الريدانيين الذين تلقوا الأمر بمغادرة أريتوزا، يسيرون بتشكيل منظم، يعبرون الجسر الذي يربط بين طرفي الوادي الصخري.

لكن شيئًا آخر لفت انتباهه.

شخص وحيد، متألق الألوان، يتحرك بسرعة.

كان يسير في الاتجاه المعاكس للريدانيين.

صاعدًا، نحو أريتوزا.

«حسنًا.» قال ديكسترا، محاولًا استعجاله بالسعال.

«حان وقت الذهاب.»

«اذهب بنفسك إن كنت في عجلة من أمرك.»

«هاه.» زمجر الجاسوس. «وتعود أنت إلى هناك لإنقاذ معشوقتكِ ينيفر. وتثير الفوضى كقزم مخمور.

«نحن ذاهبون إلى لوكسيا، ويتشر.

«هل تخدع نفسك أم ماذا؟ هل تظن أنني أخرجتك من أريتوزا بدافع حب قديم لك؟

«بالطبع لا. أخرجتك لأنني أحتاجك.»

«لأي شيء؟»

"هل تمزح معي"؟

«هناك اثنتا عشرة فتاة شابة من أرقى عائلات ريدانيا يتعلمن في أريتوزا.

«لا يمكنني المخاطرة بصدام مع المديرة المحترمة، مارجريتا لوكس-أنتيل.

«لكن المديرة لن تسلمني سيريلّا، أميرة سينترا، الفتاة التي جلبتها ينيفر إلى ثانيد. لكنها ستسلمها لك. إذا طلبت ذلك.»

«ما الذي جعلك تتوهم أنني سأطلبها؟»

"الافتراض الساذج بأنك تريد التأكد من أنها ستكون آمنة".

"ستكون آمنة معي، مع الملك فيزيمير. في تريتوجور".

"إنها ليست آمنة على ثانيد".

"لا تتفوه بأي تعليقات ساخرة".

"نعم، أعلم أن الملوك لم يكن لديهم أفضل الخطط لها في البداية. لكن هذا تغير".

"الآن أصبح واضحًا أن سيريلّا"

"حية، آمنة، وبصحة جيدة.."

«قد تكون أكثر قيمة في الحرب القادمة من عشرة أفواج من الفرسان المدرعين.

"أما ميتة، فهي لا تساوي فلسًا واحدًا"

"هل تعلم فيليبا إيلهارت ما الذي تخطط له؟"

"لا، لا تعلم".

"ولا تعلم حتى أنني أعرف أن الفتاة في لوكسيا".

"حبيبتي السابقة فيل قد تتظاهر بالعظمة، لكن فيزيمير لا يزال ملك ريدانيا".

"أنا أنفذ أوامره، ولا يهمني ما يخطط له السحرة".

"سيريلّا ستصعد على متن سبادا، وتبحر إلى نوفيجراد، ومن هناك ستصل إلى تريتوجور".

«وستكون آمنة. هل تصدقني؟»

اقترب الويتشر من أحد رؤوس الكيمياء، وشرب من الماء المتدفق من فم الوحش الحجري.

«هل تصدقني؟» كرر ديكسترا، واقفًا فوقه.

"هض جيرالت، مسح فمه، ثم لكمه بكل قوته في الفك".

ترنح الجاسوس لكنه لم يسقط.

اندفع أقرب جندي ريداني للإمساك بالويتشر، لكن قبضته أمسكت بالهواء الفارغ،

وبعد لحظة، سقط الجندي على الأرض، يبصق دمًا وأحد أسنانه.

ثم انقض عليه البقية. في فوضى عارمة، واشتباك مضطرب...

تمامًا كما كان الويتشر يأمل.

إرتطم أحد الريدانيين برأسه مباشرة في التمثال الغرغولي، وتحول الماء المتدفق من فكيه إلى لون أحمر قاتم.

آخر تلقى ضربة قوية من كعب قبضة الويتشر في قصبته الهوائية، فانحنى على نفسه كما لو أن أحدًا قد اقتلع أعضائه التناسلية.

ثالث، تلقى لكمة مباشرة في عينه، فتراجع متأوهًا وسقط للخلف.

انقض ديكسترا على جيرالت، ممسكًا به في قبضة دب ضخمة، لكن الويتشر ضربه بقوة في كاحله بكعب قدمه.

صرخ الجاسوس متألمًا، وقفز على قدم واحدة بشكل مضحك.

أحد السفاحين حاول أن يضرب الويتشر بسيفه القصير، لكن شفرة السيف لم تصب سوى الهواء الفارغ.

أمسك جيرالت بكوع الرجل بيد، وبمعصمه باليد الأخرى. أدار جسده بعنف، فسقط فوق اثنين آخرين كانا يحاولان النهوض.

الرجل الذي كان يمسكه كان قويًا، ولم يكن ينوي التخلي عن سيفه بسهولة.

لذا شدّ الويتشر قبضته عليه، حتى صدر صوت طقطقة، وذراعه انكسرت بوضوح.

كان ديكسترا لا يزال يترنح على قدم واحدة، لكنه تمكن من الإمساك برمح طويل ملقى على الأرض، محاولًا تثبيت الويتشر إلى الحائط بشفرته الثلاثية.

لكن جيرالت تفادى الضربة، أمسك بعصا الرمح بكلتا يديه، واستغل مبدأ الرافعة .. الذي يعرفه جميع العلماء جيدًا.

رأى ديكسترا الجدار يقترب بسرعة، فألقى الرمح من يده، لكنه لم يتمكن من تفادي الاصطدام المباشر بين فخذيه ورأس التمثال الغرغولي.

استغل الويتشر الرمح، وأطاح بأحد السفاحين الآخرين عن قدميه، ثم وضع العصا على الأرض وكسرها بركلة، محولًا إياها إلى سلاح بحجم سيف.

اختبر الهراوة المؤقتة بضربة على ديكسترا — الذي كان يجلس متألمًا فوق التمثال — ثم استخدمها لإسكات أنين الرجل الذي كُسرت ذراعه.

كانت خياطة ردائه قد تمزقت بالفعل تحت ذراعيه أثناء القتال، لكنه شعر أنه بخير تمامًا.

آخر وحش لا يزال واقفًا هاجمه برمح طويل، معتقدًا أن طوله سيمنحه أفضلية.

لكن الويتشر ضربه مباشرة بين حاجبيه، فجلس السفاح بقوة فوق الأصيص الذي يحمل نبتة الأغاف.

أحد الجنود الريدانيين الآخرين، وكان عنيدًا بشكل غريب، تعلق بساق الويتشر، وغرس أسنانه فيها بقوة.

إستشاط جيرالت غضبًا، وحرمه من القدرة على العض بلكمة قوية جعلته يطير مترًا إلى الخلف.

وصل دانديليون إلى الدرج، يلهث بشدة، وعندما رأى ما يحدث شحبت ملامحه تمامًا، كالأشباح.

«جيرالت!» صرخ بعد لحظة. «سيري اختفت! إنها ليست هنا!»

«كنت أتوقع ذلك.» أجاب الويتشر، بينما كان يضرب أحد الجنود الريدانيين، الذي كان يرفض الاستسلام، بهراوته.

«لكن بحق الآلهة، دانديليون، جعلتني أنتظرك طويلًا. ألم أخبرك البارحة أن تركض إلى أريتوزا إذا حدث شيء؟ هل أحضرت سيفي؟»

«كلاهما!»

«السيف الآخر يخص سيري، أيها الأحمق.»

وجه جيرالت ضربة قوية للرجل الذي كان يحاول النهوض من فوق أصيص الأغاف.

«أنا لا أعرف الكثير عن السيوف.» تلعثم الشاعر، يلهث بشدة.

«توقف عن ضربهم، بحق الآلهة! ألا ترى شعار النسر الريداني؟ إنهم رجال الملك فيزيمير! هذا يُعد خيانة وتمردًا، قد ينتهي بك الأمر في زنزانة لهذا...!»

«على المقصلة.» تمتم ديكسترا، وهو يسحب خنجرًا، يترنح وهو يحاول الاقتراب.

لكنه لم يتمكن من قول شيء آخر، لأنه انهار على الأرض، ساقطًا على يديه وركبتيه، بعد أن تلقى ضربة قوية على جانب رأسه ببقايا عصا الرمح.

«مكسورًا على عجلة التعذيب.» تمتم دانديليون بكآبة. «وبعد ذلك يُمزق جسدنا بالملاقط المحماة...»

ركل الويتشر الجاسوس في أضلاعه، فانهار ديكسترا على جانبه، مثل فيل ضخم أُسقط بضربة واحدة.

«...ثم تُقطّع جثثنا إلى أربعة أجزاء.» تابع الشاعر، مغمومًا.

«كفى، دانديليون.» قال جيرالت، «أعطني كلا السيفين، واهرب من هنا بأسرع ما يمكنك. غادر الجزيرة. ابتعد قدر الإمكان!»

«وماذا عنك؟»

«سأعود إلى هناك. عليّ إنقاذ سيري... وينيفر.»

«ديكسترا، ابقَ مكانك، وأبعد يديك عن ذلك الخنجر!»

«لن تفلت بفعلتك هذه...» لاهث الجاسوس، «سأرسل رجالي خلفك... سأقبض عليك...»

«لا، لن تفعل.»

«أوه، بل سأفعل. لدي خمسون رجلًا على متن سبادا...»

«وهل بينهم طبيب جراح؟»

«ماذا؟»

اقترب جيرالت من الجاسوس، انحنى، أمسك بقدمه، ثم أدارها بسرعة وبقوة هائلة.

صدر صوت طقطقة مروع.

عوى ديكسترا من الألم، ثم فقد وعيه.

أما دانديليون، فقد صرخ كما لو كان هو من كُسر كاحله.

«لم أعد أهتم بما سيفعلونه بي بعد أن يُقطع جسدي.» تمتم الويتشر.

* * *

كان الهدوء يلف أريتوزا.

بقي القليل من المتمسكين بالسهر في قاعة الحفلات، لكن لم يكن لديهم طاقة كافية لإحداث ضجيج بعد الآن.

تجنب جيرالت المرور هناك، لم يكن يريد أن يُلاحظه أحد.

كان من الصعب العثور على الغرفة التي قضاها مع ينيفر في الليلة الماضية.

كانت ممرات القصر أشبه بالمتاهة، وكلها تبدو متشابهة.

كانت الدمية القماشية تنظر إليه بأزرار عينيها الفارغة.

جلس على السرير، ممسكًا رأسه.

لم تكن هناك دماء على أرضية الغرفة.

لكن فستانًا أسود كان ملقى على ظهر الكرسي.

ينيڤر قد غيرت ملابسها.

إلى زي رجالي؟

زي المتآمرين؟

أم أنهم جرّوها خارجًا بملابسها الداخلية؟

مكبلة بأصفاد الديميريتيوم؟

كانت مارتي سوديرجرين، المُعالِجة، جالسة في الزاوية، متكئة على النافذة.

عندما سمعت خطواته، رفعت رأسها.

كانت وجنتاها مبللتين بالدموع.

"هن جديمديث مات" ... قالت بصوت متقطع "كان قلبه... لم أستطع فعل شيء... لماذا استدعوني متأخرة؟ .. سابرينا ضربتني .. ضربتني على وجهي .. لماذا؟ ما الذي حدث؟"

«هل رأيتِ ينيڤر؟»

«لا، لم أرها.»

«اتركني وحدي. أريد أن أبقى بمفردي.»

«أرشديني إلى أقصر طريق إلى جارستينج. من فضلك.»

* * *

فوق أريتوزا، امتدت ثلاث شرفات مغطاة بالشجيرات.

وراءها، أصبحت منحدرات الجبل شديدة الانحدار، لا يمكن الوصول إليها.

في الأعلى، كان قصر جارستينج يلوح فوق الهاوية،

وعند سفحه، بدا القصر كتلة مظلمة، موحدة، من الحجر الأملس، نابتة من الصخور.

لم يكن شيء يلمع فيه سوى نوافذه العلوية من الرخام والزجاج الملون،

وسقوف قببه المعدنية التي تألقت كالذهب تحت أشعة الشمس.

الطريق المرصوف المؤدي إلى جارستينج، والذي يواصل الصعود إلى القمة،

كان يلتف حول الجبل كأفعى متعرجة.

لكن كان هناك طريق آخر، أقصر:

سُلَّم يربط بين الشرفات، ويختفي في فم نفق مظلم يقع أسفل جارستينج مباشرة.

وكان هذا السلم هو ما أشارت إليه مارتي سوديرجرين للويتشر.

فور خروجه من النفق، كان هناك جسر يصل بين جانبي الهاوية.

خلف الجسر، استمر الدرج في الصعود بحدة، ثم انعطف، واختفى عن الأنظار.

أسرع الويتشر خطواته.

كانت الدرابزينات مزخرفة بتماثيل صغيرة للفونيات والحوريات،

بدا وكأنها تنبض بالحياة.

كانت تتحرك.

اهتز قلادة الويتشر بعنف.

فرك عينيه.

لم تكن التماثيل تتحرك بالفعل، بل كانت تتحول .. تتبدل من منحوتات ملساء إلى كتل صخرية مسامية، بلا ملامح، متهالكة بفعل الرياح العاتية ورذاذ البحر.

ثم في لحظة، استعادت شكلها مرة أخرى.

كان يعلم ما يعنيه ذلك.

الوهم الذي يُخفي ثانيد بدأ ينهار، ويتلاشى.

حتى الجسر كان وهميًا جزئيًا.

من خلال الثغرات التي انكشفت في قشرته السحرية،

كان يرى الهاوية بوضوح، والشلال الهادر في قاعها.

لم تكن هناك ألواح داكنة تدل على طريق آمن للعبور.

اجتاز الجسر بحذر، محاسبًا كل خطوة،

متمتمًا بالشتائم على الوقت الذي كان يضيعه.

عندما وصل إلى الجهة الأخرى، سمع وقع خطوات تركض نحوه.

عرف من هو على الفور.

كان دورريجاري، الساحر في خدمة الملك إثاين من سيداريس،

يهرول نحو الأسفل بسرعة، وكأن دعوته قد أُلغيت فجأة.

تذكر الويتشر كلمات فيليبا إيلهارت.

السحرة الذين يمثلون الملوك المحايدين دُعوا إلى جارستينج كمراقبين.

لكن دورريجاري كان يندفع هابطًا الدرج كما لو أن هناك شيء يطارده.

«دورريجاري!»

«جيرالت؟» لهث الساحر وعيناه متسعتان.

«ماذا تفعل هنا؟ لا تبقَ هنا! اهرب! انزل إلى أريتوزا فورًا!»

«ماذا حدث؟»

«خيانة!»

«ماذا؟»

إرتجف دورريجاري فجأة، ثم سعل بطريقة غريبة، ثم ترنح وسقط نحو الأمام على الويتشر، قبل أن يتمكن جيرالت من الإمساك به، لمح ريشة رمادية تبرز من ظهره.

تأرجح هو والساحر معًا في عناق مؤقت.

تلك الحركة أنقذت حياة الويتشر، لأن سهمًا ثانيًا، مطابقًا للأول، لم يصب حنجرته، بل ارتطم بوجه تمثال الفون الحجري، ليحطم أنفه وجزءًا من وجنته.

أسقط جيرالت دورريجاري، ثم تدحرج بسرعة خلف الدرابزين.

انهار الساحر فوقه.

كان هناك قناصان، وكلاهما كان يرتدي قبعة مزينة بذيل سنجاب.

أحدهما بقي في قمة الدرج، مشدود القوس، مستعدًا لإطلاق سهم جديد،

بينما الآخر استل سيفه، واندفع نازلًا على الدرج، قافزًا عدة درجات في كل مرة.

دفع جيرالت جثة دورريجاري بعيدًا، وقفز على قدميه، مستلًا سيفه.

أطلق القناص سهمه، لكن الويتشر أوقفه بضربة سريعة من سيفه، منحرفًا عن مساره.

السنجابي الثاني، الذي كان قد اقترب بالفعل، تردد للحظة عندما رأى السهم ينحرف.

لكن فقط للحظة.

ثم اندفع مجددًا، سيفه يلمع، مستعدًا لتوجيه الضربة.

قام جيرالت بصد سريع، بزاوية مائلة، مما جعل سيف الإلف ينزلق على نصله.

فقد الإلف توازنه.

استدار الويتشر بسلاسة، ثم ضربه بضربة واحدة، فقط واحدة، عبر جانب رقبته، أسفل الأذن.

وكان ذلك كافيًا.

في الأعلى، كان القناص الآخر قد شد قوسه مرة أخرى، لكنه لم يُتح له الوقت لإطلاق السهم.

رأى جيرالت وميضًا مفاجئًا.

صرخ الإلف، فرد ذراعيه، ثم سقط إلى الأمام، متدحرجًا على الدرج.

كان ظهره يشتعل بالنيران.

ساحر آخر كان يركض نازلًا الدرج.

عندما رأى الويتشر، توقف، ثم رفع يده.

جيرالت لم يُضيع الوقت في الشرح، بل انبطح على الأرض فورًا.

مرت فوقه صاعقة نارية، تهمس في الهواء، ثم اصطدمت بتمثال فون، وحولته إلى غبار.

«توقف!» صرخ جيرالت. «إنه أنا، الويتشر!»

«تبًا.» تنفس الساحر بصعوبة، وهو يقترب من جيرالت، الذي لم يستطع تذكره من الحفل.

«ظننتك واحدًا من هؤلاء السفاحين الإلفيين... ماذا عن دورريجاري؟ هل ما زال حيًا؟»

«أعتقد ذلك...»

«إلى الجهة الأخرى من الجسر، بسرعة!»

جرّوه عبر الجسر.

وكان الحظ حليفهم، لأنهم في استعجالهم لم يلتفتوا إلى الوهم المتلاشي والمتحلل.

لم يكن أحد يطاردهم، لكن الساحر، رغم ذلك، رفع يده، تلا تعويذة، ثم أطلق صاعقة أخرى، دمرت الجسر تمامًا.

تحطمت الأحجار وسقطت في أعماق الهاوية.

«هذا سيبقيهم بعيدًا لبعض الوقت.» قال الساحر.

مسح الويتشر الدم الذي كان يتدفق من فم دورريجاري.

«لديه ثقب في الرئة. هل يمكنك مساعدته؟»

«يمكنني.» قالت مارتي سوديرجرين، وهي تجر نفسها صعودًا من النفق المؤدي إلى أريتوزا.

«ما الذي يحدث، كاردوين؟ من أطلق عليه النار؟»

«سكوياتيل.» قال الساحر، وهو يمسح جبينه بأكمامه.

«هناك معركة تدور في جارستينج. هؤلاء الرعاع الدمويون... كلهم سيئون بنفس الدرجة!

"فيليبا قيدت فيلغفورتز في الليل، ثم فيلغفورتز وفرانسيسكا فيندابير جلبا السنجابيين إلى الجزيرة!"

«أما تيسايا دو فريس... فقد قلبت الأمور رأسًا على عقب!»

«كن أكثر وضوحًا، كاردوين!»

"لن أبقى هنا للشرح! أنا ذاهب إلى لوكسيا، ومن هناك سأنتقل عبر البوابة إلى كوفير. أما من في جارستينج، فيمكنهم ذبح بعضهم البعض كما يشاؤون!"

"كل هذا بلا معنى الآن! إنها الحرب!"

"هذا الجنون الذي دبرته فيليبا، ليمنح الملوك سببًا لبدء الحرب مع نيلفجارد!" في الوقت نفسه، ميف من ليريا وديماڤند من إيديرن قد استفزا نيلفجارد! هل تفهم ذلك؟"

«لا.» قال جيرالت. «ولا نريد أن نفهم.»

«أين ينيڤر؟»

«توقفا عن هذا!» صرخت مارتي سوديرجرين، بينما كانت تحاول معالجة دورريجاري.

«ساعداني! أمسكاه! لا أستطيع سحب السهم وحدي!»

ساعداها.

تأوه دورريجاري، وارتجف، ثم اهتزت الدرجات.

في البداية، ظن جيرالت أنها طاقة تعاويذ مارتي العلاجية.

لكن لا...

كان ذلك جارستينج.

انفجرت فجأة نوافذه الزجاجية الملونة، وبدأت ألسنة اللهب تشتعل داخل القصر.

تصاعد الدخان في الهواء.

«ما زالوا يتقاتلون.» قال كاردوين، وهو يصرّ على أسنانه. «الأوضاع هناك تشتعل، تعويذة تلو الأخرى...»

«تعويذات؟ في جارستينج؟ لكن هناك هالة مضادة للسحر!»

"كان هذا بفعل تيسايا. قررت فجأة إلى أي جانب تنتمي. أسقطت الحاجز، أزالت الهالة، وأبطلت مفعول الديميريتيوم".

"ثم انقلب الجميع على بعضهم البعض!"

«فيلغفورتز وتيرانوفا من جهة، وفيليبا وسابرينا من الجهة الأخرى... تصدعت الأعمدة، وانهارت القباب ... ثم فتحت فرانسيسكا المدخل إلى السراديب، وقفز أولئك الشياطين الإلفيين من الأعماق...»

«قلنا لهم إننا محايدون، لكن فيلغفورتز ضحك فقط. ولم نكد نحاول بناء درع دفاعي، حتى أصيبت دريثيلم بسهم في عينها، وتم غرز ريجان كالقنفذ...

"لم أبقَ لأرى ما حدث بعد ذلك".

«مارتي، هل ستستغرقين وقتًا طويلًا؟ علينا الخروج من هنا!»

«دورريجاري لن يستطيع المشي.» قالت المعالجة، بينما كانت تمسح يديها الملطختين بالدماء على فستان سهرتها الأبيض.

«انقلنا عبر البوابة، كاردوين.»

"من هنا؟ لا بد أنكِ جننتِ".

"نحن قريبون جدًا من تور لارا".

"بوابة لارا تطلق انبعاثات تشوه أي محاولة للانتقال الآني، لا يمكنك الآني من هنا!"

«إنه لا يستطيع المشي! عليّ البقاء معه...»

«إذن ابقي!» نهض كاردوين بغضب.

"واستمتعي بذلك! حياتي ثمينة بالنسبة لي!"

«أنا ذاهب إلى كوفير! كوفير محايدة!»

«رائع.» تمتم الويتشر، وهو يبصق على الأرض، يشاهد الساحر يختفي في النفق. يا لها من صداقة وتضامن! لكن لا يمكنني البقاء معكِ أيضًا، مارتي. عليّ الذهاب إلى جارستينج. .. لكن رفيقك المحايد دمر الجسر. هل هناك طريق آخر؟»

استنشقت مارتي سوديرجرين بحدة، ثم رفعت رأسها وأومأت.

* * *

وصل إلى سفح جدار جارستينج عندما سقطت كيرا ميتز على رأسه.

كان الطريق الذي أرشدته إليه مارتي يمر عبر حدائق معلقة، ترتبط بدرجات متعرجة.

كانت تلك الدرجات مغطاة بنبات اللبلاب الكثيف والكروم المتشابكة، ما جعل التسلق صعبًا، لكنه وفر غطاءً جيدًا.

تمكن من الوصول إلى قاعدة جدار القصر دون أن يُكتشف، وكان يبحث عن مدخل، عندما هبطت عليه كيرا، وسقط الاثنان معًا في شجيرات العوسج الأسود.

«لقد فقدت سنًا.» قالت الساحرة بكآبة، تتحدث بلسان ثقيل قليلًا.

كانت غير مرتبة، متسخة، ومغطاة بالجص والسخام.

كان هناك كدمة كبيرة على وجنتها.

«وأعتقد أنني كسرت ساقي.» أضافت كيرا، بصوت متألم وهي تبصق الدم.

«هل هذا أنت، ويتشر؟ هل سقطت عليك؟ كيف حدث هذا؟»

«كنت أتساءل عن الأمر نفسه.»

«تيرانوفا ألقى بي من النافذة.»

«هل يمكنك الوقوف؟»

«لا، لا أستطيع.»

«أريد الدخول إلى الداخل. دون أن يلاحظني أحد. أي طريق أسلك؟»

«هل كل الويتشرات مجانين؟» قالت كيرا، وهي تبصق الدم مرة أخرى، وتتأوه بينما تحاول الاتكاء على مرفقها.

«هناك معركة دائرة في جارستينج! الأمور تشتعل لدرجة أن الجص يتساقط من السقف! هل تبحث عن المشاكل؟»

«لا. أنا أبحث عن ينيفر.»

«أوه!» قالت كيرا، مستسلمة تمامًا، مستلقية على ظهرها.

«أتمنى لو أن أحدًا أحبني بهذه الطريقة. إحملني.»

«ربما في وقت آخر. أنا في عجلة من أمري.»

«إحملني، قلت لك! سأرشدك إلى مدخل جارستينج. عليّ الوصول إلى ذلك الوغد تيرانوفا».

«ماذا تنتظر؟ لن تجد الطريق وحدك، وحتى إن وجدته، فإن أولئك الأوغاد الإلفيين سينهالون عليك، صحيح أنني لا أستطيع المشي، لكنني لا أزال قادرة على إلقاء بعض التعويذات .. وإذا حاول أحد اعتراض طريقنا، فسوف يندم على ذلك.»

صرخت عندما رفعها بين ذراعيه.

«آه!»

«آسف.»

«لا تقلق.» قالت، ملفوفة ذراعيها حول عنقه.

«إنها ساقي. هل تعلم أن رائحتها لازالت تفوح منك؟؟ ... لا، ليس هذا الطريق. عد أدراجك. ثم اصعد إلى الأعلى. إنه المدخل الثاني من جهة تور لارا .. قد لا يكون هناك أي إلفيين هناك... آه! برفق، اللعنة!»

«آسف. كيف وصل السكوياتيل إلى هنا؟»

«كانوا مختبئين في السراديب .. ثانيد مجوفة كصدفة جوز، وتحتها كهف ضخم؛ يمكن لباخرة أن تبحر داخله إذا عرفت الطريق».

"لا بد أن أحدهم دلّهم عليه.."

"آااااه! كن حذرًا! توقف عن هزّي هكذا!»

«آسف. إذن، جاءِ السناجب إلى هنا عن طريق البحر؟ متى؟»

«الله وحده يعلم. ربما أمس، أو قبل أسبوع».

«كنا نستعد لضرب فيلغفورتز، وهو كان يستعد لضربنا».

«فيلغفورتز، فرانسيسكا، تيرانوفا، وفيركارت... خدعونا جميعًا».

«كانت فيليبا تعتقد أنهم يخططون لاستيلاء بطيء على السلطة داخل المجلس، وللضغط على الملوك .. لكنهم كانوا يخططون للتخلص منا خلال المجمع .. جيرالت، الألم لا يُحتمل .. إنها ساقي .. ضعني أرضًا للحظة... آه!»

«كيرا، هذه كسر مفتوح. الدم يتسرب من خلال سروالك.»

«اصمت واستمع».

«لأن هذا عن ينيفر .. دخلنا جارستينج واتجهنا إلى قاعة المناقشات .. كان هناك حاجز مضاد للسحر هناك لكنه لا يؤثر على الديميريتيوم، لذا شعرنا بالأمان .. كان هناك جدال .. تيسايا والمحايدون كانوا يصرخون علينا، ونحن كنا نصرخ عليهم .. أما فيلغفورتز... لم يقل شيئًا .. فقط وقف هناك... وابتسم...»

«أكرر: فيلغفورتز خائن! »

«إنه متحالف مع إمير من نيلفجارد، وقد استدرج آخرين إلى مخططه! »

«لقد انتهك القانون، وخاننا، وخان الملوك...»

«تمهلي، فيليبا.»

قالت تيسايا بهدوء، لكنها نظرت إليها بنظرة ثاقبة.

«أعلم أن النعمة والامتيازات التي يغدقها عليك فيزيمير تعني لك أكثر من تضامن الإخوة».

«والأمر نفسه ينطبق عليكِ، سابرينا، فأنتِ تلعبين الدور ذاته في كيدوين».

«كيرا ميتز وتريس ميريجولد تمثلان مصالح فولتيست في تيميريا، ورادكليف ليس سوى أداة بيد ديماڤند في إيديرن...»

«وما علاقة ذلك بالأمر، تيسايا؟»

«مصالح الملوك لا تتطابق بالضرورة مع مصالحنا».

«أنا أعلم تمامًا ما يجري هنا».

«الملوك بدأوا في إبادة الإلف وغيرهم من غير البشر.. ربما أنتِ، فيليبا، تعتبرين ذلك مشروعًا.. وربما أنت رادكليف ترى أنه من المناسب مساعدة قوات ديماڤند في مطاردتهم للسكوياتيل .. لكنني أعارض ذلك .. وليس من المستغرب أن تكون إينيد فينداباير ضد ذلك أيضًا... »

"لكن هذا لا يكفي لاعتبارها خائنة".

«دعيني أكمل! أنا أعرف جيدًا ما الذي كان ملوككم يخططون له .. أعرف أنهم يريدون إشعال الحرب .. التدابير التي كان من المفترض أن تمنع تلك الحرب .. قد تبدو خيانة في نظر فيزيمير، لكنها ليست كذلك في نظري .. فإذا كنتم تريدون محاكمة فيلغفورتز وفرانسيسكا، فحاكموني معهم!»

«أي حرب تتحدثين عنها؟»

«ملكي، إستيراد من كوفير، لن يدعم أي أعمال عدائية ضد إمبراطورية نيلفجارد! كوفير كانت وستظل محايدة! ..

"أنت عضو في المجلس، كاردوين!"

«لستُ سفير كوفير!»

«انظري من يتحدث، سابرينا.»

«كفى!» ضربت فيليبا قبضتها على الطاولة بقوة.

«سأشبع فضولك، كاردوين."

«تتسأل من الذي يحضر للحرب؟ نيلفجارد».

"إنهم ينوون مهاجمتنا وسحقنا".

«لكن إمير ڤار إمريس يتذكر تلة سودين، وقرر حماية نفسه بإزالة السحرة من المعادلة أولًا".

«ولهذا الغرض، تواصل مع فيلغفورتز من روجڤين».

«اشتراه بوعود القوة والشرف».

«نعم، تيسايا».

«فيلغفورتز، بطل سودين، باعنا ليصبح الحاكم والسيد على جميع الأراضي الشمالية المحتلة».

«بمساعدة تيرانوفا وفيركارت، سيحكم المقاطعات التي ستُنشأ على أنقاض الممالك التي ستسقط».

«هو من سيمسك بسوط نيلفجارد، هو من سيتحكم بالبشر الذين سيُجبرون على العمل كعبيد للإمبراطورية».

«وأما فرانسيسكا فيندابير، إينيد آن غليانا، فستصبح ملكة أرض الإلف الأحرار».

«ستكون بالطبع تحت حماية نيلفجارد، وذلك سيكون كافيًا للإلف، طالما أن الإمبراطور إمير منحهم حرية إبادة البشر .. لأن الإلف لا يرغبون بشيء بقدر ما يرغبون في قتل الـ داهوين (البشر).»

«هذه اتهامات خطيرة، مما يعني أن الأدلة يجب أن تكون بنفس الثقل .. ولكن قبل أن تلقي بأدلتكِ في الميزان .. فيليبا إيلهارت .. كوني على دراية بموقفي .. الأدلة يمكن تزويرها .. والأفعال ودوافعها يمكن تفسيرها بشكل خاطئ .. لكن لا شيء يمكن أن يغير الحقائق القائمة .. لقد حطمتِ وحدة وتضامن الإخوة، فيليبا إيلهارت .. لقد قيدتِ أعضاء المجلس بالأصفاد كما لو كانوا مجرمين .. لذلك، لا تجرئي على عرض منصب عليّ في المجلس الجديد، ذلك المجلس الذي تنوي عصابتكِ إنشاءه من

الخونة أولئك الذين باعوا أنفسهم للملوك وليس لنيلفجارد .. يفصلنا الآن الموت والدم .. موت هن جديمديث، ودم ليديا فان بريديفورت.. لقد أسلتِ ذلك الدم بازدراء ..كنتِ أفضل تلميذاتي، فيليبا إيلهارت .. كنتُ دائمًا فخورة بكِ .. أما الآن، فلا أشعر تجاهكِ سوى بالاحتقار.»

كانت كيرا ميتز شاحبة مثل ورقة بردي.

* * *

«لقد أصبح جارستينج أكثر هدوءًا منذ بعض الوقت.» همست.

«الأمر يقترب من نهايته ... إنهم يطاردون بعضهم البعض عبر القصر ، هناك خمسة طوابق وست وسبعون غرفة وصالة، هذا يوفر مساحة كافية للمطاردة...»

«كنتِ ستخبرينني عن ينيفر.» قال جيرالت، وهو ينظر إليها بقلق .. "تكلمي بسرعة، أخشى أن تفقدي وعيك."

«ينيڤر؟ آه، نعم...»

«كان كل شيء يسير وفق الخطة، حتى ظهرت ينيفر فجأة.

«وجلبت معها وسيطة روحانية إلى القاعة...»

«من؟»

«فتاة، ربما في الرابعة عشرة من عمرها .. شعرها فاتح جدًا، وعيناها خضراوان واسعتان... بدأت بالتنبؤ قبل أن نتمكن حتى من إلقاء نظرة جيدة عليها .. تحدثت عن الأحداث في دول أنجرا .. لم يكن لدى أحد أي شك في أنها كانت تقول الحقيقة ..كانت في حالة غيبوبة، وفي حالة الغيبوبة، لا أحد يكذب.»

«الليلة الماضية،» قالت الوسيطة، قوات مسلحة تحمل شعار ليريا، وترفع رايات إيدين، ارتكبت أعمال عدوان ضد إمبراطورية نيلفجارد. تعرضت نقطة حراسة حدودية في دول أنجرا، جليفزنجن، للهجوم. أعلن منادي الملك ديماڤند لأهل القرى المجاورة أن إيدين ستسيطر على البلاد بالكامل اعتبارًا من اليوم .. تمت دعوة جميع السكان للانتفاض ضد نيلفجارد...»

«هذا مستحيل! إنها مجرد مؤامرة خسيسة!»

«تنطقين بهذه الكلمة بسهولة، فيليبا إيلهارت. قالت تيسايا دو فريس بهدوء. لكن لا تخدعي نفسكِ؛ صراخكِ لن يكسر غيبوبتها».

«تابعي، يا ابنتي.»

«الإمبراطور إمير ڤار إمريس، أصدر الأمر بالرد على الضربة بالضربة. قوات نيلفجارد دخلت ليريا و إيدين مع فجر هذا اليوم.»

«وهكذا،» ضحكت تيسايا، «أظهر ملوكنا مدى حكمتهم واستنارتهم وسعيهم للسلام. وبعض سحرتنا أثبتوا لأي قضية يخدمون حقًا. أولئك الذين كان بإمكانهم منع هذه الحرب الإمبريالية، تم تكبيلهم بأصفاد الديميريتيوم بحذر، ويواجهون الآن اتهامات ملفقة...»

«هذا ليس سوى كومة من الأكاذيب!»

«تبًا لكم جميعًا!»

صرخت سابرينا غليفيسيج فجأة: «فيليبا! ما الذي يجري هنا؟ ما الغاية من هذه الفوضى في دول أنجرا؟ ألم نتفق على عدم البدء مبكرًا؟ لماذا لم يستطع ذلك الأحمق ديماڤند كبح نفسه؟ لماذا تلك العاهرة ميف...»

«اصمتي، سابرينا!»

قالت تيسايا دو فريس، وهي ترفع رأسها : «لا، لا.. دعيها تتكلم. .. دعيها تتحدث عن جيش هينسيلت من كيدوين، المتمركز على الحدود .. دعيها تتحدث عن قوات فولتيست من تيميريا، التي لا شك أنها بدأت بالفعل في إطلاق القوارب المختبئة بين الأدغال على طول نهر ياروغا .. دعيها تتحدث عن القوة الاستكشافية تحت قيادة فيزيمير من ريدانيا، الواقفة على أهبة الاستعداد عند نهر بونتار .. فيليبا، هل كنتِ تظنين أننا عميان وصمّ؟»

صرخت فيليبا بغضب: «إنها ليست سوى مؤامرة دموية ضخمة! .. الملك فيزيمير...»

قاطعتها الوسيطة ذات الشعر الأشقر بصوت خالٍ من العاطفة: «الملك فيزيمير، قُتل ليلة البارحة .. طُعن حتى الموت على يد قاتل مأجور .. ريدانيا لم يعد لها ملك.»

قالت تيسايا دو فريس، وهي تنهض واقفة: «ريدانيا لم يكن لها ملك منذ زمن طويل، كانت صاحبة السمو فيليبا إيلهارت، الخليفة الجديرة لرافارد الأبيض، هي من تحكم ريدانيا .. شخص مستعد للتضحية بعشرات الآلاف من الأرواح من أجل السلطة المطلقة.»

لا تستمعوا إليها!»

صرخت فيليبا: «لا تستمعوا إلى تلك الوسيطة! إنها مجرد أداة، أداة بلا تفكير.. لمن تخدمين، ينيفر؟ من الذي أمركِ بإحضار ذلك المسخ إلى هنا؟»

قالت تيسايا دو فريس: «أنا من فعلت هذا.»

جيرالت: «ماذا حدث بعد ذلك؟ ماذا حدث للفتاة؟ ماذا عن ينيفر؟»

قالت كيرا، وهي تغلق عينيها: «لا أعلم .. تيسايا رفعت الحاجز فجأة بتعويذة واحدة .. لم أرَ شيئًا كهذا في حياتي .. أعمتنا وأوقفتنا جميعًا، ثم حررت فيلغفورتز والآخرين... ثم فتحت فرانسيسكا المدخل إلى السراديب، وفجأة غصّ جارستينج بجحافل السكوياتيل .. كان يقودهم مسخ مدرع، يرتدي خوذة نيلفجاردية مجنحة .. ساعده ذلك الرجل ذو العلامة على وجهه .. كان يعرف كيف يلقي التعويذات. وكيف يحيط نفسه بدروع سحرية...»

«رينس.»

«ربما. لا أدري. كان الوضع مشتعلاً... السقف انهار. التعويذات والسهام كانت تتطاير في كل مكان؛ كانت مجزرة... فيركارت كان من بين قتلاهم، ودريثيلم ورادكليف من بين قتلاتنا .. ماركوارد، ريجان، وبيانكا دي إستي قتلوا...تريس ميريجولد أصيبت. سابرينا جُرحت ... عندما رأت تيسايا الجثث، أدركت خطأها، حاولت حمايتنا، حاولت تهدئة فيلغفورتز وتيرانوفا...لكن فيلغفورتز سخر منها، ضحك عليها .. عندها فقدت صوابها... وهربت .. أوه، تيسايا... كم من القتلى...»

«ماذا حدث للفتاة؟ ماذا عن ينيفر؟»

"لا أدري". قالت الساحرة وهي تسعل وتبصق الدم.كان تنفسها ضحلًا وبالكاد تستطيع الكلام. "فقدت وعيي بعد أحد الانفجارات .. ذلك الرجل ذو الندبة وإلفييه تمكنوا مني .. تيرانوفا ضربني حتى لم أعد أرى، ثم ألقى بي من النافذة.»

«ليست ساقكِ فقط كيرا. أضلاعكِ مكسورة أيضًا.»

«لا تتركني.»

«عليّ ذلك. سأعود من أجلكِ.»

«أوه، بالطبع...» تمتمت، بنبرة يائسة.

* * *

في البداية، لم يكن هناك سوى فوضى متلألئة،خفقان الظلال، اختلاط النور والظلام، وجوقة من الأصوات المبهمة التي تنبعث من الهاوية. ثم، فجأة، ازدادت الأصوات قوة، وانفجرت الصرخات والزئير من كل اتجاه. تحول النور المتراقص وسط الظلام إلى نار، تلتهم الأقمشة المعلقة، تطلق شرارات متوهجة من الجدران، ومن الدرابزين، ومن الأعمدة التي تحمل السقف.

سيري اختنقت بالدخان.

عندها أدركت... لم يكن هذا حلمًا.حاولت النهوض، اتكأت على ذراعيها.

تلامست يدها مع شيء رطب.

نظرت إلى الأسفل.

كانت تركع وسط بركة من الدماء.

بجانبها، كان هناك جسد بلا حراك.

جسد إلفي.

عرفت ذلك على الفور.

«انهضي.» كانت ينيفر واقفة بجانبها.

كانت تمسك بخنجر.

«سيدتي ينيفر... أين نحن؟ لا أذكر...!»

أمسكت الساحرة بيدها.

«أنا معكِ، سيري.»

«أين نحن؟ لماذا كل شيء يحترق؟

«من هذا... الملقى هناك؟»

«قلت لكِ ذات مرة، منذ زمن بعيد، إن الفوضى تمد يدها لتختطفكِ .. هل تذكرين؟ .. لا، على الأرجح لا تذكرين .. ذلك الإلف حاول الوصول إليكِ .. أضطررت لقتله بسكين، لأن من يدفعون له كانوا ينتظرون بفارغ الصبر أن نكشف عن أنفسنا باستخدام السحر .. وسنضطر لذلك، لكن ليس بعد...هل أنتِ واعية تمامًا؟»

«أولئك السحرة...» همست سيري .. "أولئك الذين كانوا في القاعة الكبرى... ماذا قلتُ لهم؟ ولماذا قلتُ ذلك؟ لم أرغب بذلك على الإطلاق ... لكنني لم أستطع منع نفسي! لماذا؟ لماذا، سيدتي ينيفر؟»

قالت ينيفر بلطف: «أصمتي، أيتها البطة القبيحة الصغيرة..لقد أخطأتُ. لا أحد معصوم عن الخطأ.»

تعالى زئير، ثم صرخة مرعبة من الأسفل.

«هيا. بسرعة. ليس لدينا وقت.»

ركضتا عبر الممر.

الدخان أصبح كثيفًا أكثر فأكثر.

خنقهما، أعماهما.

اهتزت الجدران من قوة الانفجار.

«سيري.»

توقفت ينيفر عند مفترق الممرات، أمسكت بيد الفتاة بقوة.

"استمعي إليّ الآن .. استمعي جيدًا .. عليّ أن أبقى هنا .. أترين تلك الدرجات؟ انزلي منها..."

«لا! لا تتركيني وحدي!»

"عليّ ذلك. أكرر: انزلي من تلك الدرجات. إلى القاع تمامًا .. هناك باب، وخلفه ممر طويل.. وفي نهاية الممر، ستجدين إسطبلًا، وحصانًا واحدًا فقط، مسرّجًا وجاهزًا .. فقط واحد .. خذي الحصان، وامتطيه .. إنه مدرّب، يستخدمه الرسل الذين يسافرون إلى لوكسيا .. يعرف الطريق. فقط اجعليه ينطلق .. وعندما تصلين إلى لوكسيا، ابحثي عن مارجريتا .. ستعتني بكِ. لا تدعيها تفارق ناظريكِ.. »

«سيدتي ينيفر! لا! لا أريد أن أكون وحدي!»

«سيري،» قالت الساحرة برقة. «قلت لكِ من قبل، «كل ما أفعله، أفعله من أجلكِ .. ثقي بي .. ثقي بي، أرجوكِ. والآن، اركضي.»

كانت سيري قد وصلت إلى الدرج عندما سمعت صوت ينيفر مرة أخرى.

كانت الساحرة واقفة بجوار أحد الأعمدة، جبهتها مستندة إليه.

«أنا أحبكِ، ابنتي.» قالتها بصوت خافت، غير واضح. «اركضي.»

* * *

حاصروها عند منتصف السلم.

في الأسفل، كان هناك إلفيان يرتديان قبعات مزينة بذيول سنجاب،

وفي الأعلى، كان هناك رجل يرتدي الأسود.

دون تفكير، قفزت سيري فوق الدرابزين، واندفعت هاربة عبر ممر جانبي.

ركضوا خلفها.

كانت أسرع منهم، وكان بإمكانها الفرار بسهولة، لو لم ينتهِ الممر بنافذة.

نظرت عبر النافذة.

كان هناك حافة حجرية — بعرض شبرين تقريبًا — تمتد على طول الجدار.

تسلقت سيري النافذة، تأرجحت بساقها، ثم خرجت إلى الحافة.

ابتعدت عن النافذة، وضغطت ظهرها على الجدار.

البحر كان يلمع في الأفق.

أطل أحد الإلفيين من النافذة.

كان شعره فاتحًا جدًا، وعيناه خضراوان.

يرتدي وشاحًا حريريًا حول عنقه.

تحركت سيري بسرعة على طول الحافة نحو النافذة التالية.

لكن الرجل الذي يرتدي الأسود كان ينظر منها.

عيناه كانتا داكنتين، نافذتين، وكان هناك أثر علامة محمرة على خده.

«أمسكناكِ، أيتها الصغيرة!»

نظرت إلى الأسفل.

رأت ساحة بعيدة تحتها.

كان هناك جسر ضيق يربط بين رواقين فوق الساحة،

عشرة أقدام تقريبًا أسفل الحافة التي كانت تقف عليها.

لكن لم يكن جسرًا حقًا.

كان ما تبقى من جسر.

ممر حجري ضيق، مع بقايا درابزين محطّم.

«ماذا تنتظر؟» صرخ الرجل ذو الندبة. «اخرج وأمسك بها!»

خطا الإلف الأشقر بحذر إلى الحافة،ظهره ملتصق بالجدار.

مد يده نحوها.

كان يقترب أكثر.

ابتلعت سيري ريقها.

الممر الحجري — بقاياه — لم يكن أضيق من الأرجوحة المتأرجحة في كاير مورهن، وقد هبطت عليها عشرات المرات.

كانت تعرف كيف تخفف من سقوطها وتحافظ على توازنها.

لكن أرجوحة الويتشرز كانت على ارتفاع أربعة أقدام فقط عن الأرض، أما هذا الجسر الحجري فكان يفصلها عن الأرض بفراغ مهول، لدرجة أن ألواح ساحة الفناء بدت أصغر من راحة يدها.

قفزت.

هبطت، ترنحت، ثم استعادت توازنها بالإمساك ببقايا الدرابزين المحطم.

بخطوات واثقة، عبرت إلى الرواق.

لم تستطع مقاومة الأمر؛ استدارت، ولوّحت بأصبعها الأوسط لمطاردها،

الإشارة التي علمها إياها القزم ياربن زيجرين.

سبّ الرجل ذو الندبة بغضب.

«اقفز!»

صرخ في الإلف الأشقر، الذي كان لا يزال واقفًا على الحافة.

«الحق بها!»

«أنت مجنون، رينس.» قال الإلف ببرود. «اقفز أنت.»

لكن، كالعادة، حظها لم يستمر طويلًا.

تم الإمساك بها بينما كانت تهبط من الرواق، حاولت الانزلاق خلف جدار إلى شجيرة العوسج الأسود، لكن يدًا قوية أمسكت بها، قبضة شديدة.

كان رجلاً قصيرًا، ممتلئ الجسد، بأنف متورم، وشفة مشوهة بندبة.

«أمسكتكِ.» همس الرجل بصوت خافت، زاحف، أشبه بالفحيح. «أمسكتكِ، أيتها الصغيرة!»

قاومت سيري، صرخت، لكن الأيدي التي أمسكت بكتفيها شلتها فجأة، غرست فيها ألمًا ساحقًا، طاغيًا.

ضحك الرجل القصير. «لا ترفرفي بجناحيكِ، أيتها العصفورة الصغيرة، وإلا سأحرق ريشكِ. دعينا نلقي نظرة عليكِ. لنرَ هذه الفتاة التي تساوي الكثير عند إمير ڤار إمريس، إمبراطور نيلفجارد. وعند فيلغفورتز.»

توقفت سيري عن المقاومة.

لعق الرجل شفته المشوهة بندبة.

«مثير للاهتمام.» همس مرة أخرى، وهو يقترب منها. «يقولون إنكِ ثمينة للغاية، لكنني لا أراهن عليكِ بفلسٍ نحاسي. آه! يا كنزي! ماذا لو لم يكن فيلغفورتز، ولا رينس، ولا ذلك الفارس ذو الخوذة المزخرفة بالريش، بل أنا، تيرانوفا العجوز، من قدمكِ إلى إمير كهدية؟ هل سينظر إليّ إمير بعين الرضا؟ ما رأيكِ بذلك، أيتها العرافة الصغيرة؟ أنتِ ترين المستقبل، أليس كذلك؟»

أنفاسه كانت كريهة بشكل لا يُطاق.

أدارت سيري رأسها بعيدًا، متقززة.

لكن تيرانوفا أساء فهم الحركة.

«لا تنقري بمنقاركِ عليّ، أيتها العصفورة! أنا لا أخاف من العصافير الصغيرة. لكن ربما ينبغي لي ذلك؟ هاه؟ أيتها العرافة الكاذبة؟ أيتها النبية الزائفة؟ هل ينبغي لي أن أخاف من العصافير الصغيرة؟»

«يجب عليك ذلك.»

همست سيري، فجأة اجتاحها دوار،

برد قارس يسري في أوصالها.

ضحك تيرانوفا، أرجع رأسه للخلف.

ثم تحولت ضحكته إلى عويل ألم.

بومة رمادية ضخمة انقضّت عليه بلا صوت،

غرست مخالبها في عينيه.

صرخ الساحر، أطلق سراح سيري،

مزّق البومة عنه بحركة يائسة، ثم انهار على ركبتيه، ممسكًا بوجهه.

تدفقت الدماء بين أصابعه.

صرخت سيري، تراجعت للوراء.

رفع تيرانوفا أصابعه الملطخة بالدماء والمخاط عن وجهه،

بدأ يهمهم تعويذة بصوت مبحوح، متقطع.

لكنه لم يكن سريعًا كفاية.

خلفه، ظهر ظل غامض.

انطلقت شفرة ويتشر، صفّرت في الهواء، وقطعت رقبته عند قاعدة جمجمته.

«جيرالت!»

«سيري.»

«ليس هناك وقت للعواطف.»

قالت البومة، من أعلى الحائط، ثم تحولت إلى امرأة ذات شعر داكن.

«اهربا! السنجابيون سيصلون قريبًا!»

تحررت سيري من ذراعي جيرالت، نظرت للأعلى، مدهوشة.

المرأة البومة التي كانت جالسة على الجدار بدت شبحية،

ملابسها ممزقة، وجهها ملطخ بالسخام والدم.

«أيتها الصغيرة المسخ.» قالت المرأة البومة، تنظر إليها من علٍ.

«بسبب نبوءتكِ غير المناسبة، كان ينبغي لي أن... لكنني وعدت ويتشركِ بوعد، وأنا لا أخلف وعودي. لم أتمكن من إعطائك رينس، جيرالت. لكن، بالمقابل، أعطيكِ إياها. حية.اهربا، كلاكما!»

* * *

كان كاهير ماور ديفرين أيب كيلاك غاضبًا.

رأى الفتاة التي أُمر بالقبض عليها، لكنه لمحها للحظة فقط.

ثم، قبل أن يتمكن من التحرك، أطلق السحرة المجانين جحيمًا في جارستينج، جعل أي تحرك مستحيلًا.

فقد كاهير اتجاهه وسط الدخان واللهب، تخبط بين الممرات، صعودًا ونزولًا، عبر الأديرة، يلعن فيلغفورتز، يلعن رينس، يلعن نفسه، يلعن العالم كله.

التقى بإلف أخبره أن الفتاة شوهدت خارج القصر، تركض باتجاه أريتوزا.

ثم، ابتسم الحظ لكاهير.

وجد السكوياتيل حصانًا مُسرّجًا في الإسطبل.

«اركضي، سيري، اركضي. إنهم قريبون. سأوقفهم، أما أنتِ، فاهربي. بأسرع ما يمكنكِ! تمامًا كما كنتِ تفعلين في ميدان التدريب!»

«هل تتخلى عني أنت أيضًا؟»

«سأكون خلفكِ مباشرة. لكن لا تنظري إلى الوراء!»

«أعطني سيفي، جيرالت.»

نظر إليها.

تراجعت سيري خطوة إلى الخلف دون وعي.

لم ترَه بهذا التعبير من قبل.

«لو كان معكِ سيف، فقد تضطرين لاستخدامه للقتل. هل تستطيعين فعل ذلك؟»

«لا أعلم. أعطني سيفي.»

«اركضي. ولا تنظري إلى الوراء.»

دوت حوافر الخيول على الطريق.

نظرت سيري خلفها.

وتجمدت في مكانها، مشلولة بالخوف.

كان يطاردها فارس أسود، يرتدي خوذة مزينة بأجنحة جارحة.

تأرجحت الأجنحة، وانتشر عباءته السوداء خلفه.

أطلقت الحوافر شرارات على الحجارة المرصوفة.

لم تستطع التحرك.

انطلق الحصان الأسود من بين الشجيرات على جانب الطريق، وصاح الفارس بصوت مدوٍّ.

كانت سينترا في تلك الصرخة.

كانت قد سمعتها تلك الليلة، المجزرة، الدم، والنيران في تلك الصرخة.

تغلبت سيري على خوفها الطاغي، وانطلقت هاربة.

قفزت فوق سياج، واقتحمت ساحة صغيرة بها نافورة.

لا مخرج.

جدران ملساء عالية أحاطت بها.

وراءها، سمعت صوت شخير الحصان.

استدارت، تعثرت، وارتجفت عندما شعرت بالجدار القاسي خلفها.

كانت محاصرة.

رفرف الطائر الجارح بأجنحته، محلقًا.

حث الفارس الأسود حصانه، قفز فوق السياج الفاصل بينه وبين الساحة.

دوت الحوافر على الأرض الحجرية، انزلقت، ترنحت، وجثمت على قوائمها الخلفية.

تمايل الفارس في السرج، ثم هوى.

استعاد الحصان توازنه، لكن الفارس سقط، درعه يصطدم بالأحجار، محدثًا قعقعة.

نهض على الفور، وسرعان ما حاصر سيري، مثبتًا إياها في زاوية.

«لن تلمسني!» صرخت، وهي تستل سيفها. «لن تلمسني مرة أخرى أبدًا!»

تحرك الفارس نحوها ببطء، ينتصب مثل برج أسود ضخم.

تأرجحت الأجنحة على خوذته، همست. «لن تفلتي مني الآن، يا لبوة سينترا.» قالها، وعيناه القاسيتان تلمعان خلف فتحة خوذته. «ليس هذه المرة. هذه المرة لا يوجد لكِ مفر، أيتها الفتاة المتهورة.»

«لن تلمسني.»

كررت بصوت مختنق بالرعب، ظهرها مضغوط ضد الجدار الحجري.

«يجب عليّ ذلك.. أنا أنفذ الأوامر.»

عندما مد يده ليمسك بها، تلاشى خوف سيري، وحلّ محله غضب شرس.

عضلاتها المشدودة، التي كانت مشلولة من الرعب، بدأت تتحرك، تعمل كينابيع فولاذية مشدودة.

كل الحركات التي تعلمتها في كاير مورهن نفّذت نفسها، بسلاسة وانسيابية تامة.

قفزت سيري؛ اندفع الفارس نحوها، لكنه لم يكن مستعدًا للحركة الدائرية التي أدارتها بعيدًا عن متناول يديه بسهولة.

صرخت شفرتها، لدغت، ضربت بلا خطأ بين ألواح درعه.

ترنح الفارس وسقط على ركبة واحدة، بينما تدفق سيل من الدم القرمزي من تحت كتفيه المدرعين.

بصرخة متوحشة، دارت سيري حوله بحركة أخرى، وضربته مجددًا، هذه المرة مباشرة على خوذته، أوقعته على ركبته الأخرى.

الغضب والجنون أعميَاها تمامًا، لم ترَ شيئًا سوى الأجنحة البغيضة.

تناثرت الريشات السوداء في كل اتجاه.

سقط جناح، واستقر الآخر فوق درعه الملطخ بالدماء.

كان الفارس، الذي لا يزال يحاول النهوض عبثًا، يمد يده ليمسك بسيفها بقفازه المدرع.

لكن الألم انطلق من حنجرته عندما اخترقت شفرة الويتشر نسيج درعه الفولاذي، وغاصت في يده.

الضربة التالية أطاحت بخوذته.

قفزت سيري للخلف، تجمع قوتها، مستعدة لضربة الموت الأخيرة.

لكنها لم تضرب.

لم يكن هناك خوذة سوداء، ولا أجنحة جارحة، تلك الأجنحة التي طاردت أحلامها لسنوات.

لم يكن هناك الفارس الأسود لسينترا.

كان هناك فقط شاب شاحب الوجه، ذو شعر داكن، وعينين زرقاوين مذهلتين، وفم مشوه بتعبير من الرعب.

راكعًا وسط بركة من الدم.

الفارس الأسود لسينترا سقط تحت ضربات سيفها.

تلاشى. لم يعد موجودًا.

لم يتبقَ من الأجنحة المرعبة سوى الريش الممزق.

الشاب المرتجف، النازف بغزارة، لم يكن أحدًا.

لم تكن تعرفه، لم تره من قبل.

لم يكن يعني لها شيئًا.

لم تكن تخشاه، ولم تكن تكرهه.

ولم تكن تريد قتله.

أسقطت سيفها على الأرض.

استدارت، سمعت صرخات السكوياتيل تقترب سريعًا من جارستينج.

عرفت أنهم سيحاصرونها في الساحة خلال لحظات.

عرفت أنهم سيلحقون بها على الطريق.

كان عليها أن تكون أسرع منهم.

ركضت نحو الحصان الأسود، الذي كان يضرب حوافره على الأرض المرصوفة، حثّته على الجري بصيحة، وقفزت إلى السرج بينما كان ينطلق في العدو.

«اتركوني...» تأوه كاهير ماور ديفرين أيب كيلاك، وهو يدفع بيده السليمة الإلفيين الذين كانوا يحاولون رفعه. «أنا بخير. مجرد خدش... الحقوا بها. أمسكوا بالفتاة...»

صرخ أحد الإلفيين فجأة، وتطاير دمه في وجه كاهير.

تهاوى آخر على ركبتيه، أصابعه تضغط على بطنه الممزقة.

البقية قفزوا إلى الوراء، تفرقوا في أنحاء الساحة، سيوفهم تلمع.

هاجمهم كائن فضيّ الشعر، انقض عليهم من فوق الجدار، من ارتفاع كان ليسحق ساقي أي رجل عادي.

كان من المستحيل أن يهبط بسلاسة، أن يدور في حركة دائرية سريعة بشكل يفوق التصور، وفي جزء من الثانية، يبدأ القتل.

لكن الكائن الفضّي فعلها.

وبدأ الذبح.

السكوياتيل قاتلوا بضراوة.

كان لديهم التفوق العددي، لكن لم يكن لديهم أي فرصة.

تحولت الساحة أمام عيني كاهير، المفتوحتين رعبًا، إلى مذبحة.

الفتاة الشقراء، التي جرحته قبل لحظات، كانت سريعة، رشيقة بشكل غير معقول، مثل قطة أم تدافع عن صغارها.

أما الكائن الفضّي الشعر، الذي سقط بينهم،

فكان أشبه بنمر زيريكاني.

فتاة سينترا الشقراء، التي لسبب غير معلوم لم تقتله، بدت مجنونة.

أما الكائن الفضّي، فلم يكن مجنونًا.

كان هادئًا. بارداً.

وقتل بهدوء وبرود.

لم يكن للسكوياتيل أي فرصة.

تكدست جثثهم فوق أحجار الساحة.

لكنهم لم يستسلموا.

حتى عندما تبقى منهم اثنان فقط، لم يهربوا.

بل هاجموا الكائن الفضّي مرة أخرى.

أمام عيني كاهير، قطعت ذراعه أحدهم فوق المرفق.

أما الآخر، فقد أصابه ضربة، بدا أنها خفيفة، عابرة، لكنها قذفته للخلف، قلبته فوق حافة النافورة، وألقته في الماء.

تدفقت المياه فوق الحواف، وتحولت إلى موجات قرمزية.

الإلفي ذو الذراع المبتورة، ركع بجوار النافورة، عينيه تحملقان بفراغ في الدم المتدفق من جذع ذراعه.

الكائن الفضّي أمسكه من شعره، وقطع حنجرته بضربة سريعة من سيفه.

عندما فتح كاهير عينيه، كان الكائن الفضّي واقفًا فوقه.

«لا تقتلني...» همس، مستسلمًا، متوقفًا عن محاولات النهوض.

كانت الأرض زلقة بالدماء.

يده، التي جرحتها الفتاة الشقراء، أصبحت مخدرة.

لم يعد يشعر بالألم.

«أعرف من أنت، يا نيلفجاردي.»

قال الكائن الفضّي الشعر، رافعًا بقدمه الخوذة ذات الأجنحة الممزقة. «لقد طاردتها بلا هوادة، طويلاً جداً. «لكن بعد الآن، لن تستطيع إيذاءها مجددًا.»

«لا تقتلني...»

«أعطني سببًا واحدًا. سببًا واحدًا فقط. وأسرع.»

«كنتُ أنا...» همس كاهير. أنا من أخرجها من سينترا .. من وسط النيران...أنقذتها. أنا من أنقذ حياتها...»

عندما فتح عينيه، كان الكائن الفضّي قد اختفى.

بقي كاهير وحيدًا في الساحة، وسط جثث الإلفيين.

خرير الماء في النافورة كان الصوت الوحيد، يتدفق فوق حواف الحوض، يغسل الدماء المتجمعة على الأرض.

أغمض كاهير عينيه، وسقط مغشيًا عليه.

* * *

عند قاعدة البرج، كان هناك بناء بدا وكأنه قاعة ضخمة واحدة، أو ربما نوع من الأروقة المحاطة بالأعمدة.

السقف فوق الأروقة، على الأرجح وهمي، كان مليئًا بالثقوب.

كان مدعومًا بأعمدة وإنحناءات منحوتة على شكل كارياتيدات شبه عارية، ذات صدور ممتلئة.

كانت نفس الكارياتيدات تدعم قوس المدخل، الذي اختفت سيري من خلاله.

خلف المدخل، لاحظ جيرالت بعض الدرجات المؤدية للأعلى.

نحو البرج.

لعن الويتشر في سره بصوت خافت.

لم يفهم لماذا هربت إلى هناك.

رأى حصانها يسقط بينما كان يركض خلفها، عبر القمم العالية للجدران.

رآها تقفز بسرعة على قدميها، لكن بدلًا من الفرار عبر الطريق المتعرج حول القمة، اندفعت فجأة صعودًا، نحو البرج الوحيد.

لاحقًا فقط لاحظ الإلفيين على الطريق.

أولئك الإلفيون — الذين كانوا مشغولين بإطلاق السهام على رجال يركضون صعودًا — لم يروها، ولم يروه.

التعزيزات كانت تصل من أريتوزا.

كان يهمّ باتباع سيري عبر الدرج، عندما سمع صوتًا.

من الأعلى.

استدار بسرعة.

لم يكن طائرًا.

فيلغفورتز هبط من خلال ثقب في السقف، أكمامه الواسعة ترفرف،

وحطّ ببطء على الأرض.

وقف جيرالت عند مدخل البرج، واستلّ سيفه، وزفر بتنهيدة طويلة.

كان يأمل بصدق أن تكون المعركة الأخيرة، المعركة الحاسمة، بين فيلغفورتز وفيليبا إيلهارت.

لم يكن لديه أدنى اهتمام بهذا النوع من الدراما.

نفض فيلغفورتز غبار سترته، وعدّل أكمامه، ونظر إلى الويتشر، وقرأ أفكاره. وقال بتنهد: «دراما جحيمية.»

جيرالت لم يعلّق.

«هل دخلت البرج؟»

لم يجب.

أومأ الساحر برأسه. «إذن لدينا خاتمة،» قالها ببرود. «النهاية التي تُسدل ستار المسرحية.

«أم هو القدر ربما؟ هل تعلم إلى أين تؤدي تلك الدرجات؟ إلى تور لارا. إلى برج النوارس. لا يوجد مخرج من هناك. كل شيء انتهى.»

تراجع جيرالت، بين اثنتين من الكارياتيدات، اللائي يدعمن مدخل البرج، لحماية جانبيه.

«أجل، بلا شك،» قال ذلك ببطء، وعينيه مثبتتين على يدي الساحر. وأكمل: «كل شيء انتهى.نصف رفاقك قد قُتلوا. جثث الإلفيين الذين جلبتهم إلى ثانيد مكدسة حتى جارستينج. والبقية قد فرّوا. والسحرة ورجال ديكسترا قادمون من أريتوزا. النيلفجاردي الذي كان يفترض أن يأخذ سيري، على الأرجح، نزف حتى الموت بالفعل. وسيري هناك، في البرج. ولا يوجد مخرج من هناك؟"

"يسعدني سماع ذلك. هذا يعني أنه لا يوجد سوى مدخل واحد".

«وأنا من يسده.»

احتقن وجه فيلغفورتز. «أنت ميؤوس منك. لا تزال غير قادر على تقييم الوضع كما ينبغي. المجلس والأخوية لم يعودا موجودين. إن قوات الإمبراطور إمير تزحف شمالًا. بدون مساعدة السحرة ونصائحهم، والملوك لا حول لهم ولا قوة فهم كالأطفال في مواجهة نيلفجارد، وممالكهم تنهار كقلاع من الرمال. عرضت عليك هذا البارحة، وأكرره اليوم: انضم إلى المنتصرين. أبصق على الخاسرين.»

«بل أنت من خسر. كنت مجرد أداة لإمير. هو أراد سيري، ولهذا أرسل ذلك الرجل ذي الأجنحة على خوذته. أتساءل ماذا سيفعل بك إمير، عندما تخبره بهذا الفشل الذريع.»

«أنت تطلق النار عشوائيًا، ويتشر. «وكالعادة، لا تصيب الهدف.

«ماذا لو أخبرتك أن إمير هو أداتي، وليس العكس؟»

«لن أصدقك.»

«جيرالت، كُن عاقلًا.

«هل تريد حقًا أن تمثل هذه المسرحية التافهة، وأن تلعب دور المعركة الأخيرة بين الخير والشر؟ أكرر عليك عرضي بالأمس. لم يفت الأوان بعد. لا يزال بإمكانك الاختيار. يمكنك الانضمام إلى الجانب الصحيح...»

«الجانب الذي خففتُ أعداده قليلًا اليوم؟»

«لا تسخر. إن ابتساماتك الشيطانية لا تؤثر علي. « أمن أجل بضعة إلفيين قتلتهم؟ أم أرتو تيرانوفا؟

«إنهم توافه، مجرد تفاصيل لا معنى لها. يمكن التغاضي عنها.»

«بالطبع. أعرف فلسفتك. الموت لا معنى له، أليس كذلك؟ خصوصًا موت الآخرين؟»

«لا تكن سطحيًا. كان من المؤسف فقدان أرتو، لكن، حسنًا، لا بأس. لنسمِّه... تصفية حسابات قديمة. بعد كل شيء، حاولتُ قتلك مرتين. فإمير قد فقد صبره، لذا أرسلت بعض القتلة خلفك. وفي كل مرة، فعلتُ ذلك على مضض. وكما ترى، لا يزال لدي أمل أن يرسموا لنا لوحة يومًا ما.»

«انسَ هذا الأمل، فيلغفورتز.»

«أعد سيفك إلى غمده ويتشر .. ولنصعد إلى تور لارا معًا .. وسنطمئن طفلة الدم القديم التي من المؤكد أنها ترتجف خوفًا هناك في الأعلى وحدها .. ثم نغادر ..معًا .. ستكون بجانبها .. وسترى قدرها يتحقق ..."

"ماذا عن الإمبراطور إمير؟"

"سيحصل على ما أراد .. لأنني نسيت أن أخبرك أنه رغم موت كودرينجر وفين .. إلا أن عملهما وأفكارهما لا تزال حية ..وتسير على ما يرام، شكرًا لسؤالك".

«أنت تكذب. غادر هذا المكان، قبل أن أبصق عليك.»

«ليس لدي أي رغبة في قتلك. فأنا أقتل على مضض.»

«حقًا؟ وماذا عن ليديا فان بريديفورت؟»

ابتسم الساحر بسخرية. «لا تنطق بذلك الاسم، ويتشر.»

قبض جيرالت على مقبض سيفه بقوة، وابتسم بازدراء قائلاً:

«لماذا كان يجب أن تموت ليديا، يافيلغفورتز؟ لماذا أمرت بقتلها؟ كانت مجرد وسيلة لإبعاد الأنظار عنك أليس كذلك؟ مجرد وسيلة لتمنحك الوقت لتطوير مقاومتك ضد الديميريتيوم، ولإرسال إشارة تخاطرية إلى رينس، أليس كذلك؟ ليديا المسكينة، الفنانة ذات الوجه المشوه.. لقد كان الجميع علمٍ أنها مجرد ورقة قابلة للاستهلاك.. الجميع، ما عداها.»

«اصمت.»

«لقد قتلت ليديا، يافيلغفورتز .. استخدمتها والآن تريد استخدام سيري؟ وبمساعدتي؟ لا .. لن تدخل تور لارا.»

تراجع الساحر خطوة للخلف.

توتر جيرالت، جاهزًا للقفز والضرب.

لكن فيلغفورتز لم يرفع يده.

بدلًا من ذلك، مدها إلى جانبه.

وفجأة، ظهر في قبضته عصًا صلبة، بطول ياردتين.

«أعرف،» قال، "ما الذي يمنعك من تقييم الوضع بعقلانية. أعرف ما الذي يعقد رؤيتك الصحيحة للمستقبل.. إنه غرورك يا جيرالت. لكنني سأجعلك تتخلى عن غرورك. وسأفعل ذلك بهذه العصا السحرية هنا.»

ضيّق الويتشر عينيه، ورفع نصل سيفه قليلًا.

«أنا أرتجف شوقًا.»

* * *

بعد بضعة أسابيع، وبعد أن شُفي بفضل الجنيات ومياه بروكيلون، راح جيرالت يتأمل الأخطاء التي ارتكبها خلال المعركة.

وخلص إلى أنه لم يرتكب أيًا منها.

كان خطؤه الوحيد قبل أن تبدأ المعركة.

كان ينبغي عليه الفرار قبل أن تبدأ على الإطلاق.

كان الساحر سريعًا، توهّجت عصاه في يديه كالبرق.

ازدادت دهشة جيرالت عندما، أثناء صد ضربة، أصدر اصطدام السيف والعصا صدى معدنيًا.

لكن لم يكن هناك وقت للدهشة.

هاجم فيلغفورتز، وكان على الويتشر أن يتلوّى، أن ينعطف، أن ينجو عبر الحركات الدائرية والاندفاعات السريعة.

كان يخشى صدّ الضربات.

كانت العصا اللعينة مصنوعة من الحديد؛ ومُعززة بالسحر فوق ذلك.

أربع مرات، وجد نفسه في وضع يمكنه فيه الردّ، تسديد ضربة قاتلة.

أربع مرات، ضرب.

إلى الصدغ، إلى العنق، تحت الإبط، إلى الفخذ.

كل ضربة كان يجب أن تكون قاتلة.

لكن كل واحدة صُدّت.

لم يكن أي بشري قادرًا على صد تلك الضربات.

بدأ جيرالت يفهم تدريجيًا.

لكن كان قد فات الأوان بالفعل.

لم يرَ الضربة التي أصابته أخيرًا.

الارتطام قذفه إلى الحائط.

ارتدّ عنه لكنه لم يستطع القفز جانبًا أو التملص.

كانت الضربة قد سلبت منه أنفاسه.

أصابته ضربة ثانية، هذه المرة على الكتف، وتطاير مجددًا، رأسه يصطدم بنُتوء صدر كارياتيد بارز على أحد الأعمدة.

قفز فيلغفورتز أقرب، أدار عصاه وضربه في البطن، أسفل الأضلاع.

بقوة شديدة.

انحنى جيرالت، قبل أن تأتيه الضربة التالية على جانب رأسه.

خارت ركبتاه فجأة، وسقط.

وانتهت المعركة. من حيث المبدأ.

حاول جاهدًا أن يحمي نفسه بسيفه.

لكن النصل، المحشور بين الجدار والعمود، تحطم تحت الضربة، مطلقًا صرخة حادة، رنانة.

حاول حماية رأسه بيده اليسرى، لكن العصا سقطت بقوة تكفي لكسر ساعده.

الألم أعمى حواسه بالكامل.

«كان بإمكاني تحطيم دماغك وإخراجه عبر أذنيك،» قال فيلغفورتز من مكان بعيد. لكن هذا كان درسًا. لقد كنت مخطئًا، ويتشر. ظننت أن انعكاس النجوم في بركة ماء ليلية هو السماء ذاتها. أوه، هل تتقيأ؟ حسنًا. ارتجاج دماغي. تنزف أنفك؟ رائع. حسنًا، سأراك لاحقًا. يومًا ما. ربما.»

الآن، لم يستطع جيرالت الرؤية أو السمع.

كان يغرق، يتلاشى داخل شيء دافئ.

اعتقد أن فيلغفورتز قد غادر.

لذا، أصيب بالدهشة عندما سقطت ضربة شرسة من العصا الحديدية على فخذه، محطمة عظم فخذه إلى شظايا.

إن حدث شيء بعد ذلك، فهو لم يتذكره.

* * *

«تماسك، جيرالت. لا تستسلم،» كررت تريس ميريجولد بلا توقف.

«تماسك. لا تمت... أرجوك، لا تمت...»

«سيري...»

«لا تتكلم. سأخرجك من هنا قريبًا. اصمد... اللعنة، أنا ضعيفة جدًا، يالآلهة...»

«ينيفر... عليّ أن...»

«ليس عليك فعل شيء! لا يمكنك فعل شيء! تماسك. لا تستسلم... لا تفقد الوعي... لا تمت، أرجوك...»

سحبته عبر الأرض، التي كانت مغطاة بالجثث.

رأى صدره وبطنه يغمرهما الدم، ينهمر من أنفه.

رأى ساقه.

كانت ملتوية بزاوية غريبة، تبدو أقصر بكثير من الأخرى السليمة.

لم يشعر بأي ألم.

شعر بالبرد.

كل جسده كان بارداً، مخدراً، غريباً عنه.

شعر بالغثيان.

«تماسك، ياجيرالت. المساعدة قادمة من أريتوزا. ستصل قريبًا...»

«ديكسترا... إذا أمسك بي ديكسترا... فأنا هالك...»

شتمت تريس. بيأس.

جرّته نزولًا عبر الدرج، ساقه وذراعه المكسورتان تصطدمان بالحواف.

عاد الألم.

حفر في أحشائه، في صدغيه، وامتد حتى عينيه، حتى أذنيه، إلى قمة رأسه.

لم يصرخ.

كان يعلم أن الصراخ سيمنحه بعض الراحة، لكنه لم يصرخ.

فقط فتح فمه، مما منحه القليل من الراحة.

ثم سمع زئيرًا.

عند قمة الدرج، وقفت تيسايا دي فريس.

شعرها كان منفوشًا، وجهها مغبرًا.

رفعت كلتا يديها، وأضرمت فيهما النيران.

هتفت بتعويذة، وانطلقت اللهب المتراقصة من أصابعها، على هيئة كرة نارية عمياء، زأرت في اللهب.

سمع الويتشر تحطم الجدران في الأسفل، والصراخ الرهيب لأولئك الذين احترقوا أحياء.

«لا، تيسايا!» صرخت تريس بيأس. «لا تفعليها!»

«لن يدخلوا هنا،» قالت الساحرة العظمى، دون أن تدير رأسها.

«هذا جارستينج، على جزيرة ثانيد. لم يدعُهم أحد، هؤلاء الأتباع الملكيين، الذين ينفذون أوامر ملوكهم الحمقى!»

«أنتِ تقتلينهم!»

«اصمتي، تريس ميريجولد! إن الهجوم على وحدة الأخوية قد فشل. الجزيرة لا تزال تحت حكم المجلس! على الملوك أن يكفّوا عن التدخل في شؤوننا! هذا صراعنا، وسنحله بأنفسنا! سننهي صراعاتنا، ثم نضع حدًا لهذه الحرب العبثية، لأننا نحن السحرة، من يتحمل مسؤولية مصير العالم!»

انطلقت من يديها كرة برق، ودوى صداها المضاعف بين الأعمدة والجدران الحجرية.

«ارحلوا!» صرخت مجددًا.

«لن تدخلوا هذا المكان! «ارحلوا!»

خفتت الصرخات القادمة من الأسفل.

فهم جيرالت أن المهاجمين قد انسحبوا، تراجعوا عن الدرج.

تلاشت ملامح تيسايا أمام عينيه.

لم يكن هذا بفعل السحر.

كان يفقد وعيه.

«اهربي، تريس ميريجولد،» جاء صوت الساحرة العظمى من بعيد،

كما لو كان خلف جدار حجري.

«فيليبا إيلهارت هربت بالفعل؛ طارت بأجنحة بومة.

«كنتِ شريكة في هذه المؤامرة الحقيرة، ويجب أن أعاقبك. لكن قد أُريق ما يكفي من الدماء، وسقط ما يكفي من الموتى، وانتشر ما يكفي من البؤس! ارحلي! عودي إلى أريتوزا، وانضمي إلى حلفائك! اهربي عبر البوابة. لم يعد هناك بوابة في برج النوارس.

لقد دُمّرت مع البرج. يمكنكِ الانتقال الآني الآن بلا خوف. إلى أي مكان ترغبين فيه.

إلى ملكك فولتيست، على سبيل المثال، الذي خنتِ الأخوية من أجله!»

«لن أترك جيرالت...» تأوهت تريس. «لا يمكنه الوقوع في أيدي الرادانيين...»

«إنه مصاب بجروح قاتلة... ونزف داخليًا، ولم يعد لدي قوة! لا أملك القوة لفتح البوابة!

«تيسايا! ساعديني، أرجوكِ!»

ظلام.

برد مرير.

ومن مكان بعيد، خلف جدار حجري..

سمعت صوت تيسايا دي فريس:

«سأساعدك.»

إيفرتسن بيتر، مواليد 1234، أحد المقربين من الإمبراطور إمير دايثوين وواحد من المهندسين الحقيقيين لقوة الإمبراطورية.

شغل منصب المشير العام للجيش خلال حروب الشمال (راجع)، ومنذ عام 1290 أصبح أمين الخزانة الإمبراطورية.

في الفترة الأخيرة من حكم الإمبراطور إمير، تم رفعه إلى رتبة الوكيل العام للإمبراطورية.

خلال عهد الإمبراطور مورفران فوريس، اتُّهم زورًا بإساءة التصرف في الأموال، وحُكم عليه بالإدانة، وسُجن، ثم تُوفي في 1301 في قلعة وينبورغ.

تمت تبرئته بعد وفاته من قبل الإمبراطور يان كالفايت في عام 1328.

— إيفنبرغ وتالبوت، الموسوعة الكبرى للعالم، المجلد الخامس

"ابكوا جميعًا، فإن مُدمر الأمم قد حلّ بيننا.

سيدوسون أراضيكم، وسيقسمونها بالحبال.

مدنكم ستُزال، وسكانها سيُنفون.

الخفافيش، البوم، والغربان ستعشش في بيوتكم،

والأفاعي ستبني أعشاشها فيها..."

— نبوءة إيثلين

الفصل الخامس

شدَّ قائد الفرقة لجام جواده، ونزع خوذته، ثم مرَّر أصابعه بين خصلات شعره الخفيف المتشابك بفعل العرق. قائلاً:

«انتهت الرحلة،»

كرر كلماته، وهو يلاحظ نظرة التساؤل في عيني الشاعر.

«ماذا؟

«ماذا تعني؟» قال دانديليون بدهشة. «لماذا؟ لن نكمل الطريق».

«هل ترى؟ ذلك النهر المتلألئ هناك هو نهر ريبون. مهمتنا كانت مرافقتك حتى نهر ريبون. وهذا يعني أن الوقت قد حان لرحيلنا.»

توقفت بقية الفرقة خلفهم، لكن لم يترجل أيٌّ من الجنود.

كانوا جميعًا ينظرون حولهم بتوتر، متوجسين من شيء غير مرئي.

رفع دانديليون يده ليحجب أشعة الشمس، ثم وقف في ركابه.

«أين ترى هذا النهر؟»

«قلت لك، إنه هناك في الأسفل. انزل عبر الوادي، وستصل إليه في لحظات.»

«على الأقل، كان بإمكانكم مرافقتي إلى الضفة،» إحتج دانديليون، وقد بدا الامتعاض على وجهه. «وأريتموني المعبَر... ليس من المعقول أن تتركوني هكذا!»

«لا يوجد شيء يستحق التوضيح. منذ شهر أيار/مايو، والطقس جاف تمامًا، فانخفض مستوى الماء. لن يواجه حصانك أي مشكلة في عبوره...»

«لقد أريْتُ قائدكم الرسالة من الملك فينزلَف، قرأ مضمونها، وسمعته يأمركم بمرافقتي حتى حافة بروكيلون. والآن تريدون تركي هنا، وسط هذه الأدغال؟ ماذا لو تهتُ؟»

«لن تَضيع،»

تمتم أحد الجنود بصوت كئيب، وهو يقترب، لكنه لم يكن قد تحدث حتى الآن.

«لن يكون لديك الوقت لتَضيع. سهم إحدى حوريات الغابة سيجدك أولًا.»

«يا لكم من جبناء بسطاء!» سخر دانديليون، ونفخ صدره بتحدٍّ.

«أرى أنكم ترتعدون خوفًا من حوريات الغابة. لكن حدود بروكيلون لا تبدأ إلا عند الضفة الأخرى من ريبون، النهر هو الحد الفاصل».

أوضح القائد وهو يلقي نظرة حذرة حوله: «لم نعبر بعد حدودهم، إنها تمتد بقدر ما تصل إليه سهامهم».

«السهم القوي المرسل من تلك الضفة يمكن أن يصل إلى حافة الغابة، ولا يزال لديه ما يكفي من القوة ليخترق درعًا معدنيًا».

«أنت من أصررتَ على المجيء. هذا شأنك، إنها حياتك. أما أنا، فحياتي غالية عليَّ. لن أتقدم أكثر. أفضل أن أضع رأسي داخل عش دبابير قبل أن أتقدم أكثر! »

قال دانديليون، وهو يدفع قبعته للخلف ويجلس مستقيمًا في سرجه ونبرته مليئة بالإصرار:

«لقد شرحت لك، أنا ذاهب إلى بروكيلون بمهمة رسمية. يمكنني القول إنني سفير. ولا أخشى حوريات الغابة. لكنني أفضّل أن تَصطحبوني إلى ضفة ريبون. ماذا لو هاجمني قطاع طرق في هذه الأدغال؟»

ضحك الجندي الكئيب بسخرية مصطنعة:

«قطاع طرق؟ هنا؟ في وضح النهار؟ لن تجد روحًا حية في هذا المكان خلال النهار. في الآونة الأخيرة، باتت حوريات الغابة يطلقن سهامهن على أي شخص يظهر عند ضفة ريبون، ولم يعد غريبًا عليهن التوغل في أراضينا أيضًا. لا، لا داعي للخوف من قطاع الطرق.»

«هذا صحيح،» وافق القائد، وهو يتفحص الأفق بحذر.

«على قاطع طريق أن يكون أحمق تمامًا حتى يجوب ضفاف ريبون في وضح النهار. ونحن لسنا حمقى. أنت تمتطي جوادك وحدك، بلا درع ولا سلاح، ولا تبدو، معذرة، كشخص قادر على القتال.ويمكن

لأي أحد أن يلاحظ ذلك من مسافة بعيدة. قد يكون هذا في صالحك. لكن إن رأتنا إحدى حوريات الغابة، ونحن على صهوات الجياد مدججين بالسلاح، فلن ترى الشمس لكثرة السهام.»

«حسنًا، لا خيار أمامي،»

قال دانديليون، وهو يربت على رقبة جواده، ثم يحدق نحو الوادي.

«سأضطر للذهاب وحدي. وداعًا، أيها الجنود. شكرًا لكم على المرافقة.»

«لا تتعجل،»

قال الجندي الكئيب وهو ينظر إلى السماء.

«سيحل المساء قريبًا .. إنطلق عندما يبدأ الضباب في الارتفاع من الماء. لأنك، كما تعلم...»

«ماذا؟»

«في الضباب، يصبح السهم أقل دقة .. إذا ابتسم لك القدر فربما تخطئك سهام الحوريات. لكنهن نادرًا ما يخطئن...»

«قلت لك .. حسنًا، حسنًا. فهمت. أنت ذاهب إليهن بمهمة ما. لكن سأخبرك بشيء آخر. لن يهمهن إن كانت مهمتك رسمية أم حتى مسيرة دينية. سوف يطلقن عليك السهام، وانتهى الأمر.»

«أنت تحاول إخافتي، أليس كذلك؟»

قال الشاعر بتعالٍ، مشيحًا بيده.

«ماذا تظنونني؟ كاتبًا في قصر ملكي؟

«أنا، يا سادتي الطيبين، شهدت ساحات معارك أكثر مما رأيتم في حياتكم.

«وأعرف عن حوريات الغابة أكثر منكم.

«على الأقل، أعرف أنهن لا يُطلقن السهام بلا تحذير.»

«كان هذا صحيحًا في الماضي،»

قال القائد بصوت خافت.

«في السابق، كن يطلقن سهمًا في جذع شجرة أو في الطريق، كإشارة إلى الحد الذي لا يجب تجاوزه. ومن كان يقرر العودة في ذلك الحين، كان يمكنه الخروج سالمًا. لكن الأمر تغير الآن. الآن يطلقن للقتل مباشرة.»

«لماذا هذه القسوة؟»

«حسنًا،»

تمتم الجندي، ومرر أصابعه على مقبض سيفه.

«الأمر كما يلي:

«حين عقد الملوك هدنة مع نيفجارد، وجَّهوا انتباههم إلى مطاردة العصابات الإلفية بكل قسوة. تستطيع أن ترى الضغط الذي يمارسونه، فلا تمر ليلة دون أن يعبر ناجون بروج، باحثين عن ملاذ في بروكيلون. وعندما كان رجالنا يطاردون الإلف، فإنهم كان في بعض الأحيان يشتبكون مع حوريات الغابة أيضًا، حتى أولئك الحوريات اللاتي هبن لمساعدة الإلف من الضفة الأخرى لـ ريبون. جيشنا أيضًا... تجاوز حدوده أكثر من مرة معهم .. أتفهم ما أقصده؟»

«نعم،»

قال دانديليون، محدقًا في الجندي بتمعن، وهو يهز رأسه.

«عندما كنتم تطاردون سكوياتيل، عبرتم ريبون. وقتلتم بعض حوريات الغابة. والآن، حوريات الغابة بدأن بأخذ ثأرهن بنفس الطريقة، إنها الحرب».

"هذا صحيح. لقد نطقت بما في قلبي تمامًا.الحرب. لقد كانت دائمًا معركة للموت – لا للبقاء – لكنها الآن أسوأ من أي وقت مضى. هناك كراهية شرسة بيننا وبينهم. سأكررها لك مرة أخيرة: إن لم تكن مضطرًا، فلا تذهب.»

ابتلع دانديليون ريقه.

«المسألة كلها،» قال وهو يجلس باستقامة في سرجه، محاولًا رسم تعبير حازم واتخاذ وضعية بطولية، أنني مضطر. وسأذهب الآن. سواء حلّ المساء أم لا، سواء غطى الضباب المكان أم لا. الواجب يناديني، سنوات التدريب لم تذهب سدى.»

صوته كان رائعًا ومهيبًا، صارمًا وباردًا. كان يرنّ بالحديد والشجاعة.

نظر إليه الجنود بإعجاب غير مصطنع.

«قبل أن تنطلق» قال القائد، وهو يفك قربة خشبية مسطحة من سرجه، «خذ جرعة من الفودكا، أيها الشاعر، سيدي اشرب جرعة قوية...»

«سيجعل الموت أهون» أضاف الجندي الكئيب، بنبرة كئيبة.

أخذ داندليليون رشفة من القربة.

أعلن بوقار، بعد أن توقف عن السعال واستعاد أنفاسه:

«الجبان، يموت مئة مرة. أما الشجاع، فلا يموت سوى مرة واحدة. لكن سيدة القدر تبتسم للشجعان، وتحتقر الجبناء.»

نظر الجنود إليه بإعجاب أكبر.

لم يكن لديهم أدنى فكرة أنه كان يقتبس من ملحمة بطولية.

بل، من قصيدة كتبها شخص آخر.

«سأكافئكم على مرافقتكم لي بهذا،»

قال الشاعر، وهو يُخرج كيسًا جلديًا يرن بالنقود من صدره.

«قبل أن تعودوا إلى الحصن، وقبل أن تعودوا إلى أحضان الأم الصارمة – الواجب، توقفوا عند حانة، واشربوا نخب صحتي.»

«شكرًا لك، سيدي،» قال القائد، وقد احمر وجهه قليلًا.

«أنت كريم، رغم أننا... اعذرنا على تركك وحدك، لكن...»

«لا بأس. وداعًا.»

عدل الشاعر قبعته بزاوية مائلة فوق أذنه اليسرى، وضغط بكعبيه على جواده، وانطلق في الوادي، صافِرًا لحن «حفلة زفاف في بوليرلين»، وهي أغنية خيالة شهيرة... وغير محتشمة للغاية.

«قال الضابط في الحصن إنه مجرد طفيلي جبان، ورأسه فارغ. لكن اللعنة، إنه فارس شجاع، حتى لو كان... شاعرًا.»

تناهى إلى دانديليون صوت الجندي الكئيب.

«صدقت،» رد القائد.

«لا يمكن القول إنه جبان، هذا مؤكد. لم يطرف له جفن حتى، لقد لاحظت ذلك. وفوق ذلك، إنه يصفر، هل تسمع؟ سمعتَ ما قاله؟ إنه سفير! »

«لا يجعلون أي أحمق سفيرًا، بالتأكيد. يجب أن يكون لديك رأسٌ مفكر لتصبح سفيرًا...»

* * *

أسرع دانديليون في خطاه، راغبًا في الابتعاد بأسرع ما يمكن.

لم يكن يريد أن يُفسد الصورة البطولية التي رسمها لنفسه أمام الجنود.

وكان يعلم، وهو يشعر بجفاف في فمه من شدة الرعب، ولن يكون قادرًا على التصفير لوقت أطول.

كان الوادي مظلمًا ورطبًا، والطين المشبع بالماء، مع سجادة الأوراق المتحللة، كانا يمتصان وقع حوافر حصانه الأشقر الداكن.

أطلق على الحصان اسم "بيغاسوس".

بيغاسوس كان يمشي ببطء، رأسه متدليًا نحو الأرض.

كان واحدًا من تلك الخيول النادرة التي لا تكترث لأي شيء على الإطلاق.

انتهت الغابة،لكن مروجًا واسعة، يغطيها القصب والأعشاب البرية، كانت لا تزال تفصل دانديليون عن ضفاف النهر، الذي كان خطًا من أشجار النُغْر يحدده بوضوح.

شدّ الشاعر لجام بيغاسوس، وألقى نظرة حذرة حوله، لكنه لم يرَ شيئًا.أرهف سمعه، لكن كل ما سمعه كان نقيق الضفادع.

«حسنًا، أيها الفتى،» تمتم بصوت أجش. «إما أن ننجو... أو نهلك. هيّا!»

رفع بيغاسوس رأسه قليلًا، منتصب الأذنين، مستفسرًا عن الجدية في الأمر.

«أجل، سمعتني جيدًا. امضِ قدمًا.»

تحرك الجواد بتثاقل، والأرض الموحلة تصدر صوت قرقعة تحت حوافره.

قفزت الضفادع مبتعدة برشقات طويلة.

وفي مكان قريب، أقلعت بطة مذعورة، ترفرف بجنون وتُطلق نعيقًا حادًا،

مما جعل قلب دانديليون يتوقف للحظة، ثم يضرب صدره بجنون.

أما بيغاسوس، فلم يُبدِ أدنى اهتمام.

«البطل امتطى صهوة جواده...»

تمتم دانديليون، وهو يمسح العرق البارد عن عنقه بمنديل استخرجه من معطفه.
«امتطى بشجاعة عبر البراري،
«غير مكترث للسحالي القافزة .. **
«ولا للتنانين الطائرة...**
«امتطى وامتطى...**
«حتى وصل إلى مسطح مائي شاسع...»**
شخر بيغاسوس بتململ، وتوقف.

كانا قد بلغا النهر، وسط القصب والبردي، الذي وصل ارتفاعه إلى مستوى ركاب الحصان.

مسح دانديليون جبينه المتعرق، وربط المنديل حول عنقه.

حدّق في غابة النُغْر الكثيفة على الضفة الأخرى حتى تدمعت عيناه.

لم يرَ شيئًا. لم يرَ أحدًا.

سطح الماء كان يتماوج برفق، حيث كانت التيارات تخضّ الطحالب المائية.

طائر الكينجفيشر، بلونه الفيروزي والبرتقالي، مرَّ محلقًا فوق الماء بسرعة البرق.

كان الهواء يلمع بسرب من الحشرات الطائرة، وكانت الأسماك تبتلع الذباب المائي، مخلّفة حلقات ضخمة تتسع فوق سطح النهر.

في كل مكان امتدت إليه عيناه، كانت هناك أكواخ القنادس .. أكوام من الأغصان المقطوعة، وجذوع الأشجار المقطوعة والمقروضة، يغسلها التيار البطيء للنهر.

يا له من عدد مذهل من القنادس، فكَّر الشاعر، مندهشًا.

وليس بالأمر العجيب.

لا أحد يزعج هؤلاء القارضين اللعناء.

لا قطاع طرق، لا صيادين، ولا حتى مربو النحل البري يجازفون بالقدوم إلى هذه المنطقة؛ ولا حتى أولئك ناصبو الأفخاخ المتطفلين يجرؤون على نصب أفخاخهم هنا.

من حاول ذلك، انتهى بسهم يخترق حلقه، ولاقت أشلاؤه مصيرها في الطين، حيث تلتهمها جراد البحر عند ضفاف النهر.

أما أنا، الأحمق، فأنا أقتحم هذا المكان بإرادتي الحرة، عند ضفة ريبون، حيث يفوح الهواء برائحة الموت، رائحة نفاذة، حتى أن عبق القصب العطري والنعناع لا يستطيع إخفاءها... تنهد بعمق.

غرس بيغاسوس ساقيه الأماميتين في الماء ببطء، خفض خطمه نحو السطح، شرب طويلًا، ثم رفع رأسه ونظر إلى دانديليون.

كان الماء يقطر من منخريه وفمه.

أومأ الشاعر برأسه، تنهد مرة أخرى، ثم شمَّ الهواء بقوة.

أخذ في الغناء بصوت خافت، محاولًا ألا ترتجف أسنانه:

«حدق البطل في الدوامة الهائجة،»

«حدق فيها،

ثم تابع طريقه،

فلم يكن الخوف يسكن قلبه.»

خفض بيغاسوس رأسه وأذنيه.

«قلت إنه لم يكن يعرف الخوف.»

هز الحصان رأسه، مما جعل الخواتم المعدنية في لجامه تصطك.

دفعه دانديليون بكعبه في خاصرته.

فتقدم بيغاسوس في الماء باستسلام متغطرس.

كان نهر ريبون ضحلًا لكنه كان متشابكًا بالأعشاب المائية.

وقبل أن يصلا إلى وسط التيار، كان بيغاسوس يجر وراءه خصلات طويلة من الطحالب المائية، يتحرك ببطء، بصعوبة، محاولًا التخلص من الأعشاب الملتفة حول قدميه عند كل خطوة.

كانت القصب وأشجار النُغْر على الضفة المقابلة تقترب أكثر فأكثر.

اقتربت إلى درجة أن دانديليون شعر بأن معدته تهبط، وتهبط، حتى استقرت عند السرج نفسه.

** كان يعلم أنه، وهو في منتصف النهر،
متشابكًا في الطحالب المائية،
كان هدفًا مثاليًا،
كحمامة جاثمة في مرمى السهام.
في ذهنه، كان يرى بالفعل الأقواس تُشد،
الأوتار تُسحب،
ورؤوس السهام الحادة تتجه نحوه.

ضغط على جانبي بيغاسوس بساقيه،

لكن الجواد لم يبدِ أي اهتمام.

وبدلًا من أن يزيد سرعته، توقف، ورفع ذيله. ثم تناثرت كرات من الروث في الماء.

أطلق دانديليون أنينًا طويلاً. ثم تمتم وهو يغلق عينيه:

«لم يتمكن البطل،»

«من عبور المنحدرات الهائجة.

«فسقط في المعركة،

مثقوبًا بسهام لا تُحصى.

«وبقي جسده مخفيًا لعصور،

في الأعماق اللازوردية،

«متأرجحًا بين طحالب اليشم الأخضر.

«اختفت جميع آثاره،

ولم يتبقَّ سوى...

«روث حصان،

تحمله التيارات إلى البحر البعيد...»

بدت الراحة جلية على بيغاسوس، فاندفع بمرح نحو الضفة، دون الحاجة إلى أي حث.

وحين وصل أخيرًا إلى اليابسة، وتخلص من قيود الطحالب، سمح لنفسه حتى بالانطلاق في خبب خفيف، مرسلًا دفقة ماء غامرة أغرقت سروال الشاعر وحذاءه.

لم يلحظ دانديليون ذلك.

فالصورة الذهنية للسهام الموجهة نحو بطنه لم تفارقه لحظة، والرعب كان يزحف على عنقه وظهره، باردًا، لزجًا، كعلقة عملاقة تتسلل على جلده.

فما بعد النُغْر، على بعد أقل من مئة خطوة، خلف شريط العشب الأخضر النابض بالحياة،كان ينتصب جدار أسود، شاهق، مخيف، من الأشجار المتراصة.

كان تلك بروكليون.

على الضفة، على بعد خطوات قليلة من مجرى النهر، تكوم هناك هيكل عظمي أبيض لحصان مستلقيًا هناك.

كانت القراص والبردي قد نمت من خلال قفصه الصدري، متشابكة بين عظمه كما لو كانت تحاول استعادته للطبيعة.

وبالقرب منه، متناثرة بين الأعشاب، كانت هناك عظام أصغر، لم تكن بالطبع لحصان.

ارتجف دانديليون وأشاح بوجهه بعيدًا.

بصوت طيني رخو، مصحوبًا بارتطامات المياه، انتشل "بيغاسوس" نفسه من المستنقع النهري، تحت حثّ فارسه، مخلفًا وراءه رائحة الوحل الكريهة.

في تلك اللحظة، توقف نقيق الضفادع.

ساد الصمت التام.

أغمض دانديليون عينيه.

توقف عن التمتمة، عن الإلقاء، عن الارتجال.

تبخرت شجاعته، وذاب إلهامه.

لم يتبقَّ سوى خوف بارد، مقزز، جاثم على صدره؛ إحساس طاغٍ، لكنه خالٍ تمامًا من أي شرارة إبداع.

رفع بيغاسوس أذنيه الرخوتين للحظة، وكأنه يتنصت، ثم تابع طريقه بخطوات متثاقلة نحو الغابة.

غابة الحوريات.

التي يطلق عليها الكثيرون "غابة الموت".

لقد عبرتُ الحدود، فكر الشاعر.

الآن سيُحسم كل شيء.

حين كنت عند النهر أو داخله، كان بإمكانهم أن يكونوا متسامحين.

أما الآن، فلا.

الآن، أنا دخيل.

تمامًا مثل ذلك الذي انتهى به المطاف هناك...

قد أتحول أيضًا إلى هيكل عظمي، تحذيرًا للآخرين...

إذا كانوا هنا على الإطلاق.

إذا كانوا يراقبونني...

تذكر دانديليون مشاهد بطولات الرماية، والمنافسات، والعروض في الأسواق الريفية.

أهداف القش والدمى المثقوبة أو الممزقة برؤوس السهام.

ما الذي يشعر به الإنسان عند اختراقه بسهم؟

الصدمة؟ الألم؟ أم ربما... لا شيء على الإطلاق؟

سواء لم تكن الحوريات بالقرب، أو كنّ لم يقرّرن مصيره بعد، فقد اقترب دانديليون من حافة الغابة وهو يرتجف من الرعب، لكنه كان لا يزال على قيد الحياة.

كان مدخل الغابة مسدودًا بشبكة كثيفة من الأدغال المتشابكة، وجذوع الأشجار الساقطة المسننة بجذور وفروع بارزة كالمخالب.

لكن دانديليون لم يكن ينوي التقدم أبعد من ذلك، بل لم يكن ينوي حتى الاقتراب أكثر مما هو عليه الآن.

قد يدفع نفسه إلى المخاطرة، لكنه لن يقترف حماقة الانتحار.

ترجّل ببطءٍ شديد.

ثبّت لجام "بيغاسوس" في أحد الجذور البارزة.

لم يكن يفعل ذلك عادةً، فـ بيغاسوس لم يكن من الخيول التي تبتعد عن صاحبها.

لكنه لم يكن متأكدًا كيف سيستجيب الحصان لصوت الصفارات المخيفة، وللهمسات الحادة لأوتار الأقواس.

حتى الآن، كان دانديليون يتفادى تمامًا أن يُعرّض نفسه أو حصانه لمثل تلك الأصوات.

أخرج العود من قوس السرج.

كان آلة فريدة، رائعة الجمال، ذات رقبة نحيلة.

هدية من جنيّة، تذكر وهو يمرر يده على الخشب المطعّم.

ربما يعود الآن إلى أهل القدماء...

إلا إذا تركته الحوريات بجوار جثتي...

قريبًا منه، كان هناك جذع شجرة قديمة، اقتلعته العاصفة منذ زمن بعيد.

جلس عليه الشاعر، أسند العود على ركبته، لحس شفتيه، ومسح يديه المتعرقتين على سرواله.

بدأ اليوم يلفظ أنفاسه الأخيرة.

كانت ضبابية المساء ترتفع من نهر "ريبون"، تشكل كفنًا رماديًا-أبيض يلف الحقول.

أصبح الجو أكثر برودة.

تعالت أصوات البجع المهاجر، ثم خفتت، تاركةً فقط نقيق الضفادع.

نقر دانديليون أوتار العود.

مرة، ثم مرتين، ثم ثالثة.

عدل الأوتار، ضبط نغمته، ثم بدأ يعزف.

وبعد لحظة، بدأ يغني.

اختفت الشمس خلف الأشجار.
في ظل أشجار بروكليون الضخمة،
عمّ الظلام على الفور.

لم يسمع – لكنه شعر — بوجود أحدهم.

"لا تطلقي النار..." همس، دون أن يجرؤ على الالتفات.

نا إيين إيسبار "N’aen aespar a me...

أتيت بسلام..."

«N’ess a tearth. Sh’aente.» نا إبيس تيرث شاشإنتي

أطاع ذلك الصوت اولم يتحرك.

رغم أن أصابعه أصبحت باردة، مخدّرة على الأوتار، وكان من الصعب أن يخرج أي صوت من حنجرته.

كن لم يكن في صوت الحورية أي عداء.

وكان هو... محترفًا.

إستمر ذلك الصوت بالحديث بلغة غير مفهومة.

هذه المرة، تجرأ على إلقاء نظرة خاطفة خلف كتفه.

ما كان يركع قرب جذع الشجرة، على مقربة شديدة،كان يشبه شجيرة ملفوفة باللبلاب.

لكنه لم يكن شجيرة.

فالشجيرات لا تمتلك عيونًا بهذا الحجم، تلمع هكذا في الظلام.

شاإينتي فورت «Sh’aente vort.»

"بيغاسوس" تنهد بلطف، وعرف دانديليون أن هناك شخصًا خلفه في الظلام، يلاطف خطم حصانه بيده.

شاإينتي فورت «Sh’aente vort.»

كررت حورية الغابة التي تجلس القرفصاء خلفه الطلب، بصوت ناعم كهمس المطر على الأوراق.

"أنا..."

بدأ يقول، محاولًا أن يسيطر على صوته.

"أنا رفيق الويتشر جيرالت... أعلم أن جيرالت—أن "غوينبليد"—بينكم هنا في بروكليون.

أنا أتيت..."**

«N’te dice’en. Sh’aente, va.»

"غنِّ"، طلبت ثانية جافّة من خلفه، بصوت متناغم مع ثالثة... وربما رابعة.

لم يكن متأكدًا بعددهن.

«Yea, sh’aente, taedh,»

قال "ذلك الشيء"، الذي قبل لحظة فقط،كان يظنه غصن شجرة بيرش، يقف على بعد خطوات أمامه.

لكنها لم تكن شجرة.

كانت صوتًا فضيًا، فتاةً صغيرة.

«Taedh… Ess’laine… غنِّ...

غنِّ المزيد عن "إيتّاربيل"... نعم؟»

فعل ما طُلب منه.

"أن أعشقكِ، هو كل حياتي
يا فاتنة إيتّاربيل
فلأحفظ إذن كنز الذكريات
وزهرة السحر؛
عربونًا وعلامةً على حبكِ
مفضضة بندى الدموع..."

هذه المرة، سمع خطوات تقترب.

"داندليليون."

"جيرالت!"

"نعم، إنه أنا. يمكنك أن تتوقف عن هذا الضجيج الآن."

"كيف وجدتني؟ كيف عرفت أنني في بروكليون؟"

"تريس ميريجولد..."

"اللعنة...!" قال داندليليون، متعثرًا مجددًا، وكاد أن يسقط، لولا أن حورية غابة مرت بجانبه، وأمسكته بقبضة مذهلة القوة، رغم بنيتها النحيلة.

",Gar'ean, táedh"

حذرته بصوت فضي.

".Va cáelm"

"شكرًا لكِ... الجو معتمٌ بشدة هنا..."

"جيرالت؟ أين أنت؟"

"هنا. لا تتأخر."

أسرع داندليليون خطاه، لكنه تعثر مرة أخرى، وكاد أن يسقط على الويتشر، الذي توقف في الظلام أمامه مباشرة.

"إنه ظلام دامس... هل تبقى الكثير؟"

"لا. سنصل قريبًا إلى المعسكر."

"من، غير تريس، يعلم أنك مختبئ هنا؟"

"هل أفصحت عن ذلك لأي أحد؟"

"اضطررت إلى إخبار الملك فينزلاف.

كنت بحاجة إلى تصريح مرور آمن عبر "بروج"، لن تصدق الأوضاع التي نعيشها...

كما أنني كنت بحاجة إلى إذن للقيام بهذه الرحلة إلى بروكليون. على أي حال، فينزلاف يعرفك ويحبك ... لقد عيّنني مبعوثًا. تخيل ذلك فقط. أنا متأكد أنه سيحفظ السر، لقد طلبت منه ذلك." "لا تغضب الآن، جيرالت..."

اقترب الويتشر.

لم يستطع دانديليون رؤية تعابير وجهه، فقط شعره الأبيض والشعيرات الخشنة لبضعة أيام دون حلاقة، والتي بدت واضحة حتى في الظلام.

"لست غاضبًا."

قال الويتشر، واضعًا يده على كتف دانديليون.

بدت نبرته، التي كانت باردة طوال الوقت، وقد تغيرت قليلًا.

"أنا سعيد أنك هنا، أيها اللعين."

"الجو هنا باردٌ للغاية،" قال دانديليون، مرتجفًا، مما جعل الأغصان التي يجلسون عليها تصدر صريرًا تحته. "يمكننا إشعال نار..."

"لا تفكر حتى في ذلك،" تمتم الويتشر."هل نسيتَ أين نحن؟"

"هل أنت جاد...؟"

ألقى الشاعر نظرة حذرة حوله.

"أوه. لا نار، صحيح؟"

"الأشجار تكره النار. وكذلك هن."

"تبًا. هل سنجلس هنا ونرتجف؟

وفي هذا الظلام اللعين؟ لا أستطيع أن أرى يدي أمام وجهي..."

"إبقِها بجانبك إذن."

تنهد دانديليون، وانحنى للأمام، وفرك ذراعيه.

سمع الويتشر بجانبه، يكسر بعض الأغصان الرفيعة بين أصابعه.

وفجأة، توهج ضوء أخضر صغير في الظلام،

كان في البداية خافتًا وباهتًا، ثم بدأ يتوهج أكثر وأكثر.

وبعد الأول، بدأت أضواء أخرى تومض من حولهم، تتحرك وترقص مثل اليراعات أو ألسنة اللهب فوق المستنقعات.

وفجأة، دبّت الحياة في الغابة، وامتلأت بظلال متلألئة، وبدأ دانديليون يرى بوضوح

أشكال الحوريات اللواتي أحطن بهم.

اقتربت إحداهن بهدوء، وضعت شيئًا على الأرض أمامهما، يبدو وكأنه كتلة متوهجة من النباتات.

مدّ الشاعر يده بحذر، وأمسك بها.

كان الضوء الأخضر بارداً تمامًا.

"ما هذا، جيرالت؟"

"خشب متعفن ونوع خاص من الطحالب. ينمو فقط هنا في بروكليون. ولا أحد يعرف كيف يصنعه ليصدر الضوء سوى الحوريات".

شكرًا لكِ، فاوفي."

لم تجب الجافّة، لكنها لم ترحل أيضًا، بل بقيت جاثية بالقرب منهما.

كانت ترتدي إكليلًا على جبينها، وتمتد شعراتها الطويلة لتصل إلى كتفيها.

بدا شعرها أخضر تحت الضوء، وربما كان أخضر بالفعل.

",Táedh"

قالت بصوتها العذب، رافعة عينيها المتألقتين نحو الشاعر.

كان وجهها الدقيق الملامح، تجتازه خطّان داكنان متوازيان، من طلاء التمويه.

"Ess've vort shaente aen Ettariel?

**"Shaente a'vean vort?"

"لا... ربما لاحقًا،"

أجاب بأدب، محاولًا البحث عن الكلمات المناسبة بلغة الشعب القديم.

تنهدت الحورية، وانحنت بلطف، ملامسة رقبة العود الذي كان مستندًا بجواره.

نهضت برشاقة، وراقبها دانديليون، بينما كانت تتلاشى في الظلام، عائدةً نحو الجافّات الأخريات، اللواتي ظهرت ظلالهن بالكاد، تحت وميض الفوانيس الخضراء الصغيرة.

"آمل ألا أكون قد أزعجتها..." همس دانديليون بصوت خافت.

"لهن لهجتهن الخاصة، وأنا لا أعرف التعابير المهذبة جيدًا..."

"افحص نفسك، وتأكد من عدم وجود خنجر في أحشائك،" قال الويتشر، بصوت خالٍ من السخرية، وخالٍ من الدعابة. "فالحوريات يرددن على الإهانات، بطعن بطون الناس بالخناجر. لا تقلق، دانديليون. أعتقد أنهن على استعداد لمسامحتك على أكثر من مجرد زلة لسان. يبدو أن الحفل الموسيقي الذي قدمته عند حافة الغابة، نال إعجابهن بشدة. الآن أنت **ard táedh**، "الشاعر العظيم".

إنهن ينتظرن الجزء التالي من "زهرة إيتّارييل".

هل تعرف باقي القصيدة؟ فهي ليست من تأليفك أصلاً."

"إنها ترجمتي،" قال دانديليون بفخر.

"وقد أضفت إليها لمسات من الموسيقى الإلفية. ألم تلاحظ؟"

"لا."

"كما توقعت. لحسن الحظ، الجافّات أكثر تقبلاً للفن. قرأت في مكان ما أنهن يتمتعن بحس موسيقي استثنائي. ولهذا السبب توصلت إلى خطتي الماكرة. والتي، بالمناسبة، لم تمتدحها بعد."

"تهانينا،" قال الويتشر بعد لحظة صمت. "كانت بالفعل ماكرة. وكما هو الحال دائمًا، ابتسم لك الحظ." واستطرد "فهن يصبن الهدف بدقة على مسافة مئتي خطوة. ولا ينتظرن عادة حتى يعبر أحدهم الضفة ويبدأ في الغناء. كما أنهن حساسات جدًا للروائح الكريهة. لذا عندما يسقط الجثة في النهر، يحملونها للتيارات بعيدًا كي تجرفها، لايستطعن تحمل رائحتها النتنة."

"آه، كفى هراءً،" قال الشاعر، مُتنحنحًا ويبلع ريقه. المهم أنني نجحت ووجدتك. جيرالت، كيف..."

"هل لديك شفرة حلاقة؟"

"هاه؟ بالطبع لدي."

"أعرني إياها صباح الغد. هذه اللحية تدفعني للجنون."

"ألم يكن لدى الحوريات واحدة؟ "

"همم... أعتقد لا، فليس لديهن حاجة إليها، أليس كذلك؟ "

"بالتأكيد، سأعيرها لك."

"جيرالت؟"

"ماذا؟"

"ليس معي طعام."

هل ينبغي أن يتوقع ard táedh الشاعر العظيم، عشاءً وهو في ضيافة الحوريات؟ هن لا يتناولن العشاء. أبدًا. وحراس حدود بروكليون لا يتناولون الإفطار أيضًا. عليك أن تصمد حتى الظهيرة."

"لقد اعتدت على ذلك بالفعل."

"لكن عندما نصل إلى عاصمتهن الشهيرة، دون كَانيل، المخفية في قلب الغابة..."

"لن نصل إلى هناك، دانديليون."

"ماذا؟ ظننت... لكنك... أعني أنهن منحَنك اللجوء. بعد كل شيء... هن يتسامحن..."

"لقد اخترت الكلمة المناسبة."

ساد الصمت بينهما لفترة طويلة.

"حرب،" قال الشاعر أخيرًا. "حرب، كراهية، واحتقار. في كل مكان. في قلوب الجميع."

"أنت تتحدث بأسلوب شاعري."

"لكنه الواقع."

"بالضبط."

"حسنًا، أخبرني بما لديك. أخبرني بما حدث في العالم أثناء وجودي هنا."

"أولًا،" قال دانديليون، متنحنحًا بلطف، "أخبرني بما حدث بالفعل في جارستانغ."

"ألم تخبرك تريس؟"

"بلى، فعلت، لكنني أود سماع روايتك."

"إذا كنت تعرف نسخة تريس، فأنت تعرف نسخة أكثر اكتمالًا، وربما أكثر دقة بالفعل."

"أخبرني بما حدث منذ وصولي هنا."

"جيرالت،"همس دانديليون. لا أحد يعرف ما حدث ليينيفر وسيري... لا أحد. حتى تريس لا تعرف..."

تحرك الويتشر فجأة، مما جعل الأغصان تصرّ تحت ثِقله.

"هل سألتك عن سيري أو يينيفر؟" قال بصوت مختلف تمامًا. "أخبرني عن الحرب."

"ألست تعرف شيئًا؟ ألم يصلك أي خبر هنا؟"

"بلى، وصلني. لكنني أريد سماع كل شيء منك. تحدث، من فضلك."

بدأ الشاعر بعد لحظة صمت:

"هاجم النيلفجارديون، ليريا وأيدين دون إعلان حرب. السبب كان، على ما يبدو، هجوم قوات ديميفند على حصن حدودي في دول أنجرا، وذلك أثناء اجتماع السحرة في ثانيد. يقول البعض إنه كان مكيدة. وأنهم كانوا نيلفجارديين متنكرين في زي جنود ديميفند. لن نعرف على الأرجح الحقيقة أبدًا. على أي حال، كان انتقام نيلفجارد سريعًا وساحقًا؛ عبرت الحدود جيشٌ قوي، لا بد أنه كان متمركزًا في دول

أنجرا لأسابيع، إن لم يكن لأشهر. إستُولي على سبالا وسكالا، الحصون الحدودية الليرية، في ثلاثة أيام فقط. كانت ريفيا مستعدة لحصارٍ يدوم شهورًا،لكنها استسلمت بعد يومين فقط، تحت ضغط النقابات والتجار الذين وُعدوا بأنه إذا فتحت البلدة أبوابها ودفعوا فدية، فلن يتم نهبها."

"هل تم الوفاء بالوعد؟"

"نعم."

"مثير للاهتمام." تغير صوت الويتشر قليلًا.

"أفي هذه الأوقات يتم الوفاء بالوعود؟ لن أذكر أنه في الماضي لم يكن أحد يحلم حتى بتقديم وعود مثل هذه، لأنه لم يكن أحد يتوقعها. الحرفيون والتجار لم يكونوا يفتحون أبواب الحصون، بل كانوا يدافعون عنها؛ كان لكل نقابة برجها الخاص أو ومقاتليها."

"المال لا يعرف الوطن، جيرالت. لا يهم التجار تحت أي حكم يكسبون أموالهم. كما لا يهم الحاكم النيلفجاردي من الذي يدفع الضرائب."

"التجار الموتى لا يجنون الأرباح ولا يدفعون الضرائب. أكمل."

"بعد استسلام ريفيا، توجه جيش نيلفجارد شمالًا بسرعة، دون مواجهة مقاومة تذكر. فقد انسحبت جيوش ديميفند ومييف، دون أن تتمكن من تشكيل جبهة في معركة حاسمة. ووصل النيلفجارديون إلى ألدرسبيرغ، ولتجنب حصار القلعة، قرر ديميفند ومييف خوض المعركة. كان يمكن أن تكون مواقع جيوشهم أفضل... تبًا، لو كان هناك مزيد من الضوء هنا، لرسمت لك الخريطة..."

"لا ترسم شيئًا. واجعلها مختصرة."

"من الذي انتصر؟"

* * *

"هل سمعت، سيدي؟"

قال أحد الوكلاء، لاهثًا ومبللًا بالعرق، وهو يشق طريقه عبر الحشد المتجمع حول الطاولة.

"وصل رسول من الميدان! لقد انتصرنا! المعركة كُسبت! النصر لنا! اليوم يومنا! لقد سحقنا عدونا!"

"صمتاً !" قال إيفرتسن، مُقطِّبًا حاجبيه. رأسي سينفجر من صراخكم.نعم، سمعت."

"لقد سحقنا العدو. اليوم يومنا، والميدان ميداننا، والنصر أيضًا نصرنا."

"يا له من خبر عظيم."

صمت الوكلاء ونظروا إلى رئيسهم بدهشة.

"ألست سعيدًا، أيها المستشار، سيدي؟"

"بلى، لكنني قادر على الفرح بهدوء."

ساد الصمت بين الوكلاء وهم يتبادلون النظرات.

فكر إيفرتسن في نفسه: "يالهم من جراء يافعة، وشبان متهورون تغمرهم الحماسة. لكن، لأكون صادقًا، لا أستغرب منهم ذلك. لكن بحق الآلهة، هناك، فوق التل، حتى مينو كوهورن وإيلان تراهي، بل حتى الجنرال بريبانت، ذو اللحية الرمادية الكثيفة،يهتفون، يقفزون فرحًا، ويلطمون بعضهم البعض على الظهر مهنئين. "النصر! إنه يومنا!" ولكن لمن غيرنا يمكن أن يكون هذا اليوم؟

لم تستطع ممالك أيدين وليريا حشد أكثر من ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف جندي مشاة، حُوصر منهم الخُمس منذ الأيام الأولى للغزو، مقطوعين عن قلاعهم وحصونهم. اضطر جزء من الجيش المتبقي إلى التراجع لحماية الأجنحة، بعدما تعرضت لتهديدات من غارات واسعة النطاق شنّتها الفرسان الخفيفة وضربات التمويه التي نفذتها وحدات السكويا'تايل. أما الخمسة أو الستة آلاف جندي المتبقين – وبينهم فقط ألف ومئتا فارس – فقد خاضوا المعركة خارج أسوار آلدرسبرغ. كوهورن، من جهته، أرسل جيشًا قوامه ثلاثة عشر ألف جندي لمهاجمتهم، بينهم عشر كتائب مدرعة، جوهرة الفروسية النلفجاردية. والآن، ها هو يقفز فرحًا، يصرخ، يضرب صولجانه على فخذه، ويطالب بالجعة... "النصر! يا لها من مفاجأة عظيمة!"

بحركة مفاجئة، جمع إيفرتسن الخرائط والأوراق المتناثرة على الطاولة، رفع رأسه، وألقى نظرة على من حوله.

"استمعوا جيدًا"، قال بنبرة جافة موجهًا حديثه إلى الوكلاء. "سأصدر الآن أوامري."

تجمد مرؤوسوه في أماكنهم، متوقعين ما سيأتي.

"كل واحد منكم قد سمع خطاب المارشال كوهورن بالأمس، الذي ألقاه أمام ضباطه. أود أن أشير، أيها السادة، إلى أن ما قاله المارشال لجنوده لا ينطبق عليكم. ستنفذون مهامًا أخرى، أوامر أخرى. أوامري."

توقف إيفرتسن لبرهة، ومسح جبهته بيده.

"قال كوهورن لضباطه بالأمس: ‘حرب على القلاع، سلام على القرى.’

أنتم تعرفون هذا المبدأ، أضاف بسرعة. "لقد تعلمتموه في تدريب الضباط. كان ذلك المبدأ ساريًا حتى اليوم؛ لكن ابتداءً من الغد، عليكم نسيانه. من الغد، سيطبق مبدأ مختلف، والذي سيكون الآن شعار الحرب التي نخوضها. شعاري، وأمري إليكم: الحرب على كل شيء حي. الحرب على كل شيء يمكن أن يُحرق. عليكم أن تتركوا خلفكم أرضًا محروقة. ابتداءً من الغد، سنأخذ الحرب إلى ما وراء الخط الذي سننسحب إليه بعد توقيع المعاهدة. نحن ننسحب، ولكن لا ينبغي أن يتبقى شيء سوى الرماد خلف ذلك الخط. يجب أن تتحول ممالك ريفيا وأيديرن إلى رماد! تذكروا سودين! لقد حان وقت الانتقام!"

سعل إيفرتسن بصوت عالٍ، ثم قال للوكلاء الذين كانوا ينصتون بترقب:

"قبل أن يترك الجنود الأرض محروقة خلفهم، ستكون مهمتكم إزالة كل ما يمكنكم نقله من تلك الأرض، كل ما قد يزيد من ثروات وطننا. أنت، أوديغاست، ستكون مسؤولًا عن جمع ونقل جميع المحاصيل المحصودة والمخزنة. أي شيء لا يزال في الحقول، ولم تدمره فرسان كوهورن الشجعان، يجب أن يُؤخذ."

"ليس لدي عدد كافٍ من الرجال، يا سيادة المشرف..."

"سيكون هناك ما يكفي من العبيد. استغلهم في العمل. ماردر، وأنت..." توقف إيفرتسن للحظة، ثم استدرك، "نسيت اسمك؟"

"هيلفيت. إيفان هيلفيت، يا سيادة المشرف."

"ستكون مسؤولًا عن الماشية. إجمعها في قطعان وسقها إلى النقاط المحددة للحجر الصحي. و احذر من داء الحافر العفن والأمراض الأخرى. اقتل أي رؤوس مريضة أو مشكوك في أمرها وأحرق الجثث. أما الباقي، فاسقه جنوبًا عبر الطرق المقررة."

"نعم، يا سيدي."

فكر إيفرتسن وهو يتفحص مرؤوسيه بعناية .. "والآن هناك مهمة خاصة لمن سأوكلها؟ جميعهم صبية حديثو العهد، ما زال حليب أمهاتهم على شفاههم، ولم يروا الكثير، ولم يمروا بشيء... آه، كم أفتقد أولئك العُرفاء المخضرمين الذين كنت أعمل معهم! الحروب، الحروب، دائمًا الحروب... الجنود يسقطون دومًا، وبأعداد هائلة، لكن خسائر العُرفاء، رغم كونهم أقل عددًا، تكون أكثر تأثيرًا. في الجيش، لا تظهر الخسائر بوضوح، فهناك دائمًا المجندون الجدد الذين يحلون محل من سقطوا، إذ أن كل رجل يتوق لأن يكون جنديًا. لكن من يريد أن يكون مشرفًا أو وكيلًا إداريًا؟ من، عندما يسأله أبناؤه عند عودته إلى المنزل عن دوره في الحرب، يريد أن يقول إنه كان يقيس كميات الحبوب بالمكيال، أو يحصي جلود الحيوانات النتنة، أو يزن الشمع، بينما يقود قافلة عربات محملة بالغنائم، تتقدم في طرق موحلة مغطاة بروث الثيران، ويسوق قطعان الماشية الخائرة، متحملًا الغبار والذباب، ويتنفس الروائح الكريهة؟ مهمة خاصة... المسابك في غوليت بأفرانها الضخمة. أفران تصليد الحديد، مصهر خام الزنك، والمسبك الهائل في "إيزينلان"، بإنتاجه السنوي الذي يبلغ خمسمائة قنطار. المسابك ومعامل الصوف في "آلدرسبرغ". معامل التخمير، ومعامل التقطير، والمغازل، ومصانع الصباغة في "فينغيربيرغ"... فكك وانقل. هكذا أمر الإمبراطور إيمير، "اللهب الأبيض الراقص فوق ركام أعدائه ببساطة شديدة: فكك وانقل، إنه أمر، ولا بد من تنفيذه. أما الأمور الأكثر أهمية، فهي لا تزال بانتظار المعالجة.مناجم الخام وعائداتها. النقود. المقتنيات الثمينة. الأعمال الفنية. لكن هذا الأمر سأتولاه بنفسي. شخصيًا.

على الأفق، ارتفعت أعمدة الدخان السوداء، واحدة تلو الأخرى، تتزايد، تتراكم، وتتوالى... الجيش ينفذ أوامر كوهورن. مملكة أيدين قد تحولت إلى أرض تحترق.

على الطريق، كان هناك صف طويل من آلات الحصار الثقيلة، تهدر وتتقدم، رافعةً سحابات من الغبار في أثرها.

وجهتها: آلدرسبرغ، التي لا تزال صامدة، و"فينغيربيرغ"، عاصمة الملك ديميفند.

وقف بيتر إيفرتسن يراقب، يحسب، ويقارن الأرقام. ثم جمع حساباته... المال، كل شيء يتلخص في المال.

كان بيتر إيفرتسن المشرف العام للإمبراطورية؛ أعلى سلطة إدارية للجيش خلال الحرب.

لمدة خمسة وعشرين عامًا، كانت الأرقام والحسابات هي حياته.

"المنجنيق يكلف خمسمائة فلورين، المقلاع مئتي فلورين، المقلاع الصغير مئة وخمسين على الأقل، والأرشق البسيط ثمانين فقط. طاقم التشغيل المدرّب يحتاج إلى تسعة فلورينات ونصف كأجر شهري. القافلة المتوجهة إلى فينغيربيرغ، بما في ذلك الخيول، الثيران، والمعدات الفرعية، لا تقل قيمتها عن ثلاثمائة مارك."

"يمكن سك ستون فلورينًا من مارك واحد من الخام النقي، الذي يزن نصف رطل. الإنتاج السنوي لمنجم واحد: خمسة أو ستة آلاف مارك..."

ابتسم بيتر إيفرتسن في الظلام. كل شيء له ثمن. كل شيء يمكن حسابه.

إجتازت مجموعة من سلاح الفرسان الخفيف عمود الحصار. تعرف إيفرتسن على شعاراتهم، فقد كانت تحمل رموزًا تشير إلى أنهم من كتيبة دوق وينبورغ التكتيكية، إحدى الكتائب التي تم إعادة نشرها من سينترا.

نعم، لديهم ما يفرحون لأجله، فكر إيفرتسن وهو يراقبهم. المعركة قد حُسمت، جيش أيديرين تمزق. لن يضطروا لخوض معركة ثقيلة ضد الجيش النظامي. الآن سيتفرغون لمطاردة فلول القوات المنسحبة، والقضاء على المجموعات المبعثرة بلا قائد. سيقتلون، سينهبون، سيحرقون.

هم سعداء، لأن ما ينتظرهم ليس حربًا مرهقة، بل حرب صغيرة ممتعة ومبهجة... حرب لا تُرهق... ولا تُميت.

إيفرتسن كان يحسب.

الكتيبة التكتيكية تتألف من عشر سرايا عادية، وتضم ألفي فارس.

لكن حتى لو لم يشارك هؤلاء الفرسان في معارك كبرى بعد الآن، فلن يقل عدد القتلى منهم في المناوشات عن السدس.

ثم تأتي المعسكرات والمبيت في العراء، الطعام الفاسد، القذارة، القمل، البعوض، المياه الملوثة...

ثم سيأتي ما هو محتوم: التيفوس، الزحار، الملاريا.

الأمراض ستفتك بما لا يقل عن الربع.

ثم هناك نسبة الأحداث غير المتوقعة، والتي تُقدر عادةً بخُمس العدد الكلي.

سيعود ثمانمائة فارس إلى ديارهم... ولن يكونوا أكثر من ذلك. وربما أقل بكثير.

استمرت كتائب الفرسان في التقدم على الطريق، تلتها قوات المشاة.

ثم جاء بعدهم حاملو القِسِي الطويلة، يرتدون صدريات صفراء وخوذًا مستديرة، ثم الرماة بالنشاب بقبعاتهم العريضة، فحاملو التروس والرماح.

خلفهم، سار المحاربون المدرّعون من فيكوفارو وإيتوليا، أشبه بسرطانات ضخمة، يليهم خليط متنوع من المرتزقة: جنود مستأجرون من ميتينا، محاربون مرتزقة من ثورن، مايخت، غيسو وإيبينغ...

رغم الحر الشديد، تقدم الجنود بخطوات سريعة، يتصاعد الغبار تحت وقع أحذيتهم الثقيلة، بينما يدوي صوت الطبول، وتخفق الرايات، وتتأرجح شفرات الرماح، والحراب، والفؤوس الطويلة، والأسلحة الفتاكة، لامعة تحت الشمس.

كانوا يسيرون بخفة ونشاط. جيش منتصر. جيش لم يُهزم بعد.

إلى الأمام، أيها الرجال، إلى النصر! إلى فينغيربيرغ! اسحقوا العدو! ثأروا لسودين!

استمتعوا بهذه الحرب الصغيرة المسلية، املؤوا جيوبكم بالغنائم...

ثم عودوا إلى الديار. عودوا إلى الديار.

إيفرتسن راقب. وواصل الحساب.

* * *

"سقطت فينغيربيرغ بعد حصار دام أسبوعًا"، قال دانديليون خاتمًا روايته. "قد يفاجئك الأمر، لكن النقابات دافعت عن أبراجها والقطاعات الموكلة إليها من الجدران بشجاعة حتى النهاية. ونتيجة لذلك، تمت إبادة الحامية بأكملها وجميع سكان المدينة؛ لا بد أن عددهم بلغ حوالي ستة آلاف شخص. عندما انتشر الخبر، بدأ النزوح العظيم.

أفواج من المدنيين والجنود المهزومين فروا باتجاه تيميريا وريدانيا. جموع من اللاجئين تدفقت عبر وادي بونتار وممرات ماهاكام. لكن لم ينجح الجميع في الفرار. قوات الفرسان النيلفجاردية تبعتهم، وقطعت عليهم طريق الهروب..."

توقف دانديليون للحظة، ثم حدّق في جيرالت.

"هل تفهم ما أقصده؟"

"لا، لا أفهم. لا أعرف الكثير عن... عن الحرب، دانديليون."

"أنا أتحدث عن الأسرى. عن العبيد. كانوا يريدون أسر أكبر عدد ممكن. العمل بالسخرة هو أرخص أشكال اليد العاملة في نيلفجارد. لهذا السبب طاردوا الفارين بشراسة. لقد كانت عملية صيد بشرية ضخمة، غنيمة سهلة. فالجيش كان قد فرّ، ولم يكن هناك أحد ليحمي المدنيين الفارين."

"لا أحد؟"

"تقريبًا لا أحد."

* * *

"لن نصل في الوقت المناسب..."

كان فيلّيس يلهث، عيناه تجولان بقلق على الطريق المتعرج بين التلال المكسوة بالغابات. كانت الطريق مغطاة بالممتلكات المهجورة، جثث الخيول النافقة، والعربات والعجلات اليدوية المقلوبة على جوانبها.

خلفهم، وراء الغابات، تصاعدت أعمدة الدخان الأسود إلى السماء. صرخات مذعورة وأصوات معركة متزايدة اقتربت منهم بلا هوادة.

"إنهم يقضون على المؤخرة..."

مسح فيلّيس العرق والسخام عن وجهه بيده المرتعشة.

"هل تسمعين، رايلا؟ لقد لحقوا بالمؤخرة، وهم يذبحونهم الآن بالسيف! لن نصل أبدًا!"

"نحن المؤخرة الآن." قالت رايلا ببرود، نبرتها لم تحمل أي أثر للهلع أو التردد.

تجمد فيلّيس في مكانه، بينما أطلق أحد الجنود القريبين تنهيدة ثقيلة.

أحكمت رايلا قبضتها على اللجام واستدارت بفرسها المنهك، الذي كان يلهث، رأسه بالكاد يرتفع عن الأرض.

"لا فرصة لنا في الهروب." قالت بهدوء. "الخيول على وشك الانهيار. سيلحقون بنا ويذبحوننا قبل أن نصل إلى الممر."

"فلنترك كل شيء ونختبئ بين الأشجار."

قال فيلّيس دون أن ينظر إليها.

"كل واحد منا بمفرده، قد ينجو البعض..."

لم تجبه رايلا. بل نظرت إلى الممر الجبلي وأشارت إليه برأسها، ثم إلى الطريق وإلى آخر صفوف اللاجئين المنهكين وهم يزحفون نحو الحدود.

فهم فيلّيس.

لعن بصوت خافت، قفز من سرجه، لكنه ترنح وسند نفسه على سيفه.

"انزلوا عن خيولكم!" صاح بصوت أجش. "سدّوا الطريق بأي شيء تجدونه! ماذا تنتظرون؟! أم أن أمهاتكم أنجبنكم عبثًا؟! تموتون مرة واحدة فقط! نحن الجيش! نحن المؤخرة! يجب أن نوقفهم... يجب أن نؤخرهم..."

ثم توقف عن الكلام.

"إن أبطأنا المطاردين، سيتمكن الناس من العبور إلى تيميريا، من عبور الجبال."

أنهت رايلا حديثها وهي تترجل عن حصانها. "هناك نساء وأطفال بينهم. ما الذي تحدقون فيه؟ هذا هو عملنا. نحن نتلقى الأجر لأجل هذا، تذكروا؟"

تبادل الجنود النظرات. للحظة، ظنت رايلا أنهم سيهربون بالفعل، أنهم سيحثّون خيولهم المبتلة والمنهكة على جهد أخير يائس، أنهم سيسابقون قافلة اللاجئين نحو الممر، نحو النجاة. لكنها كانت مخطئة. لقد أساءت الحكم عليهم.

قلبوا عربة وسط الطريق. وبنوا بسرعة حاجزًا. حاجزًا مؤقتًا. لم يكن مرتفعًا جدًا. ولم يكن فعالًا على الإطلاق.

لم يطل انتظارهم.

حصانان يلهثان، تتطاير الزبد من أفواههما، اندفعا نحو الوادي، يترنحان تحت وطأة الإرهاق. لم يكن على ظهر أحدهما فارس.

"بليز!"

"استعدوا..." انزلق المرتزق عن السرج إلى أحضان أحد الجنود. "استعدوا، اللعنة عليكم... إنهم خلفي مباشرة..."

شخر الحصان، قفز بضع خطوات جانبية، ثم ارتد إلى الخلف ليسقط بجسده الثقيل، يرفس الأرض، ثم يمد عنقه ويطلق صهيلاً طويلاً.

"رايلا..." تلعثم بليز وهو ينظر بعيدًا. "أعطني... أعطني شيئًا. لقد فقدت سيفي..."

نظرت رايلا إلى الدخان المتصاعد من الحرائق في الأفق، ثم أومأت برأسها نحو فأس كان يستند إلى العربة المقلوبة. أمسك بليز بالسلاح، لكنه ترنح.

كانت ساقه اليسرى غارقة في الدم.

"ماذا عن الآخرين، بليز؟"

"ذُبحوا جميعًا." تأوه المرتزق. "كل رجل منهم. الفصيل كله... رايلا، إنهم ليسوا النيلفجارديين... إنهم السناجب... إنهم الجان الذين هاجمونا. السكويا'تايل في المقدمة، قبل النيلفجارديين."

أطلق أحد الجنود صرخة مذعورة، بينما جلس آخر على الأرض بثقل، دافنًا وجهه بين يديه. شتم فيليس وهو يشد حزام درعه.

"إلى مواقعكم!" صرخت رايلا. "لن يأخذونا أحياء! أقسم لكم بذلك!"

بصق فيليس، ثم انتزع شارة القوات الخاصة للملك ديموفند، ذات الألوان الثلاثة: الأسود، الذهبي، والأحمر، من واقية كتفه، ورماها في الأدغال. رايلا، وهي تمسح شارتها الخاصة وتلمّعها، ابتسمت بسخرية.

"لست متأكدة إن كان ذلك سيفيد، فيليس. لا أدري."

"لقد وعدتِ، رايلا."

"نعم، ووعدي لن أخلفه. إلى مواقعكم، أيها الفتية! جهّزوا الأقواس والنشاب!"

لم يطل انتظارهم.

بعد أن صدّوا الموجة الأولى، لم يبقَ منهم سوى ستة أحياء.

كانت المعركة قصيرة لكنها ضارية. الجنود الذين تم حشدهم من فينغيربرغ قاتلوا كالشياطين، وكانوا متوحشين تمامًا مثل المرتزقة. لم يقع أحد منهم في أيدي السكويا'تايل حيًا. اختاروا الموت وهم يقاتلون. وماتوا، مخترقين بالسهام، مسقطين بطعنات الرماح وضربات السيوف.

بليز مات مستلقيًا، مذبوحًا بخناجر اثنين من الجان الذين انقضّا عليه، وسحباه من خلف المتراس. لكن لم ينهض أيّ منهما بعدها، فقد كان لبليز خنجر أيضًا.

لم تمنحهم السكوياتايل أي فرصة لالتقاط الأنفاس. انطلقت مجموعة ثانية للهجوم. فيليس، وقد طُعن برمح للمرة الثالثة، سقط أرضًا.

"رايلا!" صرخ بغير وضوح. "لقد وعدتِ!"

استدارت المرتزقة بعد أن أسقطت جانًا آخر بسيفها.

"وداعًا، فيليس." وضعت رأس نصلها أسفل قفصّه الصدري، ثم دفعت بقوة. "أراك في الجحيم!"

وبعد لحظة، وجدت نفسها وحيدة.

وما لبث السكوياتايل أن طوّقوها من كل جانب، الجندية، الملطخة بالدماء من رأسها حتى قدميها، رفعت سيفها، استدارت في مكانها ولوّحت بضفيرتها السوداء. وقفت بين الجان، مرعبة، متقوسة كشيطان. تراجعوا خطوة إلى الوراء.

"هيا!" صرخت بوحشية. "ما الذي تنتظرونه؟ لن تأخذوني حيّة! أنا رايلا السوداء!"

"Glaeddyv vort, beanna." جاء الرد بصوت هادئ من جان وسيم، أشقر الشعر، بوجه ملائكي وعينين زرقاوين كزهور الذرة، كطفل بريء. خرج من بين مجموعة السكويا'تايل التي كانت لا تزال مترددة، متأهبة. كان يمتطي حصانًا أبيض ناصعًا، يخبط الأرض الرملية الملطخة بالدماء بحوافره وهو يهز رأسه بقوة.

"Glaeddyv vort, beanna." كرر الفارس. "ألقي سيفكِ، أيتها المرأة."

ضحكت المرتزقة ضحكة مرعبة، ثم مسحت وجهها بكُمّها، ملوثة العرق بالغبار والدماء.

"لقد دفعت ثمنًا باهظًا لهذا السيف، أيها الجان!" صاحت. "إن أردته، فعليك أن تكسر أصابعي أولًا! أنا رايلا السوداء! ماذا تنتظرون؟!"

لم يكن عليها الانتظار طويلًا.

* * *

"ألم يأتِ أحد لإنقاذ إيدين؟" سأل الويتشر بعد صمت طويل. "كنت أفهم أن هناك تحالفات. اتفاقات بشأن المساعدة المتبادلة... معاهدات..."

"ريدانيا..." قال دانديليون وهو ينحنح، "في حالة فوضى بعد مقتل فيزيمير. هل تعلم أن الملك فيزيمير قد اغتيل؟"

"نعم، أعلم."

"تولت الملكة هيدويغ الحكم، لكن البلاد انزلقت في الفوضى. والرعب. يجري اصطياد جواسيس السكويا'تايل والنيلفجارديين في كل مكان. ديكسترا اجتاح البلاد بأكملها، وكانت المشانق تتقطر بالدم. لا يزال عاجزًا عن المشي، لذا يتم حمله في محفة."

"يمكنني تخيل ذلك. ألم يرسل قتلته خلفك؟"

"لا. كان بإمكانه ذلك، لكنه لم يفعل. آه، لكن لا يهم الآن. على أي حال، ريدانيا – التي غرقت في الفوضى نفسها – لم تكن قادرة على حشد جيش لدعم إيدين."

"وماذا عن تيميريا؟ لماذا لم يساعد الملك فولتيست ديموفند؟"

"عندما اندلعت المعارك في دول أنغرا،" قال دانديليون بصوت خافت، "أرسل إمير ڤار إمريس مبعوثًا إلى فيزيما..."

* * *

اللعنة!" تمتم برونيبور، وهو يحدّق في الأبواب المغلقة. "ما الذي يستغرق كل هذا الوقت في النقاش؟ لماذا أذلّ فولتيست نفسه ودخل في مفاوضات؟ لماذا منح هذا الكلب النيلفجاردي حتى فرصة لقاء؟ كان يجب إعدامه، وإرسال رأسه إلى إمير في كيس!"

"بحق الآلهة، أيها الفويڤود!" اختنق الكاهن ويليمر بالكلمات. "إنه مبعوث، لا تنسَ! شخص المبعوث مقدّس ولا يجوز المساس به! إن ذلك غير لائق..."

"غير لائق؟ سأخبرك بما هو غير لائق! غير اللائق هو أن نقف متفرجين بينما يجتاح الغزاة أراضي حلفائنا! لقد سقطت ليريا بالفعل، وإيدين على وشك السقوط! ديموفند لن يستطيع صدّ نيلفجارد وحده! يجب علينا إرسال قوة استكشافية إلى إيدين فورًا! يجب علينا إنقاذ ديموفند بشنّ هجوم على الضفة اليسرى من اليروجا! لا توجد قوات كثيرة هناك، فمعظم الأفواج قد نُقلت إلى دول أنغرا! ونحن هنا نقضي الوقت في الجدال! نثرثر بدلًا من أن نقاتل! وفوق كل ذلك، نحن نستضيف مبعوثًا نيلفجارديًا!"

"هذا صحيح، يا فويڤود،" قال الدوق هيريوارد من إلّاندر، ناظرًا إلى المحارب العجوز بنظرة توبيخ. "هذه سياسة. عليك أن تنظر إلى أبعد من أنف الحصان ورأس الرمح. يجب الاستماع إلى المبعوث. الإمبراطور إمير لم يرسله بلا سبب."

"بالطبع لديه سبب،" زمجر برونيبور. "في هذه اللحظة، إمير يسحق إيدين، ويعلم أنه إن عبرنا الحدود، وجلبنا معنا ريدانيا وكايدوين، فسنلحق به الهزيمة وندفعه إلى ما وراء دول أنغرا، إلى إيبينغ. يعلم أنه لو هاجمنا سينترا، سنضربه في موطن ضعفه ونرغمه على القتال على جبهتين! هذا ما يخشاه! لذا يحاول إخافتنا، ومنعنا من التدخل. هذه هي مهمة المبعوث النيلفجاردي. ولا شيء غير ذلك!"

"إذن علينا أن نستمع إلى المبعوث،" كرر الدوق، "ونتخذ قرارًا يتماشى مع مصلحة مملكتنا. ديموفند هو من استفز نيلفجارد بحماقة، وها هو يتحمل العواقب. وأنا لست متحمسًا للموت من أجل فينغيربرغ. ما يحدث في إيدين ليس شأننا."

"ليس شأننا؟" صرخ برونيبور، "بحق مائة شيطان، ما هذا الهراء الذي تتفوه به؟ هل تعتبر أنه لا يعنينا أن النيلفجارديين في إيدين وليريا، على الضفة اليمنى من اليروجا، بينما لا يفصل بيننا وبينهم سوى ماهكام؟ ليس لديك ذرة من الحس السليم..."

"كفى شِجاراً،" حذّر ويليمر. "لا أريد سماع كلمة أخرى. فالملك قادم."

فُتحت أبواب القاعة. نهض أعضاء المجلس الملكي، محركين كراسيهم بصوت احتكاك مزعج. كانت العديد من المقاعد شاغرة. فالهتمان التاجي ومعظم القادة كانوا مع أفواجهم: في وادي بونتار، في ماهكام، وعلى ضفاف اليروجا. كما كانت المقاعد التي يشغلها عادة السحرة فارغة أيضًا.

السحرة... فكر ويليمر، الكاهن، "المقاعد التي كانت تشغلها السحرة هنا، في البلاط الملكي بفيزيما، ستبقى شاغرة لفترة طويلة. من يدري، ربما إلى الأبد؟"

عبر الملك فولتيست القاعة سريعًا، ووقف بجانب عرشه لكنه لم يجلس. اكتفى بالانحناء إلى الأمام، مستندًا بقبضتيه على الطاولة. كان شاحبًا جدًا.

"فينغيربرغ تحت الحصار،" قال ملك تيميريا بصوت هادئ، "وستسقط في أي لحظة. نيلفجارد تواصل زحفها شمالًا بلا هوادة. القوات المحاصرة ما زالت تقاتل، لكن ذلك لن يغيّر شيئًا. إيدين سقطت. الملك ديموفند فرّ إلى ريدانيا. مصير الملكة ميف مجهول."

ساد الصمت في المجلس.

"خلال أيام قليلة، سيصل النيلفجارديون إلى حدودنا الشرقية، أعني بذلك مصب وادي بونتار." تابع فولتيست بصوت خافت. "هاغي، آخر معقل لإيدين، لن يصمد طويلًا، وهاغي تقع على حدودنا الشرقية. وعلى حدودنا الجنوبية... حدث أمر بالغ السوء. الملك إرفيل من فيردين قدّم ولاءه للإمبراطور إمير. لقد استسلم وفتح الحصون عند مصب اليروجا. الحاميات النيلفجاردية استقرت بالفعل في ناستروغ، روزروغ، وبودروغ، وهي الحصون التي كان من المفترض أن تحمي جناحنا."

ساد الصمت في المجلس.

"بسبب ذلك،" واصل فولتيست، "احتفظ إرفيل بلقبه كملك، لكن إمير أصبح سيده. فيردين لا تزال مملكة، لكنها في الواقع أصبحت مقاطعة نيلفجاردية. هل تفهمون ما يعنيه ذلك؟ الوضع قد انقلب رأسًا على عقب. حصون فيردين ومصب اليروجا في أيدي نيلفجارد. لا يمكنني محاولة عبور النهر. ولا يمكنني إضعاف الجيش المتمركز هناك بتشكيل فيلق يمكنه دخول إيدين لدعم قوات ديموفند. لا أستطيع فعل ذلك. المسؤولية عن بلادي وشعبي تقع على عاتقي."

ساد الصمت في المجلس.

"الإمبراطور إمير ڤار إمريس، إمبراطور نيلفجارد،" قال الملك، "قدّم لي عرضًا... اتفاقًا. لقد قبلت هذا العرض. وسأقدمه لكم الآن. وعندما تستمعون إليّ... ستفهمون... ستتفقون على أن... ستقولون..."

ساد الصمت في المجلس.

"ستقولون..." أنهى فولتيست كلامه. "ستقولون إنني أجلب لكم السلام."

* * *

"إذن، فولتيست انهار،" تمتم الويتشر، محطِّمًا غصنًا بين أصابعه. "عقد صفقة مع نيلفجارد. ترك إيدين لمصيرها..."

"نعم،" وافق الشاعر. "لكن مع ذلك، أرسل جيشه إلى وادي بونتار واحتل الحصن في هاغي وأقام فيه حامية. ولم يتقدم النيلفجارديون عبر ممر ماهكام، ولم يعبروا اليروجا في سودين. لم يهاجموا بروغ، التي باتت تحت سيطرتهم بعد استسلامها وولاء إرفيل. لا شك أن هذا كان ثمن حياد تيميريا."

"كانت سيري محقة،" همس الويتشر. "الحياد... الحياد دائمًا مثير للاشمئزاز."

"ماذا؟"

"لا شيء. ولكن ماذا عن كايدوين، دانديليون؟ لماذا لم يأتِ هينسلت لمساعدة ديموفند وميف؟ كان بينهما ميثاق، بعد كل شيء؛ كانا ملزمين بتحالف. ولكن حتى لو قرر هينسلت، مثل فولتيست، أن يدوس على التوقيعات والأختام الملكية، وأن تصبح كلمته بلا معنى، فهو لا يمكن أن يكون غبيًا، أليس كذلك؟ ألا يدرك أنه بعد سقوط إيدين والصفقة مع تيميريا، سيكون هو التالي؟ أنه الاسم القادم على قائمة نيلفجارد؟ كايدوين كان عليها دعم ديموفند بدافع المنطق البسيط. قد لا يكون هناك إيمان ولا شرف في هذا العالم بعد الآن، لكن لا بد أن المنطق لا يزال موجودًا. ما رأيك يا دانديليون؟ هل لا يزال هناك منطق في العالم؟ أم أن كل ما تبقى هو الازدراء والاحتقار؟"

أدار دانديليون رأسه بعيدًا. كانت الفوانيس الخضراء قريبة. كانت تحيط بهم في دائرة مشدودة. لم يلحظ ذلك من قبل، لكنه فهم الآن. جميع الجافعات كنّ يستمعن إلى حديثه.

"أنت لا تقول شيئًا،" قال جيرالت، "مما يعني أن سيري كانت محقة. أن كودرينجر كان محقًا. أنتم جميعًا كنتم محقين. وحدي، الويتشر الساذج، العتيق، والغبي... كنت مخطئًا."

* * *

فتح القائد ديغود، المعروف بلقب "نصف غالون"، رفرف الخيمة ودخل وهو يلهث بغضب. قفز الديكيوريون واقفين، متخذين أوضاعًا عسكرية صارمة وتعابير جادة. قام زيفيك بحركة ماهرة بإلقاء جلد خروف فوق البرميل الصغير المليء بالفودكا، قبل أن تتكيف عينا القائد مع الظلام داخل الخيمة.

لم يكن ذلك لإنقاذ أنفسهم من العقاب، إذ لم يكن ديغود معارضًا متحمسًا لشرب الكحول أثناء الخدمة أو في المعسكر، بل كان الأمر لإنقاذ البرميل نفسه. لم يأتِ لقب "نصف غالون" من فراغ؛ فقد كان معروفًا بقدرته على شرب نصف غالون من الخمر دفعة واحدة، بسرعة وإتقان مذهلين. كان قادرًا على إنهاء كوب الجندي القياسي كما لو كان مجرد جرعة صغيرة، ونادرًا ما كان يبتلّ حتى أذناه أثناء ذلك.

"حسنًا، أيها القائد، سيدي؟" سأل بودي، قائد فرقة الرماة. "ما الذي قررته القيادة العليا؟ ما هي أوامرنا؟ هل سنعبر الحدود؟ أخبرنا!"

"لحظة واحدة،" تذمر نصف غالون وهو يمسح عرقه. "يا لها من حرارة ملعونة... سأخبركم بكل شيء حالًا. لكن أولًا، أعطوني شيئًا لأشربه، حلقي جاف كالعظم. ولا تحاولوا إنكار وجوده، يمكنني شم رائحة الفودكا من على بعد ميل. وأعرف تمامًا من أين تأتي. من تحت ذلك الجلد هناك."

تمتم زيفيك بلعنة خافتة وسحب البرميل إلى الخارج. تجمع الديكيوريون في حلقة ضيقة، وبدأوا يقرعون الكؤوس والأقداح المعدنية.

"آاااه،" قال القائد، ممسحًا شاربيه وعينيه. "أوووه، هذا الشراب رديء. استمر في السكب، زيفيك."

"هيا، أخبرنا بسرعة،" قال بودي بفارغ الصبر. "ما هي الأوامر؟ هل سنتحرك ضد النيلفجارديين، أم سنبقى هنا على الحدود مثل حمقى زائدين في عرس؟"

"متلهفون للقتال؟" زفر نصف غالون ببطء، ثم بصق، وجلس بقوة على أحد السروج. "مستعجلون لعبور الحدود، نحو إيدين؟ لا تستطيعون الانتظار، أليس كذلك؟ يا لها من أشبال متوحشة، لا تفعلون شيئًا سوى الوقوف هناك، تزمجرون وتكشفون أنيابكم."

"هذا صحيح،" قال العجوز ستاهلر ببرود، وهو يحرك قدميه واحدة تلو الأخرى. كانت ساقاه معوجتين كأرجل العنكبوت، كما يليق بفارس مخضرم. "هذا صحيح، أيها القائد. هذه هي الليلة الخامسة التي ننام فيها وأحذيتنا في أقدامنا، على أهبة الاستعداد. ونريد أن نعرف ما الذي يحدث. هل سنقاتل أم سنعود إلى الحصن؟"

"سنعبر الحدود،" أعلن نصف غالون بصرامة. "غدًا مع الفجر. خمس كتائب، بقيادة لواء دون. والآن، انتبهوا جيدًا، سأخبركم بما أُخبرنا به نحن القادة وضباط الصف من قِبَل الفويڤود والمارغريف المحترم مانسفيلد من آرد كارايغ، الذي جاء مباشرة من عند الملك. افتحوا آذانكم جيدًا، فلن أكرر ما سأقوله. والأوامر هذه المرة... غير اعتيادية."

ساد صمت ثقيل في الخيمة.

"لقد عبر النيلفجارديون دول أنغرا،" قال القائد. "سحقوا ليريا، ووصلوا إلى ألدرسبرغ خلال أربعة أيام، حيث هزموا جيش ديموفند في معركة حاسمة. ثم، بعد ستة أيام فقط من الحصار، استولوا على فينغيربرغ بالخيانة. والآن، يتقدمون شمالًا بسرعة، يدفعون الجيوش المتقهقرة من إيدين نحو وادي بونتار ودول بلاثانا. إنهم يتجهون نحونا، نحو كايدوين. لذا، فإن الأوامر للواء دون كالتالي: نعبر الحدود ونتحرك جنوبًا بسرعة، مباشرة نحو وادي الزهور. أمامنا ثلاثة أيام للوصول إلى نهر ديفني. أكرر، ثلاثة أيام، مما يعني أننا سنسير بوتيرة سريعة. وعندما نصل هناك، لا نتجاوز ديفني. لا خطوة واحدة بعد النهر. وبعد ذلك بفترة وجيزة، سيظهر النيلفجارديون على الضفة المقابلة. لا ننخرط معهم في القتال، هل فهمتم؟ لا بأي شكل من الأشكال، واضح؟ حتى لو حاولوا عبور النهر، مهمتنا الوحيدة هي... أن نريهم راياتنا. أن نجعلهم يعرفون أننا هنا، جيش كايدوين."

ورغم استحالة الأمر، ازداد الصمت في الخيمة كثافة حتى كأنه بات ملموسًا.

"ماذا؟" تمتم بودي أخيرًا. "لن نقاتل النيلفجارديين؟ هل نحن ذاهبون إلى الحرب أم لا؟ ما الذي يجري هنا، أيها القائد؟"

"هذه هي الأوامر. لسنا ذاهبين للحرب، بل..." حك نصف غالون عنقه، "... بل لنقدم المساعدة الأخوية. سنعبر الحدود لحماية سكان إيدين العليا... انتظر، ماذا أقول... ليس من إيدين، بل من لورمارك. هذا ما قاله لنا المارغريف المحترم مانسفيلد. نعم، وقد قال أيضًا إن ديموفند قد هُزم. لقد تعثر وسقط على وجهه، لأنه حكم بشكل سيئ وكانت سياساته فاشلة. لذا، انتهى أمره وانتهى معه مصير إيدين بأكملها. ملكنا أقرض ديموفند مبلغًا محترمًا، لأنه قدم له المساعدة. ولا يمكن السماح لهذه الثروة بالضياع، لذا حان الوقت الآن لاسترداد الأموال مع الفائدة. كما أننا لا يمكن أن نسمح لأشقائنا ورفاقنا من لورمارك بأن يقعوا في الأسر بأيدي نيلفجارد. علينا، كما تعلمون، تحريرهم. لأن هذه أراضينا القديمة: لورمارك. كانت ذات يوم تحت حكم كايدوين، والآن ستعود تحت حكمها. حتى نهر ديفني. هذا هو الاتفاق الذي أبرمه جلالة ملكنا هينسلت مع إمير من نيلفجارد. سواء وُجدت اتفاقيات أم لا، فإن لواء دون سيتمركز على ضفاف النهر. هل تفهمون؟"

لم يجب أحد. قطّب نصف غالون جبينه ولوّح بيده بإحباط.

"آه، إلى الجحيم بكم جميعًا. لا تفهمون شيئًا، أرى ذلك. لكن لا تقلقوا، فأنا أيضًا لم أفهم كثيرًا. فالملك جلالته، والمارغريفات، والفويڤودات، والنبلاء هم الذين يفكرون. أما نحن، فنحن الجيش! علينا تنفيذ الأوامر: الوصول إلى نهر ديفني خلال ثلاثة أيام، التوقف هناك، والوقوف كالجدار. وهذا كل شيء. صبّ، زيفيك."

"أيها القائد، سيدي..." تلعثم زيفيك. "وماذا سيحدث... ماذا سيحدث لو قاومنا جيش إيدين؟ أو حاول إغلاق الطريق أمامنا؟ فنحن، في النهاية، نعبر بلادهم ونحن مسلحون. ماذا حينها؟"

"وإذا بدأ أشقاؤنا ورفاقنا،" تابع ستاهلر بسخرية لاذعة، "أولئك الذين نحن هنا لتحريرهم... إذا بدأوا بإطلاق السهام علينا أو برمينا بالحجارة؟ ها؟"

"علينا أن نكون على ضفاف نهر ديفني خلال ثلاثة أيام،" قال نصف غالون بحزم. "ولا يوم أكثر. أي شخص يحاول تأخيرنا أو اعتراض طريقنا هو عدو واضح. وأعداؤنا يُمكن أن نُمزقهم إربًا. لكن اسمعوا جيدًا! انتبهوا للأوامر! لا تحرقوا القرى، ولا الأكواخ. لا تأخذوا ممتلكات من أحد. لا تنهبوا. لا تغتصبوا النساء! احفظوا هذا جيدًا، وأكدوا على رجالاتكم أن يلتزموا به، فمن يخالف هذا الأمر سيُشنق. لقد كرر الفويڤود هذا عشر مرات: نحن لا نغزو، نحن نقدم يد العون! لماذا تبتسم، ستاهلر؟ إنها أوامر، بحق الجحيم! والآن انطلقوا إلى وحداتكم فورًا. أوقظوا الجميع. يجب أن تلمع الخيول والعدة كالقمر المكتمل! في فترة بعد الظهر، على جميع الفرق أن تصطفّ للتفتيش؛ الفويڤود نفسه سيقوم بتدريبهم. وإذا شعرتُ بالخزي من إحدى الفصائل، فليتذكر قائدها هذا جيدًا. نعم، سيتذكر! لقد تلقيتم أوامركم!"

كان زيفيك آخر من غادر الخيمة. ضيّق عينيه وهو يحدّق في ضوء الشمس الساطع، مراقبًا الفوضى التي اجتاحت المعسكر. قادة الفصائل يسرعون إلى وحداتهم، القادة الميدانيون يركضون هنا وهناك، يسبّون ويصرخون، والنبلاء، وحاملو الرايات، وصفحات القادة يتعثرون ببعضهم البعض. الفرسان المدرّعون من بان آرد كانوا يجوبون الميدان بخيولهم، يثيرون سحبًا كثيفة من الغبار. الحرارة كانت خانقة.

أسرع زيفيك في خطواته. مرّ بجانب أربعة شعراء من آرد كارايغ، كانوا قد وصلوا يوم أمس، وجلسوا في ظل خيمة المارغريف المزينة بترف. كانوا يعملون على تأليف أنشودة حول العملية العسكرية المنتصرة، عن بطولة الملك، حكمة القادة، وشجاعة الجندي البسيط. وكما هو الحال دائمًا، كانوا يؤلفونها قبل بدء العملية لتوفير الوقت.

"استقبلنا إخوتنا، استقبلونا بالخبززز والملح..." غنّى أحد الشعراء، وهو يجرب كلماته. "استقبلوا منقذيهم ومحرريهم، استقبلوهم بالخبززز والملح... هاي، هرافهير، ابحث عن قافية ذكية لكلمة ملح."

اقترح الشاعر الثاني قافية، لكن زيفيك لم يسمعها.

قفز جنود الفصيل، الذين كانوا يخيمون بين صفصاف قرب بركة، فور رؤية زيفيك.

"استعدوا!" صاح زيفيك، واقفًا على مسافة كافية حتى لا تؤثر رائحة أنفاسه على معنويات مرؤوسيه. "قبل أن ترتفع الشمس أربع أصابع أخرى، سيكون هناك تفتيش كامل! كل شيء يجب أن يلمع كالشمس. الأسلحة، السروج، العتاد، وخيولكم. سيكون هناك تفتيش، وإذا شعرتُ بالخزي من أحدكم أمام القائد، سأنتزع ساقيه من جذورهما. تحركوا بسرعة!"

"سنخوض معركة،" خمّن الفارس كراسكا، وهو يحاول إدخال قميصه بسرعة في سرواله. "هل سنخوض معركة، أيها القائد؟"

"ماذا تظن؟ أم ربما سنذهب إلى رقصة، إلى حفلة لاماس؟ نحن نعبر الحدود. اللواء بأكمله سينطلق مع الفجر. القائد لم يقل بأي تشكيل، لكننا نعلم أن فصيلتنا ستكون في المقدمة كالمعتاد. الآن تحركوا، أيها الكسالى! انتظروا، عودوا. سأقول هذا الآن، لأنه لن يكون هناك وقت لاحقًا. لن تكون حربًا عادية، أيها الفتية. السادة المحترمون فكروا في نوع جديد من الحماقة الحديثة. نوع من التحرير، أو شيء من هذا القبيل. لن نقاتل العدو، بل نحن متجهون إلى، ماذا كان يُسمّى؟ أراضينا الأبدية، لنقدم، كما تعلمون، مساعدة أخوية. الآن، انتبهوا لما سأقوله: لا تلمسوا أهل إيدين، لا تنهبوا..."

"ماذا؟" قال كراسكا، فاغرًا فاه. "ماذا تعني بعدم النهب؟ وكيف سنطعم خيولنا، أيها القائد؟"

"يمكنكم نهب العلف للخيول، لكن لا شيء آخر. لا تقتلوا أحدًا، لا تحرقوا أي أكواخ، لا تدمروا أي محاصيل... أغلق فمك، كراسكا! هذا ليس تجمعًا قرويًا، هذه اللعينة جيش! نفّذ الأوامر أو ستُشنق! قلت: لا تقتلوا، لا تذبحوا، ولا—"

توقف زيفيك عن الكلام، غارقًا في التفكير.

ثم، بعد لحظة، أنهى حديثه ببرود:

"وإذا اغتصبتم أي امرأة، فافعلوا ذلك بصمت. بعيدًا عن الأنظار."

* * *

"تصافحا،" أنهى دانديليون حديثه، "على الجسر فوق نهر ديفني. المارغريف مانسفيلد من آرد كارايغ، ومينو كوهورن، القائد العام لجيوش نيلفجارد القادمة من دول أنغرا. تصافحا فوق المملكة المحتضرة، النازفة، إيدين، مختومين تقسيمًا إجراميًا للغنائم. كانت تلك أحقَر مصافحة عرفها التاريخ."

ظل جيرالت صامتًا.

"وبالحديث عن الحقارة،" قال أخيرًا، بنبرة هادئة بشكل مفاجئ، "ماذا عن السحرة، دانديليون؟ أولئك من المجلس والهيئة العليا؟"

"لم يبقَ أحد منهم مع ديموفند،" بدأ الشاعر، بعد لحظة، "أما فولتيست فقد طرد كل من خدمه من تيميريا. فيليبا في ترتوغور، تساعد الملكة هيدويغ على استعادة السيطرة على الفوضى العارمة في ريدانيا. معها تريس وثلاثة آخرون، لا أذكر أسماءهم. بعضهم في كايدوين. الكثير منهم فرّ إلى كوفير وهنغفورس. لقد اختاروا الحياد، لأن إستراد تايسن ونيبيدامير، كما تعلم، كانوا وما زالوا محايدين."

"أعلم. وماذا عن فيلجيفورتز؟ والذين وقفوا إلى جانبه؟"

"لقد اختفى فيلجيفورتز. كان متوقعًا أن يظهر في إيدين بعد سقوطها، بصفته نائب إمير هناك... لكن لا يوجد أي أثر له. لا له، ولا لأي من رفاقه. باستثناء..."

"تابع، دانديليون."

"باستثناء ساحرة واحدة، أصبحت ملكة."

* * *

انتظر فيلافاندريل آيب فيدايل الرد بصمت. وكذلك الملكة، التي كانت تحدق عبر النافذة.

كانت النافذة تطل على الحدائق، التي لم يمضِ وقت طويل على كونها فخر ومتعة الحاكم البشري السابق لدول بلاثانا، الوالي التابع لمستبد فينغيربرغ. عند هروبه قبل وصول الجان الأحرار، الذين كانوا يتقدمون في طليعة جيش الإمبراطور إمير، تمكن الحاكم البشري من حمل معظم الكنوز من القصر الإلفي العتيق، بل وحتى بعض الأثاث. لكنه لم يستطع أخذ الحدائق معه. لذا، قام بتدميرها.

"لا، فيلافاندريل،" قالت الملكة أخيرًا. "إنه لا يزال مبكرًا جدًا لذلك، مبكر جدًا. لا يجب أن نفكر في توسيع حدودنا، لأننا في الوقت الحالي غير متأكدين حتى من مواقعها الدقيقة. هينسلت من كايدوين لا

ينوي الالتزام بالاتفاقية أو الانسحاب من نهر ديفني. جواسيسنا يخبروننا بأنه لم يتخلَّ مطلقًا عن نواياه العدوانية. قد يهاجمنا في أي لحظة."

إذًا، لم نحقق شيئًا."

مدّت الملكة يدها ببطء. فحطّت على كمّها الدانتيل فراشة أبولو التي طارت إلى الداخل عبر النافذة وأخذت تفتح جناحيها المدببين وتطويهما.

"لقد حققنا أكثر،" قالت الملكة بهدوء، حتى لا تفزع الفراشة، "مما كنا نأمل. لقد استعدنا أخيرًا وادي الزهور، بعد مائة عام..."

"لن أُطلق عليه هذا الاسم،" ابتسم فيلافاندريل بحزن. "الآن، بعد أن اجتاحت الجيوش الأرض، ينبغي أن يُدعى وادي الرماد."

"لدينا وطن من جديد،" أكملت الملكة، وهي تراقب الفراشة. "نحن شعب مرة أخرى، لم نعد منفيين. والرماد سيغذي التربة. في الربيع، سيزهر الوادي مجددًا."

"هذا قليل جدًا، ديزي. إنه قليل دائمًا. لقد فقدنا كثيرًا. لم يمضِ وقت طويل منذ أن كنا نتفاخر بأننا سنعيد البشر إلى البحر، حيث أتوا. والآن، اختزلنا حدودنا وطموحاتنا إلى دول بلاثانا..."

"إمير ديثوين منحنا دول بلاثانا كهدية. ماذا تتوقع مني، فيلافاندريل؟ هل أطالب بالمزيد؟ لا تنسَ أن حتى عند تلقي الهدايا، يجب أن يكون هناك اعتدال. خاصة عندما يتعلق الأمر بهدايا إمير، لأنه لا يعطي شيئًا بلا مقابل. علينا الحفاظ على الأرض التي منحنا إياها. والقوة المتاحة لدينا بالكاد تكفي للاحتفاظ بدول بلاثانا."

"إذن، فلنسحب وحدات الكوماندوز من تيميريا، وريدانيا، وكايدوين،" اقترح الإلف ذو الشعر الأبيض. "فلنسحب جميع قوات السكوياتايل التي تقاتل البشر. أنتِ الآن ملكة، إينيد، وسينفذون أوامرك. لدينا الآن قطعة صغيرة من الأرض، فلا معنى لاستمرارهم في القتال. واجبهم هو العودة والدفاع عن وادي الزهور. ليقاتلوا كشعب حر دفاعًا عن حدودهم. الآن، يسقطون مثل قطاع الطرق في الغابات!"

أخفضت الإلف رأسها.

"إمير لم يسمح بذلك،" همست. "يجب أن تواصل وحدات الكوماندوز القتال."

"لماذا؟ لأي غاية؟" قال فيلافاندريل آيب فيدايل، وهو يعتدل في جلسته فجأة.

"سأقول المزيد. لا يُسمح لنا بدعم السكوياتايل أو مساعدتهم. كان هذا شرطًا وضعه فولتيست وهينسلت. تيميريا وكايدوين ستحترمان حكمنا في دول بلاثانا، ولكن فقط إذا أدنّا رسميًا عدوان السناجب ونأينا بأنفسنا عنهم."

"هؤلاء الأطفال يموتون، ديزي. إنهم يموتون كل يوم، يسقطون في معركة غير متكافئة. كنتيجة مباشرة لهذه الاتفاقات السرية مع إمير، البشر سيهاجمون الكوماندوز ويسحقونهم. إنهم أطفالنا، مستقبلنا! دمنا! وتقولين لي إن علينا أن نتخلى عنهم؟ Que’ss aen me dicette, Enid? Vorsaeke’llan? Aen vaine?"

حلّقت الفراشة، تخفق بجناحيها، متجهة نحو النافذة، ثم استدارت فجأة، محمولة بتيارات الهواء الحارقة للصيف. فرانشيسكا فيندابير، المعروفة بـ إينيد آن غلينّا، ساحرة سابقة، وملكة الآين سيدي، الجان الأحرار، رفعت رأسها. كانت الدموع تلمع في عينيها الزرقاوين الجميلتين.

"يجب أن تواصل وحدات الكوماندوز القتال،" كررت بصوت خافت. "يجب أن تستمر في زعزعة ممالك البشر وإعاقة استعداداتهم للحرب. هذا هو أمر إمير، ولا يمكنني معارضته. سامحني، فيلافاندريل."

نظر إليها فيلافاندريل آيب فيدايل بانفعال، ثم انحنى لها بعمق.

"أنا أسامحكِ، إينيد. لكنني لا أعلم إن كانوا سيفعلون."

* * *

"ألم يُعِد أي ساحر التفكير في الأمر؟" تساءل جيرالت، صوته محمل بالشكوك. "حتى عندما كانت نيلفجارد تذبح وتحرق في إيدين، ألم يتخلَ أحدهم عن فيلجيفورتز أو ينضم إلى فيليبا؟"

"لا أحدًا."

ظل جيرالت صامتًا لفترة طويلة.

"لا أستطيع التصديق،" قال أخيرًا، بصوت هادئ بالكاد يُسمع، "لا أستطيع التصديق أن لا أحد منهم غادر فيلجيفورتز عندما اتضحت الأسباب الحقيقية لخيانته وعواقبها. أنا —كما هو معروف — ويتشر ساذج، أحمق، متأخر عن زمنه. لكن لا يزال من الصعب علي أن أصدق أن ضمير أي ساحر لم يستيقظ."

* * *

وضعت تيسايا دي فريس توقيعها المزيّن، المرسوم بمهارة، أسفل الجملة الأخيرة من الرسالة. بعد تفكير طويل، أضافت أيضًا رمزًا أيديغرافيًا يشير إلى اسمها الحقيقي. الاسم الذي لم يكن أحد يعرفه. الاسم الذي لم تستخدمه منذ زمن طويل. منذ أن أصبحت ساحرة.

سكاي لارك.

وضعت القلم جانبًا، بحركة دقيقة، عبر صفحة الرق. جلست بلا حراك لفترة طويلة، تنظر إلى القرص الأحمر للشمس الغاربة. ثم وقفت وتقدمت نحو النافذة. نظرت إلى أسطح المنازل. المنازل التي كان سكانها، في هذه اللحظة، يذهبون إلى أسرتهم، مرهقين من حياتهم البشرية العادية ومشقّاتهم اليومية؛ ممتلئين بالقلق العادي حول مصيرهم، حول الغد.

ألقت الساحرة نظرة على الرسالة المستلقية على الطاولة. الرسالة الموجهة إلى الناس العاديين. أولئك الذين، في معظمهم، لا يستطيعون حتى قراءتها. لكن ذلك لم يكن مهمًا.

وقفت أمام المرآة. عدّلت شعرها. سوت ثوبها. أزاحت ذرة غبار غير موجودة عن كمها المنتفخ. وضعت قلادة الياقوت في موقعها الصحيح على صدرها.

كانت الشمعدانات أسفل المرآة موضوعة بشكل غير متناسق. لابد أن خادمتها قد حرّكتها أثناء التنظيف.

خادمتها. إنسانة عادية. إنسانة بسيطة بعينين ممتلئتين بالخوف مما يجري. إنسانة تبحث عنها — عن ساحرة — للحصول على الأمل واليقين بشأن الغد...

إنسانة عادية، خانت ثقتها.

وصلت إلى مسامعها خطوات ثقيلة. أصوات أحذية الجنود المدببة تدوي في الشارع. لم تتحرك تيسايا دي فريس، لم تلتفت حتى. لم يهمها من هم هؤلاء الجنود. هل كانوا جنود الملك؟ ضباط الحرس بأوامر للقبض على الخائنة؟ قتلة مأجورين؟ رجال فيلجيفورتز؟

لم يكن يعنيها الأمر.

تلاشت الخطوات في المسافة.

نظرت إلى الشمعدانات غير المتساوية أسفل المرآة. أعادت ترتيبها، ثم عدّلت موضع غطاء الطاولة بحيث يتموضع زاويته تمامًا في المنتصف، متناغمًا مع قواعد الشمعدانات المربعة.

نزعت الأساور الذهبية من معصميها، ووضعتها على القماش المشدود، بانتظام دقيق. تفحصت الطاولة بعناية، لكنها لم تجد أي خلل، ولا أدنى عدم تناسق. كل شيء كان موضوعًا بشكل مثالي. كما كان ينبغي أن يكون دائمًا.

فتحت درج الخزانة وسحبت منه خنجرًا قصيرًا بمقبض عظمي.

كان وجهها فخورًا، صارمًا. بلا تعبير.

كان المنزل هادئًا. هادئًا لدرجة أن صوت سقوط بتلة ذابلة على سطح الطاولة كان مسموعًا. في الخارج، كانت الشمس، حمراء كالدم، تغوص ببطء خلف أسطح المنازل.

جلست تيسايا دي فريس على الكرسي بجانب الطاولة، أطفأت شمعة، عدّلت الريشة المستلقية على الرسالة للمرة الأخيرة... ثم قطعت شرايين معصميها.

* * *

أثّر إرهاق الرحلة الطويلة على دانديليون، فأيقظه من غفوته. أدرك أنه ربما كان قد غفا أثناء سرد القصة، متوقفًا في منتصف الجملة. تحرك قليلًا وكاد أن يتدحرج عن كومة الأغصان التي شكلت سريره المؤقت. لم يكن جيرالت مستلقيًا بجانبه بعد الآن ليوازن الفراش المرتجل.

"أين كنتُ...؟" تمتم، وهو يسعل. جلس مستقيمًا. "إلى أين وصلت؟ آه، السحرة... جيرالت؟ أين أنت؟"

"هنا،" جاء صوت الويتشر، بالكاد مرئيًا في العتمة. "تابع، أرجوك. كنتَ ستخبرني عن ينيفر."

"اسمع،" قال الشاعر، مدركًا تمامًا أنه لم يكن ينوي حتى ذكر هذا الاسم. "أنا حقًا لا أعرف شيئًا..."

"لا تكذب. أعرفك جيدًا."

"إذا كنت تعرفني بهذا القدر،" قال دانديليون، وقد بدأ يغضب، "فلماذا بحق الجحيم تجبرني على الكلام؟ إذا كنت تعرفني حق المعرفة، فيجب أن تدرك لماذا ألتزم الصمت، ولماذا لا أكرر القيل والقال

الذي سمعته! كما يجب أن تكون قادرًا على تخمين ما هو هذا القيل والقال، ولماذا أريد أن أجنبك سماعه!"

"Que suecc's?" تساءلت إحدى الجافعات النائمات بالقرب منه، بعد أن أيقظها صوته المرتفع.

"أعتذر،" قال جيرالت بصوت خافت.

كانت معظم الفوانيس الخضراء في بروكيلون قد انطفأت؛ ولم تبقَ سوى القليل منها تومض بهدوء.

"جيرالت،" قال دانديليون، قاطعًا الصمت. "لطالما زعمت أنك لا تتدخل، وأن لا شيء يهمك... ربما هي صدّقت ذلك. صدّقت ذلك عندما بدأت هذه اللعبة مع فيلجيفورتز"

"كفى،" قال جيرالت. "لا كلمة أخرى. عندما أسمع كلمة ’لعبة‘ أشعر برغبة في قتل أحدهم. آه، أعطني تلك الشفرة. أريد أن أحلق أخيرًا."

"الآن؟ لا يزال الظلام دامسًا..."

"الظلام ليس عائقًا لي. أنا وحش."

بعد أن انتزع الويتشر كيس أدوات الحلاقة منه واتجه نحو الجدول، أدرك دانديليون أنه قد تخلص تمامًا من نعاسه. كان الفجر قد بدأ يلوح في الأفق، يفتح السماء بظلال رمادية خافتة. نهض وسار في الغابة، حريصًا على تخطي الحوريات النائمات المتعانقات مع بعضهن البعض.

"هل كنتَ أحد الذين ساهموا في هذا؟"

استدار فجأة.

الحورية التي كانت تستند إلى جذع شجرة صنوبر، كان شعرها بلون الفضة، لامعًا حتى في نور الفجر الباهت.

"مشهد يرثى له،" قالت، وهي تطوي ذراعيها فوق صدرها.

"رجل فقد كل شيء. تعلم، أيها المنشد، إنه لأمر مثير للاهتمام. كنت أعتقد ذات يوم أنه من المستحيل أن يخسر المرء كل شيء، أن شيئًا ما لا بد أن يبقى دائمًا. دائمًا. حتى في أزمنة الهوان، عندما تكون السذاجة قادرة على الانقلاب على صاحبها بأقسى الطرق، لا يمكن للمرء أن يخسر كل شيء. ولكن هو..."

"لقد فقد عدة لترات من دمه، والقدرة على المشي بشكل صحيح، والاستخدام الجزئي ليده اليسرى، وسيفه الويتشري، والمرأة التي يحبها، والابنة التي حصل عليها بمعجزة، وإيمانه..."

توقفت للحظة، ثم تنهدت ببطء.

"حسنًا، فكرت، لا بد أنه لا يزال يحتفظ بشيء. لكنني كنت مخطئة. الآن، لم يتبقَ له شيء. لا شيء... حتى شفرة للحلاقة."

ظل دانديليون صامتًا. لم تتحرك الحورية.

"سألتك إن كنت قد ساهمت في هذا،" قالت بعد لحظة، "لكنني أعتقد أنه لم يكن هناك داعٍ للسؤال. من الواضح أنك كنت جزءًا منه. من الواضح أنك صديقه. وإذا كان لدى شخص ما أصدقاء، ثم خسر كل شيء رغم ذلك، فمن الواضح أن الأصدقاء هم الملامون. على ما فعلوه، أو على ما لم يفعلوه."

"ماذا كان بوسعي أن أفعل؟" همس. "ماذا كان بوسعي أن أفعل؟"

"لا أدري،" أجابت الحورية.

"لم أخبره بكل شيء..."

"أعلم."

"لست مذنبًا بشيء."

"بلى، أنت مذنب."

"لا! لستُ..."

قفز على قدميه، محدثًا صوتًا مزعجًا بينما احتكّت الأغصان أسفل منه. كان جيرالت يجلس بجانبه، يفرك وجهه. كانت تفوح منه رائحة الصابون.

"ألست مذنبًا؟" سأله بهدوء، نبرة باردة في صوته. "أتساءل ما الذي حلمت به أيضًا. هل حلمت بأنك ضفدع؟ اهدأ. أنت لست كذلك. هل حلمت بأنك مغفّل؟ حسنًا، قد يكون ذلك الحلم إلهاماً."

نظر دانديليون حوله. كانا وحدهما تمامًا في الفسحة.

"أين هي؟ أين هنّ؟"

"عند حافة الغابة. استعد، لقد حان وقت رحيلك."

"جيرالت، كنت أتحدث إلى حورية قبل لحظة. كانت تتحدث بلغة العامة دون أي لهجة، وقالت لي..."

"لم تتحدث أي حورية من تلك المجموعة بلغة العامة دون لهجة. لقد كنت تحلم، دانديليون. هذا بروكيلون. يمكن للمرء أن يحلم بالكثير هنا."

كانت هناك حورية وحيدة في انتظارهم عند حافة الغابة. تعرف دانديليون عليها على الفور—كانت صاحبة الشعر المخضر، التي جلبت لهما الضوء خلال الليل، وشجعته على الاستمرار في الغناء.

رفعت الحورية يدها، مشيرة إليهما بالتوقف. في يدها الأخرى، كانت تمسك بقوس وسهم مشدود. وضع جيرالت يده على كتف دانديليون وضغط عليه بقوة.

"هل هناك شيء ما؟" همس دانديليون.

"بالفعل. اصمت ولا تتحرك."

كانت الضباب الكثيف الذي يملأ وادي ريبون يخنق الأصوات، لكنه لم يكن كافيًا ليمنع دانديليون من سماع رذاذ الماء وصهيل الخيول.

"إلف،" خمنَ بصوت خافت. "السكوياتايل؟ إنهم يفرّون إلى بروكيلون، أليس كذلك؟ وحدة كوماندوز كاملة..."

"لا،" تمتم جيرالت، وهو يحدق في الضباب.

كان الشاعر يعرف مدى حدة بصر وسمع الويتشر، لكنه لم يستطع تحديد ما إذا كان تقييمه مبنيًا على ما يراه أو يسمعه.

"ليست وحدة كاملة. إنها ما تبقى من واحدة. خمسة أو ستة فرسان، وثلاثة خيول بلا فرسان. ابقَ هنا، دانديليون. سأذهب إلى هناك."

"Gar'ean," قالت الحورية ذات الشعر المخضر بتحذير، رافعة قوسها. "Nfe va, Gwynbleidd! Ki'rin!"

"Thaess aep, Fauve," أجاب الويتشر بصرامة غير متوقعة. "M’aespar que va’en, ell’ea? هيا، أطلقي السهم. وإن لم تفعلي، فاحبسيني ولا تحاولي إخافتي، لأنك لن تجدي شيئًا تخيفينني به. يجب أن أتحدث إلى ميلفا بارينغ، وسأفعل ذلك سواء شئتِ أم أبيتِ. ابقَ هنا، دانديليون." وانطلق.

خفضت الحورية رأسها. وكذلك قوسها.

"غنِّ أغنية، أيها البشري،" قالت الحورية لدانديلون بحدة. "لكن لا تغنِّ عن إيتّاريل. لا، عزيزي. ليس الآن. الوقت ليس مناسبًا لذلك. الآن هو وقت القتل، نعم. هذه هي الأغنية المناسبة الآن!"

"أنا..." تلعثم، "لست مسؤولًا عما يحدث..."

ظلّت الحورية صامتة للحظة، ثم نظرت بعيدًا.

"ولا أنا،" قالت، قبل أن تختفي بسرعة في الغابة الكثيفة.

عاد جيرالت قبل أن تمر ساعة. كان يقود حصانين مُجهزين بالسروج: بيغاسوس وفرسًا كُميتًا. كان على قطعة السرج المبطنة للفرس آثار دماء.

"إنها أحد خيول الجان، أليس كذلك؟ واحدة من التي عبرت النهر؟"

"نعم،" أجاب الويتشر. كان صوته ووجهه غريبين، مختلفين تمامًا. "هذه الفرس تخص الجان. لكنها ستخدمني مؤقتًا. وعندما تسنح لي الفرصة، سأستبدلها بحصان يعرف كيف يحمل فارسًا مصابًا، وعندما يسقط راكبه، يبقى بجانبه. من الواضح أن هذه الفرس لم تُدرَّب على ذلك."

"هل نحن راحلون؟"

"أنتَ راحل،" قال الويتشر، ملقيًا لجام بيغاسوس إلى الشاعر. "وداعًا، دانديليون. الحوريات سيرافقنك لمسافة بضعة أميال في اتجاه النهر حتى لا تقع في أيدي جنود بروغ، الذين من المحتمل أنهم لا يزالون متربصين على الضفة الأخرى."

"وماذا عنك؟ هل ستبقى هنا؟"

"لا. لن أبقى."

"لقد علمتَ شيئًا. من السناجب. أنت تعرف شيئًا عن سيري، أليس كذلك؟"

"وداعًا، داندیلیون."

"جیرالت... استمع إلي..."

"إلى ماذا؟" صرخ الويتشر، قبل أن يختنق صوته فجأة. "لا يمكنني الرحيل .. لا يمكنني تركها لمصيرها. إنها وحيدة تمامًا... لا يمكن تركها وحدها، داندیلیون. لن تفهم ذلك أبدًا. لن يفهمه أحد أبدًا، لكنني أعرف. إن بقيت وحدها، سيحدث لها ما حدث لي ذات يوم..."

"أنا أفهم. ولهذا السبب سأذهب معك."

"أنت مجنون. هل تعرف إلى أين أنا ذاهب؟"

"نعم، أعرف. جيرالت، أنا... لم أخبرك بكل شيء. أشعر... أشعر بالذنب. لم أفعل شيئًا؛ لم أكن أعرف ماذا أفعل. لكن الآن أعرف. أريد أن أذهب معك. أريد أن أكون بجانبك. لم أخبرك أبدًا... عن سيري، وعن الشائعات التي تنتشر. التقيت ببعض المعارف من كوفير، وهم بدورهم سمعوا أخبارًا من مبعوثين عادوا من نيلفجارد... أتخيل أن هذه الشائعات ربما وصلت حتى إلى آذان السناجب. ربما سمعت كل شيء من الجان الذين عبروا وادي ريبون. لكن دعني... دعني أخبرك..."

* * *

في ذلك الصباح، عمّت القصر الصيفي للإمبراطور لوك غريم حالة غير معتادة من الفوضى والاضطراب. كانت هذه الحالة غير مألوفة على الإطلاق، حيث أن المشاعر والانفعالات لم تكن سمة من سمات النبلاء النيلفجارديين، وكان يُنظر إلى إظهار القلق أو الإثارة على أنه علامة على عدم النضج.

كان مثل هذا السلوك يُعتبر بين النبلاء النيلفجارديين تصرفًا مُستهجنًا ومُخزيًا إلى حد بعيد، لدرجة أن حتى الشباب اليافعين— ممن لا يُتوقع منهم قدر كبير من النضج —كانوا يُنتظر منهم الامتناع عن أي تعبير عن الحماس أو الاندفاع.

لكن في ذلك الصباح، لم يكن هناك أي شباب يافعين في لوك غريم. لم يكن لديهم أي سبب للتواجد هناك.

امتلأت قاعة العرش الضخمة بالنبلاء الصارمين والمتجهمين — أرستقراطيين، فرسان، وحاشية البلاط — جميعهم يرتدون ملابس السواد الاحتفالية التي لم يكسر رتابتها سوى أطواق الأكمام البيضاء وتفاصيل بسيطة من الدانتيل.

رافقتهم قلة من السيدات، لا يقللن عنهم في الجدية والصرامة، سمح لهن التقليد بإضفاء لمسات من الحلي المتواضعة على زينتهن السوداء.

كانوا جميعًا يحاولون التظاهر بالوقار والتجهم، لكن في أعماقهم، كانوا جميعًا في غاية التوتر والإثارة.

"يقال إنها قبيحة. نحيلة وقبيحة."

"لكن يُزعم أن في عروقها دم ملكي."

"غير شرعية؟"

"لا على الإطلاق. شرعية بالكامل."

"هل ستصعد إلى العرش؟"

"إذا قرر الإمبراطور ذلك..."

"بحق الرعد، انظروا إلى أردال آيب داهي والكونت دي ويت... انظروا إلى وجوههم، كأنهم شربوا الخل..."

"اصمت، سيدي المبجل... هل تفاجئك تعابيرهم؟ إذا كانت الشائعات صحيحة، فإن إمير على وشك أن يوجه صفعة مدوية للأسر العريقة. إنه سيُذلّهم..."

"الشائعات لا يمكن أن تكون صحيحة. الإمبراطور لن يتزوج تلك اللقيطة! لا يُعقل ذلك..."

"إمير سيفعل ما يريد. انتبه لما تقوله، سيدي المبجل. كن حذرًا في كلامك. هناك من قالوا من قبل إن إمير لا يستطيع فعل هذا أو ذاك. وجميعهم انتهى بهم الأمر على المقصلة."

"يقال إنه قد وقع بالفعل مرسومًا بمنحها مخصصًا سنويًا. ثلاثمائة مارك سنويًا، هل تتخيل؟"

"ومنحها لقب أميرة. هل رآها أحد منكم بعد؟"

"لقد وضعت تحت رعاية الكونتيسة ليديرتال عند وصولها، ومنزلها مُحاط بالحرس."

"لقد أوكلوا أمرها إلى الكونتيسة، حتى تغرس فيها بعض مبادئ السلوك اللائق. يقال إن أميرتكم تتصرف كفتاة ريفية..."

"وما الغريب في ذلك؟ إنها قادمة من الشمال، من سينترا الهمجية..."

"مما يجعل الشائعات حول زواجها من إمير أكثر استحالة. لا، لا، هذا غير معقول على الإطلاق. الإمبراطور سيتزوج أصغر بنات دي ويت، كما كان مخططًا. لن يتزوج هذه الدخيلة!"

"لقد حان الوقت حقًا ليتزوج أخيرًا. من أجل استمرارية السلالة... لقد حان الوقت لنرى أرشيدوقًا صغيرًا في البلاط..."

"إذًا فليتزوج، ولكن ليس من هذه المتشردة!"

"اصمتوا، لا تثرثروا كثيرًا. أؤكد لكم، أيها السادة النبلاء، أن هذا الزواج لن يحدث. ما الفائدة من مثل هذا الارتباط؟"

"إنها السياسة، كونتيسة. نحن نخوض حربًا. هذا الارتباط سيكون له أهمية سياسية واستراتيجية... السلالة التي تنتمي إليها الأميرة لها حقوق قانونية وإقطاعية مؤكدة على الأراضي في وادي يارا السفلى. ولو أصبحت زوجة الإمبراطور... ها، سيكون ذلك تحركًا سياسيًا بارعًا. انظروا هناك، إلى مبعوثي الملك إستراد، كيف يتهامسون فيما بينهم..."

"إذن، أنت تؤيد هذه العلاقة الغريبة، دوق؟ أم أنك ببساطة كنت تقدم المشورة لإمير، أهذا هو الأمر؟"

"ما أؤيده أو لا أؤيده هو شأني الخاص، مارغريف. وأنصحك بألا تشكك في قرارات الإمبراطور."

"إذن، هل اتخذ قراره بالفعل؟"

"أشك في ذلك."

"إذن، فأنت مخطئ في شكوكك."

"ماذا تعنين بذلك، سيدتي؟"

"إمير قد طرد البارونة تارنهن من البلاط. وأمرها بالعودة إلى زوجها."

"لقد أنهى علاقته مع ديرفلا تريفين بروريني؟ هذا مستحيل! ديرفلا كانت عشيقته المفضلة منذ ثلاث سنوات..."

"لكنها الآن طُردت من البلاط."

"إنها الحقيقة. يقال إن ديرفلا الشقراء أثارت فضيحة هائلة. كان لا بد من تدخل أربعة من الحرس الملكي لإجبارها على ركوب العربة..."

"زوجها سيكون مسرورًا بهذا الخبر..."

"أشك في ذلك."

"بحق الشمس العظمى! إمير قد أنهى علاقته مع ديرفلا؟ تخلى عنها من أجل تلك اللقيطة؟ من أجل تلك المتوحشة القادمة من الشمال؟"

"اصمت... اصمت، بحق السماء!"

"من يؤيد هذا؟ أي فصيل يقف وراء هذا القرار؟"

"قلتُ لك اصمت! إنهم ينظرون إلينا..."

"تلك الفتاة — أقصد الأميرة — يُقال إنها قبيحة... عندما يراها الإمبراطور..."

"هل تحاول أن تقول إنه لم يرها بعد؟"

"لم يجد الوقت لذلك. لقد عاد من دارن رواخ قبل ساعة فقط."

"إمير لم يكن يومًا مغرمًا بالنساء القبيحات. آين ديرموت، كلارا آيب غويدولين غور... وديرفلا تريفين برويني كانت آيةً في الجمال."

"ربما ستصبح تلك اللقيطة أكثر جمالًا مع مرور الوقت..."

"بعد أن تحصل على حمام جيد؟ يُقال إن أميرات الشمال نادرًا ما يستحممن..."

"راقب كلماتك. قد تكون تتحدث عن زوجة الإمبراطور المستقبلية!"

"إنها لا تزال طفلة. لم تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها."

"أكرر، سيكون زواجًا سياسيًا... صوريًا بحتًا..."

"لو كان الأمر كذلك، لبقيت ديرفلا الشقراء في البلاط. كانت اللقيطة القادمة من سينترا ستجلس بجانب إمير على العرش، سياسيًا ورمزيًا... لكن في المساء، كان إمير سيمنحها تاجًا وحُليًّا ملكية لتلهو

بها، ثم يذهب إلى مخدع ديرفلا... على الأقل حتى تبلغ الفتاة السن الذي يمكنها فيه أن تنجب له وريثًا بأمان."

"همم... ربما لديك وجهة نظر. ما اسم... الأميرة؟"

"زيريلّا، أو شيء من هذا القبيل."

"ليس تمامًا. اسمها... زيريلّا؟ نعم، أعتقد أنه سيريلّا."

"اسم همجي."

"اصمت، بحق اللعنة..."

"وأظهر قليلاً من الوقار. أنتم تتنازعون كالأطفال المشاغبين!"

"انتبه لما تقوله! كن حذرًا، وإلا سأعتبر كلماتك إهانة!"

"إذا كنت تطالب بالإنصاف، فأنت تعرف أين تجدني، مارغريف!"

"صمت! اصمتوا! الإمبراطور..."

لم يكن على المنادي أن يبذل جهدًا كبيرًا لإسكات الحشد. ضربة واحدة بعصاه على أرض القاعة كانت كافية حتى تنحني الرؤوس، مكللة بالقبعات السوداء، مثل سنابل القمح التي تحنيها الرياح. كان الصمت في قاعة العرش تامًا إلى حد أنه لم يحتج حتى لرفع صوته.

"إمير ڤار إمريس، دييثوين آدان ين كارن آيب مونرود!"

"الشعلة البيضاء المتراقصة فوق أضرحة أعدائه."

تقدم بين صفوف النبلاء بخطى حازمة كعادته، يلوّح بيده اليمنى بقوة. كان لباسه الأسود مطابقًا تمامًا لأزياء البلاط، باستثناء غياب الطوق الأبيض. كان شعره الداكن، غير المصفف في الغالب، محكمًا نسبيًا بفضل شريط ذهبي ضيق، وكان العقد الإمبراطوري يتلألأ على عنقه.

جلس إمير على العرش بلا اكتراث، مستندًا بمرفقه إلى مسند الذراع، وسند ذقنه إلى يده. لكنه لم يمدّ ساقه فوق المسند الآخر، مما يعني أن قواعد الإتيكيت لا تزال سارية. لم ترتفع أي من الرؤوس المنحنية ولو بمقدار شبر.

تنحنح الإمبراطور بصوت عالٍ دون أن يغير من وضعه. عندها فقط، بدأ رجال البلاط بالتنفس من جديد، واستقاموا في وقفاتهم. ضرب المنادي بعصاه على الأرض مرة أخرى.

"سيريلا فيونا إيلين ريانون، ملكة سينترا، أميرة بروغ ودوقة سودين، وريثة إينيس آرد سكيليغ وإينيس آن سكيليغ، وسيدة آتري وآب يارا!"

استدارت كل الأنظار نحو الأبواب، حيث كانت ستيلا كونغريف، كونتيسة ليديرتال، تقف شامخة بوقار. إلى جانبها، مشت حاملة كل تلك الألقاب العظيمة.

كانت نحيلة، شاحبة، ذات شعر فاتح، منحنيّة قليلًا، ترتدي ثوبًا أزرق طويلًا بدا واضحًا أنه يسبب لها إزعاجًا شديدًا.

إمير دييثوين اعتدل في جلسته على العرش، فانحنى رجال البلاط فورًا مرة أخرى. دفعَت ستيلا كونغريف الفتاة ذات الشعر الفاتح برفق، وسارتا معًا بين صفّين من النبلاء المنحنين، جميعهم ينتمون إلى أعرق بيوت نيلفجارد. كانت خطوات الفتاة متيبسة ومترددة.

ستتعثر، فكرت الكونتيسة.

تعثرت سيريلا فيونا إيلين ريانون.

"يا لها من مخلوقة قبيحة، نحيلة،" فكرت الكونتيسة وهي تقترب من العرش. "خرقاء، وبالإضافة إلى ذلك، غبية كالعجول. لكنني سأجعلها جميلة. سأجعلها ملكة، إمير، تمامًا كما أمرت."

كانت الشعلة البيضاء لنيلفجارد يراقبهما من موقعه على العرش. كالعادة، كانت عيناه نصف مغمضتين، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة خفيفة.

تعثرت ملكة سينترا للمرة الثانية.

رفع الإمبراطور مرفقه، مستندًا إلى مسند العرش، ولمس خده بيده. كان يبتسم.

كانت ستيلا كونغريف قريبة بما يكفي لتتعرّف على تلك الابتسامة. شحب وجهها، وتجمّدت رعبًا.

هناك شيء ليس على ما يرام، فكّرت. هناك شيء ليس على ما يرام. ستتطاير رؤوس. بحق الشمس العظمى، ستتطاير رؤوس...

استعادت رباطة جأشها، وانحنت بعمق، مجبرة الفتاة على أن تفعل الشيء نفسه.

لم ينهض إمير ڤار إمريس من العرش. لكنه أمال رأسه قليلًا.

حبس النبلاء أنفاسهم.

"جلالتك،" قال إمير.

ارتعشت الفتاة.

لكن الإمبراطور لم يكن ينظر إليها. كان ينظر إلى النبلاء المتجمّعين في القاعة.

"جلالتك،" كرر بصوت ثابت. "يسرّني أن أرحب بكِ في قصري وبلادي. وأمنحكِ كلمتي الإمبراطورية بأن اليوم الذي ستعود إليكِ فيه كل ألقابك، جنبًا إلى جنب مع الأراضي التي هي إرثكِ الشرعي والتي لا جدال في ملكيتكِ لها، قد بات قريبًا.

"لقد أعلن المغتصبون، الذين يسيطرون على أملاككِ، الحرب عليّ. لقد هاجموني، زاعمين أنهم يدافعون عن حقوقكِ العادلة. فليعلم العالم كله أنكِ تلجئين إليّ – لا إليهم – طلبًا للمساعدة. فليعلم العالم كله أنكِ هنا، في أرضي، تنالين التبجيل وتحملين الاسم الملكي الذي يليق بملكة، بينما كنتِ في أراضي أعدائي مجرد منفية منبوذة. فليعلم العالم كله أنكِ في بلادي آمنة، في حين أن أعدائي لم يكتفوا بحرمانكِ من تاجكِ، بل سعوا أيضًا إلى إزهاق روحكِ."

ثبت إمبراطور نيلفجارد بصره على مبعوثي إستراد تايسن، ملك كوفير، وسفير نييدامير، ملك رابطة هنغفورس.

"فليعلم العالم كله الحقيقة، وليعلمها كذلك الملوك الذين تظاهروا بعدم معرفة أين تكمن العدالة والحق. وليعلم العالم كله أن المساعدة ستُمنح لكِ. أعداؤكِ وأعدائي سيُهزمون. وسيعود السلام مرة أخرى إلى سينترا، سودين، بروغ، آتري، جزر سكيليغ، ومصب نهر يارا. وستصعدين إلى العرش بفرح شعبكِ، وكل من ينشد العدل."

خفضت الفتاة ذات الفستان الأزرق رأسها أكثر، تحاول أن تختفي داخل نفسها.

"لكن قبل أن يحدث ذلك،" واصل إمير، "سيتم معاملتكِ بالاحترام الذي تستحقينه، مني ومن جميع رعاياي. وبما أن نيران الحرب لا تزال مشتعلة في مملكتكِ، فإنني، كدليل على الشرف والاحترام والصداقة من نيلفجارد، أمنحكِ لقب دوقة روان وإيملاك، وسيدة قلعة دارن روان، حيث ستتوجهين الآن، بانتظار قدوم أيام أكثر هدوءًا وسعادة."

كافحت ستيلا كونغريف للحفاظ على رباطة جأشها، حريصة على ألا يظهر أدنى أثر للدهشة على وجهها.

"لن يحتفظ بها إلى جانبه،" فكرت. "إنه يرسلها إلى دارن روان، إلى نهاية العالم، إلى مكان لا يذهب إليه أبدًا. ليس لديه نية للتودد إليها. ولا يفكر في زواج سريع. بل حتى لا يريد رؤيتها. إذن، لماذا تخلص من ديرفلا؟ ما الذي يجري هنا؟"

استعادت السيطرة على نفسها بسرعة، ثم أمسكت بيد الأميرة بحزم. انتهى اللقاء. لم ينظر الإمبراطور إليهما وهما تغادران القاعة.

انحنى رجال البلاط.

بمجرد مغادرتهما، رمى إمير ڤار إمريس ساقه فوق مسند العرش.

"سيلاك،" قال الإمبراطور. "اقترب مني."

توقف السينشال أمام الإمبراطور على المسافة التي يفرضها البروتوكول، ثم انحنى.

"أقرب،" قال إمير. "اقترب أكثر، سيلاك. سأتحدث بصوت منخفض، وما سأقوله هو لأذنيك فقط."

"مولاي."

"ما الذي تم التخطيط له لهذا اليوم؟"

"استقبال خطابات الاعتماد ومنح الموافقة الرسمية لمبعوث الملك إستراد من كوفير"، تلا السينشال سريعًا، "تعيين نواب الحكام، والولاة، وكبار الإقطاعيين في المقاطعات والأقاليم الجديدة. المصادقة على منح لقب كونت وإقطاع..."

"سنمنح المبعوث موافقته الرسمية ونستقبله في لقاء خاص. أرجئ باقي الأمور إلى الغد."

"كما تأمر، جلالتك."

"أبلغ الفيكونت إيبدون وسكيلين أنهما بعد الاجتماع مع السفير مباشرة، عليهما أن يحضرا إلى المكتبة. سرًا. وستكون هناك أيضًا. وأحضر ذلك الساحر الشهير الذي لديك، ذلك العرّاف... ما اسمه؟"

"زارثيسيوس، مولاي. إنه يقيم في برج خارج المدينة..."

"مكان إقامته لا يهمني. أرسل في طلبه. عليه أن يُحضر إلى جناحي. بهدوء، مع أقل قدر من الضجة، بسرية تامة."

"مولاي... هل من الحكمة أن نطلب ذلك العرّاف..."

"هذا أمر، سيلاك."

"أمرك، مولاي."

"لو كنت أعرف ذلك، لما كنت بحاجة إلى شعوذتك."

* * *

"أرجوك سامحني، جلالتك الإمبراطورية..." تمتم العرّاف متلعثمًا. "المشكلة أن المسافات الشاسعة تعيق الأسترومانسي، بل تكاد تجعلها مستحيلة... هم، هم... وإذا كان هذا الشخص محميًا بسحر قوي... يمكنني المحاولة، ولكن—"

"اختصر، أيها السيد."

"أحتاج إلى وقت... وإلى مكوّنات لإلقاء التعويذات... إذا كان تموضع النجوم ملائمًا، عندها... هم، هم... جلالتك، ما تطلبه مهمة دقيقة للغاية... أحتاج إلى وقت—"

"إذا استمر في الثرثرة أكثر، سيأمر إمير بوضع رأسه على رمح،" فكّر البومة الكستنائية في نفسه. "إن لم يتوقف هذا الساحر عن التمتمة السخيفة..."

"السيد زارثيسيوس،" قاطعه الإمبراطور بنبرة غير متوقعة من اللطف، بل حتى بلهجة هادئة. "سيكون كل ما تحتاجه متاحًا لك. بما في ذلك الوقت. ضمن حدود المعقول."

"سأبذل قصارى جهدي،" أعلن العرّاف. "ولكن لن أتمكن سوى من تحديد الموقع التقريبي... أعني، المنطقة أو النطاق..."

"ماذا؟"

"الأسترومانسي..." تلعثم زارثيسيوس. "عند المسافات الكبيرة، لا تسمح الأسترومانسي سوى بتحديد المواقع بشكل تقريبي... تقريبي جدًا، بهامش خطأ كبير... خطأ كبير جدًا. لا أعلم حقًا ما إذا كنت سأتمكن..."

"ستتمكن، أيها السيد،" قال الإمبراطور بنبرة بطيئة، وعيناه الداكنتان تتوهجان ببرود قاتم. "أنا واثق تمامًا بقدراتك. وبالنسبة للهامش، فكلما قلّ هامشك، زاد هامشي."

ارتعد زارثيسيوس وانكمش مكانه.

"لا بد لي من معرفة تاريخ ميلاد هذا الشخص بدقة،" تمتم، "حتى الساعة؛ إن أمكن... كما أن وجود شيء يخصّه سيكون ذا قيمة كبيرة..."

"الشَّعر،" قال إمير بهدوء. "هل يكفيك الشعر؟"

"أوووه!" قال العرّاف، وجهه يضيء بحماس. "الشَّعر! هذا سيُسرّع العملية بشكل كبير... آه، وإذا أمكنني أيضًا الحصول على... براز أو بول..."

ضيّق إمير عينيه بتهديد واضح، فانكمش الساحر وانحنى بانحناءة عميقة.

"أعتذر بكل تواضع، جلالتك الإمبراطورية..." تمتم. "أرجوك سامحني... بالطبع... بالطبع، الشَّعر سيكون كافيًا... كافٍ تمامًا..."

"متى يمكنني الحصول عليه؟"

"سيتم تزويدك به اليوم، مع تاريخ الميلاد وساعته."

نهض الإمبراطور من مقعده قليلًا، محدقًا في العرّاف بنظرة ثابتة.

"لن أُطيل عليك، أيها السيد. عُد إلى برجك، وابدأ في رصد النجوم."

"لتكن الشمس العظمى حارسة لك دائمًا، جلالتك الإمبراطورية..."

"نعم، نعم. يمكنك الانصراف."

الآن جاء دورنا، فكر البومة الكستنائية. أتساءل ما الذي ينتظرنا؟

"إذا تجرأ أي شخص،" قال الإمبراطور ببطء، "على البوح بكلمة مما سيُقال هنا، فسيُقطَّع إربًا. فاتيبي!"

"نعم، مولاي."

"كيف انتهى الأمر بتلك... الأميرة... إلى هنا؟ من كان متورطًا؟"

"لقد جاءت من الحصن في ناستروغ،" قال رئيس الاستخبارات. "كانت تحت حراسة جنود يقودهم..."

"ليس هذا ما أعنيه، بحق الجحيم! كيف وصلت تلك الفتاة إلى ناستروغ، في فيردن؟ من أتى بها إلى الحصن؟ من هو القائد هناك حاليًا؟ هل هو نفس الرجل الذي أرسل التقرير؟ غوديفرون... شيء ما؟"

"غوديفرون بيتكيرن،" قال فاتيي دي ريدو بسرعة، "كان بالطبع على علم بمهمة رينس والكونت كاهير آيب سيلاك. بعد ثلاثة أيام من أحداث جزيرة ثانيدد، ظهر شخصان في ناستروغ. وتحديدًا: إنسان وإلف نصف-دم. هما من سلّما الأميرة إلى غوديفرون، متذرعين باسمي رينس والكونت كاهير."

"آه،" قال الإمبراطور مبتسمًا، وشعر البومة الكستنائية بقشعريرة تجتاح ظهره.

"فيلجيفورتز تعهد بأنه سيقبض على سيريلا في ثانيدد. رينس أكد لي الشيء ذاته. كاهير ماور ديفرين آيب سيلاك تلقى أوامر واضحة في هذه المسألة. ومع ذلك، بعد ثلاثة أيام من الفضيحة على الجزيرة، تُسلَّم سيريلا إلى ناستروغ على نهر يارا؛ ليس على يد فيلجيفورتز، ولا رينس، ولا كاهير، بل على يد إنسان ونصف-إلف. ألم يخطر ببال غوديفرون أن يلقي القبض عليهما؟"

"لا. هل ينبغي معاقبته على ذلك، جلالتك؟"

"لا."

ابتلع البومة الكستنائية ريقه. التزم إمير الصمت للحظة، يفرك جبهته، وكان الألماسة الضخمة في خاتمه تتلألأ مثل نجم. ثم رفع رأسه.

"فاتيي."

"مولاي؟"

"حشد جميع رجالك. أعطِ الأوامر باعتقال رينس والكونت كاهير. أفترض أن كليهما يقيم في أراضٍ لم تحتلها قواتنا بعد. استخدم السكويا'تايل أو جِن الملكة إينيد لتحقيق ذلك. انقل الأسيرين إلى دارن رواخ، وأخضعهما للتعذيب."

"ما هي المعلومات المطلوبة، مولاي؟" قال فاتيي دي ريدو، ضيقًا عينيه، متجاهلًا شحوب وجه السينشال سيلاك.

"لا شيء. لاحقًا، بعد أن يصبحا أكثر ليونة، سأستجوبهما بنفسي."

"سكيلين!"

"نعم، سيدي."

"ذلك الأحمق العجوز زارثيسيوس؛ إذا تمكن ذلك العرّاف الثرثار من تحديد ما أمرته به، فستقوم أنت بتنظيم عملية بحث عن شخص معين في المنطقة التي يحددها. ستتلقى وصفًا دقيقًا له. من المحتمل أن يشير العرّاف إلى منطقة تحت سيطرتنا، وفي هذه الحالة، ستقوم بتعبئة جميع المسؤولين هناك، سواء كانوا مدنيين أو عسكريين. هذه مسألة ذات أولوية قصوى. هل هذا واضح؟"

"نعم، مولاي. هل لي أن...؟"

"لا، لا يمكنك. اجلس واستمع، بومة كستنائية. على الأرجح، لن يخرج زارثيسيوس بشيء. الشخص الذي أمرته بالبحث عنه ربما يكون في أرض أجنبية، وتحت حماية سحرية. سأراهن برأسي على أن الشخص الذي أبحث عنه في نفس المكان الذي يختبئ فيه صديقنا العزيز، الساحر فيلجيفورتز من روغيفين، الذي اختفى بشكل غامض. ولهذا السبب، سكيلين، ستقوم بتجميع وإعداد وحدة خاصة، ستكون تحت قيادتك المباشرة. استخدم أفضل الرجال الذين لديك. يجب أن يكونوا مستعدين لكل شيء... وألا يكونوا خرافيين. أقصد، ألا يخشوا السحر."

رفع بومة كستنائية حاجبيه بدهشة.

"وحدتك،" تابع إمير، "سيكون عليها مهاجمة والقبض على مخبأ فيلجيفورتز، ذلك الصديق والحليف السابق، والذي لا يزال موقعه مجهولًا بالنسبة لي، ومن المحتمل أن يكون محصنًا ومموهًا بشكل جيد."

"نعم، مولاي،" قال بومة كستنائية ببرود. "أفترض أن الشخص المطلوب العثور عليه هناك يجب ألا يتعرض للأذى."

"تفترض بشكل صحيح."

"وماذا عن فيلجيفورتز؟"

"أما هو..." ابتسم الإمبراطور ابتسامة قاسية. "فهو يجب أن يُؤذى... لمرة أخيرة. بشكل نهائي. وهذا ينطبق على أي ساحر آخر قد تجده في مخبئه. بلا استثناء."

"نعم، مولاي. ومن المسؤول عن العثور على مخبأ فيلجيفورتز؟"

"أنت، بومة كستنائية."

تبادل ستيفان سكيلين وفاتيي دي ريدو نظرات سريعة. ثم استرخى إمير في مقعده.

"هل كل شيء واضح؟ إذا كان الأمر كذلك... ما الأمر، سيلاك؟"

"مولاي..." تذمّر السينشال بصوت ضعيف، الذي لم يعره أحد اهتمامًا حتى الآن. "أتوسل إليك من أجل الرحمة..."

"لا رحمة للخونة. لا رحمة لمن يعارض إرادتي."

"كاهير... ابني..."

"ابنك..." ضيّق إمير عينيه وهو يتفحص السينشال. "لا أعرف بعد ما الذي ارتكبه ابنك من جرائم. آمل أن يكون مذنبًا فقط في الغباء وعدم الكفاءة، وليس في الخيانة. إذا كان الأمر كذلك، فسيتم قطع رأسه فقط... بدلاً من أن يُكسر على عجلة التعذيب."

"جلالتك! كاهير ليس خائنًا... كاهير لا يمكن أن يكون..."

"كفى، سيلاك، لا أريد سماع كلمة أخرى."

"المذنبون سينالون عقابهم. لقد حاولوا خداعي، ولن أغفر لهم ذلك."

استدار إمير بنظرة صارمة إلى رجاله.

"فاتيي، سكيلين، بعد ساعة واحدة، ستحضران لاستلام التعليمات الموقعة، الأوامر والتفويضات. ومن ثم، ستشرعان فورًا في تنفيذ مهامكما."

توقف للحظة، ثم أضاف بصوت أكثر برودة:

"وأمرٌ آخر: أثق أنه ليس عليّ التأكيد على أن الفتاة المسكينة التي رأيتموها قبل قليل في قاعة العرش ستظل بالنسبة للجميع سيريلا، ملكة سينترا ودوقة روان. بالنسبة للجميع. آمركما باعتبار ذلك سرًا من أسرار الدولة ومسألة ذات أهمية وطنية قصوى."

نظر جميع الحاضرين إلى الإمبراطور في ذهول. كانت الشعلة البيضاء المتراقصة فوق أضرحة أعدائه يبتسم ابتسامة باهتة.

"ألم تفهموا؟" تابع ببرود.

"بدلًا من سيريلا الحقيقية، أميرة سينترا، أُرسلت إليّ دمية سخيفة. لقد أقنع هؤلاء الخونة أنفسهم بأنني لن أتمكن من اكتشاف الخدعة. لكنني سأعرف سيري الحقيقية. سأعرفها حتى لو كانت عند نهاية العالم، أو في أعماق الجحيم."

يظل سلوك الحصان أحادي القرن لغزًا غامضًا. فعلى الرغم من كونه شديد الخجل وذا طبيعة حذرة تجاه البشر، فإنه إن صادف عذراء لم تعرف العلاقة الجسدية مع رجل، فإنه يندفع نحوها على الفور، يجثو أمامها، ويضع رأسه في حجرها دون أدنى خوف أو تردد.

يُقال إنه في العصور الغابرة، كانت هناك فتيات كرّسن أنفسهن لهذا الأمر، حيث بقين غير متزوجات وعشن في عزلة طيلة سنوات عديدة، لكي يتم استئجارهن من قِبَل الصيادين كطُعم لجذب أحادي القرن. إلا أنه سرعان ما تبيّن أن أحادي القرن لا يقترب إلا من الفتيات اليافعات، ولا يُلقي بالًا لمن تقدمن في السن.

وبما أنه مخلوق حكيم، فلا شك أن أحادي القرن يدرك تمامًا أن البقاء طويلًا في حالة العذرية أمر مشبوه، ويتنافى مع النظام الطبيعي للأشياء.

الفصل السادس

أيقظها الحر. كان يحرق بشرتها كما تفعل الحديد المحمّى في يد جلاد.

لم تستطع بالكاد تحريك رأسها، فقد كان هناك شيء يثبتها بقوة. حاولت أن تبتعد، لكنها صرخت من الألم، شاعرة بجلدها يتمزق فوق صدغها. فتحت عينيها. كان الصخر الذي استندت إليه غارقًا بلون بني داكن، مشبعًا بالدم الجاف المتخثر. رفعت يدها إلى صدغها، فشعرت تحت أصابعها ببقايا جلبة متشققة وقاسية. الجلبة، التي كانت قد التصقت بالصخرة وانتُزعت منها عندما حركت رأسها، بدأت الآن تنزف دمًا ومادة لزجة شفافة.

تنحنحت سيري، ثم بصقت مزيجًا من الرمل واللعاب الكثيف اللزج. رفعت نفسها على مرفقيها، ثم جلست، تتفحص المكان من حولها.

كانت محاطة بالكامل بسهل صخري مائل إلى الحمرة والرمادية، مليء بالأخاديد والشقوق، تتناثر فيه أكوام من الحجارة وصخور ضخمة ذات أشكال غريبة.

عاليًا فوق السهل، علق شمس ذهبية ضخمة، مشتعلة، تحوّل السماء بأكملها إلى لون أصفر ساطع، مشوهة الرؤية ببريقها المبهر، مما جعل الهواء يتراقص في تموجات حرارية خانقة.

أين أنا؟

رفعت يدها ببطء إلى جبهتها المتورمة والجريحة. كان الألم شديدًا. لا بد أنني سقطت بقوة، فكرت. لابد أنني انزلقت على الأرض لمسافة طويلة.

انتبهت إلى ثيابها الممزقة، لتكتشف مصادر أخرى للألم: في ظهرها، وكتفها، ووركها. عند ارتطامها بالأرض، غطتها طبقة من الغبار، والرمال الحادة، وشظايا الحصى. كانت الرمال متغلغلة في شعرها، أذنيها، فمها، وحتى في عينيها، اللتين كانتا تحترقان وتدمعان.

كما أن يديها ومرفقيها، الذين تمزق جلدهما حتى كاد يكشف عن اللحم النيء، كانا يلسعانها بحدة.

ببطء وحذر، مدّت ساقيها، ثم أطلقت أنينًا آخر، إذ استجاب ركبتها اليسرى لأي حركة بألم كليل حاد. نظرت إلى ركبتها عبر سروالها الممزق، لكنها لم ترَ أي تورم.

عندما أخذت نفسًا عميقًا، شعرت بوخزة مقلقة في جنبها، وحينما حاولت أن تحني جذعها، كادت تصرخ، إذ اخترقها تشنج مؤلم امتد إلى أسفل ظهرها.

أنا مليئة بالكدمات، فكرت. لكن لا أعتقد أنني كسرت شيئًا. لو كنت قد كسرت عظمًا، لكان الألم أسوأ بكثير. لا زلت قطعة واحدة، مجرد محطّمة بعض الشيء. سأتمكن من النهوض. إذن، سأقف.

انحنت ببطء إلى الأمام، تحركت بحذر متعمد، محاولة تجنب الضغط على ركبتها المصابة. ثم ارتكزت على أطرافها الأربعة، متأوهة ومزمجرة من الألم.

وأخيرًا، بعد ما بدا لها وكأنه دهرٌ من العذاب، وقفت.

لكن ما إن اعتدلت، حتى تهاوت فجأة بقوة على الصخرة، إذ اجتاحها دوارٌ مفاجئ جعل الرؤية تتشوش، وسلب ساقيها قوتهما.

أحست بموجة غثيان مباغتة، فاستلقت على جنبها.

الصخرة اللاهبة تحتها كانت تحرق جسدها كالجمر المتقد.

"لن أتمكن من النهوض أبدًا..." شهقت بالبكاء. "لا أستطيع... سأحترق تحت هذه الشمس..."

كان هناك ألم متزايد، بغيض، عنيد ينبض في رأسها. كل حركة كانت تزيد من شدته، لذا توقفت سيري عن الحركة للحظة.

غطّت رأسها بذراعها، لكن الحرارة سرعان ما أصبحت لا تُحتمل. كانت تعلم أنها ستضطر إلى البحث عن ملجأ منها.

متحدّية الإنهاك الذي استبد بجسدها المتألم، مغمضة عينيها لتتحمل الطعنات الحارقة التي اجتاحت صدغها، زحفت على أطرافها الأربعة نحو صخرة ضخمة، نحتتها الرياح حتى أصبحت أشبه بفطرٍ غريب الشكل، كان قاعدته المشوهة تمنح ظلًا ضئيلًا عند أسفلها.

تكورت تحتها، تسعل وتتشمم.

مكثت هناك طويلًا، حتى هجم عليها لهيب الشمس مجددًا، متنقلًا في السماء مع دوران النهار.

تحركت إلى الجهة الأخرى من الصخرة، لكنها لم تجد فرقًا. كانت الشمس قد بلغت ذروتها، والفطر الحجري بالكاد كان يلقي بظلٍ يُذكر.

وضعت يديها على صدغيها، اللذين كانا ينفجران من الألم.

أيقظها رعشة قوية اجتاحت جسدها بالكامل.

الشمس، تلك الكرة النارية المعلقة في السماء، قد فقدت بريقها الذهبي المبهر.

الآن، كانت أقرب إلى الأفق، بلون برتقالي مشتعل، تتدلى فوق الصخور المسننة الحادة. كانت الحرارة قد خفّت.

جلست سيري بصعوبة، تنظر من حولها. كان صداعها أقل حدة ولم يعد يعميها.

تحسست جبينها، فاكتشفت أن الدم قد جف بفعل الحر، متحولًا إلى قشرة صلبة ملساء.

لكن جسدها بأكمله لا يزال يؤلمها، وبدا لها أنه لا يوجد جزء واحد فيه لا ينبض بالألم.

تنحنحت، وشعرت بالرمال تحتك بأسنانها، ثم حاولت أن تبصق. لم تستطع.

استندت إلى الصخرة الفطرية الشكل، التي كانت لا تزال دافئة من أشعة النهار.

"أخيرًا، انكسرت الحرارة،" فكرت.

"الآن، مع غروب الشمس نحو الغرب، أصبح الجو محتملًا، وسرعان ما..."

... سرعان ما سيحلّ الليل.

ارتجفت.

أين بحق الجحيم أنا؟ كيف أخرج من هنا؟ وأي طريق أسلك؟

أم ربما عليّ البقاء في مكاني، وانتظار أن يعثروا علي؟

لا بد أنهم يبحثون عني. جيرالت. ينيفر. لن يتركوني هنا وحيدة...

حاولت البصق مجددًا، ولم تستطع.

ثم فهمت الحقيقة.

العطش.

تذكرت.

حينها، أثناء هروبها، كان العطش يعذبها مثل سكين مغروز في حلقها.

كان هناك قِربة ماء خشبية مربوطة بسرج الحصان الأسود الذي كانت تمتطيه أثناء فرارها نحو برج النوارس؛ تذكّرت ذلك بوضوح.

لكنها لم تستطع أن تفكّها أو تأخذها معها. لم يكن هناك وقت.

والآن، ذهبت القربة.

ذهب كل شيء.

لم يتبقَ سوى الصخور الحارقة الحادة، والجلبة المتصلبة على صدغها التي تشد بشرتها، والألم الذي ينهش جسدها، وحلقها الجاف المتشقق... الذي لم يكن بإمكانها حتى أن تبلل جفافه بابتلاع لعابها.

لا يمكنني البقاء هنا. عليّ الذهاب والبحث عن الماء. إن لم أجد الماء، سأموت.

حاولت الوقوف، لكن أصابعها انجرحت على سطح الصخرة الفطرية. وقفت. خطت خطوة.

وبصرخة ألم، تهاوت على يديها وركبتيها، ظهرها يتقوّس تحت قبضة الغثيان الحادة التي اجتاحت أحشائها.

تشنجات، دوار، ألم مخيف جعلها تستلقي بلا حول ولا قوة.

أنا عاجزة. ووحيدة. مجددًا.

الجميع خانوني، الجميع تخلّى عني، الجميع تركني وحدي.

تمامًا كما حدث من قبل...

شعرت سيري بأن قبضة خفية تعتصر حلقها، وأن فكّها يتشنج حتى حافة الألم، وأن شفتيها المتشققتين بدأتا ترتجفان.

"لا يوجد منظرٌ أشد بؤسًا من ساحرة تبكي." رنّت كلمات ينيفر في عقلها.

لكن انتظري... لا أحد هنا ليراني...

لا أحد على الإطلاق...

تكوّرت تحت الصخرة الفطرية، تهتز بنحيب جافٍ ومريع، بلا دموع.

عندما فتحت جفنيها المنتفخين والمتلاصقين من الجفاف، أدركت أن الحرارة قد خفّت أكثر.

السماء — التي كانت صفراء قبل لحظات فقط — تحولت إلى لونها الكوبالتي العميق، صافية بشكل مذهل، تتخللها خيوط رفيعة من السحب البيضاء.

كان قرص الشمس قد احمرّ، وهبط أكثر، لكنه لا يزال يرسل حرارة راجفة متماوجة عبر الصحراء.

أو ربما كانت الحرارة تتصاعد من الصخور الحارقة؟

جلست سيري بصعوبة، لتكتشف أن الألم داخل رأسها وجسدها المغطى بالكدمات لم يعد يعذبها كما كان.

فقد أصبح الآن لا شيء، مقارنةً بالمعاناة المروّعة التي تنهش أمعاءها الجائعة، والجفاف القاسي في حلقها، الذي أجبرها على الكحة بصوت متحشرج.

"لا تستسلمي،" فكرت. "لا يمكنني الاستسلام.

تمامًا كما في كاير مورهن، يجب أن أقف، أن أهزم العدو، أن أقاتل، أن أكبح الألم والضعف الذي يمزقني.

يجب أن أنهض وأمشي.

على الأقل، الآن أعرف الاتجاه.

الشمس تغرب في الغرب.

يجب أن أسير، يجب أن أجد الماء، وأجد شيئًا آكله.

يجب أن أفعل ذلك.

وإلا سأموت.

هذه صحراء.

لقد سقطت في صحراء.

ذلك الشيء الذي دخلت فيه داخل برج النوارس كان بوابة سحرية، جهازًا سحريًا قادرًا على نقل الناس إلى أماكن بعيدة جدًا...

بوابة تور لارا كانت غريبة.

عندما صعدت إلى الطابق العلوي، لم يكن هناك شيء.

لا نوافذ، لا شيء سوى جدران عارية متعفنة بالرطوبة.

وعلى أحد الجدران، كان هناك وميض بيضاوي غير منتظم، يتوهج بضوء قزحي غامض.

ترددت، لكن البوابة جذبتها، استدعتها... حرفيًا، دعتها للدخول.

ولم يكن هناك مخرج آخر...

سوى ذلك البيضاوي المتوهج.

أغلقت عينيها، ثم خطت داخله.

بعد ذلك، كان هناك ضوء مبهر ودوامة عاصفة، وانفجارٌ سلبها أنفاسها وسحق أضلاعها.

تذكرت رحلتها عبر الصمت، والبرد، والفراغ، ثم ضوءًا ساطعًا جعلها تختنق بالهواء.

فوقها كان اللون الأزرق، وتحتها ضباب رمادي غامض...

بصقتها الدوامة في منتصف الهواء، تمامًا كما يسقط النسر الشاب سمكةً أثقل من أن يحملها.

عندما ارتطمت بالصخرة، فقدت الوعي.

لم تكن تعرف إلى متى بقيت غائبة عن الإدراك.

"قرأتُ عن البوابات السحرية في المعبد،" تذكرت، وهي تنفض الرمال من شعرها.

بعض الكتب ذكرت بوابات النقل الآني، تلك المشوّهة أو الفوضوية، التي ترسل الناس إلى وجهات عشوائية وتلقي بهم في أماكن مجهولة.

"لا بد أن بوابة برج النوارس كانت واحدة من تلك البوابات."

"لقد قذفتني إلى مكانٍ ما عند نهاية العالم."

"لا فكرة لديّ أين أنا."

"لا أحد سيبحث عني هنا، ولا أحد سيجدني."

"إذا بقيتُ هنا، سأموت."

وقفت.

استجمعت كل ما تبقى لها من قوة، ارتكزت على الصخرة، ثم خطت أول خطوة.

ثم خطوة ثانية.

ثم ثالثة.

مع أولى خطواتها، أدركت أن أبازيم حذائها الأيمن قد تمزقت، وأن الجزء العلوي المتهدل كان يجعل المشي مستحيلًا.

جلست، هذه المرة بقصد ووعي كاملين، لتُجري تفتيشًا دقيقًا لملابسها ومعداتها.

وأثناء انشغالها بهذا الفحص، نسيَت إرهاقها وألمها لوهلة.

أول شيء وجدته كان الخنجر.

كانت قد نسيته تمامًا، وكان غمده قد انزلق إلى ظهرها.

بجانب الخنجر، كعادته، كان هناك كيسٌ صغير مربوط بحزام— هدية من ينيفر.

"أشياء يجب أن تمتلكها أي سيدة دائمًا."

فكّت سيري الكيس.

لسوء الحظ، لم يكن المحتوى مناسبًا للموقف الحالي بأي شكل من الأشكال.

في الداخل، وجدت:

مشطًا من صدفة السلحفاة.

سكينًا صغيرًا وملف أظافر مزدوج الاستخدام.

سدادة قطنية معقمة مصنوعة من الكتان.

علبة صغيرة من اليشم، تحتوي على مرهم لليدين.

على الفور، فركت المرهم على شفتيها المتشققتين ووجهها المحترق، ثم لحست ما تبقى منه بشراهة.

ثم، دون تفكير، لحست العلبة بالكامل، مستمتعة بدسمه وبأثره المرطب الخفيف.

كانت رائحته — مزيجٌ من البابونج والعنبر والكافور — مقززة، لكنها عملت كمنشطات منبهة.

مزقت شريطًا من كمّها، واستخدمته لربط حذائها الممزق حول كاحلها.

وقفت، دقّت الأرض بقدمها عدة مرات لاختبار التثبيت.

ثم فردت السدادة القطنية، وصنعت منها عصابة رأس واسعة لحماية جرحها المتورم وجبهتها المتقرّحة من الشمس.

وقفت، شدّت حزامها، حركت الخنجر ليكون أقرب إلى وركها الأيسر، ثم سحبته من غمده غريزيًا، واضعة إبهامها على نصله.

كان حادًا.

كانت تعلم أنه سيكون كذلك.

"أنا مسلحة،" فكرت. "أنا ويتشر. لا، لن أموت هنا."

"الجوع؟ يمكنني تحمله.

في معبد ميليتلي، كان من الضروري أحيانًا الصيام لمدة يومين.

لكن الماء...

يجب أن أجد الماء.

سأواصل السير حتى أجده.

لا بد أن تنتهي هذه الصحراء اللعينة في النهاية.

لو كانت صحراء شاسعة حقًا، لعرفتُ عنها.

كنتُ سألاحظها على الخرائط التي كنت أراجعها مع ياري."

ياري... أتساءل ماذا يفعل الآن...

"سأنطلق،" قررت.

"سأسير باتجاه الغرب.

يمكنني رؤية مكان غروب الشمس.

هذا هو الاتجاه الوحيد الذي يمكنني التأكد منه.

لن أضيع. لم أضل طريقي قط.

دائمًا أعرف إلى أين أذهب.

سأسير طوال الليل إن اضطررت لذلك.

أنا ويتشر.

عندما أستعيد قوتي، سأركض كما كنت أفعل على الممر في كاير مورهن.

بهذه الطريقة، سأصل إلى حافة الصحراء أسرع.

سأصمد. يجب أن أصمد...

هاه، أراهن أن جيرالت قد عبر صحارى مثل هذه، بل وربما أسوأ منها...

انطلق!

بعد ساعة من المشي، لم يتغير شيء في المشهد من حولها.

لا يزال لا يوجد شيء سوى الحجارة؛

حجارة رمادية مائلة إلى الحمرة، حادة، تتحرك تحت قدميها، تجبرها على توخي الحذر.

كانت هناك شجيرات هزيلة، جافة، شائكة، تمتد نحوها بأغصانها الملتوية من بين شقوق الصخور.

توقفت سيري عند أول شجيرة صادفتها، متوقعة أن تجد أوراقًا أو براعم صغيرة تستطيع مضغها أو امتصاصها.

لكنها لم تجد سوى أشواك حادة جرحت أصابعها.

لم يكن هناك حتى فروع صلبة يمكن كسرها واستخدامها كعصا.

كانت الشجيرات الثانية والثالثة مماثلة تمامًا.

تجاهلت الباقي، ومرت بجانبها دون توقف.

هبط الغسق سريعًا.

غرقت الشمس خلف الأفق المسنن، وأضاءت السماء بلون أحمر وأرجواني مشع.

مع سقوط الظلام، أصبح الجو باردًا.

في البداية، استقبلته بارتياح، إذ أن البرودة هدأت جلدها المحترق.

لكن سرعان ما ازدادت البرودة، حتى بدأت أسنانها تصطك ببعضها البعض.

سارت أسرع، على أمل أن يساعدها المشي السريع في التدفئة، لكن الجهد أحيا الألم في جنبها وركبتها.

بدأت تعرج.

علاوة على ذلك، غرقت الشمس بالكامل خلف الأفق، وأصبح الظلام يزحف بسرعة.

القمر كان في طوره الجديد، والنجوم المتلألئة في السماء لم تكن كافية لإنارة الطريق.

سرعان ما أصبحت غير قادرة على رؤية الأرض أمامها.

تعثرت عدة مرات، وسقطت، مجروحة بشكل مؤلم على معصميها.

مرتين، علقت قدماها في شقوق الصخور، ولم ينقذها سوى تدريباتها الصارمة على السقوط، التي حالت دون التواء كاحلها أو كسره.

عندها، أدركت الحقيقة.

لا فائدة من المشي في الظلام.

السير مستحيل.

جلست على لوحٍ مسطحٍ من البازلت، يغمرها يأسٌ ساحق.

لم تكن تملك أدنى فكرة إن كانت تسير في الاتجاه الصحيح، وقد فقدت منذ وقتٍ طويل أي أثرٍ للنقطة التي غربت عندها الشمس خلف الأفق.

لم يعد هناك أي ضوء يقودها، كما فعل خلال الساعات الأولى بعد الغروب.

لم يكن حولها سوى سوادٍ مخملي، عميق، لا يمكن اختراقه.

وسراب بردٍ لاذع، متوحش.

بردٌ يشلّ الأطراف، ينهش المفاصل، يجبرها على الانحناء، على دسّ رأسها بين كتفيها المتألمين المتقوّسين.

بدأت سيري تفتقد الشمس، حتى وهي تعلم أن عودتها ستعني موجةً جديدة من الحر اللاهب، ستحطم الصخور وتحرق جسدها.

حرارةٌ ستمنعها من مواصلة رحلتها.

مرة أخرى، شعرت برغبةٍ في البكاء،

موجةٌ من اليأس والعجز كانت على وشك اجتياحها.

لكن هذه المرة، تحول اليأس إلى غضب.

"لن أبكي!" صرخت وسط الظلام.

"أنا ويتشر! أنا..."

ساحرة.

رفعت سيري يديها، وضغطت راحتَيها على صدغيها.

القوة موجودة في كل مكان.

في الماء، في الهواء، في الأرض...

نهضت بسرعة، مدت يديها أمامها، ثم تقدمت ببطء، بحذر، مستشعرة تدفق الماء المختبئ في أعماق الأرض.

كانت محظوظة.

لم يمر وقت طويل حتى سمعت ذلك الهمس المألوف، ذلك النبض الذي يدوي في أذنيها، ذلك التيار الخفي المنبعث من الوريد المائي في أعماق التربة.

استنشقت القوة بجرعات محسوبة، ثم أطلقتها ببطء.

كانت ضعيفة، تعلم أن أي تدفق سريع للأكسجين إلى دماغها قد يفقدها وعيها، وقد يبدد كل جهودها.

الطاقة بدأت تملأ جسدها ببطء،

أحست بذلك النشوة العابرة التي اعتادت عليها.

رئتاها بدأتا تعملان بسرعة وقوة.

لكنها سيطرت على أنفاسها المتسارعة فقد يؤدي فرط الأكسجة السريع إلى عواقب قاتلة أيضًا.

لقد نجحت.

"الألم أولًا،" فكرت.

"يجب أن أتخلص من هذا الألم القاتل في كتفيّ وفخذيّ.

ثم البرد.

يجب أن أرفع حرارة جسدي..."

بدأت تستعيد التعاويذ والإيماءات من ذاكرتها،

لكنها تسرعت في بعضها، ودفعت الثمن فورًا.

تشنجاتٌ مؤلمة اجتاحت جسدها، رعشةٌ قوية، دوارٌ مباغت أفقدها توازنها.

انهارت على صخرة البازلت،

يديها ترتعشان،

أنفاسها مضطربة، غير منتظمة.

أجبرت نفسها على الهدوء، على ضبط النفس، على استعادة تركيزها بالكامل.

كررت التعاويذ، بدقة، بقوة الإرادة الكاملة.

وهذه المرة، كانت النتيجة فورية.

الدفء تدفق داخلها،

انتشر عبر فخذيها، عبر عنقها، عبر أطرافها المتجمدة.

وقفت، تشعر بأن التعب يتلاشى،

عضلاتها تسترخي،

وقوتها تعود إليها.

"أنا ساحرة!" صرخت بانتصار، رافعة ذراعيها عاليًا.

"تعالي، أيتها النور الخالد Aen’drean va, eveigh Aine!"

خرجت من يديها كرة صغيرة من الضوء الدافئ، تطفو كفراشة،

تبعث فسيفساء متحركة من الظلال على الحجارة.

ببطء، حركت يدها، ثبتت الكرة، وجعلتها تحلق أمامها.

لكن لم يكن ذلك أفضل فكرة؛

فالضوء أعمى عينيها.

حاولت تحريك الكرة خلف ظهرها،

لكن النتيجة كانت مخيبة للآمال مجددًا.

ألقت بظلها أمامها، مما زاد الرؤية سوءًا.

بحذر، حرّكت سيري الكرة المشعة إلى جانبها،

ثم علّقتها فوق كتفها الأيمن مباشرةً.

لم تكن هذه الكرة مثل الكرة الحقيقية والسحرية، لكن الفتاة كانت فخورة للغاية بإنجازها.

"هاه!" قالت بفخر.

"ياليت ينيفر كانت ترى هذا!"

بدأت تمشي بخطوات واثقة، نشيطة،

تتحرك بسرعة، تختار مكان كل خطوة وسط الظلال المتراقصة التي يلقيها ضوء الكرة.

وأثناء سيرها، حاولت استحضار تعاويذ أخرى، لكن لم يكن أيٌّ منها مناسبًا أو مفيدًا في هذا الوضع.

كما أن بعضها كان يستنزف طاقتها بشدة، وكانت مترددة في استخدامها دون حاجة ماسة.

للأسف، لم تكن تعرف أي تعويذة يمكنها أن تخلق الماء أو الطعام.

رغم أنها كانت تعلم أن مثل هذه التعاويذ موجودة، إلا أنها لم تكن تملك أدنى فكرة عن كيفية إلقائها.

في ضوء الكرة السحرية، بدت الصحراء الميتة وكأنها تستيقظ للحياة.

خنافسٌ ضخمة لامعة، عناكبٌ مشعرة، تتراجع هاربة كي لا تُسحق تحت قدميها.

عقربٌ صغير، أصفر مائل إلى الحمرة، يجر ذيله المتجزئ وراءه،

عبر طريقها بسرعة، ثم اختفى بين الشقوق الصخرية.

سحليةٌ طويلة الذيل، خشخشت فوق الحجارة، ثم تلاشت في الظلام.

قوارض شبيهة بالفئران، قفزت بخفة على أرجلها الخلفية، مبتعدة عنها.

مرات عدة، لمحت أعينًا تتوهج في الظلام.

وفي إحدى المرات، سمعت هسهسة مروعة

تتصاعد من كومة صخور.

إذا كانت تفكر في اصطياد شيء يؤكل، فقد تلاشت تلك الفكرة فورًا.

أصبحت أكثر حذرًا في خطواتها،

وأمام عينيها عادت إليها صور الوحوش التي درستها في كاير مورهن:

عقارب عملاقة.

سكارليتيا.

فراتينرز.

لاميات.

عناكب السلطعون.

وحوش الصحراء المجهولة.

تابعت سيرها، متلفتة بحذر، مصغية لكل صوت، وقبضتها مشدودة على نصل خنجرها، الذي تبللت قبضته بعرق يدها.

بعد ساعات عدة، بدأت الكرة المشعة تفقد بريقها، وانكمش محيط الضوء الذي كانت تبعثه، وأصبح باهتًا.

شعرت سيري بأن تركيزها بدأ يتلاشى.

فتمتمت بالتعويذة مجددًا.

للحظات، تألقت الكرة بقوة، ثم سرعان ما خفت نورها من جديد.

الجهد جعل رأسها يدور، رأت بقعًا سوداء وحمراء تتراقص أمام عينيها.

تعثرت، وسقطت على الأرض، محدثة صوت تكسير الحصى تحتها.

أخيرًا، انطفأت الكرة بالكامل.

لم تحاول إلقاء المزيد من التعاويذ.

الإنهاك، الفراغ، استنزاف الطاقة، كل ذلك جعل أي محاولة بلا فائدة.

ظهر بريقٌ خافتٌ في الأفق، بعيدًا أمامها.

لقد سلكتُ الطريق الخطأ.

أدركت ذلك برعب.

لقد أخطأتُ في كل شيء...

كنتُ أتجه غربًا في البداية، والآن الشمس ستشرق أمامي مباشرة، مما يعني...

شعرت بإرهاقٍ ساحق ونعاسٍ قاتل، لم يستطع حتى البرد القارس أن يبدده.

"لن أنام،" قررت.

"لا يمكنني أن أنام... لا أستطيع...

لا يجب أن أنام..."

أيقظها بردٌ شرسٌ وسطوعٌ متزايدٌ، وأعادها إلى وعيها ألمٌ يمزّق أحشاءها، وإحساسٌ جافٌ، ملتهبٌ، مشتعلٌ في حلقها.

حاولت النهوض.

لم تستطع.

أطرافها المتصلبة المؤلمة خذلتها.

تلمست الأرض بيديها المرتجفتين، فشعرت برطوبةٍ تحت أصابعها.

"ماء..." همست بصوتٍ أجش، بالكاد مسموع.

"ماء!"

بجسدٍ يرتعش بالكامل، ارتكزت على يديها وركبتيها، ثم خفضت فمها نحو الصخور البازلتية،

تلعق بجنون القطرات المتجمعة على سطح الصخر الأملس، تمتص الرطوبة من التجاويف في سطحه الوعر.

في إحدى تلك التجاويف، وجدت ما يقارب نصف حفنة من الندى،

التهمتها مع الرمال والحصى، غير عابئة بما يملأ فمها.

لم تجرؤ حتى على بصقها.

نظرت حولها.

بحذر، حتى لا تهدر ولو قطرة، مدت لسانها

وجمعت قطرات الندى اللامعة المعلقة على أشواك شجيرة قزمة، تمكنت بطريقةٍ ما من النمو بين الصخور.

كان خنجرها مرميًا على الأرض.

لم تستطع تذكر متى سحبته.

كان نصله باهتًا، مغطى بطبقةٍ رقيقة من الندى.

بدقةٍ متناهية، وبصبرٍ شديد، لعقت المعدن البارد.

تغلبت على الألم الذي جعل جسدها بأكمله يتصلب، ثم زحفت، تبحث عن المزيد من الرطوبة على الصخور.

لكن قرص الشمس الذهبي كان قد انفجر فوق الأفق الصخري، وأغرق الصحراء في وهجٍ أصفر أعمى، وجفف قطرات الماء في لحظة.

استقبلت سيري الدفء المتزايد بفرحة، رغم أنها كانت تعلم أن قسوة الحر ستعود قريبًا، وأنها ستجد نفسها تتوق مجددًا إلى برودة الليل.

أدارت ظهرها للقرص المتوهج.

الشمس تشرق من الشرق.

لكن عليها أن تسير نحو الغرب.

يجب أن تسير نحو الغرب.

سرعان ما أصبح الحر لا يُطاق.

عند منتصف النهار، استنزفها الحر بشدة لدرجة أنها اضطرت، سواءً أرادت أم لا، إلى تغيير مسارها بحثًا عن ظل.

أخيرًا، وجدت ملاذًا:

صخرة ضخمة، على شكل فطر عملاق.

زحفت تحتها.

عندها، رأت شيئًا ملقى بين الصخور.

الصندوق اليشمي، الذي كان يحتوي على مرهم اليدين،لكنه الآن فارغٌ، وقد لُعق نظيفًا بالكامل.

لم تجد في داخلها قوةً للبكاء.

تغلب الجوع والعطش على إرهاقها واستسلامها.

مترنحة، انطلقت من جديد.

ما زالت الشمس تضرب الأرض بقسوة.

في الأفق البعيد، خلف الحجاب المتراقص من الحرارة، رأت ما قد يكون سلسلةً جبلية.

سلسلة جبلية بعيدة جدًا.

عند حلول الليل، بذلت جهدًا هائلًا لاستدعاء القوة،

لكنها لم تنجح في خلق الكرة السحرية إلا بعد محاولات عدة، أرهقتها لدرجة أنها لم تستطع المضي قدمًا.

استنفدت طاقتها بالكامل، وفشلت في إلقاء تعاويذ الدفء والاسترخاء، رغم محاولاتها المتكررة.

إشعال الضوء منحها بعض الشجاعة، ورفع من روحها المعنوية، لكن البرد كان أقوى.

الزمهرير القارس جعلها ترتجف حتى الفجر، بينما كانت تنتظر بفارغ الصبر شروق الشمس.

أخرجت خنجرها من غمده، ووضعته بعناية على صخرة، حتى يتكثف الندى على المعدن.

كانت مرهقة تمامًا، لكن الجوع والعطش أبقيا النوم بعيدًا عنها.

تحملت حتى الفجر.

كان الظلام لا يزال مخيمًا

حين بدأت بلعق الندى بشراهة عن النصل البارد.

وما إن بزغ النور، حتى زحفت على أربع،

بحثًا عن المزيد من الرطوبة في الشقوق والتجاويف.

ثم سمعت فحيحًا.

سحليةٌ ضخمة، زاهية الألوان، كانت جاثمةً على حافة صخرة قريبة.

فتحت فكيها عديمي الأسنان، نفشت عرفها المهيب، انتفخت بجسدها، ثم ضربت الصخرة بذيلها.

وأمام السحلية، رأت تجويفًا صغيرًا ممتلئًا بالماء.

في البداية، تراجعت سيري برعب.

لكن سرعان ما اجتاحها اليأس والغضب الوحشي.

بحثت بيدين مرتعشتين عن أي شيء، فأمسكت بقطعة صخرٍ حادة.

"هذه مياهي!" صرخت بجنون.

"إنها لي!"

أطلقت الصخرة بكل ما تملك من قوة.

وأخطأت الهدف.

قفزت السحلية على قوائمها الطويلة المعقوفة، ثم اختفت بمهارة داخل متاهة الصخور.

سيري اندفعت نحو الصخرة المهجورة، وانحنت فوقها، تمتص بقايا الماء من الشق بكل شراسة.

ثم رأته.

خلف الصخرة، في حفرة دائرية، كان هناك سبع بيضات، جزء منها مدفون في الرمال الحمراء.

لم تضيع وقتًا.

سقطت على ركبتيها فوق العش، أمسكت بإحدى البيضات، ثم غرست أسنانها فيها.

انفجرت القشرة الجلدية تحت ضغط فكها، وانهارت في يدها، بينما تدفق السائل اللزج إلى داخل كمّها.

مصّت البيضة حتى آخر قطرة، ثم لحست ذراعها، تلعق ما تبقى من اللزوجة.

واجهت صعوبة في البلع، ولم يكن هناك أي طعم على الإطلاق.

أكلت كل البيض.

ثم بقيت على يديها وركبتيها، لزجة، متسخة، مغطاة بالرمال، والصفار عالِق بين أسنانها.

بجنون، راحت تحفر في الرمال، تصدر أصواتًا غريبة، شهقاتٍ غير بشرية.

ثم تجمدت.

"اجلسي مستقيمة، أيتها الأميرة!"

"لا تسندي مرفقيك على الطاولة!"

"كوني حذرة كيف تأخذين الطعام من الطبق!"

"أنتِ توسخين أكمامكِ المخرّمة!"

"امسحي فمكِ بمنديل، وتوقفي عن إصدار تلك الأصوات!"

"بحق الآلهة، ألا يوجد من علم هذه الفتاة آداب المائدة؟"

"سيريلا!"

انفجرت سيري بالبكاء، و رأسها مدفون في ركبتيها.

تحملت المسير حتى انتصف النهار، عندما غلبها الحر، أجبرها على التوقف، أرغمها على الراحة.

نامت طويلاً، مختبئة في ظل رف صخري.

لم يكن الظل بارداً، لكن كان أفضل من لهيب الشمس الحارقة.

في النهاية، أيقظها العطش والجوع من غفوتها، طارداً النوم بعيداً.

بدا وكأن سلسلة الجبال البعيدة تشتعل، تتوهج تحت أشعة الشمس.

"قد يكون هناك ثلج على تلك القمم"، فكرت.

"قد يكون هناك جليد. قد تكون هناك جداول ماء.

يجب أن أصل إلى هناك.

يجب أن أصل بسرعة."

سارت طوال الليل تقريبًا.

قررت أن تهتدي بالسماء.

كان الأفق كله مرصعًا بالنجوم،

وأحست بالندم.

ندمت لأنها لم تُعر اهتمامًا لدروسها، لأنها لم تشأ دراسة أطالس الكوكبات في مكتبة المعبد.

بالطبع، كانت تعرف أهمها:

الماعز السبعة، الجرة، المنجل، التنين، عذراء الشتاء.

لكن تلك النجوم كانت معلقة عالياً، يصعب استخدامها للملاحة.

أخيرًا، انتقت نجمةً واحدةً، لامعةً، تألقت بين الحشد المتلألئ.

ظنت أنها تدلّها على الاتجاه الصحيح.

لم تكن تعرف اسمها، فأطلقت عليها اسمًا بنفسها.

سمّتها "العين".

ها هي تمشي وتمشي.

لكن السلسلة الجبلية التي كانت تسير نحوها لم تقترب ولو بمقدار شعرة؛ لا تزال بعيدة تمامًا كما كانت في اليوم السابق. لكنها كانت ترشدها.

وهي تمشي، راحت تتفحص ما حولها بانتباه. وجدت عشًا آخر لسحلية، يحوي أربع بيضات. لاحظت نبتة خضراء لا يزيد طولها عن إصبعها الصغير، نبتت بمعجزة بين الصخور. رصدت خنفساء بنية ضخمة. وعنكبوتًا دقيق السيقان.

أكلت كل شيء.

عند الظهيرة، تقيأت كل ما تناولته، ثم أغمي عليها. وحين استعادت وعيها، وجدت بقعة ظل، فاستلقت فيها، متكورة على نفسها، تمسك ببطنها المتألم.

بدأت المسير مجددًا عند الغروب. تحركت بصلابة مؤلمة. تعثرت وسقطت مرارًا، لكنها كانت تنهض في كل مرة وتتابع سيرها.

واصلت المشي. كان عليها أن تواصل المشي.

المساء. الراحة. الليل. العين قادتها في الطريق. سارت حتى بلغت حد الإنهاك، الذي داهمها قبل الفجر بوقت طويل. استراحة. نوم مضطرب. جوع. برد. غياب الطاقة السحرية؛ كارثة حين حاولت

استحضار النور والدفء. لم يزد عطشها إلا سوءًا وهي تلعق الندى عن شفرة خنجرها والصخور في الساعات الأولى من الصباح.

عند شروق الشمس، نامت، تحت دفء يتزايد. لكنها استيقظت على لهيب الحرارة الحارقة. وقفت، واستأنفت مسيرها.

أغمي عليها بعد أقل من ساعة. وعندما استعادت وعيها، كان قرص الشمس في كبد السماء، والحرارة لا تُحتمل. لم تعد تملك القوة للبحث عن ظل. لم تعد تملك القوة للنهوض. لكنها نهضت.

سارت. لم تستسلم. سارت طوال اليوم التالي تقريبًا، وجزءًا من الليل.

مرة أخرى، نامت في ذروة الحر، متكورة تحت صخرة منحدرة نصف غارقة في الرمال. لكن نومها كان متقطعًا مرهقًا؛ حلمت بالماء.

ماء يمكن شربه. شلالات بيضاء ضخمة محاطة بالضباب وقوس قزح. جداول متدفقة. ينابيع غابة صغيرة تحفها السرخسيات، جذورها ممتدة في الماء. نوافير قصور تعبق برائحة الرخام المبلل. آبار مكسوة بالطحالب، ودلاء مملوءة تتدفق منها القطرات... قطرات ماء تتساقط من أطراف جليدية ذائبة... ماء. ماء بارد منعش، بارد لدرجة تؤلم الأسنان، لكن مذاقه... لا مثيل له...

استيقظت، قفزت على قدميها وبدأت تمشي عائدة من حيث أتت.

استدارت مترنحة، ساقطة على الأرض. لا! كان عليها العودة! لقد مرّت بماء في الطريق! جداول تتدفق بين الصخور! كيف كانت بهذا الغباء؟!

لكنها استعادت رشدها.

بدأت الحرارة بالانخفاض، والمساء يقترب. الشمس الغاربة تشير إلى الغرب. الجبال. لا يمكن أن تكون الشمس — لا يمكن أن تكون — خلفها.

طردت سيري الرؤى، وكتمت شهقاتها. استدارت، وبدأت المسير مجددًا.

سارت طوال الليل، لكن ببطء شديد. لم تقطع مسافة كبيرة. كانت تغفو أثناء سيرها، تحلم بالماء.

عندما بزغت الشمس، وجدتها جالسة على صخرة، تحملق في نصل الخنجر وساعدها العاري.

"الدم سائل، في النهاية. يمكن شربه."

طردت الهلوسات والكوابيس. لعقت الخنجر المغطى بالندى، ثم شرعت في السير مجددًا.

أغمي عليها. وعندما استعادت وعيها، كانت الشمس تحرقها، والصخور الملتهبة تسخن جسدها المتعب.

أمامها، من خلف ضباب السراب المرتعش، بدت سلسلة الجبال المسننة، تتلاعب بها أشعة الشمس.

أقرب. أقرب بكثير.

لكن لم يعد لديها قوة. جلست بصعوبة.

انعكس ضوء الشمس على شفرة الخنجر في يدها، فأحرقها بلهيبه. كان حادًا. كانت تعلم ذلك.

"لماذا تعذبين نفسك؟" جاءها الصوت الهادئ الرصين للساحرة تيسايا دي فريس، بنبرته المتزنة والمألوفة. "لماذا تحكمين على نفسك بهذا العذاب؟ لقد حان الوقت لتنهي كل هذا!"

"لا. لن أستسلم."

"لن تتحملي أكثر. هل تعرفين كيف يكون الموت عطشًا؟ في أي لحظة ستفقدين عقلك، وحينها سيكون الأوان قد فات. حينها، لن تتمكني حتى من إنهاء الأمر بنفسك."

"لا. لن أستسلم. سأصمد."

أعادت الخنجر إلى غمده. نهضت، تمايلت، ثم سقطت. نهضت مرة أخرى، تهادت بخطوات مترنحة، وبدأت المسير.

فوقها، في السماء الصفراء، حلّق نسر جارح.

حين استعادت وعيها مجددًا، لم تتذكر متى سقطت. لم تتذكر كم من الوقت قضته ممددة على الأرض. رفعت نظرها إلى السماء. التحق نسران آخران بالأول، يحلقون في دوائر واسعة فوقها.

لم تعد تملك القوة للنهوض.

أدركت أن هذه هي النهاية. تقبلتها بهدوء. بل بشيء من الارتياح.

ثم شعرت بشيء يلامسها.

دفعها برفق، بحذر، على كتفها. بعد كل هذا الوقت من الوحدة، بعد أن ظلت محاطة بصخور جامدة بلا حياة، جعلها هذا اللمس تنتفض، رغم إنهاكها الشديد. حاولت النهوض دفعة واحدة.

ما لمسها شخر وتراجع، يدبّ الأرض بحوافره بصخب.

نهضت سيري بصعوبة، تمسح زوايا عينيها المتيبسة بقبضتيها.

"لقد جننت." فكّرت.

على بعد خطوات منها، كان يقف حصان.

رمشت بعينيها. لم يكن وهمًا.

كان حقًا حصانًا. حصانًا صغيرًا، لم يكن أكثر من مهر حديث العهد بالحياة.

استعادت وعيها تمامًا الآن. لعقت شفتيها المتشققتين، وابتلعت ريقها بصعوبة. على الفور، قفز الحصان وابتعد خطوات، تصطك حوافره بالصخور المتناثرة. كانت حركته غريبة، كما أن لون معطفه لم يكن مألوفًا—ليس أشهبًا ولا كميتًا. ربما كان مجرد وهم، بفعل ضوء الشمس المتسلل من خلفه.

شخر الحصان وتقدم نحوها بخطوات مترددة. الآن، استطاعت رؤيته بوضوح. وضوح كافٍ لتلاحظ، إلى جانب لون معطفه غير المعتاد، غرابة تكوينه: رأسه صغير، عنقه نحيل للغاية، مفاصله دقيقة وهشّة، وذيله طويل وسميك بشكل لافت. وقف الحصان يحدق بها، يميل برأسه في زاوية جانبية. زفرت سيري زفرة هادئة.

كان هناك قرن، بطول شبرين على الأقل، يبرز من جبهته المقوسة.

"استحالة مستحيلة"، فكرت سيري وهي تستعيد وعيها تدريجيًا، تجمع شتات أفكارها. "لا وجود لأحادي القرن في هذا العالم؛ لقد انقرضوا. لم يكن هناك حتى ذكر لأحادي القرن في مخطوطة الويتشر في كاير مورهن! لقد قرأت عنهم فقط في كتاب الأساطير في المعبد... أوه، وكانت هناك صورة لأحادي القرن في ذلك الكتاب فيزيولوجوس الذي تصفحته في بنك السيد جيانكاردي... لكن ذاك المخلوق كان أقرب إلى الماعز منه إلى الحصان. كان له شعر كثيف على مفاصله ولحية ماعز، وكان قرنه أطول من ذراعين..."

أدهشها كيف أنها تتذكر كل ذلك بوضوح، كما لو أن تلك الأحداث وقعت قبل مئات السنين. فجأة، أصابها دوار حاد، وتقلصت أحشاؤها بالألم. تأوهت وتكورت على نفسها.

شخر أحادي القرن، تقدم خطوة نحوها، ثم توقف ورفع رأسه عالياً. عندها، تذكرت سيري ما قرأته في الكتب عن هذه المخلوقات.

"أرجوك، اقترب..." همست بصوت مبحوح، محاولة أن تجلس. "يمكنك ذلك، لأنني..."

لكن أحادي القرن شخر، قفز إلى الخلف، ثم انطلق يركض مبتعدًا، يلوّح بذيله بعنف. لكنه توقف بعد لحظات، أدار رأسه، دك الأرض بحافره، وأطلق صهيلًا عاليًا.

"هذا ليس صحيحًا!" تذمرت بيأس. "لقد قبلني جار مرة واحدة فقط، وهذا لا يُحسب! عُد إليّ!"

كان الحديث مجهودًا يفوق طاقتها؛ تشوّش بصرها، وسقطت مستندة إلى الصخرة.

وعندما تمكنت أخيرًا من رفع رأسها، كان أحادي القرن قد عاد، يقف بالقرب منها مرة أخرى. كان ينظر إليها بفضول، خافضًا رأسه، ثم شخر برفق.

"لا تخف مني..." همست. "لا داعي لذلك... بإمكانك أن ترى... أنني أحتضر..."

نهق الحصان أحادي القرن، وهزّ رأسه بعنف.

ثم فقدت سيري وعيها.

عندما استيقظت مرة أخرى، كانت وحدها.

تؤلمها كل عظمة في جسدها، متيبسة، متعطشة، جائعة، ووحيدة تمامًا.

كان أحادي القرن مجرد سراب، مجرد وهم، مجرد حلم. وقد تلاشى كما تتلاشى الأحلام.

فهمت ذلك، تقبلته، لكنها رغم ذلك شعرت بالأسى واليأس، وكأن ذلك الكائن كان حقيقيًا، وكأنه كان معها، ثم تخلى عنها. كما تخلى عنها الجميع من قبل.

حاولت الوقوف، لكن جسدها لم يستجب. أراحت وجهها على الصخور. ببطء شديد، مدت يدها إلى جانبها، بحثًا عن مقبض خنجرها.

"الدم سائل. يجب أن أشرب."

لكنها سمعت صوت حوافر تخبط الأرض، ثم شخيرًا مألوفًا.

"لقد عدت..." همست، رافعة رأسها بصعوبة. "هل عدت حقًا؟"

شخر أحادي القرن بصوت عالٍ. رأت حوافره قريبة جدًا منها. بجانبها تمامًا.

كانت مبللة. بل كانت تقطر ماءً.

تسللت إليها قوة جديدة، اجتاحها أمل غامر، نشوة ساحرة. قادها أحادي القرن، وسارت خلفه، غير متأكدة إن كانت لا تزال تحلم أم أن هذا كان حقيقيًا. وعندما انهارت من الإنهاك، سقطت على أطرافها الأربعة، ثم بدأت تزحف.

قادها بين الصخور إلى وادٍ ضحل، قاعه رملي. استخدمت ما تبقى من طاقتها للزحف، لكنها استمرت. لأن الرمال كانت رطبة.

توقف أحادي القرن عند حفرة ضحلة في الرمل، صهل بقوة، ثم دك الأرض بحافره مرة، مرتين، ثلاثًا.

فهمت.

زحفت نحوه، تساعده. حفرت بأظافرها الممزقة، تدفع الرمال جانبًا، تزيحها بيديها المرتجفتين. ربما بكت وهي تفعل، لكنها لم تكن متأكدة.

وحين ظهر سائل عكر في قاع الحفرة، ألصقت شفتيها به على الفور، ترتشف الماء الممزوج بالرمل بنهم، حتى اختفى السائل تمامًا. تطلّب الأمر منها جهدًا هائلًا حتى تتحكم في نفسها.

استخدمت الخنجر للحفر أعمق، ثم جلست تنتظر. شعرت بحبيبات الرمل بين أسنانها، ارتجفت من نفاد الصبر، لكنها انتظرت حتى امتلأت الحفرة بالماء مجددًا.

ثم شربت. شربت طويلًا.

في المرة الثالثة، تركت الماء يستقر قليلًا، ثم شربت أربع جرعات منه، أقل تلوثًا بالرمل. عندها فقط، تذكرت أحادي القرن.

"لا بد أنك عطشان أيضًا، أيها الحصان الصغير." قالت وهي تلهث. "لكن لا يمكنك شرب الطين. لا يوجد حصان يشرب الطين."

صهل أحادي القرن.

عمّقت الحفرة أكثر، دَعّمت جوانبها بالحجارة.

"انتظر، أيها الحصان الصغير. دعه يستقر قليلًا..."

"الحصان الصغير" شخر، دك الأرض بحافره، ثم أدار رأسه بعيدًا.

"لا تكن عنيدًا. اشرب."

اقترب أحادي القرن بحذر، خافضًا خطمه نحو الماء.

"اشرب، أيها الحصان الصغير. ليس حلمًا. إنه ماء حقيقي."

في البداية، ترددت سيري، غير راغبة في الابتعاد عن النبع. كانت قد ابتكرت لتوّها طريقة جديدة للشرب، حيث بلّلت منديلًا في الحفرة العميقة، ثم ضغطته على شفتيها، مما سمح لها بتصفية معظم الرمال والطين.

لكن الحصان الصغير لم يكفّ عن الإلحاح؛ كان يصهل، يدك الأرض بحافره، يبتعد ثم يعود، مشيرًا لها إلى الطريق. كان يحثّها على المسير.

بعد تفكير طويل، امتثلت سيري لما طلبه. كان الحيوان محقًا. حان الوقت للرحيل، للذهاب نحو الجبال، للخروج من الصحراء.

انطلقت خلف الحصان الصغير، وهي تراقب المكان بعناية، وتحفر موقع النبع في ذاكرتها بدقة. لم تكن تريد أن تضيّع طريق العودة إليه، إن احتاجت ذلك يومًا.

سافرا معًا طوال اليوم. كان الحصان الصغير، الذي بات يستجيب لهذا الاسم، يسير في المقدمة، يرشد الطريق. كان حصانًا غريبًا. كان يقضم السيقان الجافة ويمضغها، نباتات لم يكن أي حصان عادي أو حتى ماعز جائع ليمسها. وعندما وجد سربًا من النمل الكبير يتجول بين الصخور، بدأ في التهامه أيضًا.

راقبته سيري في البداية بذهول، لكنها سرعان ما انضمت إليه في الوليمة. كانت جائعة.

كان طعم النمل لاذعًا بشكل مرعب، لكنه ربما لهذا السبب لم يسبب لها الغثيان. وعلى أي حال، كان النمل متوفرًا بكثرة، مما سمح لها بإعادة تحريك فكّيها المتصلبين. كان الحصان الصغير يأكل النمل كاملًا، بينما اكتفت سيري ببطونه، تبصق بقاياه الصلبة ذات الغلاف الكيتيني القاسي.

تابعا طريقهما.

وجد الحصان الصغير بعض كتل الشوك الأصفر الجاف، وأكلها بشهية. هذه المرة، لم تحاول سيري مشاركته. لكنها عندما عثرت على عش بيض سحالي مدفون في الرمال، أكلت منه، بينما كان الحصان الصغير يراقبها.

واصلا السير.

لاحَظَت سيري كتلة أخرى من الشوك، فأشارت إليها لـ الحصان الصغير، الذي مضى ليأكلها. وبعد فترة، جذب الحصان الصغير انتباهها إلى عقرب أسود ضخم، ذو ذيل طويل، لا يقل طوله عن شبر ونصف.

سيري سحقته دون تردد. وعندما رآها غير مهتمة بأكله، التهمه الحصان الصغير بنفسه، ثم لم يلبث أن دلّها على عش آخر من بيض السحالي.

وهكذا، اكتشفا أنهما يشكلان فريقًا فعالًا إلى حدٍّ مذهل.

تابعا السير.

كانت سلسلة الجبال تقترب أكثر فأكثر.

عندما خيّم الظلام الدامس، توقف الحصان الصغير. نام واقفًا.

أما سيري، التي كانت على دراية بالخيول، فقد حاولت في البداية إقناعه بالاستلقاء؛ لو فعل ذلك، لكانت قادرة على النوم مستندة عليه والاستفادة من دفئه. لكن محاولاتها باءت بالفشل. أصبح الحصان الصغير متذمرًا وابتعد عنها، متحفظًا على مسافة.

رفض التصرف وفقًا لما وصفته الكتب العلمية المتعلمة. من الواضح أنه لم يكن ينوي إطلاقًا أن يريح رأسه في حجرها.

ساورها الشك. تساءلت إن كانت الكتب قد كذبت بشأن العلاقة بين أحادي القرن والعذارى، لكن هناك احتمالًا آخر. الحصان الصغير كان بوضوح ما يزال مهرًا صغيرًا، وربما، كونه حيوانًا يافعًا، لم يكن يعرف شيئًا عن العذارى أصلًا.

رفضت حتى مجرد التفكير في أن الحصان الصغير قد استشعر أو أخذ على محمل الجد تلك الأحلام الغريبة التي راودتها يومًا.

"من قد يأخذ الأحلام على محمل الجد أصلًا؟"

رغم كل شيء، بدأ يخيب ظنها. فقد كانا يجوبان الصحراء معًا منذ يومين وليلتين، لكنه لم يجد أي مصدر جديد للماء، رغم أنه كان يبحث.

توقف عدة مرات، أدار رأسه، حرّك قرنه في الهواء، ثم هرول نحو الصخور، يفتش بين الشقوق أو يحفر الرمال بحوافره. وجد أسرابًا من النمل، وبيوضًا ويرقات مدفونة. وجد عشًا آخر للسحالي. وجد أفعى ملونة، فسحقها بخفة بمهارة قاتلة.

لكنه لم يجد ماءً.

لاحظت سيري أن الحصان الصغير لا يسير في خط مستقيم، بل يتجول في مسارات متعرجة. استنتجت، استنتاجًا منطقيًا، أنه لم يكن مخلوقًا يعيش في الصحراء أصلًا.

لقد تاه فيها، تمامًا كما حدث معها.

كانت أسراب النمل، التي باتا يجدانها بوفرة، تحتوي على عصارة حامضة، لكن سيري بدأت تفكر بجدية متزايدة في العودة إلى النبع. إن واصلا التقدم ولم يجدا ماءً، فقد لا تصمد قوتها. الحرارة لا تزال مروّعة، والمسير كان مُرهقًا إلى حدٍّ لا يُطاق.

كانت على وشك إخبار الحصان الصغير بذلك، لكنه أطلق فجأة صهيلًا طويلًا، ولوّح بذيله، ثم اندفع عدوًا بين بعض الصخور المسننة.

تبعت سيري خطواته، تأكل أجساد النمل وهي تسير.

بين الصخور، امتدت فجوة واسعة من الرمل، وفي وسطها انخفضت الأرض بوضوح.

"ها!" هتفت سيري بفرح. "أنت مهر ذكي، أيها الحصان الصغير. لقد وجدت نبعًا آخر! لا بد أن هناك ماءً هناك!"

أطلق أحادي القرن شخيرًا طويلًا، وهو يركض بخفة في دائرة حول الحفرة. اقتربت سيري أكثر.

كانت الحفرة واسعة، لا يقل قطرها عن عشرين قدمًا.

شكلها كان منتظمًا للغاية، دائريًا تمامًا، يشبه قمعًا عملاقًا، كما لو أن بيضة ضخمة قد دُفِعَت إلى الرمال بعناية.

وفجأة، أدركت سيري أن مثل هذا الشكل المثالي لم يكن من صنع الطبيعة.

لكن إدراكها جاء متأخرًا جدًا.

تحرك شيء ما في قاع الحفرة، وفجأة، انهمر وابل من الرمال والحصى الصغيرة، ارتطم بوجهها بعنف.

قفزت إلى الوراء، لكن فقدت توازنها على الفور، وأدركت أنها تنزلق للأسفل.

كانت الصخور المتطايرة لا تصيبها فقط، بل تضرب أيضًا حواف الحفرة، مما جعلها تنهار على شكل موجات متتالية، متجهة نحو القاع.

صرخت، وتخبطت كمن يغرق، تحاول عبثًا أن تجد موطئ قدم ثابت.

أدركت فورًا أن أي حركة مفاجئة تجعل الوضع أسوأ، وتؤدي إلى غرق الرمال بشكل أسرع.

استدارت على ظهرها، حفرت كعبيها في الرمال، وبسطت ذراعيها على جانبيها.

تحتها، تحرك الرمل وتماوج، ثم ظهرت منه كلاليب بنية ضخمة، طول كل واحدة منها لا يقل عن ياردة كاملة.

صرخت مجددًا، هذه المرة بصوت أعلى بكثير.

وابل الحجارة توقف فجأة عن الانهمار فوقها، وبدلًا من ذلك، بدأ يتطاير نحو الطرف المقابل للحفرة.

الحصان الصغير انتصب على قائمتيه الخلفيتين، مصهلًا بجنون، ثم انهار الحافة تحته.

حاول أن يحرر نفسه من الرمال المتحركة، لكن عبثًا؛ كان يزداد غرقًا، ينزلق أسرع فأسرع نحو القاع.

انغلقت الكلاليب المرعبة بعنف.

صهل الحصان الصغير بيأس، وتخبط بجنون، يضرب الرمال المنهارة بحوافره الأمامية في محاولة يائسة للفرار. كانت قدماه الخلفيتان عالقتين تمامًا. وحين انزلق حتى القاع، أمسكت به الكلاليب الفظيعة، تلك التي كانت تنتمي إلى المخلوق المختبئ في مركز الحفرة.

عندما سمعت نحيب الألم المفزع، صرخت سيري وانطلقت مندفعًة نحو الأسفل، مستلة خنجرها من غمده.

لكن ما إن وصلت إلى القاع، حتى أدركت خطأها.

كان الوحش مختبئًا في عمق الرمال، وطعناتها لم تصل إليه، إذ كانت تغوص في الطبقات السفلية دون أن تلامس جسده. والأسوأ من ذلك، أن الحصان الصغير، الممسوك بالكلاليب العملاقة، كان يتلوى بعنف، يصرخ متألمًا، يضرب الأرض بحوافره دون وعي، مما عرض أطرافه لخطر الكسر.

حركات الويتشر وخدع القتال كانت بلا فائدة هنا.

لكن كان هناك تعويذة واحدة بسيطة.

استدعت سيري القوة، ثم أطلقت ضربة تحريك الأشياء عن بُعد بكل طاقتها.

انفجرت سحابة من الرمال في الهواء، مكشفة الوحش المختبئ، والذي كان قد غرس كلاليبه في فخذ الحصان الصغير الذي كان يصرخ ألمًا.

صرخت سيري رعبًا.

لم يسبق لها أن رأت شيئًا بهذه البشاعة في حياتها، لا في الرسوم التوضيحية، ولا في كتب الويتشر. لم يكن بإمكانها حتى تخيل كائن بهذه القبح.

كان الوحش رمادي اللون، منتفخًا، ذو بطن متورمة كأنه قملة ضخمة امتلأت بالدم، وأجزاء جسده الأسطوانية المغطاة بشعيرات متناثرة بدت كما لو كانت تنبض ببطء. لم يكن له أرجل ظاهرة، لكن كلاليبه كانت بطول جسده تقريبًا.

وبمجرد أن جُرِّد من ملاذه الرملي، أطلق المخلوق سراح الحصان الصغير، وبدأ في الحفر بجنون، يهتز جسده المنتفخ، محاولًا دفن نفسه مجددًا.

كان يؤدي هذا المناورة بسرعة مدهشة، والحصان الصغير، في محاولته الإفلات من الفخ، ساعده دون قصد، إذ دفع كميات من الرمال إلى الأسفل بحوافره المرتعشة.

غمر سيري الغضب، اجتاحها شعور شرس بالانتقام.

اندفعت نحو المخلوق، الذي لم يعد يظهر منه سوى جزء ضئيل، ثم غرست خنجرها في ظهره المحدب بكل قوتها.

هاجمت الوحش من الخلف، حريصة على البقاء بعيدًا عن كلاليبه المتشابكة التي اكتشفت أنه قادر على مدّها لمسافة كبيرة إلى الخلف.

طعنت مجددًا، لكن المخلوق واصل دفن نفسه بسرعة مذهلة.

لكن لم يكن يحاول الهرب.

كان يحفر ليستعد للهجوم.

احتاج فقط إلى بضع حركات متعرجة إضافية ليغطي جسده بالكامل، وما إن فعل ذلك حتى دفع موجات عنيفة من الرمال والحجارة، دفنت سيري حتى منتصف فخذيها.

كافحت لتحرر نفسها، ثم حاولت القفز إلى الخلف، لكن لم يكن هناك مهرب؛ لا تزال محاصرة داخل حفرة الرمال الناعمة، حيث يسحبها كل تحرك أعمق.

تحتها، انتفخت الرمال متموجة نحوها، ثم برزت منها الكلاليب القاسية، تتشابك في الهواء قبل أن تنقض عليها.

أنقذها الحصان الصغير.

هبط إلى قاع الحفرة، ثم استخدم حوافره لركل انتفاخ الرمال الذي فضح وجود الوحش المختبئ تحته مباشرة.

ضربات الحوافر الوحشية كشفت ظهر المخلوق الرمادي، فانخفض الحصان الصغير برأسه، ثم طعنه بقرنه مباشرة عند نقطة التقاء رأسه الملتوي بجسده الضخم المنتفخ.

تخبطت كلاليب الوحش المحاصرة بجنون، تنبش الرمال دون فائدة، عندها، قفزت سيري إلى الأمام، ثم غرست خنجرها عميقًا في جسده الملتوي.

انتزعت النصل بقوة، ثم طعنت مجددًا.

ومرة أخرى.

ثم مرة أخرى.

انتزع الحصان الصغير قرنه من جسد المخلوق، ثم رفع حوافره الأمامية وضرب بها جسده الأسطواني المتورم بقوة هائلة.

لم يعد الوحش المدهوس يحاول الاختباء.

لم يعد يتحرك على الإطلاق.

لونت الرمال من حوله سوائل خضراء داكنة.

بصعوبة، تسلقا الحفرة وخرجا منها.

ركضت سيري بضع خطوات مبتعدة، ثم انهارت على الرمال، تتنفس بلهاث متسارع، جسدها يرتجف تحت موجات الأدرينالين التي اجتاحت حنجرتها وصدغها.

الحصان الصغير كان يتحرك حولها في دوائر، خطوته غير متزنة.

كانت الدماء تقطر من الجرح في فخذه، تنساب على ساقه حتى غمرت رسغه، تاركة أثرًا قرمزيًا على الرمال وهو يسير.

سيري رفعت جسدها على يديها وركبتيها، ثم تقيأت بعنف.

بعد لحظات، وقفت، تمايلت، ثم ترنحت نحو الحصان الصغير.

لكنه لم يسمح لها بلمسه.

ركض مبتعدًا، استلقى على الأرض، ثم تدحرج على الرمال. بعد ذلك، بدأ بتنظيف قرنه، يدفعه داخل الرمال مرارًا وتكرارًا.

سيري أيضًا نظفت نصل خنجرها، تمسحه بعناية، لكن نظراتها بقيت مشدودة إلى الحفرة القريبة بقلق واضح.

وقف الحصان الصغير أخيرًا، أطلق صهيلًا، ثم اقترب منها.

"أريد أن أرى جرحك، أيها الحصان الصغير."

صهل الحصان الصغير، ثم هزّ رأسه ذي القرن.

"الأمر يعود إليك. إذا كنت تستطيع المشي، فلنرحل. من الأفضل ألا نبقى هنا."

بعد وقت قصير، ظهرت أمامهما ساحة رملية شاسعة، تنتشر فيها حفر ضخمة، محفورة بعناية حتى تكاد تصل إلى حواف الصخور المحيطة.

حدّقت سيري في المشهد برعب؛ بعض الفوهات كانت ضعف حجم الحفرة التي خاضا فيها معركتهما المميتة.

لم يكن لديهما الجرأة لعبور تلك الرمال، متعرجين بين الفخاخ المنصوبة.

سيري كانت مقتنعة بأن هذه الحفر لم تكن سوى مصائد للكائنات غير الحذرة، وأن الوحوش المختبئة فيها لا تمثل خطرًا إلا على الضحايا التي تسقط بداخلها.

إن تم توخي الحذر، وتجنب هذه الفوهات، فمن الممكن نظريًا عبور الرمال دون خوف من أن يخرج أحد تلك الوحوش من مكمنه لمطاردتهما.

كانت واثقة من ذلك، لكنّها فضّلت ألّا تختبر الأمر بنفسها.

ويبدو أن الحصان الصغير كان يشاركها ذات الرأي؛ فقد شخر فجأة، ثم انطلق مبتعدًا، يجرها بعيدًا عن الساحة الرملية.

كان عليهما سلوك طريق أطول، لكن ذلك كان أكثر أمانًا. فضّلا الابتعاد عن التضاريس الخطرة، متمسكين بالصخور والأرض الصلبة المغطاة بالحصى، حيث لا يمكن لأيٍّ من تلك الكائنات أن تحفر أو تكمُن.

طوال الطريق، لم تُبعد سيري عينيها عن الفوهات.

رأت، مرارًا، نوافير من الرمال تتفجر من الفخاخ القاتلة؛ الوحوش كانت تعمّق جحورها، تصلحها، تُعيد تشكيلها.

بعض الحفر كانت قريبة جدًا من بعضها البعض، لدرجة أن الصخور التي قذفتها إحدى الوحوش كانت تهبط في فوهة مجاورة، فتزعج كائنًا آخر، مما يتسبب في اندلاع عاصفة من الرمال، أشبه بوابل متفجر، يتطاير في كل الاتجاهات.

تساءلت سيري عمّا تأكله هذه المخلوقات الرملية في هذه الصحراء القاحلة المقفرة.

لم تنتظر طويلًا حتى تكتشف الجواب.

فجأة، طار جسم مظلم من إحدى الفوهات القريبة، ارتفع في قوس عريض، ثم سقط قريبًا منهما محدثًا ارتطامًا مكتومًا على الرمال.

بعد لحظة تردد، نزلت سيري بحذر عن الصخور، متجهة نحو الشيء الذي سقط.

كان قارضًا، يشبه الأرنب.

أو على الأقل، كان فراؤه يبدو كفراء الأرنب.

أما جسده، فقد كان منكمشًا، قاسيًا وجافًا كالعظم، خفيفًا وأجوفًا كقرن فول مفرغ.

لم يكن فيه قطرة دم واحدة.

ارتعشت سيري. الآن، عرفت على ماذا كانت تتغذى هذه الوحوش.

أطلق الحصان الصغير صهيل تحذير.

رفعت سيري نظرها فورًا.

لم يكن هناك فوهة قريبة.

كانت الرمال مستوية وسلسة.

ثم، أمام عينيها مباشرة، انتفخت الأرض فجأة، وبدأت الموجة الرملية تتحرك بسرعة نحوها.

ألقت سيري الجثة الذابلة من يدها، ثم أسرعت عائدة إلى الصخور.

كان قرار تجنب الساحة الرملية صائبًا تمامًا.

واصلا السير، متجنبين حتى أصغر البقع الرملية، وسائرين فقط على الأرض الصخرية.

كان الحصان الصغير يمشي ببطء، يعرج بثقل. كانت الجروح في فخذه لا تزال تنزف.

لكن رغم ذلك، رفض السماح لها بالاقتراب منه لفحص الجرح.

تقلّصت الساحة الرملية تدريجيًا، وبدأت تتلوّى بين الصخور. حلت محل الرمال الناعمة حصى خشنة، ثم حجارة أكبر. لم يريا أي حفر منذ وقت طويل، لذا قررا متابعة السير على امتداد الحصى، التي كانت بقايا مجرى قديم.

ورغم جفافه، كانت تلك البقعة أملًا.

لم يكن مجرّد مسار صخري، بل كان قاع نهر جاف، ينحدر من الجبال. لم يعد فيه ماء، لكن لا بد أن ينتهي إلى ينابيع صغيرة، وإن لم تكن كافية لملء النهر، فقد تكون كافية للشرب.

تسارعت خطوات سيري، رغم أنها كانت منهكة مجددًا بالعطش والجوع.

لكن سرعان ما اضطرت إلى الإبطاء، إذ لم يكن بإمكان الحصان الصغير مجاراتها.

كان يسير بصعوبة واضحة، يعرج بشدة، يجر ساقه، يضع حافره بشكل غير متوازن.

عندما حلّ المساء، استلقى على الصخور. لم ينهض عندما اقتربت منه.

هذه المرة، سمح لها بفحص جرحه.

كان هناك جرحان، واحد على كل جانب من فخذه، الذي كان متورمًا بشدة، محمرًا بغضب.

كان كلا الجرحين ملتهبًا، لا يزال ينزف، تقطر منه صديد لزج ذو رائحة كريهة، ممتزجًا بالدم.

كان الوحش سامًا.

في اليوم التالي، ساءت حالته أكثر.

لم يعد يستطيع المشي إلا بصعوبة بالغة.

وعند المساء، انهار على الصخور، ورفض النهوض.

عندما ركعت بجانبه، أدار رأسه نحو فخذه المصاب، وصهل بألم.

كان الصديد يتدفق أكثر فأكثر، والرائحة صارت لا تطاق.

أخرجت سيري خنجرها.

أطلق الحصان الصغير صهيلًا حادًا، حاول النهوض، لكنه سقط جالسًا على مؤخرته، عاجزًا عن الحركة.

"لا أعرف ماذا أفعل..." همست باكية، وهي تحدق في شفرة الخنجر. "حقًا، لا أعرف... أظن أن عليّ شق الجرح وعصر الصديد والسم للخارج... لكنني لا أعرف كيف. قد أؤذيك أكثر."

حاول الحصان الصغير رفع رأسه. صهل، واهنًا.

سيري جلست على الصخور، دفنت رأسها بين يديها.

"لم يعلموني كيف أعتني بالجروح." قالت بمرارة. "علّموني فقط كيف أقتل. قالوا لي إن هذا هو السبيل لإنقاذ الناس."

"كان كذبة كبيرة، أيها الحصان الصغير."

"لقد خدعوني."

حلّ الليل بسرعة، وغلف الظلام المكان.

كان الحصان الصغير مستلقيًا بلا حراك، وسيري تفكر بجنون، تبحث عن حل.

كانت قد جمعت بعض الشوك والسيقان الجافة التي نمت بكثرة على ضفاف مجرى النهر الجاف، لكن الحصان الصغير لم يُرد أن يأكل.

ترك رأسه يسقط بلا حياة فوق الصخور، لم يعد يحاول حتى رفعه. كل ما استطاع فعله هو الرَمش، بينما تكوّنت رغوة بيضاء على خطمه.

"لا أستطيع مساعدتك، أيها الحصان الصغير..." تمتمت بصوت مخنوق. "ليس لديّ أي شيء..."

باستثناء السحر.

أنا ساحرة.

وقفت، ومدّت يدها.

لكن لم يحدث شيء.

احتاجت إلى كمية هائلة من الطاقة السحرية، لكن لم يكن هناك أثر لها في هذا المكان.

لم تكن تتوقع ذلك. أذهلها الأمر.

لكن انتظري، العروق المائية موجودة في كل مكان!

تحركت بضع خطوات، أولًا في اتجاه، ثم في آخر. بدأت تدور في دوائر، تراجعت إلى الخلف.

لا شيء.

"أيتها الصحراء اللعينة!" صرخت، وهي تهز قبضتيها. "لا يوجد شيء فيكِ! لا ماء ولا سحر! وكان من المفترض أن يكون السحر في كل مكان! لكن هذه كانت كذبة أيضًا! الجميع خدعني! الجميع!"

أطلق الحصان الصغير صهيلًا ضعيفًا.

السحر موجود في كل مكان. في الماء، في الأرض، في الهواء...

وفي النار.

ضربت سيري جبهتها بقبضتها بغضب.

لم يخطر ببالها من قبل—ربما لأن الصخور القاحلة حولها لم يكن فيها أي شيء ليحترق.

لكن الآن، كان لديها كمية كافية من الشوك الجاف والسيقان اليابسة، ولكي تخلق شرارة صغيرة، لن تحتاج إلا إلى القليل من الطاقة التي لا تزال تشعر بها في داخلها...

جمعت مزيدًا من الأغصان، رتبتها في كومة، ثم وضعت الشوك الجاف حولها.

مدت يدها بحذر، واستدعت الكلمات القديمة.

"آيينِي!"

توهّجت الأكوام الصغيرة، ومضت شرارة، ثم اندلعت، اشتعلت الأوراق، التهمتها النيران، وارتفعت ألسنة اللهب إلى الأعلى.

سيري ألقت مزيدًا من السيقان الجافة في النار.

والآن؟ فكرت وهي تحدق في اللهب المتراقص. الآن يجب أن أجمع الطاقة. ولكن كيف؟

يينيڤر منعتني من لمس طاقة النار...

لكن ليس لديّ خيار!

ولا وقت!

عليّ أن أتصرف الآن!

الأغصان والأوراق تحترق بسرعة... النار ستنطفئ...

النار... كم هي جميلة... كم هي دافئة...

لم تكن تعرف متى أو كيف حدث ذلك.

كانت تحدق في ألسنة اللهب، وعندها شعرت فجأة بنبض عنيف يضرب صدغها.

أمسكت بصدرها، شاعرة وكأن قفصها الصدري سينفجر.

ألم غريب خفق في بطنها، بين ساقيها، في حلمتيها، لكنه سرعان ما تحوّل إلى نشوة مرعبة.

نهضت.

لا، لم تنهض.

ارتفعت.

القوة ملأتها، اندفعت داخلها كالرصاص المنصهر.

النجوم في السماء تمايلت، تراقصت كما لو كانت انعكاسات على سطح بركة راكدة.

العين التي تحترق في الغرب انفجرت بالضوء.

استلت ذلك الضوء، وأخذت معه القوة.

"هايل، آيينِي!"

أطلق الحصان الصغير صهيلًا مذعورًا، حاول النهوض، دافعًا بحوافره الأمامية، لكنه تراجع في ارتباك.

ارتفع ذراع سيري تلقائيًا، تشكلت يدها في إيماءة سحرية من تلقاء نفسها، وخرجت التعويذة من شفتيها بلا وعي.

نور ساطع، متماوج، انطلق من أصابعها.

النار اشتعلت، ارتفعت ألسنتها إلى عنان السماء.

موجات الضوء التي تدفقت من يدها لامست فخذ أحادي القرن المصاب، اجتمعت هناك، اخترقته، غمرت الجرح بالكامل.

"أريدك أن تُشفى! هذه هي رغبتي! ڤيس هايل، آيينِي!"

القوة انفجرت داخلها، اجتاحتها نشوة جامحة، اجتاحها شعور جارف بالقدرة المطلقة.

النار قفزت نحو الأعلى، أضاءت كل شيء حولها.

رفع الحصان الصغير رأسه، صهل، ثم قفز فجأة من الأرض، خطا بضع خطوات متعثرة.

انحنى، أدار رأسه نحو فخذه، انتفضت فتحتا أنفه، ثم شخر، كأنه غير مصدق.

صهل صهيلًا مدويًا، ضرب الأرض بحوافره، لوّح بذيله بعنف، ثم اندفع يركض حول النار، يركض كأنه يحتفل.

"لقد شفيتك!" صرخت سيري بفخر. "لقد شفيتك! أنا ساحرة! لقد تمكنت من سحب القوة من النار! لديّ القوة! أستطيع أن أفعل أي شيء أريده!"

استدارت، النار تلهب الهواء، تقذف شراراتها في كل اتجاه.

"لم نعد بحاجة للبحث عن الينابيع! لم نعد بحاجة لشرب الطين المصفى! لديّ القوة الآن! أشعر بالقوة المتدفقة من هذه النار! سأجعل المطر يهطل على هذه الصحراء الملعونة! سأجعله يتفجر من الصخور! سأجعل الزهور تنبت هنا! العشب! الملفوف! أستطيع أن أفعل أي شيء الآن! أي شيء!"

رفعت ذراعيها إلى السماء، تصرخ، تلقي تعويذات غامضة، تدعو نداءات قديمة.

لم تفهم الكلمات، لم تتذكر متى تعلمتها، أو إن كانت تعلمتها أصلًا.

لكن ذلك لم يكن مهمًا.

كانت تشعر بالقوة. كانت تشعر بالقوة. كانت تحترق بالنار.

كانت النار.

اهتزت، جسدها يرتجف، تختنق تحت وطأة السحر الذي اجتاحها.

وفجأة، شق البرق السماء.

رياح هوجاء اجتاحت الصخور والأشواك.

أطلق الحصان الصغير صهيلًا طويلًا، انتصب على قائمتيه الخلفيتين.

النار قفزت بعنف، انفجرت.

الأغصان والسيقان احترقت منذ وقت طويل.

الآن، حتى الصخور نفسها بدأت تحترق.

لكن سيري لم تهتم.

كانت تشعر بالقوة.

لم ترَ سوى النار.

لم تسمع سوى النار.

"يمكنك فعل أي شيء."

همست النيران.

"أنتِ تملكين قوتنا. يمكنك فعل أي شيء. العالم تحت قدميك. أنتِ عظيمة. أنتِ جبّارة."

في ألسنة اللهب، كانت هناك هيئة.

امرأة طويلة، شابة، ذات شعر أسود حالك، طويل ومستقيم كليل لا ينتهي.

ابتسمت المرأة، ابتسامة جامحة، متوحشة، قاسية، وراحت النيران تلتف حولها، تشتعل، ترقص بجنون.

"أنتِ جبّارة!"

"أولئك الذين آذوكِ لم يدركوا من الذي تحدَّوه!"

"انتقمي!"

"اجعليهم يدفعون الثمن! اجعليهم جميعًا يدفعون الثمن!"

"دعيهم يرتعدون خوفًا عند قدميك، أسنانهم تصطك، غير قادرين حتى على النظر إلى وجهك!"

"دعيهم يتوسلون الرحمة... لكن لا تمنحيهم إياها!"

"اجعليهم يدفعون!"

"اجعليهم يدفعون ثمن كل شيء!"

"الانتقام!"

خلف المرأة ذات الشعر الأسود، ارتفع جدار من اللهب والدخان.

وفي الدخان... صفوف من المشانق، صفوف من الرماح الحادة، منصات الإعدام، جبال من الجثث.

كانت تلك جثث النيلفجارديين، أولئك الذين أسروا سينترا ونهبوها، قتلوا الملك إيست وجدتها الملكة كالانثي، ذبحوا الناس في شوارع المدينة.

فارسٌ ببدلة سوداء مُدرعة تأرجح على حبل المشنقة.

صرير الحبل مزّق السكون، الغرابان يتقاتلان فوق خوذته المجنحة، ينهشان عينيه، يحفران من خلال القناع المعدني.

امتدت المشانق إلى ما وراء الأفق، وعلى كل واحدة منها تعليقٌ جديد.

أفراد السكويا'تيل، أولئك الذين قتلوا باولي دالبرج في كيدوين، الذين طاردوا سيري في جزيرة ثانيد.

الساحر ڤيلجيفورتز يرقص على رأس رمح شاهق، وجهه النبيل المخادع ملتوي، مزرق، منتفخ من الألم.

رأس الرمح الدامي اخترق ترقوته، خرج مغروسًا من بين عظامه.

السحرة الآخرون من ثانيد كانوا راكعين على الأرض، أيديهم مقيدة خلف ظهورهم، ورماح مدببة بانتظارهم.

أكوام الحطب، مشانق منصوبة حتى الأفق المحترق، دخانها يصنع شرائط سوداء في السماء.

مقيدة إلى أقرب عمود...

كانت ترِيس ميريجولد.

وراءها... مارجريتا لاوكس-أنتيل... الأم نينكي... جار... فابيو ساكس...

لا. لا. لا.

"نعم!!!"

صرخت المرأة ذات الشعر الأسود.

"الموت لهم جميعًا!"

"انتقمي من الجميع!"

"ازدرِيهم!"

"لقد آذوكِ، أو أرادوا إيذاءك! أو ربما قد يرغبون في إيذائك في المستقبل!"

"احتقريهم! لأن زمن الاحتقار قد حان!"

"الاحتقار! الانتقام! الموت!"

"الموت للعالم بأسره!"

"الدمار والخراب والدماء!"

"هناك دم على يديكِ، دم على ثوبكِ..."

"لقد خانوكِ! خدعوكِ! آذوكِ!"

"والآن لديكِ القوة... إذن... انتقمي!"

فم يينيفر ممزق، ينزف بغزارة، يقطر الدم بين شفتيها.

يداها وقدماها مقيدة بالسلاسل، مثبتة إلى جدران زنزانة رطبة، قذرة، الحديد ينهش معصميها وكاحليها.

الحشود تصرخ حول منصة الإعدام.

الشاعر دانديليون مستلقٍ على الخشب البارد، رأسه فوق كتلة الجلاد.

شفرة الفأس تلمع فوقه، مستعدة للهوِي.

الأطفال في الشوارع يقفون أسفل المنصة، ممسكين بمنديل مفتوح، ينتظرون أن يُلطَّخ بالدماء.

هدير الحشود غطى صوت الضربة.

ضربة قوية بما يكفي لتهز المنصة بأكملها.

"لقد خانوكِ!"

"لقد خدعوكِ وضللوكِ!"

"بالنسبة لهم، لم تكوني سوى بيدق، دمية على خيط!"

"استخدموكِ! حكموا عليكِ بالجوع، بشمسٍ محرقة، بعطشٍ لا يُطاق، ببؤسٍ وعزلة!"

"لقد حان زمن الاحتقار... وزمن الانتقام!"

"أنتِ تملكين القوة! أنتِ جبّارة! دعي العالم كله يركع أمامك!

"دعي العالم كله يركع أمام دماء القدماء!"

والآن، كان الويتشر يُقادون إلى منصة الإعدام.

ڤيسيمير. إيسكيل. كوين. لامبرت.

و... جيرالت.

كان جيرالت يترنح، جسده مغطى بالدماء...

"لاااا!!!!"

النيران التفّت حولها، جدران من لهب جامح.

ومن خلف اللهب، انطلقت أصوات صهيل غاضب.

أحاديّو القرن ينتفضون، يهزون رؤوسهم، يضربون الأرض بحوافرهم بقوة.

أعرافهم ترفرف كرايات حرب ممزقة، وقرونهم طويلة وحادة كسيوف.

كانوا ضخامًا، بحجم جياد الحرب، أكبر بكثير من حصانها الصغير.

من أين جاؤوا؟ كيف ظهروا جميعًا؟

النيران زأرت، اشتعلت أكثر، قفزت نحو السماء.

المرأة ذات الشعر الأسود رفعت يديها، كانتا مغطاتين بالدم.

اللهب نفخ شعرها كعاصفة جهنمية.

"دعيها تحترق، فالكَا! دعي كل شيء يحترق!"

"ابتعدي عني! ارحلي! لا أريدكِ! لا أريد قوتكِ!"

"دعيها تحترق، فالكَا! دعيها تحترق!"

"لا أريد!"

"بل تريدين!"

"الرغبة تجتاحكِ مثل اللهب! اللذة تستعبدكِ! إنها القوة! إنها الجبروت! إنها أعظم متع هذا العالم!"

برق. رعد. ريح هائجة.

حوافر تهدر، أحاديّو القرن يركضون بجنون حول النيران.

"لا أريد هذه القوة! لا أريدها! أتخلى عنها!"

لم تكن تعرف إن كانت النار قد انطفأت، أم أن عينيها تغشت بالظلام وهي تهاوت على الأرض.

شعرت بأول قطرات المطر تلامس وجهها.

لم تكن تعرف كم من الوقت قضته مستلقية على الصخور، مرتجفة، تحدق في ألوان السماء المتغيرة.

كان الليل يحلّ، ثم ينقشع، كان الجو باردًا ثم حارقًا، وكانت هي هناك، جسد بلا قوة، جثة ذابلة، فارغة، كجثة القارض المتيبس الذي امتصت منه الحياة وأُلقي خارج الفوهة.

لم تكن تفكر في شيء.

كانت وحدها.

كانت خاوية.

الآن، لم يكن لديها شيء، ولم تكن تشعر بشيء.

لم يكن هناك عطش، ولا جوع، ولا إرهاق، ولا حتى خوف.

كل شيء تلاشى، حتى الرغبة في البقاء.

كانت فراغًا هائلًا، باردًا، مروعًا.

شعرت بذلك الفراغ في كل ذرة في جسدها، في كل خلية من كيانها.

شعرت بدم يسيل بين فخذيها.

لم تهتم.

كانت فارغة.

خسرت كل شيء.

السماء كانت تتلون، تتغير.

لم تتحرك.

هل هناك جدوى من الحركة في مثل هذا الفراغ؟

لم تتحرك عندما دوت حوافر حولها، عندما سمعت صليل الحديد، عندما علا الصياح والنداءات، أصوات متحمسة، خيول تشخر وتنبح بأنفاسها الثقيلة.

لم تتحرك عندما أمسكت بها أيدٍ قوية قاسية، شدتها إلى الأعلى.

حين رفعوها، تهدلت، مرتخية كدمية بلا حياة.

لم تتفاعل مع الهز العنيف، مع الأسئلة الصارمة القاسية.

لم تفهمها، ولم ترد أن تفهمها.

كانت فارغة. غير مبالية.

لم يهمها شيء عندما سكبوا الماء على وجهها.

عندما وضعوا قربة على شفتيها، لم تسعل.

شربت. بلا مبالاة.

ولم تهتم بعدها أيضًا.

رفعوها إلى سرج حصان.

شعرت بألم في جسدها، بانزعاج حارق في موضع ركوبها.

ارتجفت، فلفوها في بطانية.

كانت مخدّرة، مرتخية، على حافة الإغماء، فشدّوها بحزام إلى الفارس الجالس خلفها.

كان تفوح منه رائحة العرق والبول.

لم تهتم.

كان هناك فرسان من حولها. الكثير منهم.

حدّقت إليهم بلامبالاة.

كانت فارغة.

خسرت كل شيء.

لم يعد أي شيء يهم.

لا شيء.

ولا حتى حقيقة أن القائد الذي يقود الفرسان كان يرتدي خوذة مزينة بجناحي صقر.

عندما أُضرِمَت النيران عند أسفل المحرقة، وبدأت ألسنة اللهب تلتهم جسدها، راحت تصب اللعنات على الفرسان، البارونات، السحرة، وأعضاء المجلس النبلاء المتجمعين في الساحة؛ مستخدمة كلمات أثارت الرعب في قلوبهم جميعًا.

في البداية، لم تُلقَ إلا جذوع مبللة على الحطب، حتى لا تموت الشيطانة بسرعة، وحتى تذوق العذاب الكامل للنار.

لكن سرعان ما صدر الأمر بإضافة حطب جاف، وإنهاء محنتها سريعًا.

غير أن شيطانًا حقيقيًا كان قد تلبّسها؛ إذ رغم أن اللهب كان ينهش جسدها، ويشويها حيّة، فإنها لم تطلق صرخة ألم واحدة، بل راحت تصرخ بلعنات أشد رعبًا:

"من دمي سيولد المنتقم!"

"من دمي المدنس، من دماء القدماء، سيولد من ينتقم للأمم... للعالم بأسره!"

"سينتقم لتعذيبي! الموت، الموت، والانتقام لكم جميعًا... ولذريتكم!"

لم تستطع الصراخ بأكثر من ذلك، فقد التهمتها ألسنة النار بالكامل.

وهكذا، كانت نهاية فالكَا.

وهكذا، كان عقابها على إراقة الدماء البريئة.

من كتاب "تاريخ العالم"ل رودريك دي نوفمبر

الفصل السابع

"انظر إليها. محترقة بالشمس، مغطاة بالجروح. إنها منبوذة. تشرب كأنها لم تعرف الماء من قبل، وتلتهم الطعام كذئب جائع. لقد جاءت من الشرق، أقول لكم. عبرت كوراث. عبرت المقلاة."

"هراء! لا أحد ينجو من المقلاة. لقد جاءت من الغرب، نزلت من الجبال، على طول مجرى السوشاك. بالكاد لمست أطراف كوراث، وكان ذلك كافيًا لها. وجدناها مرمية على الأرض، بالكاد على قيد الحياة."

"الصحراء تمتد أيضًا لأميال نحو الغرب. إذن، من أين سارت؟"

"لم تكن تسير، بل كانت راكبة. من يعلم إلى أي مدى؟ كانت هناك آثار حوافر بجانبها. لا بد أن حصانها قد طرحها أرضًا في وادي السوشاك، ولهذا بدت مضرجة بالجراح ومليئة بالكدمات."

"لماذا هي مهمة جدًا للنيلفجارديين، هذا ما يثير فضولي؟ عندما أرسلنا المحافظ للبحث عنها، ظننت أن امرأة نبيلة مفقودة. لكن انظروا إليها؟ فتاة قذرة، شعثاء، بالكاد تتكلم، وكأنها بكماء. لا أدري، يا سكوملك، إن كنا قد وجدنا الفتاة المطلوبة..."

"إنها هي. لكنها ليست فتاة عادية. لو كانت كذلك، لوجدناها جثة هامدة."

"لقد كان الأمر قريبًا جدًا من ذلك. لا شك أن المطر هو ما أنقذها. حتى أجدادنا العجائز لا يذكرون هطول المطر في المقلاة. السحب تمر فوق كوراث لكنها لا تمطر أبدًا... حتى عندما تغرق الوديان بالمطر، لا تسقط هناك قطرة واحدة!"

"انظروا إليها، تلتهم الطعام وكأنها لم تأكل منذ أسبوع... هيه، أنتِ، أيتها القذرة! أيعجبك دهن الخنزير؟ وهذا الخبز الجاف؟"

"اسألها بالألفية. أو بالنيلفجاردية. لا تفهم لغتنا العامة. هي من نسل أولفاني غريب..."

"إنها بلهاء، ليست على ما يرام. عندما رفعتها على الحصان هذا الصباح، كانت كدمية خشبية."

"أما زلتم عمياناً؟" سأل سكوملك، الرجل القوي الأصلع، مظهِرًا أسنانه بابتسامة شرسة. "أي نوع من الصيادين أنتم إن لم تدركوا ذلك بعد؟ إنها ليست غبية ولا بلهاء. إنها تتظاهر بذلك. إنها طائر غريب، لكنها ماكرة."

"إذن، لماذا هي بهذه الأهمية لنيلفجارد؟ لقد وعدوا بمكافأة. الدوريات تنتشر في كل مكان بحثًا عنها... لماذا؟"

"هذا لا أعلمه. لكن قد يكون من الجيد أن نسألها... بعض الجلد بالسوط قد يجعلها تتكلم... ها! هل رأيتم كيف نظرت إليّ؟ إنها تفهم كل كلمة، وتستمع جيدًا."

"هيه، أيتها الفتاة! أنا سكوملك، صياد. يُطلق عليّ أيضًا اسم الصياد الفخاخي. وهذا، انظري هنا، هو سوط. يُدعى أيضًا الكرباج! تريدين أن تبقي جلد ظهرك سليمًا؟ إذن، دعينا نسمع..."

"كفى! اصمتوا!"

جاء الأمر بصوت عالٍ، صارم، لا يحتمل أي معارضة، من ناحية أخرى من المخيم، حيث كان فارسٌ وجنده يجلسان بجانب النار.

"هل تشعرون بالملل، أيها الصيادون؟" سأل الفارس بلهجة تهديدية. "إذن، اشغلوا أنفسكم بشيء نافع. نظفوا الخيول. نظفوا درعي وأسلحتي. اذهبوا إلى الغابة واجلبوا الحطب. ولا أحد يقترب من الفتاة! هل تفهمون، أيها الأوغاد؟"

"كما تشاء، أيها الفارس النبيل سوويرس،" تمتم سكوملك، بينما نظر رفاقه بوجوه ممتقعة.

"إلى العمل! نفذوا أوامري!"

بدأ الصيادون يتحركون، منشغلين بما كُلِّفوا به.

"لقد ابتلينا بهذا الأحمق،" تذمر أحدهم بصوت خافت. "ليت المحافظ لم يضعنا تحت قيادة هذا الفارس اللعين.."

"مغرور متعجرف،" تمتم آخر بهدوء، محاولًا التأكد من عدم سماعه، "وبعد كل شيء، نحن من وجد الفتاة... نحن من قرر التوجه إلى وادي السوشاك."

"هذا صحيح. نحن من يستحق المكافأة، لكن سيادته هو من سيحصل عليها. بالكاد سنرى قطعة نقدية... سيرمون لنا فلورين ويقولون: هاكم، كونوا ممتنين لكرم سيدكم، أيها الصيادون."

"أغلقوا أفواهكم،" همس سكوملك بتحذير، "قد يسمعكم..."

وجدت سيري نفسها وحدها بجانب النار.

الفارس وساقيه كانا ينظران إليها بفضول، لكنهما لم يقولا شيئًا.

كان الفارس رجلًا في منتصف العمر، لكن جسده لا يزال قويًا، وجهه مشوه بندوب قديمة.

عندما كان يركب، كان يرتدي خوذة مزينة بأجنحة طائر، لكنها لم تكن الأجنحة التي رأتها سيري في كوابيسها، ولا تلك التي لاحقتها في جزيرة ثانيد.

لم يكن الفارس الأسود لسنترًا.

لكنه كان فارسًا من نيلفجارد.

عندما كان يصدر الأوامر، كان يتحدث اللغة العامة بطلاقة، لكن بلكنة واضحة، قريبة من تلك التي يتحدث بها الألفان.

لكن عندما تحدث مع جنده — وهو صبي لم يكن يكبر سيري بكثير — تحدث بلغة تشبه لغة القدماء، لكنها أقسى وأقل تناغمًا.

لا بد أنها كانت النيلفجاردية.

سيري، التي كانت تتقن لغة القدماء، فهمت معظم الكلمات.

لكنها لم تبح بذلك.

عند التوقف الأول، على حافة الصحراء المعروفة باسم المقلاة أو كوراث، أمطرها الفارس النيلفجاردي وساقيه بالأسئلة.

لم تجب.

لم يكن ذلك عن عمد، بل لأنها كانت مخدرة، فاقدة للشعور، مستنزفة تمامًا.

بعد أيام قليلة من الرحلة، عندما غادروا الوديان الصخرية، ودخلوا إلى السهول الخضراء، استعادت سيري وعيها بالكامل.

بدأت أخيرًا تلاحظ العالم من حولها، وتستجيب له، لكن بلامبالاة باردة.

لكنها واصلت تجاهل الأسئلة.

فتوقف الفارس عن التحدث إليها تمامًا.

بدا كأنه لم يعد يهتم بها.

فقط الصيادون، أولئك الذين يطلقون على أنفسهم اسم "الفخاخيين"، هم من أبدوا اهتمامًا بها.

وكان اهتمامهم أكثر عدوانية.

لكن الفارس النيلفجاردي ذو الخوذة المجنحة لم يتأخر في إسكاتهم بصرامة.

كان واضحًا من هو السيد، ومن هم الخدم.

سيري واصلت التظاهر بأنها فتاة بكماء بسيطة، لكنها كانت تصغي بانتباه شديد.

وببطء، بدأت تفهم وضعها.

لقد سقطت بين يدي نيلفجارد.

نيلفجارد كانت تطاردها... ووجدتها.

لا شك أنهم اكتشفوا المسار الذي نقلها إليه البوابة الفوضوية في تور لارا.

الفارس المجنح والصيادون أنجزوا ما لم تتمكن يينيفر ولا جيرالت من تحقيقه.

ما الذي حدث ليينيفر وجيرالت في ثانيد؟

أين هما الآن؟

خشيت الأسوأ.

الصيادون وسكوملك تحدثوا بلغة السوقة، بلغة عامة مليئة بالأخطاء، لكنها لم تكن بلكنة نيلفجاردية.

كانوا مجرد رجال عاديين، لكنهم يعملون لخدمة الفارس النيلفجاردي.

كانوا يتطلعون إلى المكافأة التي سيدفعها لهم المحافظ مقابل العثور على سيري بالفلورينات.

الفلورين لم يكن مستخدمًا إلا في الأقاليم الجنوبية البعيدة، تلك التي يديرها المحافظون الإمبراطوريون لنيلفجارد.

في اليوم التالي، خلال توقف عند ضفاف جدول مائي، بدأت سيري تفكر في فرص الهرب.

السحر قد يساعدها.

حاولت بحذر استخدام تعويذة بسيطة، تحريك الأشياء عن بعد، لكن سرعان ما تأكدت أسوأ مخاوفها.

لم يكن هناك أي أثر للطاقة السحرية بداخلها.

بعد أن لعبت بحماقة مع النار، تخلّت عنها قدراتها السحرية بالكامل.

فعادت مجددًا للامبالاة.

أصبحت منعزلة بالكامل، غارقة في اللامبالاة، محاصرة داخل فراغها البارد.

وظلّت كذلك لفترة طويلة...

حتى جاء الفارس الأزرق ليعترض طريقهم عبر الأراضي القاحلة.

"يا للمصيبة، يا للمصيبة..." تمتم سكوملك، وهو يحدق في الفرسان الذين سدّوا طريقهم.

"هذا يعني المتاعب. إنهم الفارنهاغِن، من القلعة في ساردًا..."

اقترب الفرسان أكثر.

في المقدمة، كان رجل عملاق يمتطي حصانًا رماديًا ضخمًا، يرتدي درعًا أزرق لامعًا بالمينا.

خلفه، كان هناك فارس آخر مدرع، بينما تبعهما رجلان يرتديان سترات بنية بسيطة—خدم، لا شك.

الفارس النيلفجاردي ذو الخوذة المجنحة خرج لملاقاتهم، شدّ لجام جواده الكستنائي، جعله يخطو بخطوات راقصة.

أما جنده الشاب، فكان يضع يده على مقبض سيفه، يلتفت حوله بقلق.

"ابقوا في الخلف واحرسوا الفتاة،" صاح إلى سكوملك والصيادين.

"ولا تتدخلوا!"

"لست بذلك الغباء،" تمتم سكوملك بصوت خافت، فور ابتعاد الفارس الشاب.

"لست غبيًا بما يكفي لأتدخل في نزاع بين سادة نيلفجارد..."

"هل ستكون هناك معركة، سكوملك؟"

"من المؤكد أنها ستندلع."

"هناك ثأر قديم، دماء بين عائلة سوويرس وعائلة فارنهاغِن."

"انزلوا عن الخيول. احرسوا الفتاة، فهي أهم ما لدينا، وهي مكسبنا الوحيد. إذا حالفنا الحظ، سنحصل على كامل المكافأة الموضوعة على رأسها."

"لكن الفارنهاغِن أيضًا يبحثون عن الفتاة. إذا تغلبوا علينا، سيأخذونها منا... ونحن لا نزيد عن أربعة..."

"خمسة،" قال سكوملك بابتسامة تكشف عن أسنانه. "هناك أحد رجال المعسكر من ساردًا، وهو رفيق قديم لي، إذا لم أكن مخطئًا. سترى، سنكون نحن المستفيدين من هذه الفوضى، وليس أولئك النبلاء..."

الفارس ذو الدرع الأزرق شدّ لجام جواده الرمادي.

الفارس المجنح توقّف أمامه، مواجهًا إياه.

رفيق الفارس الأزرق لحق به، ثم توقف خلفه مباشرة.

خوذته الغريبة كانت مزينة بشريطين جلديين متدليين من القناع، يشبهان شوارب طويلة أو أنياب الفظ.

عبر سرجه، كان "ذو النابين" يمسك بسلاح غريب، شبيه برمح الحرس الملكي في سنترًا، لكنه ذو نصل أطول وقبضة أقصر.

تبادل الفارسان نظرات التحدي، ثم كلمات مختصرة.

لم تفهم سيري حديثهما، لكن نبرتهما لم تدع مجالًا للشك.

لم تكن كلمات ودية.

فجأة، جلس الفارس الأزرق منتصبًا في سرجه، وأشار نحو سيري بحركة حادة، قال شيئًا بصوت مرتفع وغاضب.

رد عليه الفارس المجنح بصراخ أكثر غضبًا، ولوّح بقبضته المغطاة بالقفاز المعدني، يشير له بوضوح أن يرحل.

ثم بدأ القتال.

الفارس الأزرق غرز مهمازه في خاصرة جواده الرمادي، وانطلق نحوه، ساحبًا فأسه الحربية من حامله بجانب السرج.

الفارس المجنح دفع جواده الكستنائي للأمام، مستلًا سيفه من غمده.

لكن قبل أن يتواجه الفارسان المدرعان في المعركة، هجم "ذو النابين" أولًا، دافعًا حصانه إلى العدو، ممسكًا برمحه الغريب.

ساقي الفارس المجنح قفز عليه، مسحبًا سيفه، لكن "ذو النابين" انتصب في سرجه، ثم غرس الرمح الطويل مباشرة في صدر الفتى.

اخترق النصل درعه المعدني وحلقته البريدية بصوت مكتوم، أطلق الساقي شهقة عميقة، ثم سقط أرضًا، يحدق في الرمح المغروز داخله حتى الحرس.

تصادم الفارس الأزرق والفارس المجنح بصوت مدوٍّ، الحديد يجلجل، والدروع تتصادم بقوة.

كانت الفأس الحربية أكثر فتكًا، لكن السيف كان أسرع.

أصاب الفارس المجنح خصمه في كتفه، فانطلقت قطعة من درعه الأزرق المطلي بالمينا، تدور في الهواء قبل أن تهوي على الأرض، يتأرجح الحزام الذي كان يثبّتها.

اهتز الفارس الأزرق في سرجه، وبدت خطوط قرمزية تلمع على درعه الأزرق.

دفعة الاصطدام جعلت الفارسين يبتعدان عن بعضهما.

أدار الفارس النيلفجاردي المجنح جواده الكستنائي، لكنه بالكاد استدار قبل أن يهجم عليه ذو النابين، رافعًا سيفه بكلتا يديه.

شد الفارس المجنح لجامه بحدة، بينما كان ذو النابين يدير حصانه بساقيه لينطلق بسرعة.

لكن الفارس المجنح لم يضيّع الفرصة—نجح في إصابته أثناء مروره، وضرب درعه المعدني على مستوى العضد، تشوه الدرع، ثم انفجر الدم من تحته.

عاد الفارس الأزرق للهجوم، صائحًا بغضب، رافعًا فأسه الحربية.

التقى الفارسان في ضربة جبّارة، ثم انفصلا مرة أخرى، كل واحد يجس نبض خصمه.

أما ذو النابين، فقد سارع إلى مهاجمة الفارس المجنح مجددًا، اصطدمت خيولهما، وتلاحمت سيوفهما، اشتعل القتال بينهما بضراوة.

ذو النابين تمكن من إتلاف درع العضد الواقي لخصمه، وتحطيم الرونْدِل.

لكن الفارس المجنح انتصب في سرجه، ثم وجه ضربة قوية من الجانب، مباشرة إلى درع صدر ذو النابين.

اهتز ذو النابين في سرجه، تأرجح للحظة، ثم تلقى ضربة أخرى، هذه المرة بين الدرع المعدني المتضرر وخوذته.

شفرة السيف العريض اخترقت المعدن بفرقعة معدنية، ثم توقفت، عالقة في جسده.

ارتجف ذو النابين، تصلب جسده، ثم ترنح.

خيولهما تلاحمت، حوافرها تدك الأرض، أسنانها تلتقي في عضات عنيفة، لكنها لم تكن قادرة على الفكاك من هذه المعركة المميتة.

الفارس المجنح استند إلى مقبض سرجه، وسحب السيف المزروع من جسد ذو النابين.

هوى ذو النابين على الأرض، مباشرة تحت حوافر الخيول المتصارعة.

ثم تردد صوت تقصف الحديد، والتواء الصفائح المعدنية، بينما كانت حوافر جواده الخاص تسحق جسده دون رحمة.

لكن المعركة لم تنتهِ بعد.

الفارس الأزرق استدار بجواده الرمادي، رفع فأسه، ثم انطلق مهاجمًا.

لكنه كان مصابًا في يده، مما أعاق سيطرته على حصانه.

لاحظ الفارس المجنح ذلك، فاستغل الفرصة، دنا منه بسرعة، ثم انتصب في سرجه ليهوي عليه بضربة مدمرة.

الفارس الأزرق صد الضربة بفأسه، لكن قوة الضربة جعلت سيف خصمه يسقط من يده.

مرة أخرى، اصطدمت خيولهما بقوة، صهيلها يمزق الهواء.

الفارس الأزرق كان قويًا للغاية؛ رفع فأسه الثقيلة بسهولة، ثم هوى بها على درع خصمه، فارتد الأخير، وكاد حصانه الكستنائي يجلس على مؤخرته تحت وطأة الضربة.

لكن الفارس المجنح بقي في السرج.

قبل أن تسقط الفأس مرة أخرى، أرخى الفارس المجنح لجامه، أدار معصمه الأيسر، ثم قبض على مقبض المِطرقة الحربية المعلقة بحزام جلدي، وضرب بها خوذة الفارس الأزرق بقوة هائلة.

رنّت الخوذة كناقوس عظيم، وتأرجح الفارس الأزرق في سرجه.

كانت الخيول تصرخ، تحاول عض بعضها، لكنها لم تكن قادرة على الانفصال.

رغم أن الفارس الأزرق كان واضحًا أنه مذهول من الضربة، إلا أنه تمكن من رفع فأسه مجددًا، وضرب بها خصمه مباشرة على درع الصدر.

كان من المعجزة أن يبقى كلاهما في السرج، لكن الفضل في ذلك كان لارتفاع مقابض السروج وثباتها.

الدم كان يقطر على جانبي الخيلين، لكنه كان أوضح على الفرس الرمادي، حيث بدا وكأن معطفه الفاتح قد تلون بالقرمزي.

سيري كانت تراقب في رعب.

لقد تعلمت القتال في كاير مورهن، لكنها لم تكن تتخيل يومًا أنها قد تواجه أمثال هؤلاء الرجال الجبابرة.

لم تكن لتقدر على صد حتى ضربة واحدة من ضرباتهم القوية.

أمسك الفارس الأزرق بمقبض فأسه الحربية، التي كانت مغروسة بعمق في درع الفارس المجنح، بكلتا يديه.

انحنى للأمام، ضغط بقوة، محاولًا دفع خصمه خارج السرج.

لكن الفارس المجنح رفع مطرقته وضربه بها بقوة—مرة، مرتين، ثلاث مرات.

تفجرت الدماء من قمة خوذة الفارس الأزرق، تناثرت فوق درعه الأزرق وعنق حصانه الرمادي.

أرخى الفارس المجنح لجام حصانه الكستنائي، مما جعل اندفاعه يسحب فأس الخصم من درعه.

تأرجح الفارس الأزرق في سرجه، ثم أفلت الفأس.

الفارس المجنح نقل المطرقة إلى يده اليمنى، اقترب أكثر، ثم وجه ضربة مدمرة إلى خوذة خصمه، جعلت رأسه يرتطم بعنق حصانه.

ثم، وهو يمسك بلجام الحصان الرمادي بيده الحرة، رفع المطرقة وضرب مجددًا.

رنّ الدرع الأزرق كأنه قدر من الحديد المصبوب، وانفجرت الدماء من الخوذة المشوهة.

ضربة أخيرة، وسقط الفارس الأزرق رأسًا على عقب تحت حوافر حصانه الرمادي.

ركض الجواد الرمادي مبتعدًا، لكن حصان الفارس المجنح، الذي بدا مدرّبًا على مثل هذه اللحظات، داس الفارس الأزرق بكل قوته، جعل الأرض تزلزل تحت ثقل الحديد.

رغم ذلك، كان الفارس الأزرق لا يزال حيًا، كما دلّت صرخاته المدوية من الألم.

ظل الحصان الكستنائي يدوسه بقوة، حتى أن الفارس المجنح نفسه لم يعد قادرًا على التوازن في سرجه، فسقط هو الآخر إلى الأرض، محدثًا ارتطامًا قويًا.

"لقد قتل كل منهما الآخر، اللعنة،" تمتم الصياد الذي كان يمسك بسيري.

"أيها الفرسان النبلاء، الطاعون يأخذكم جميعًا،" بصق آخر.

على مقربة، كان خدم الفارس الأزرق يراقبون المشهد عن بعد.

أحدهم استدار بحصانه مستعدًا للهرب.

"قف مكانك، ريميز!" صرخ سكوملك. "إلى أين تظن نفسك ذاهبًا؟ إلى ساردًا؟ مستعجل على المشنقة؟"

توقف الرجال.

أحدهم غطى عينيه بيده، ونظر نحوهما.

"سكوملك؟ هل هذا أنت؟"

"نعم، أنا! تعال إلى هنا، ريميز، لا تقلق! هذه معارك الفرسان، ولا تعنينا في شيء!"

في تلك اللحظة، طفح الكيل عند سيري.

كان الصمت، والخضوع، واللامبالاة قد سيطروا عليها بما فيه الكفاية.

حانت لحظة الفرار.

بخفّة مذهلة، تملصت من الصياد الذي يمسك بها، وانطلقت راكضة، ثم أمسكت بلجام الحصان الرمادي للفارس الأزرق، وقفزت في السرج في حركة واحدة.

ربما كانت ستنجح، لولا أن خدم ساردًا كانوا على جياد منتعشة وقوية.

لم يجدوا أي صعوبة في اللحاق بها، أمسكوا بلجام حصانها وجروه إلى الوراء.

قفزت سيري عن ظهر الجواد، اندفعت نحو الغابة، لكن الفرسان لحقوا بها مجددًا.

أحدهم أمسكها من شعرها وهي تركض بأقصى سرعتها، شدها بقوة، جرّها خلفه مثل دمية قماشية.

صرخت سيري، جسدها يتأرجح بين قبضته والفراغ.

ثم ألقى بها أرضًا، عند قدمي سكوملك.

"حاولتِ الهرب، أيتها الأفعى؟"

شق صوت السوط الهواء.

سيري عوت من الألم، التوت على نفسها، تحمي رأسها بذراعيها.

ضربة أخرى، هذه المرة فوق كفيها المكشوفتين.

تدحرجت بعيدًا، لكن سكوملك قفز فوقها، ضربها بقدمه، ثم ثبتها تحت حذائه الثقيل.

شقّ السوط مرة أخرى الهواء.

صرخت سيري بألم.

سكوملك ركلها مجددًا، ثم انهال عليها بالسوط.

"توقف عن ضربي!" صرخت، متقلصة على نفسها، تحاول صد الضربات.

"إذن، تستطيعين التحدث، أيتها العاهرة؟"

"هل قطة أكلت لسانك ثم لفظته؟ سأعلمك درسًا .."

"تمالك نفسك، سكوملك!" صرخ أحد الصيادين. "هل تريد أن تقتلها ضربًا أم ماذا؟ إنها تساوي ذهبًا، لا تهدرها!"

"تبًا لكم،" قال ريميز وهو يترجل عن حصانه، يحدق في الفتاة الملقاة على الأرض. "هذه هي الفتاة التي تبحث عنها نيلفجارد منذ أسبوع؟"

"بالضبط."

"ها! جميع الحاميات تبحث عنها. يبدو أنها شخص مهم بالنسبة لنيلفجارد. سمعت في ساردًا أن ساحرًا قويًا تنبأ بوجودها في هذه المنطقة. هذا ما كانوا يتهامسون به هناك. أين وجدتموها؟"

"في المقلاة."

"هذا مستحيل!"

"بل ممكن، ممكن،" قال سكوملك بحدة، وهو يعبس. "لقد وجدناها، والمكافأة لنا. لماذا تقفون كالأصنام؟ اربطوا هذه الطائر الصغيرة وضعوها في السرج! هيا بنا، يا أولاد! تحركوا!"

"أظن أن الفارس سوويرس المحترم لا يزال يتنفس..." قال أحد الصيادين، وهو يحدق بجثة الفارس المجنح.

"لكن ليس لوقت طويل. لعنة عليه!"

"سنتجه مباشرة إلى أماريلو، يا أولاد. إلى المحافظ. سنسلم الفتاة ونأخذ مكافأتنا."

"إلى أماريلو؟"

ريميز حكّ مؤخرة رأسه، ثم ألقى نظرة إلى ميدان القتال.

"وهكذا، إلى مشنقة الإعدام مباشرة؟ ماذا ستخبرون المحافظ؟ أن الفارسين قتلا بعضهما بينما خرجتم سالمين بلا خدش؟ عندما تُكشف القصة، سيقوم المحافظ بشنقكم، ثم يرسلنا نحن إلى ساردًا تحت الحراسة... وعندها سيأخذ آل فارنهاغِن المكافأة لأنفسهم. ربما تريدون التوجه إلى أماريلو، لكنني أفضل الاختفاء في الغابة..."

"أنت صهري، يا ريميز،" قال سكوملك، بابتسامة صفراء. "وبالرغم من أنك حقير لضربك المتكرر لأختي، فأنت لا تزال رفيقي. لذا، سأحمي رقبتك هذه المرة. سنذهب إلى أماريلو، قلتُ لكم."

"المحافظ يعلم أن هناك ثأرًا بين عائلتي سوويرس وفارنهاغِن. لقد تقاتلوا وقتلوا بعضهم. هذا أمر طبيعي لهم. ماذا كنا نستطيع أن نفعل؟"

"أما نحن — انتبه لكلماتي، ريميز — فنحن وجدنا الفتاة بعد ذلك. نحن، الصيادون. وأنت، ريميز، أصبحت صيادًا الآن أيضًا."

"المحافظ ليس لديه أي فكرة عن عدد الرجال الذين انطلقوا مع سوويرس. لن يبدأ في عدّنا واحدًا واحدًا..."

قال ريميز ببطء، وهو يرمق الخادم الآخر القادم من ساردًا:

"ألم تنسَ أمرًا ما، يا سكوملك؟"

استدار سكوملك ببطء، ثم استلّ خنجرًا بلمح البصر وغرسه بقوة في عنق الخادم.

اختنق الأخير بحشرجة وانهار على الأرض.

قال الصياد ببرود:

"أنا لا أنسى شيئًا. كلنا سويًّا في هذه القضية، ولا شهود لنا، ولن ينقسم المبلغ على عدد كبير. إلى الخيول، يا رجال، ولنتجه إلى أماريلو! تفصلنا مسافة طويلة عن المكافأة، فلا وقت نُضيّعه!"

بعدما خرجوا من غابةٍ مظلمةٍ رطبةٍ يغلب عليها شجر الزان، لاح لهم مشهد قريةٍ عند سفح الجبل: نحو عشر كوخٍ مغطى بالقشّ، تفصل بينها أسوارٌ خشبيةٌ منخفضةٌ تحيط بمنعطفٍ صغيرٍ لنهرٍ ضيّق.

حمل النسيم رائحة الدخان. حرّكت سيري أصابعها المخدَّرة، المقيّدة بحزامٍ جلديٍّ إلى قبضة السرج. كانت أطرافها كلها خَدِرة، أردافها تؤلمها بشدة، وكانت مثانتها تكاد تنفجر إذ لم تسترح منذ طلوع الفجر. لم تستطع النوم خلال الليل؛ إذ أُجبرت على الرقود ويداها موثقتان إلى مِعصمَي اثنين من الصيادين يرقدان على جانبيها. وفي كل مرةٍ تحاول فيها التحرك، يردّ الصيادان بالشتائم والتهديد بالضرب.

قال أحدهم:

"إنها قرية."

ردّ سكوملك:

"أرى ذلك بنفسي."

هبطوا المنحدر، وخيولهم تدوس الحشائش الطويلة الجافة محدثة صريرًا. سرعان ما وصلوا إلى طريقٍ وعرٍ يقود مباشرةً نحو القرية، باتجاه جسرٍ خشبيٍّ وبوابةٍ في السور.

شدّ سكوملك لجام حصانه وانتفض واقفًا في ركابَيه:

"ما هذه القرية؟ لم أتوقف فيها من قبل. ريميز، أتعرف هذه الأنحاء؟"

أجاب ريميز:

"قبل سنوات، كانت تُدعى (النهر الأبيض). ولكن عندما اندلعت الاضطرابات، انضم بعض سكانها إلى المتمردين. عندها جاء آل فارنهاغِن من ساردًا، فأحرقوا القرية، وقتلوا أهلها أو أسرُوهم. والآن لا يقطنها سوى مستوطنين من نيلفجارد، جميعهم وافدون جدد. وقد تغيّر اسم القرية إلى (غليسوين). هؤلاء المستوطنون قوم قساة، أشرار. أقول لكم، من الأفضل ألا نتأخر هنا، بل نواصل الطريق."

احتجّ أحد الصيادين:

"علينا إراحة الخيول وإطعامها. أما بطني فيقرقر كأنني قد ابتلعت فرقةً نحاسية. لمَ نخشى المستوطنين؟ إنهم ليسوا سوى مجموعة من الرعاعٍ المنحطين. سنلوّح بأمر المحافظ في وجوههم، فالمحافظ نيلفجارديٌّ مثلهم، وسترى أنهم سيركعون أمامنا."

يمكنني أن أتصوّر ذلك،" تمتم سكوملك، بنبرة ساخرة متذمرة. "هل رأى أحدكم نيلفجارديًا ينحني من قبل؟"

ثم التفت نحو ريميز وسأله:

"هل في هذه القرية المسماة غليسوين حانة؟"

"نعم، آل فارنهاغِن لم يحرقوها."

استدار سكوملك مجددًا وهو في السرج، وحدّق في سيري.

"سنضطر إلى فك وثاقها،" قال، وهو يدرس الوضع. "لا يمكننا المخاطرة بأن يتعرف عليها أحد... أعطوها عباءة. وغطاءً لرأسها..."

ثم التفت نحوها، عاقدًا حاجبيه:

"هيه، إلى أين تظنين نفسك ذاهبة، أيتها القذرة؟"

"أحتاج إلى الذهاب بين الأشجار..."

"سأريكِ الأشجار، أيتها العاهرة! اجلسي بجانب الطريق!"

"وتذكري هذا جيدًا: لا تنطقي بكلمة داخل القرية. لا تحاولي التذاكي. لو أخرجتِ حتى همسة واحدة، سأقطع عنقك. إذا لم أحصل على أي فلورينات بسببك، فلن يحصل أحد على شيء."

واصلوا السير، حوافر خيولهم تدق الجسر الخشبي بصوت أجوف.

ما إن اقتربوا من البوابة حتى خرج بعض المستوطنين المسلحين بالرماح من خلف السور.

"إنهم يحرسون البوابة،" تمتم ريميز، "أتساءل لماذا."

"وأنا كذلك،" رد سكوملك، وهو يعتدل في سرجه. "إنهم يحرسون البوابة، لكن السور منهار بجانب الطاحونة. يمكن لأي عربة أن تعبر من هناك..."

اقتربوا أكثر، ثم أوقفوا خيولهم.

ناداهم سكوملك بنبرة ودودة، لكنها بدت مفتعلة:

"تحياتي، أيها السادة! يوم سعيد لكم."

ردّ عليه أطول المستوطنين، بصوت حاد غير ودي:

"من أنتم؟"

"نحن، يا صاحبي، الجيش،" كذب سكوملك ببرود، مستندًا إلى السرج. "في خدمة سيادة المحافظ في أماريلو."

خفض المستوطن يده إلى رمحه، عابسًا وهو يحدق في سكوملك، من الواضح أنه لم يتذكر متى أصبحا "رفيقين".

تابع سكوملك كذبه، دون أن يرف له جفن:

"لقد أرسلنا سيادة المحافظ إلى هنا، لنطمئن على حال أبناء بلده الطيبين، أهل غليسوين. سيادته يبعث بتحياته، ويسأل إن كنتم بحاجة إلى أي مساعدة."

أجاب المستوطن ببرود، متحدثًا بلغة السوقة، لكن بلكنة مشابهة لتلك التي سمعَتها سيري من الفارس المجنح، وكأنه يحاول تقليد أسلوب سكوملك المتكاسل في الحديث:

"نحن بخير. تعلّمنا كيف نعتني بأنفسنا."

"سيُسرّ المحافظ لسماع ذلك. هل الحانة مفتوحة؟ عطشنا شديد..."

"مفتوحة،" قال المستوطن بجفاء وأشار بيده للحانة، "في الوقت الحالي."

"في الوقت الحالي؟"

"في الوقت الحالي. لأننا سنهدمها قريبًا. سنستخدم أعمدتها وألواحها لبناء مخزن للحبوب. الحانة لم تعد ذات فائدة لأحد. نحن نكدح في الحقول، ولا نزورها."

"الحانة لا تخدم إلا المسافرين، ومعظمهم ليسوا على هوانا".

"بعض هؤلاء يجلسون هناك الآن."

"من يكونون؟" سأل ريميز، وقد شحب وجهه قليلًا. "ليسوا من القلعة في ساردًا، صحيح؟ ليسوا آل فارنهاغِن؟"

قطّب المستوطن جبينه، حرّك شفتيه وكأنه على وشك البصق.

"للأسف، لا. إنهم جنود ميليشيا البارونات... النيستيريون."

"النيستيريون؟" عبس سكوملك. "من أين أتوا؟ وتحت إمرة من؟"

"قائدهم رجل طويل، ذو شعر أسود وشوارب تشبه زعانف سمك السلور."

"هاه!" استدار سكوملك نحو رفاقه، ابتسامة ماكرة تلوح على شفتيه. "نحن محظوظون. لا نعرف سوى واحدٍ بهذه الأوصاف، صحيح؟ لا شك أنه رفيقنا القديم (ثق بي) فيركتا."

"أتذكرونه؟"

ثم التفت إلى المستوطن متسائلًا:

"وما الذي يفعله النيستيريون هنا، يا صاح؟"

رد المستوطن ببرود:

"السادة النيستيريون في طريقهم إلى تيفي. شرّفونا بزيارة أثناء عبورهم. لديهم أسير، قبضوا على أحد أفراد عصابة الفئران."

"بالطبع قبضوا عليه،" تمتم ريميز بسخرية. "ولماذا لا يكون الإمبراطور النيلفجاردي نفسه؟"

زمّ المستوطن شفتيه، وشدّ قبضته على رمحه، بينما تمتم رفاقه ببعض الكلمات غير المفهومة.

قال أخيرًا، بأسنانه تصرّ:

"اذهبوا إلى الحانة، أيها السادة، وتحدثوا إلى السادة النيستيريين، رفاقكم. تدّعون أنكم في خدمة المحافظ، فاسألوا رفاقكم لماذا يأخذون المجرم إلى تيفي، بدلًا من أن يعلقوه على وتد هنا، الآن، كما أمر المحافظ. وذكّروهم، أيها السادة، أن المحافظ هو من يحكم هذه الأرض، وليس بارون تيفي."

"لدينا الثيران جاهزة، والوتد قد تم شحذه. إن لم يرغب السادة النيستيريون في تنفيذ الأمر، فسنقوم به بأنفسنا. أخبروهم بذلك."

ابتسم سكوملك بمكر، وغمز لرفاقه قائلًا:

"سأخبرهم، اعتمدوا عليّ. وداعًا، أيها السادة."

تحركوا بخطوات هادئة بين الأكواخ، الخيول تسير ببطء.

القرية بدت مهجورة؛ لم يكن هناك أحد في الطرقات.

خنزير هزيل كان ينبش الأرض بجانب أحد الأسوار، وبعض البط القذر كان يغطس في برك الطين.

قط أسود ضخم عبر طريقهم بهدوء.

"تبًا لهذا القط اللعين!" قال ريميز وهو يميل في سرجه، بصق على الأرض، ثم رسم بأصابعه علامة ضد السحر الأسود.

"ركض أمامنا مباشرة، ذلك اللعين!"

"آمل أن يختنق بفأر!"

"ما الأمر؟" سأل سكوملك، مستديرًا إلى الخلف.

"قط، أسود كظلمة الليل. عبر طريقنا، اللعنة!"

"إلى الجحيم به،" تمتم سكوملك، وهو يلقي نظرات حذرة حوله.

"لكن انظروا... انظروا كيف أن الشوارع فارغة تمامًا. ومع ذلك، رأيت العيون تحدق بنا من داخل الأكواخ."

"ورأيت بريق نصل رمح في ذلك الباب هناك."

"إنهم يحرسون نساءهم،" ضحك الرجل الذي كان قد لعن القط الأسود. "النيستيريون في القرية! هل سمعتم ما قاله ذلك الفلاح؟ من الواضح أنهم لا يحبونهم."

"ولا عجب،" تمتم آخر بامتعاض. "ثق بي ورفاقه لا يضيعون أي فرصة. سيأتي يومهم، أولئك اللوردات النيستيريون. البارونات يطلقون عليهم حُماة النظام، ويتقاضون أجرًا مقابل ذلك للحفاظ على الأمن وحراسة الطرق. لكن جرّب أن تهمس باسم نيستير بجانب فلاح - وسترى بنفسك - سيبلل سرواله من الخوف."

"لكنهم سينالون جزاءهم. سيرتكبون جريمة واحدة أكثر من اللازم—سيذبحون عجلًا إضافيًا، أو يغتصبون فتاة أكثر مما ينبغي—وسيتمزقون بأسنان المشاعل وسكاكين المزارعين. ستذكرون كلامي."

"هل لاحظتم نظرات المستوطنين الغاضبة عند البوابة؟ إنهم مستوطنون نيلفجارديون، لا يجب العبث معهم..."

"آه، وها هي الحانة أمامنا..."

حثّوا خيولهم إلى الأمام.

كانت الحانة مبنية بسقف قشيّ منخفض، تغطيه طبقة كثيفة من الطحالب.

كانت معزولة بعض الشيء عن بقية الأكواخ والمزارع، لكنها كانت النقطة المركزية في الساحة الواسعة المحاطة بالسياج المتهالك، حيث يتقاطع الطريقان الرئيسيان في القرية.

في ظلّ الشجرة الوحيدة الكبيرة في المنطقة، كانت هناك حظيرتان—إحداهما للماشية، والأخرى للخيول.

في الحظيرة الثانية، وقف خمسة أو ستة خيول غير مسرّجة.

على درجات مدخل الحانة، جلس رجلان يرتديان سترات جلدية وقبعات فراء مدببة.

كانا يحتسيان الشراب من أكواب فخارية، وبينهما وعاء مليء بعظام جُرّدت تمامًا من اللحم.

عند رؤية سكوملك ورفاقه يترجلون عن خيولهم، صاح أحد الرجلين:

"من أنتم؟ ماذا تريدون؟ ارحلوا من هنا! هذه الحانة مشغولة من قبل قوات القانون والنظام!"

"لا تصرخ، أيها النيستيري، لا تصرخ،" قال سكوملك ببرود، وهو يجذب سيري من السرج.

"افتحوا الباب، فنحن ندخل. قائِدكم، فيركتا، صديق قديم لنا."

"لا أعرفكم!"

"لأنك مجرد صبي،" تمتم سكوملك بابتسامة ساخرة. "أنا و(ثق بي) خدمنا معًا منذ سنوات، قبل أن تبسط نيلفجارد سيطرتها هنا."

"حسنًا... إن كنت تقول ذلك..." تردد الرجل للحظة، ثم ترك مقبض سيفه.

"يمكنكم الدخول... لا يعنيني الأمر."

دفع سكوملك سيري إلى الداخل، بينما أمسك بها صياد آخر من ياقة ملابسها، وسحبها بقوة.

ثم دخلوا جميعًا.

كان المكان كئيبًا، خانقًا، تفوح منه رائحة الدخان والخبز المخبوز حديثًا.

الحانة كانت شبه فارغة، لم يكن هناك سوى طاولة واحدة مشغولة، واقعة تحت شعاع ضوء يتسلل من نافذة صغيرة مشدود عليها جلد حيوانٍ ما.

مجموعة صغيرة من الرجال كانت جالسة حول الطاولة، بينما كان صاحب الحانة يتنقل في الخلفية، منشغلًا برنين أكواب الجعة عند المدفأة.

"تحياتي لكم، أيها النيستريون!" نادى سكوملك بصوت جهوري.

"نحن لا نصافح أي قاطع طريق يصادفنا،" تمتم أحد الرجال الجالسين قرب النافذة، ثم بصق على الأرض.

لكنّ آخر أوقفه بإشارة من يده.

"تمهل،" قال، "إنهم رفاق، ألا تتذكرهم؟ هذا سكوملك ورفاقه الصيادون. مرحبًا، مرحبًا!"

إبتسم سكوملك، واستعدّ للتقدم نحو الطاولة، لكنه توقف عندما لاحظ أن رفاقه كانوا يحدّقون نحو العمود الخشبي الذي يدعم السقف.

عند قاعدته، على كرسي صغير، جلس شابٌ نحيل، ذو شعر أشقر، في وضع غريب ومتيبّس.

سيري لاحظت أن وضعه غير الطبيعي كان بسبب أن يديه كانتا ملتويتين خلف ظهره، مقيدتين معًا، وعنقه مربوط إلى العمود بحزام جلدي.

"تبًا لي إن لم أكن أرى كابوسًا،" تنهد أحد الصيادين، الرجل الذي كان يمسك سيري من ياقة ثوبها، "انظر يا سكوملك. إنه كايلي!"

"كايلي؟" أمال سكوملك رأسه، متفحصًا وجه الشاب المقيّد. "كايلي من عصابة الفئران؟ هذا غير ممكن!"

ضحك أحد النيستريين، رجل بدين، حليق الرأس باستثناء كعكة شعر غريبة أعلى رأسه، وقال بنبرة خشنة:

"بل ممكن تمامًا،" قال، وهو يلعق ملعقته. "إنه كايلي، بكل ما فيه من قذارة. كان من الجيد أن نستيقظ مبكرًا اليوم، فسيكون لنا نصف قطعة من الفلورينات الإمبراطورية لقاء تسليمه."

"إذن، قبضتم على كايلي،" تمتم سكوملك، مكفهر الوجه. "إذًا ذلك الفلاح النيلفجاردي كان يقول الحقيقة—"

"ثلاثون فلورين، اللعنة،" تنهد ريميز، "ليس بالمبلغ السيئ... هل بارون لوتز من تيفي هو من يدفع؟"

"هذا صحيح،" أكد رجل نيستيري آخر، كان طويل القامة، ذو شارب أسود كثيف. "اللورد البارون لوتز من تيفي، سيدنا وراعينا. لقد سرقت عصابة الفئران عربة وكيله أثناء عبوره الطريق، فاستشاط غضبًا ورصد مكافأة لمن يُحضرهم."

"ونحن، سكوملك، سنحصل عليها، ثق بي."

ضحك الرجل الأسود الشارب، وأشار بإصبعه نحو سكوملك، ثم أضاف:

"هاه، انظروا يا رفاق، كيف كشر عن أنيابه! لا يعجبه أن نكون قد قبضنا على أحد الفئران، وليس هو، رغم أن المحافظ أمر بمطاردة العصابة كلها!"

"سكوملك الصياد،" قال الرجل البدين ذو كعكة الشعر، وهو يشير بملعقته نحو سيري، "قد اصطاد شيئًا أيضًا. هل ترى ذلك، فيركتا؟ فتاة ما."

"أرى ذلك،" قال الرجل ذو الشارب الأسود، كاشفًا عن أسنانه بابتسامة ساخرة. "ما هذا يا سكوملك؟ هل ضاقت بك الأحوال إلى درجة أنك تختطف الأطفال للحصول على فدية؟ ما هذه البائسة التي جلبتها معك؟"

"لا شأن لك بذلك!" تمتم سكوملك بحدة.

"من المتوتر الآن؟" ضحك الرجل ذو كعكة الشعر، "نحن فقط نريد أن نتأكد أنها ليست ابنتك."

"ابنته؟" ضحك فيركتا، ذو الشارب الأسود، ساخرًا: "ليته كان كذلك، لكنه يحتاج إلى بعض الجرأة ليُنجب فتاة!"

انفجر النيسترين في ضحك صاخب.

"تبًا لكم أيها الحمقى!" صرخ سكوملك، وقد انتفخت أوداجه غضبًا.

"كل ما سأقوله لك، فيركتا، هو هذا: قبل أن ينتهي يوم الأحد، قد تتفاجأ بمن سيتحدث عنه الجميع— أنت وأسيرك الجرذ، أم أنا وجائزتي. وعندها سنرى من سيدفع بسخاء أكثر: بارونك، أم المحافظ الإمبراطوري في أماريلو!"

"يمكنك أن تقبل مؤخرتي،" ردّ فيركتا بازدراء، وعاد لشرب حسائه.

"أنت ومحافظك وإمبراطورك ونيلفجارد بأكملها، ثق بي."

"ولا تحاول المراوغة، أنا أعلم جيدًا أن نيلفجارد تبحث عن فتاة منذ أسبوع، حتى أن الغبار يغطي الطرق بسبب حملات البحث. وأعلم أن هناك مكافأة على رأسها."

"لكن لا يهمني الأمر. ولا أنوي أن أعمل لصالح نيلفجارد، بل ألعنهم جميعًا. أنا أخدم بارون لوتز الآن. ولا أجيب إلا له، لا لغيره."

"على عكسك،" تمتم سكوملك بصوت أجش، "بارونك يقبّل يد نيلفجارد، ويلمّع أحذيتهم بلسانه. وهذا يعني أنك لست مضطرًا لفعل ذلك بنفسك، لذا من السهل عليك التشدّق بالكلام."

"إهدأ الآن،" قال النيستيري بنبرة تصالحية. "لم يكن كلامي موجهًا إليك، ثق بي. لا بأس أنك وجدتِ الفتاة التي تبحث عنها نيلفجارد، وأنا سعيد لأنك ستحصل على المكافأة، وليس أولئك السفلة النيلفجارديين."

"وأنت تخدم المحافظ؟ لا أحد يختار سيده، بل هم من يختاروننا، أليس كذلك؟ هيا، اجلس معنا، نشرب كأسًا بما أننا اجتمعنا معًا."

"لمَ لا؟" وافق سكوملك، "لكن أولًا، أعطونا حبلًا. سأربط الفتاة إلى العمود بجوار جرذكم، لا بأس؟"

انفجر النيسترين ضاحكين.

"انظروا إليه، رعب الحدود!" قهقه الرجل البدين ذو كعكة الشعر. "القوات النظامية العظيمة لنيلفجارد!"

"اربطها، سكوملك، اربطها جيدًا. لكن لا تستخدم حبلًا، بل سلسلة حديدية، لأن أسيرتك المهمة قد تكسر قيودها وتحطم وجهك قبل أن تهرب! تبدو خطيرة جدًا، أنا أرتجف خوفًا!"

حتى رفاق سكوملك ضحكوا، مكتمين ضحكاتهم الساخرة.

احمرّ وجه الصياد، شدّ حزامه بقوة، ثم اتجه نحو الطاولة.

"مجرد احتياط، كي لا تحاول الفرار..."

"افعل ما يحلو لك،" قاطعه فيركتا، وهو يكسر قطعة خبز. "إذا كنت ترغب في الحديث، فاجلس واطلب جولة من الشراب."

"بل وعلّق الفتاة من قدميها بالسقف إن شئت، لا يهمني."

"إنه فقط أمرٌ مضحك، سكوملك. ربما تكون أسيرة مهمة لك ولمحافظك، لكنها بالنسبة لي مجرد طفلة نحيلة مرعوبة. تريد تقييدها؟ بالكاد تستطيع الوقوف، ناهيك عن الفرار، ثق بي. مما تخاف؟"

"سأخبرك ممّا أخاف،" قال سكوملك، وهو يضغط شفتيه معًا. "هذه مستوطنة نيلفجاردية، والمستوطنون لم يرحّبوا بنا كما يجب. قالوا إن لديهم وتدًا مشحوذًا جاهزًا لجرذك، والقانون معهم، لأن المحافظ أصدر مرسومًا يقضي بإعدام أي قاطع طريق يتم القبض عليه في الحال.

"إذا لم تسلّمهم أسيرهم، فقد يكونون مستعدين لشحذ وتد آخر لك أيضًا."

"يا للويل!" تمتم الرجل البدين ذو كعكة الشعر ساخرًا. "إنهم بالكاد يصلحون لإخافة الطيور، هؤلاء الرعاع. من الأفضل ألا يتدخلوا معنا، لأن الدماء ستُسفك حينها."

"لن نسلّم لهم الجرذ،" أضاف فيركتا بحزم. "إنه لنا، وسنأخذه إلى تيفي. وبارون لوتز سيحلّ المسألة مع المحافظ. لا داعي لإضاعة الكلام. اجلسوا."

الصيادون، وهم يعيدون تعديل أحزمتهم التي تحمل سيوفهم، كانوا أكثر من سعداء بالانضمام إلى طاولة النيستريين.

نادوا على صاحب الحانة بصخب، مشيرين إلى سكوملك ليكون الراعي الرسمي لجولتهم.

ركل سكوملك مقعدًا نحو العمود، ثم أمسك سيري من ذراعها، جذبها بعنف، ثم دفعها بقوة. فسقطت، لتصطدم كتفها بقوة بركبة الصبي المقيّد إلى العمود.

"اجلسي هناك،" زمجر سكوملك، "ولا تجرئي على الحركة، وإلا سأضربكِ ككلبٍ أجرب!"

"أيها القذر،" تمتم الصبي الأشقر بنبرة غاضبة، مبحلقًا فيه من خلف عينيه نصف المغلقتين.

"أيها اللعين..."

سيري لم تفهم معظم الكلمات التي انفجرت من فمه المغتاظ، لكن التغيّر الذي ظهر على وجه سكوملك جعلها تدرك أن الشتائم كانت بذيئة للغاية.

تحول لون الصياد إلى الأبيض من شدة الغضب، ثم هوى بقبضته على وجه الصبي، وبعدها أمسكه من شعره الطويل ودفع رأسه للخلف، ليصطدم مؤخرة رأسه بالعمود الخشبي بعنف.

"هيه!" نادى فيركتا، ناهضًا عن الطاولة. "ما الذي يجري هناك؟"

"سأحطم أسنان هذا الجرذ القذر!" صرخ سكوملك بجنون. "سأمزقه إربًا!"

"تعال واجلس، وكفّ عن الصراخ،" قال النيستيري، وهو يجلس مجددًا، ثم رفع قدحه وشرب الجعة في جرعة واحدة، قبل أن يمسح شاربه.

"يمكنك أن تفعل ما شئت بأسيرك، لكن لا تلمس أسيرنا.

وأنت، كايلي، كفّ عن ادعاء البطولة. اجلس بهدوء وفكّر في المشنقة التي يقوم بارون لوتز ببنائها لك."

"قائمة العقوبات التي سيتفنن الجلاد في تطبيقها عليك جاهزة بالفعل، ثق بي، وطولها ثلاثة أذرع.

نصف البلدة تراهن بالفعل على المدى الذي ستصمد فيه قبل أن تنهار. لذا، حافظ على قوتك، أيها الجرذ. سأضع رهانًا بسيطًا على أنك لن تخذلني وستصمد على الأقل حتى الخصاء!"

بصق كايلي وأدار رأسه، بقدر ما سمح له الحزام المشدود حول عنقه.

أما سكوملك، فقد شدّ حزامه، وألقى نظرة نارية على سيري، الجالسة فوق المقعد الصغير، قبل أن يتوجه غاضبًا نحو الطاولة، ساخطًا حين وجد أن الإبريق الذي أحضره صاحب الحانة لم يتبق فيه سوى بقايا رغوة.

"كيف قبضتم على كايلي؟" سأل، مشيرًا إلى صاحب الحانة ليُحضر جولة جديدة. "وهو حي؟ لا أصدق أنكم تمكنتم من قتل بقية الجرذان."

"بصراحة،" قال فيركتا، وهو يتفحص ما التقطه من أنفه، "كنا محظوظين. كان وحده.

لقد غادر العصابة لليلة واحدة، وذهب إلى نيو فورج ليقضي الوقت مع عشيقته.

رئيس القرية علم أننا في الجوار، فأرسل لنا خبرًا.

وصلنا قبل شروق الشمس، واصطدناه في كومة القش؛ لم ينبس ببنت شفة حتى!"

"ثم قضينا وقتًا ممتعًا مع عاهرته،" قهقه الرجل البدين ذو كعكة الشعر. "إن لم يكن كايلي قد أشبعها تلك الليلة، فلا بأس، فنحن أشبعناها صباحًا حتى أنها لم تستطع تحريك ذراعيها أو ساقيها!"

"حسنًا، سأخبركم بشيء،" قال سكوملك بصوت عالٍ وساخر. "أنتم حفنة من الأغبياء. لقد أضعتم فرصة ذهبية، أيها الحمقى."

"بدلًا من تضيعوا وقتكم مع العاهرة، كان عليكم تسخين سيخ حديدي، وانتزاع اعترافٍ من الجرذ حول مكان عصابته تلك الليلة."

"كان بإمكانكم القبض عليهم جميعًا جيزيلهير، وريف، والبقية."

"آل فارنهاغِن من ساردًا عرضوا مكافأة قدرها عشرون فلورين مقابل رأس جيزيلهير منذ عام."

"أما تلك العاهرة، ما اسمها... ميستل، أليس كذلك؟"

"بعد ما فعلته بابن شقيق المحافظ في درويج، عندما سرق الفئران تلك القافلة، أؤكد لكم أن المحافظ كان سيدفع أكثر بكثير."

"أنتَ، سكوملك،" قطّب فيركتا جبينه، "إما أنك وُلدتَ غبيًا، أو أن الحياة القاسية قد سحقت ما تبقى من عقلك."

"نحن ستة رجال فقط. هل تتوقع مني أن أهجم على عصابة بأكملها بهذا العدد؟ أهذا ما تظنه؟"

"ثم لا تقلق، لن نفوّت المكافأة. البارون لوتز سيُدفئ كعبي كايلي في الزنزانات. سيأخذ وقته، ثق بي."

"كايلي سيغني لنا، سيعترف بمخابئهم وأماكن تجمعهم، ثم سنذهب إليهم بقوة عددية كافية، نحاصر العصابة، ونصطادهم واحدًا واحدًا كما تُنتشل جراد البحر من الكيس."

"أجل، بالتأكيد،" سخر سكوملك. "سيكونون في انتظاركم. سيراقبونكم من بعيد، وسيختبئون في جحورهم وفي المستنقعات.

"لا، فيركتا، عليك أن تواجه الحقيقة: لقد أفسدت الأمر."

"لقد استبدلت المكافأة بامرأة. وهذا هو ديدنك دائمًا... لا يشغلك سوى النساء!"

"أنتَ العاهر هنا!" صرخ فيركتا، ونهض عن الطاولة بغضب.

"إذا كنتَ على عجلة من أمرك، فاذهب خلف الجرذان مع أبطالك بنفسك! لكن احذر، فالاشتباك مع الجرذان ليس كاصطياد الفتيات الصغيرات، أيها التابع النيلفجاردي الشريف!"

بدأ النيسترين والصيادون يتبادلون الشتائم، وأوشك الموقف أن ينفجر.

لكن صاحب الحانة كان أسرع منهم، فقد أسرع إلى الطاولة بجولة جديدة من الجعة، وانتزع الإبريق الفارغ من يد الرجل البدين ذي كعكة الشعر قبل أن يلقيه في وجه سكوملك.

سرعان ما خفّفت الجعة من التوتر، وهدّأت حناجرهم الملتهبة، وأسكتت غضبهم المتأجج.

"أحضر لنا الطعام!" صاح البدين في وجه صاحب الحانة.

"بيض مخفوق مع النقانق! فاصوليا، خبز وجبن!"

"وجِعة!"

"ما الذي تنظر إليه، سكوملك؟" قهقه أحد النيستريين. "اليوم يوم سعدنا!"

"لقد سرقنا من كايلي حصانه، وحقيبته، وحليه، وسيفه، وسرجه، وجلده الصوفي، وبعناها كلها للأقزام!"

"حتى حذاء عاهرته الأحمر وبُتحها!"

"هاها، يبدو أنكم حصلتم على ما يكفي لجولات شراب كثيرة، رائع!"

"وما سرّ سعادتك؟ المال معنا، وليس معك. كل ما يمكنك فعله هو مسح مخاط أسيرتك أو انتزاع القمل من شعرها!"

"حجم المال يعكس مقام الأسير، هاها!"

"يا لهم من لُعناء!" زمجر سكوملك.

"هاها، اجلس، كنتُ أمازحك، اغلق فمك!"

"لنشرب لإنهاء هذا الجدال! الشراب على حسابنا!"

"أين البيض المخفوق، أيها الحانوتي، لعنة الله عليك؟ أسرِع!"

"وأحضر لنا الجِعة أيضًا!"

كانت سيري جالسة القرفصاء على مقعدها الصغير، ورفعت رأسها ببطء.

التقت عيناها بعيني كايلي الخضراوين، الغاضبتين، اللتين كانتا تحدّقان فيها من تحت خصلات شعره الأشقر المتشابكة.

شعرت بقشعريرة تسري في جسدها.

كان وجه كايلي — رغم أنه لم يكن قبيحًا — مُظلِمًا، شريرًا، خبيثًا.

رأت بوضوح أن هذا الفتى، رغم أنه لم يكن أكبر منها بكثير، كان قادرًا على أي شيء.

"الآلهة لا بد أنها أرسلتكِ إليّ،" همس كايلي، وهو يحدّق فيها بنظراته الخضراء الثاقبة. "فكّري بالأمر. أنا لا أؤمن بها، لكنهم أرسلوكِ. لا تنظري حولكِ، أيتها الحمقاء الصغيرة. عليكِ أن تساعديني... اسمعي جيدًا، أيتها القذرة..."

سيري انكمشت أكثر في مكانها، وأخفضت رأسها.

"اسمعي،" همس كايلي، كاشفًا عن أسنانه كجرذٍ حقيقي. "بعد لحظات، عندما يمرّ صاحب الحانة، ستناديه..."

"اسمعيني، بحق الشيطان..."

"لا،" تمتمت بخوف. "سيضربونني..."

إنحنى فم كايلي بابتسامة باردة، وفي تلك اللحظة، أدركت سيري أن تلقي الضرب على يد سكوملك لم يكن أسوأ ما يمكن أن تواجهه.

فرغم أن سكوملك كان ضخمًا، وكايلي كان نحيفًا ومقيّدًا، إلا أن حدسها أخبرها بوضوح أيّهما يجب أن تخشاه أكثر.

"إذا ساعدتِني،" همس الجرذ، "سأساعدكِ. لستُ وحدي، لديّ رفاق لا يتخلون عن صديقٍ في محنة... هل تفهمين؟ وعندما يصل رفاقي، عندما تبدأ الفوضى، لا يمكنني أن أبقى مقيّدًا بهذا العمود."

"هؤلاء الأوغاد سيقطعونني إربًا... اسمعي جيدًا، اللعنة عليكِ، سأخبركِ بما عليكِ فعله..."

سيري خفضت رأسها أكثر، وارتعشت شفتاها.

الصيادون والنيستريون كانوا يلتهمون البيض المخفوق بنهم، يمضغون ويزمجرون كخنازير برية.

أما صاحب الحانة، فكان يحرك شيئًا في قدرٍ على الموقد، ثم أحضر إبريقًا جديدًا من الجعة، ورغيفًا من خبز الجاودار، ووضعهما على الطاولة.

"أنا جائعة،" تمتمت سيري بخفوت، وهي ترفع صوتها قليلًا، لكن وجهها شحب.

توقف صاحب الحانة، حدّق بها بنظرة متعاطفة، ثم نظر بحذر نحو الرجال الذين كانوا يحتفلون.

"هل يمكنني إعطاؤها بعض الطعام، سيدي؟"

"تبًا لك!" صرخ سكوملك بفمٍ مليء بالبيض المخفوق، وبصق بعضه من شدة غضبه.

"ابتعد عنها، أيها الحثالة! قبل أن أقتلع ساقيك من جذورهما! لا طعام لها!"

"وأنتِ، اجلسي مكانكِ، أيتها الساقطة، وإلاسأ.."

"مهلًا، سكوملك، هل فقدتَ عقلك تمامًا؟" قاطعه فيركتا، وهو يحاول بصعوبة ابتلاع قطعة خبز محشوة بالبصل.

"انظروا إليه، يا رجال، هذا البخيل الحقير.

"يملأ معدته بأموال غيره، لكنه يبخل على فتاة صغيرة! أعطها وعاءً من الطعام، صاحب الحانة. أنا من يدفع، وأنا من يقرر من يأكل ومن لا يأكل."

"وإذا لم يعجب أحدكم ذلك، فقد ينتهي الأمر بلكمةٍ على فمه المشعر."

احمرّ وجه سكوملك غضبًا، لكنه لم ينبس ببنت شفة.

"وهذا يذكرني،" أضاف فيركتا، "علينا إطعام الجرذ أيضًا، كي لا ينهار على الطريق، وإلا لكان البارون سلخ جلودنا حيّين، ثقوا بي."

"هذه الفتاة يمكنها إطعامه."

"أيها الحانوتي! جهّز بعض الطعام لهما!"

التفت إلى سكوملك، متسائلًا بسخرية:

"وأنت، سكوملك، ماذا تهمهم؟ ما الذي يزعجك الآن؟"

"يجب مراقبتها،" قال الصياد، مشيرًا إلى سيري برأسه، "إنها طائر غريب."

"لو كانت مجرد فتاة عادية، لما كانت نيلفجارد تطاردها، ولا كان المحافظ قد وضع مكافأة على رأسها..."

إبتسم كايلي بسخرية.

"فهمتِ الآن؟" همس من بين شفتيه المبتسمتين بخفوت. "عندما يسكرون، سيبدؤون بكِ. سيغتصبونكِ. نحن في القارب ذاته. افعلي ما قلتُ لكِ. إن هربتُ، فستهربين أنتِ أيضًا..."

"الطعام جاهز!" نادى صاحب الحانة. لم تكن لهجته نيلفجاردية. "تعالي وخذي طعامكِ، آنسة!"

"سكين،" همست سيري وهي تأخذ الوعاء منه.

"ماذا؟"

"سكين. وبسرعة."

"إذا لم يكن كافيًا، خذي المزيد!" قال صاحب الحانة بنبرة غير طبيعية، وألقى نظرة خاطفة على الجالسين قبل أن يضع مزيدًا من العصيدة في الوعاء. "اذهبي من هنا."

"سكين."

"ابتعدي وإلا ناديتُ عليهم... لا أستطيع... سيحرقون الحانة."

"سكين."

"لا. يؤسفني ذلك، آنستي، لكن لا أستطيع. لا أستطيع، عليكِ أن تفهمي. ابتعدي..."

"لن يخرج أحد من هنا حيًا،" قالت بصوت مرتجف، مكررة كلمات كايلي. "سكين. وبسرعة. وعندما يبدأ كل شيء، اهرب."

"أمسك الوعاء أيها الأخرق!" صاح صاحب الحانة، مستديرًا ليحجب سيري بجسده. كان شاحبًا، وأسنانُه تصطكّ قليلًا. "اقتربي من المقلاة."

شعرت ببرودة سكين المطبخ وهو يمرره إلى حزامها، مغطيًا المقبض بسترتها.

"جيد جدًا،" همس كايلي. "اجلسي بحيث تحجبينني. ضعي الوعاءَ على حجري. امسكي الملعقة بيدكِ اليسرى، والسكين باليمنى. وابدئي بقطع الحبل. ليس هناك، أيتها الحمقاء. تحت مرفقي، قرب العمود. بحذر، إنهم يراقبون."

جف حلق سيري. خفضت رأسها حتى كادت تلامس الوعاء.

"أطعِميني وكُلي أنتِ أيضًا." كانت عيناه الخضراوان، اللتان تطلّان من خلف جفنين نصف مغمضين، تخدرانها بنظرتهما. "واصلي القطع. وكأنكِ تعنينه، صغيرتي. إن هربتُ، فستهربين أنتِ أيضًا..."

صحيح، فكرت سيري وهي تقطع الحبل. كانت رائحة السكين تفوح بالحديد والبصل، ونصلها مهترئًا من كثرة الشحذ. إنه على حق. هل أعلم إلى أين سيأخذني هؤلاء الأوغاد؟ هل أعلم ما الذي يريده مني ذلك الحاكم النيلفجاردي؟ ربما ينتظرني جلاد في أماريلو، أو ربما العجلة، والمثاقب، والملاقط. الحديد المحمّى... لن أسمح لهم أن يسوقوني كالنعجة إلى المذبح. من الأفضل لي أن أغامر..

تحطم جذع شجرة عبر النافذة فجأة، محطماً الإطار وزجاجها المتناثر معه. هبط على الطاولة، ناشراً الفوضى بين الأوعية والأكواب. تبع الجذع شابة ذات شعر فاتح مقصوص بعناية، ترتدي صدرة حمراء وحذاءً عاليًا لامعًا يصل إلى ما فوق الركبة. قرفصت على الطاولة، وراحت تدور بسيفها حول رأسها.

أحد أفراد "النسير"، الأبطأ بينهم، لم يتمكن من النهوض أو التراجع في الوقت المناسب، فسقط للخلف مع المقعد، متدفقًا الدم من عنقه الممزق. تدحرجت الفتاة برشاقة عن الطاولة، مفسحة المجال لصبي يرتدي سترة من جلد الغنم المطرز ليقفز من النافذة خلفها.

"إنهم الفئراااان!!" صاح فيركتا، وهو يحاول أن يستل سيفه المتشابك في حزامه.

الرجل البدين ذو العقدة في شعره سحب سلاحه وقفز نحو الفتاة التي كانت تجثو على الأرض، ثم هجم عليها. لكنها، رغم وضعها المنخفض، تصدت للضربة بمهارة، وانحرفت بسرعة. ثم جاء الصبي ذو سترة الغنم المطرزة، الذي قفز بعدها، وضرب "النسير" البدين بقوة على صدغه. هوى الرجل على الأرض، فجأة، كجسد فارغ من الروح.

انفتح باب الحانة بحدة، واقتحمها اثنان آخران من "الفئران". كان الأول طويل القامة، داكن البشرة، يرتدي كفتانًا مرصعًا وعصابة رأس قرمزية. بضربة سريعة من سيفه، أرسل اثنين من الصيادين إلى زاويتين متقابلتين، ثم واجه فيركتا مباشرة. أما الثاني، وكان عريض المنكبين أشقر الشعر، فقد شق "ريميز"، صهر "سكومليك"، بضربة جارحة.

أما البقية فاندفعوا هاربين، متجهين إلى باب المطبخ. لكن "الفئران" كانوا قد دخلوا من هناك أيضًا؛ فتاة ذات شعر داكن وملابس زاهية الألوان ظهرت فجأة من المطبخ، غرست شفرتها بسرعة في أحد الصيادين، ودحرت آخر بحركة دائرية، ثم قطعت عنق صاحب الحانة قبل أن يتمكن حتى من التعريف بنفسه.

امتلأت الحانة بالصخب، وصليل السيوف يملأ الأرجاء. اختبأت "سيري" خلف العمود.

"ميستل!" صرخ كايلي وهو يمزق الحبل شبه المقطوع محاولًا التخلص من الحزام الذي كان لا يزال يقيد عنقه إلى العمود. "جيزلهير! ريف! أنا هنا!"

لكن "الفئران" كانوا منشغلين بالقتال، ولم يسمع صراخه سوى "سكومليك". استدار الصياد متهيئًا للطعن، عازمًا على تثبيت "كايلي" في العمود.

تحركت "سيري" غريزيًا، بسرعة البرق، كما فعلت أثناء قتالها ضد "الويفرن" في "غورس فيلين" وعلى "ثانيد". كل الحركات التي تعلمتها في "كاير مورهين" نفذتها تلقائيًا، دون وعي منها تقريبًا. قفزت من خلف العمود، دارت في حركة دوامية، انقضت على "سكومليك"، وضربته بقوة بجانبها.

لم تكن قوية أو ضخمة بما يكفي لدفع الصياد الثقيل إلى الخلف، لكنها تمكنت من إرباك إيقاع حركته... وجذب انتباهه نحوها.

"أيتها العاهرة!"

لوّح سكومليك بسيفه، محدثًا صرخة حادة في الهواء. مرة أخرى، تحرك جسد سيري بغريزة طبيعية، متفادية الضربة برشاقة، ما جعل الصياد يفقد توازنه وهو يندفع خلف نصل سيفه. شتم بفظاظة، ثم هجم مجددًا بكل ما أوتي من قوة. تملصت سيري بخفة، هابطة بثبات على قدمها اليسرى، ثم دارت في حركة دوامية باتجاه معاكس.

انقض سكومليك بقطعة أخرى من شفرته اللامعة، لكنه أخطأها ثانية.

فجأة، سقط فيركتا بينهما، متناثرًا دمه عليهما. تراجع الصياد ونظر حوله. كان محاطًا بالجثث... وب"الفئران"، الذين كانوا يقتربون من كل صوب، سيوفهم مسلولة.

"لا تتحرك،" قال الرجل داكن البشرة ذو العصابة الحمراء، مطلقًا سراح كايلي أخيرًا. "يبدو أنه مصمم على تقطيع هذه الفتاة إربًا. لا أعلم لماذا، ولا أفهم كيف لم يتمكن من ذلك حتى الآن. لكن لنمنحه الفرصة، بما أنه راغب فيها بشدة."

"ولنعطها فرصة أيضًا، جيزلهير،" قال الرجل عريض الكتفين. "ليكن قتالًا نزيهًا. أعطها شيئًا، إيسكرا."

شعرت سيري بمقبض سيف في يدها. كان أثقل قليلًا مما اعتادت عليه.

زمجر سكومليك بغضب وانقض عليها، مسددًا ضربات خاطفة في حركة دائرية متسارعة. لكنه كان بطيئًا. تملصت سيري من الهجمات المتتابعة بمراوغات سريعة وانعطافات نصفية، دون أن تحاول صدها حتى. كان السيف الذي تمسكه مجرد وسيلة لتحقيق التوازن أثناء حركاتها التفاديّة.

"لا يصدق،" ضحكت الفتاة ذات الشعر المقصوص. "إنها بهلوانية!"

"إنها سريعة،" قالت الفتاة ذات الملابس الزاهية التي أعطت سيري السيف. "سريعة كأنثى قزم. هيه، أيها البدين! ربما تفضل قتال أحدنا؟ لن تحصل منها على شيء!"

تراجع سكومليك خطوة، ثم نظر حوله قبل أن ينقض فجأة، محاولًا طعن سيري بضربة مباشرة، مثل طائر مالك الحزين ينقض على فريسته. تملصت سيري بمراوغة قصيرة واستدارت مبتعدة. للحظة، رأت الوريد المتورم النابض في عنقه. كانت تعلم أنه في تلك الوضعية لن يتمكن من تفادي الضربة أو صدها. كانت تعرف أين وكيف تضرب.

لكنها لم تضرب.

"هذا يكفي."

شعرت بيد على كتفها. الفتاة ذات الملابس الزاهية دفعتها جانبًا، وفي الوقت ذاته، دفع اثنان آخران من "الفئران" – الصبي ذو سترة الغنم والفتاة ذات الشعر المقصوص – سكومليك إلى زاوية الحانة، محاصرين إياه بسيوفهم.

"كفى هذا العبث،" كررت الفتاة ذات الثياب الزاهية، مستديرة نحو سيري وممسكة بها. "لقد طال الأمر أكثر من اللازم. واللوم يقع عليكِ، أيتها الآنسة. كان بإمكانكِ قتله، لكنكِ لم تفعلي. لا أظنكِ ستعيشين طويلًا."

ارتجفت سيري، ناظرة إلى تلك العيون اللوزية الضخمة الداكنة، وإلى الأسنان المكشوفة في ابتسامة، صغيرة جدًا لدرجة جعلت الابتسامة تبدو شبحية. لا العيون كانت بشرية، ولا الأسنان كذلك. الفتاة ذات الملابس الزاهية كانت قزمية.

"حان وقت الهرب،" قال جيزلهير، الرجل ذو العصابة القرمزية، بحدة. كان من الواضح أنه الزعيم. "لقد طال الأمر بالفعل! مستل، انهي أمر هذا الوغد."

تقدمت الفتاة ذات الشعر المقصوص، رافعة سيفها.

"الرحمة!" صرخ سكومليك، ساقطًا على ركبتيه. "اعفوا عني! لدي أطفال صغار... صغار جدًا..."

وجهت الفتاة ضربتها بوحشية، ملتفة عند الوركين. تطايرت الدماء على الجدار الجصيّ في قوس واسع، مرسومة ببقع قرمزية غير منتظمة.

"أنا أكره الأطفال الصغار،" قالت الفتاة ذات الشعر المقصوص، ماسحة الدم عن نصل السيف بحركة سريعة من أصابعها.

"لا تضيعي الوقت، مستل!" حثها الرجل ذو العصابة القرمزية. "إلى الأحصنة! علينا الفرار! هذه مستوطنة نيلفجاردية، لا أصدقاء لنا هنا!"

انطلق "الفئران" خارج النزل بسرعة. لم تكن سيري تعرف ماذا تفعل، لكنها لم تملك الوقت للتفكير. دفعتها مستل، الفتاة ذات الشعر المقصوص، نحو الباب.

خارج النزل، بين شظايا الأكواب المحطمة وعظام مأكولة، تناثرت جثث "النسير" الذين كانوا يحرسون المدخل. كان بعض المستوطنين يهرعون من القرية حاملين الرماح، لكن بمجرد أن رأوا "الفئران" يندفعون خارج النزل، تراجعوا واختفوا بين الأكواخ.

"هل تستطيعين الركوب؟" صرخت مستل نحو سيري.

"نعم..."

"إذن لننطلق. خذي حصانًا واركبي! هناك مكافأة على رؤوسنا، وهذه قرية نيلفجاردية! الجميع يهرع الآن لجلب الأقواس والرماح! اقفزي واتبعي جيزلهير! ابقي في منتصف الطريق، وابتعدي عن الأكواخ!"

قفزت سيري فوق سياج منخفض، وأمسكت بلجام أحد أحصنة الصيادين، ثم قفزت في السرج، وضربت مؤخرة الحصان بسطح سيفها الذي لم يفارق يدها. انطلقت في عدو سريع، متجاوزة كايلي والفتاة القزمية ذات الملابس الزاهية التي كانوا ينادونها "إيسكرا". ركضت مع "الفئران" نحو الطاحونة.

رأت رجلًا يخرج من خلف أحد الأكواخ، حاملاً قوسًا ونشّابًا، مصوبًا إياه نحو ظهر جيزلهير...

"اقضي عليه!" سمعت صرخة خلفها. "اقتليه، أيتها الفتاة!"

أمالت سيري جسدها إلى الخلف في السرج، مجبرةً الحصان المسرع على تغيير اتجاهه بجذب اللجام وضغط كعبيها، ثم لوحت بسيفها. استدار الرجل المسلح بالنشاب في اللحظة الأخيرة، ورأت وجهه

يتلوى رعبًا. ترددت يدها المرفوعة للضربة لوهلة، وكانت تلك اللحظة كافية ليحملها الحصان المسرع متجاوزة إياه.

سمعت صوت انطلاق الوتر. صهل الحصان بألم، وارتعش مؤخرته، ثم انتصب قائمًا على رجليه الخلفيتين. قفزت سيري، محررةً قدميها من الركابين، وهبطت بخفة، متكورةً في وضع دفاعي.

إيسكرا، التي كانت تندفع نحوها، مالت خارج السرج لتوجه ضربة قوية، قاطعةً رأس الرجل المسلح بالنشاب من الخلف. سقط الرجل على ركبتيه، ثم هوى وجهه في بركة طينية، متناثرًا بالوحل. أما الحصان المصاب، فقد صهل بجنون، يرفس بعنف قبل أن ينطلق هاربًا بين الأكواخ.

"أيتها الحمقاء!" صرخت القزمية، متجاوزة سيري بسرعة. "أيتها الحمقاء اللعينة!"

"اقفزي!" صرخ كايلي، مندفعًا بحصانه نحوها. ركضت سيري، ممسكةً بيده الممدودة. دفعتها القوة فجأة، مفصل كتفها يصر بصوت مسموع، لكنها تمكنت من القفز إلى ظهر الحصان، متشبثة بالجرذ الأشقر. انطلقا مسرعين، متجاوزين إيسكرا.

استدارت القزمية، مطاردةً أحد الرماة الآخرين، الذي ألقى سلاحه وفرّ باتجاه باب حظيرة. تمكنت منه بسهولة. أشاحت سيري بوجهها بعيدًا، لكنها سمعت صرخته الأخيرة، القصيرة والوحشية، كعواء حيوان يحتضر.

لحقت بهم مستل، تسحب وراءها حصانًا مسرجًا دون فارس. صرخت بشيء لم تفهمه سيري جيدًا، لكنها أدركت معناه فورًا. تركت كايلي، قفزت إلى الأرض بينما الحصان لايزال يعدو، وركضت نحو الحصان الآخر، الذي كان قريبًا بشكل خطير من المباني.

ألقت مستل لها باللجام، ثم استدارت بسرعة وأطلقت تحذيرًا. استدارت سيري في اللحظة المناسبة لتتفادى طعنة رمح غادرة، وجهها مستوطن ممتلئ كان قد خرج من خلف زريبة للخنازير. تفادت الضربة بانعطافة نصفية رشيقة.

ما حدث لاحقًا طارد أحلامها لفترة طويلة بعد ذلك.

تذكرت كل شيء، كل حركة. نصف الدوران الذي أنقذها من نصل الرمح وضعها في موقع مثالي. كان حامل الرمح مائلًا إلى الأمام، غير قادر على التراجع أو حماية نفسه بعصا الرمح التي يمسكها بكلتا يديه. وجهت سيري ضربة مسطحة، مستديرة في الاتجاه المعاكس بنصف دورة. للحظة، رأت فمًا مفتوحًا ليصرخ في وجه مغطى بشعيرات عدة أيام من اللحية. رأت جبينًا طويلاً بفعل بقعة صلعاء،

بشرته فاتحة فوق الخط الذي حمت به قبعة أو غطاء رأس من الشمس. ثم تلاشى كل ما رأته في انفجار نافورة من الدم.

كانت لا تزال ممسكة بلجام الحصان، لكنه جفل، صاهلًا، وركلها عن غير قصد، مما جعلها تسقط على ركبتيها. لم تترك اللجام. كان الرجل المصاب يئن ويشهق، متلوّيًا بتشنجات بين القش والقذارة، وكان الدم يتدفق منه كما لو كان خنزيرًا مذبوحًا. شعرت بالغثيان يتصاعد بداخلها.

توقفت إيسكرا بجانبها فجأة، وأمسكت بلجام الحصان الذي كان لا يزال يرفس بلا فارس، ثم سحبته بقوة، رافعةً سيري—التي كانت لا تزال متشبثةً باللجام—إلى قدميها.

"إلى السرج!" صرخت. "اخرجي من هنا!"

قاومت سيري الغثيان وقفزت إلى السرج. كان هناك دم على نصل السيف الذي لا تزال تمسكه. جاهدت للتغلب على رغبتها العارمة في رمي السلاح بعيدًا قدر الإمكان.

اندفعت مستل من بين بعض الأكواخ، تطارد رجلين. نجح أحدهما في الفرار، قافزًا فوق سور، لكن الآخر سقط على ركبتيه بعدما أصيب بطعنة قصيرة، ممسكًا رأسه بكلتا يديه.

انطلقت مستل وإيسكرا في العدو، لكنهما توقفتا بعد لحظات، تشدّان على الركائب، لأن جيسلير وبقية الجرذان كانوا يعودون من جهة الطاحونة. خلفهم، كان المستوطنون المسلحون يندفعون، يصرخون بأعلى أصواتهم في محاولةٍ لحشد شجاعتهم.

"وراءنا!" صاح جيسلير، مندفعًا بسرعة البرق. "وراءنا، مستل! إلى النهر!"

مستل، وهي تميل إلى جانب واحد، شدّت لجامها، أدارت حصانها للخلف، ثم انطلقت تعدو خلفه، متجاوزة بعض الأسوار المنخفضة المصنوعة من الأغصان المتشابكة. ضغطت سيري وجهها على عُرف حصانها وانطلقت خلفها. إيسكرا كانت تعدو إلى جانبها. الريح العاصفة بعثرت شعرها الداكن الجميل، كاشفة عن أذن صغيرة مدببة مزينة بقرط مشغول بدقة.

كان الرجل الذي أصابته مستل لا يزال راكعًا في منتصف الطريق، يهتز جيئة وذهابًا، ممسكًا رأسه الدامي بكلتا يديه. استدارت إيسكرا بحصانها، ثم اندفعت نحوه، موجهةً ضربةً قوية بسيفها بكل ما أوتيت من قوة. عوى الرجل الجريح. رأت سيري أصابعه المبتورة تتطاير في الهواء مثل رقائق الخشب المتناثرة من جذعٍ منشور، قبل أن تسقط على الأرض كيرقاتٍ بيضاء سمينة.

كادت تتقيأ، لكنها تمالكت نفسها.

انتظرت مستل وكايلي عند فتحة في السور الخشبي؛ أما بقية الجرذان، فقد كانوا قد ابتعدوا كثيرًا. فانطلق الأربعة يعدون بأقصى سرعة، قافزين فوق النهر، فتطايرت رذاذات الماء فوق رؤوس الخيول. مائلين إلى الأمام، ضاغطين خدودهم على أعراف الخيول، صعدوا منحدرًا رمليًا، ثم اندفعوا عبر مرجٍ تزينه زهور الترمس البنفسجية. إيسكرا، التي كانت تمتطي أسرع حصان، تقدمت الجميع.

اندفعوا نحو الغابة، متوغلين في ظلالها الرطبة، بين جذوع أشجار الزان. كانوا قد لحقوا بجيسلير والبقية، لكنهم لم يبطئوا إلا للحظة. بعد أن عبروا الغابة ووصلوا إلى المستنقعات، عادوا للعدو بأقصى سرعتهم. سرعان ما تخلّفت سيري وكايلي عن الركب، إذ لم تكن خيول الصيادين التي يمتطيانها قادرة على مجاراة الخيول الأصيلة الفاخرة التي يمتطيها الجرذان.

كان لدى سيري مشكلة إضافية؛ بالكاد كانت تصل إلى الركائب الكبيرة للحصان، ولم تستطع تعديل أحزمة الركائب أثناء العدو. كانت قادرة على الركوب بدون ركائب تمامًا كما تستطيع بها، لكنها كانت تعلم أنها لن تتحمل العدو طويلًا في هذا الوضع.

لحسن الحظ، بعد بضع دقائق، أبطأ جيسلير السرعة، وأوقف المجموعة المتقدمة، مما أتاح لسيري وكايلي اللحاق بهم. أبطأت سيري سرعتها إلى خببٍ هادئ. لم تكن قادرة على تقصير أحزمة الركائب، إذ لم تكن هناك ثقوب إضافية في السيور. ومن دون أن تبطئ سرعتها، أرجحت ساقها اليمنى فوق القربوس وانتقلت إلى وضعية الركوب الجانبي.

عندما رأت "ميستل" طريقة جلوس الفتاة على الحصان، انفجرت ضاحكة.

"أترى يا جيزيلهير؟ ليست بهلوانية فحسب، بل هي فارسة سيرك أيضًا! إيه يا كايلي، من أين عثرت على هذه الشيطانة؟"

أمسكت "إسكرا" لجام حصانها الكستنائي الجميل، الذي ما زال جلده جافًا يتوق للعدو، وتقدّمت نحوها، ملامسةً الحصان الرمادي المرقط الذي تركبه "سيري". صهل الحصان وتراجع ملقياً رأسه للخلف. شدت سيري اللجام واتكأت إلى الخلف في السرج.

"هل تعرف سبب بقائك على قيد الحياة أيها الأحمق؟" زمجرت الإلفة وهي تدفع شعرها بعيدًا عن جبهتها.* "ذلك الفلاح الذي أبقيتَ على حياته بتعاطفك المزيف أطلق الزناد قبل الأوان، فأصاب الحصان لا أنت. لولا ذلك لوجدت سهمًا منجنيقيًا مغروسًا في ظهرك حتى ريشه! لماذا تحمل ذلك السيف؟"

"دعيها في حالها يا إسكرا"، قالت ميستل وهي تمسح عنق حصانها المتعرق. "جيزيلهير، علينا أن نبطئ وإلا سنُنهك الخيول حتى الموت! لا أحد يطاردنا الآن."

"أريد عبور نهر فيلدا قبل فوات الأوان"، رد جيزيلهير بصوتٍ حازم. "سنستريح على الضفة الأخرى. كايلي، كيف حال حصانك؟"

"سيصمد. ليس خيل سباق، لكنه جبارٌ لا يُقهَر."

"انطلقوا إذًا."

"انتظر!" قالت إسكرا بنبرة متحدية. "ماذا عن هذه الصبية؟"

أدار جيزيلهير رأسه، ضبط عصابة رأسه القرمزية، وحدّق في سيري. تشابهت ملامحه مع كايلي كتوأم؛ ابتسامةٌ سامة، عينان ضيقتان، وفك سفلي نحيلٌ بارز. لكنه كان أكبر سنًا من الفأر الأشقر، وظلُّ اللحية على وجنتيه دليلٌ على أنه لم يعد صبيًا.

"أجل، لا بُدَّ من حسم الأمر"، قال بفظاظة. "ماذا عنكِ أيتها العابثة؟"

انحنت سيري رأسها كأنها تبحث عن مهرب.

"لقد أنقذتني"، اندفع كايلي. "لولاها، لثقب ذلك الجبان جسدي بالمسامير!"

"لقد شهد القرويون هروبها معنا"، أضافت ميستل. "ذبحت أحدهم، وأكاد أجزم أنه لفظ أنفاسه. هؤلاء المستوطنون من نيلفغارد لن يرحموها. سيدمِّرونها لو وقعت بين أيديهم. علينا حمايتها."

أطلقت إسكرا شهيقًا غاضبًا، لكن جيزيلهير أسكتها بإشارة.

"ستلتحق بنا"، أعلن، "حتى نصل إلى فيلدا. هناك نقرر مصيرها. أتقني فن الفروسية، وإلا ستتبقى هنا للوحوش. واضح؟"

هزت سيري رأسها باندفاعٍ يُخفي رعبًا.

قال جيزيلهير بلهجةٍ لا تُرحب بالصمت: "تكلمي أيتها الفتاة. من أنتِ؟ من أين أتيتِ؟ ما اسمكِ؟ ولماذا كنتِ تُنقلين تحت الحراسة؟"

انحنت سيري برأسها. خلال الرحلة، كان لديها الوقت لتحيكَ قصةً ما. وفكرت في عدة روايات. لكن زعيم "الجرذان" لم يبدُ كمن سيصدق أيًا منها.

أصر جيزيلهير: "حسنًا، ركبتِ معنا لساعات. تشاركيننا الاستراحات، لكنني لم أسمع حتى صوتكِ. أأنتِ بكماء؟"

انفجرت النيران متصاعدةً بين شرارات متطايرة، غمرت أنقاض كوخ الراعي بموجةٍ من الضوء الذهبي. وكأنها تُطيع أمر جيزيلهير، ألقت الأضواء على وجه سيري، لتكشف الأكاذيب وعدم المصداقية فيه. لكنني لا أستطيع قول الحقيقة، فكرت سيري بيأس. إنهم لصوص. قطاع طرق. إذا اكتشفوا أمر النيلفغارديين، وأن الصيادين أمسكوني للمكافأة، فقد يطمعون فيها. والحقيقة نفسها غريبة جدًا لدرجة أنهم لن يصدقوها.

واصل زعيم العصابة حديثه ببطء: "أخرجناكِ من المستوطنة. جئنا بكِ إلى أحد مخابئنا. أعطيناكِ طعامًا. تجلسين الآن عند نارنا. إذن أخبرينا من تكونين".

تدخلت ميستل فجأةً بنبرة حامية: "دعها وشأنها. عندما أنظر إليك يا جيزيلهير، أرى 'نيسير' أو صيادًا أو أحد أولئك النيلفغارديين الأوغاد! أشعر وكأنني مُقيدةٌ على مقعد تعذيب في زنزانة"!

أيدها الشاب أشقر الشعر مرتديًا جلد الخراف القصير: "ميستل محقة." ارتعشت سيري لسماع لكنته النيلفغاردية. "الفتاة لا تريد البوح بهويتها، وهذا حقها. أنا نفسي لم أقل الكثير عندما انضممت إليكم. لم أرد أن تعرفوا أنني كنت يومًا من أولئك النيلفغارديين"

قاطعه جيزيلهير ملوحًا بيده: "لا تهذر يا ريف. أمرك كان مختلفًا. وأنتِ يا ميستل مخطئة. هذا ليس استجوابًا. أريدها أن تقول من هي ومن أين أتت. حين أعرف، سأرشدها إلى طريق الوطن، لا أكثر. كيف أفعل ذلك دون أن أعلم...؟"

أدارت ميستل وجهها نحوه وقالت بنبرةٍ حادة: "أنت لا تعلم شيئًا. حتى إن كان لها وطنٌ من الأساس. أعتقد أنها لا تملكه. الصيادون قبضوا عليها وهي وحيدةٌ على الطريق. هذه طريقتهم الجبانة. إذا طردتها، لن تعيش في الجبال. إما أن تمزقها الذئاب أو تموت جوعًا".

قال ذو الأكتاف العريضة بصوتٍ مراهقي الخشونة وهو يطعن العصا في جذوع النار المتوهجة: "إذن ماذا نفعل بها؟ أيمكن أن نلقيها قرب قرية ما؟"

ردت ميستل بسخرية لاذعة: "فكرة رائعة يا آسٍ! ألا تعرف كيف يُعامل الفلاحون أمثالها؟ سيُكسرون ساقها لترعى الماشية دون هروب، وتصير ليلًا ملكيةً عامةً يُستباح جسدها. بحلول الربيع، ستلفظ أنفاسها في زريبة خنازير وهي تلد طفلًا مجهول الأب"!

لم يرفع جيزيلهير عينيه عن سيري بينما قال بتمهّل: "لو تركنَا لها فرسًا وسيفًا، فلن أحسد الفلاح الذي يحاول إيذاءها. هل رأيتم رقصتها مع ذلك الصياد في الحانة؟ كان يطعن الهواء بينما كانت تتمايل كأنها في حفل! أعتقد أن مصدر مهاراتها أخطر من اسمها".

تدخلت إسكرا بينما تُشحذ سيفها: "الحِيَل لن تنقذها. البقاء يتطلب القتل، وهي لا تجيده".

ابتسم كايلي: "أجادت ذبح ذلك الرجل! انطلق دمه كالنافورة ستة أقدام"!

زمجرت الإلفية: "وكادت تُغمى عليها من المنظر"!

قالت ميستل مدافعة: "لأنها ما زالت طفلة! أراها لاعبة بهلوانية من فرقة متجولة".

هز جيزيلهير رأسه: "مهلًا! منتصف الليل يقترب. قرية 'نيو فورج' تنتظرنا، عميدها هو من وشى بكايلي للنيسير. يجب أن نُضيء سماءها بلون الدم عند الغسق. أما الفتاة..." التفت نحو سيري: "خذي فرسك وسيفك - اكتسبتهما بجدارة. سنُمدك بزادٍ وقروشٍ مقابل إنقاذك كايلي. ثم اذهبي حيث تشائين".

بفضولٍ مشحونٍ بالترقب.

كررت بدهشةٍ من غرابة صوتها: "حسنًا. لا أحتاجكم، لم أطلب شيئًا... ولا أريد البقاء معكم! سأرحل"—

قطع جيزيلهير بصوته الغامض: "إذن لستِ بكماء. لا تتحدثين فحسب، بل تتفوهين بوقاحة".

قالت إسكرا وهي تتفحصها: "انظروا إلى عينيها. طريقة حملها لرأسها... إنها جارحة! صقرٌ يافع"!

سأل كايلي بتحدٍ: "تريدين الرحيل. إلى أين، إن جاز السؤال؟"

صاحت سيري متألقة العينين بضوءٍ أخضر: "ماذا يهمك؟ هل سألتك عن وجهتكم؟ لا أهتم! ولن أطلب مساعدتكم! أستطيع الاعتماد على نفسي... وحدي"!

كررت ميستل بابتسامةٍ غامضة: "وحدكِ؟" سكتت سيري منخفضةً رأسها. ساد الهدوء.

أعلن جيزيلهير أخيرًا: "الليل يخيم. لا أحد يركب في الظلام، ولا يصحب نفسه وحيدًا. الوحيدون يموتون. هناك بطانياتٌ وجلودٌ قرب الخيول. خذي ما تحتاجين. الجبال قاسية البرد. لماذا تحدقين بي بعينيكِ الزمرديتين؟ هيئي فراشكِ ونامي. أنتِ بحاجةٍ للراحة".

أطاعته بعد تردد. حين عادت حاملة البطانية، لم يعد "الجرذان" حول النار. وقفوا نصف دائرةٍ تتألق في عيونهم انعكاسات اللهب القرمزية.

قال جيزيلهير بفخر: "نحن جرذان الثغور. نشم الغنائم من مسافة، لا نخشى الفخاخ، ولا شيء يقف في طريقنا." أومأ لها: "تعالي".

تقدمت.

"أنتِ لا تملكين شيئًا." قدم لها حزامًا مرصعًا بالفضة.

"لا عائلةَ ولا مأوى." ألقت ميستل عليها قميصًا حريريًا أخضر.

"أنتِ وحيدة." منحها كايلي خنجرًا صغيرًا في غمدٍ مرصَّع.

"لا أحدَ ينتظرك." وضع آسي قلادةً مزخرفةً حول عنقها.

"لا عائلةَ ولا..." قدم ريف قفازاتٍ جلديةً بنبرته النيلفغاردية.

أكملت إسكرا بلا اكتراثٍ بينما تضع قبعةً بريش الطاووس على رأسها: "ستظلين غريبة. مختلفة. ماذا نسميكِ أيها الصقر؟"

نظرت سيري في عينيها: "جفالتشا".

ضحكت الإلفية: "عندما تنطقين، تفعلينها بلسان الأقدمين! ليكن. ستحملين اسمًا من لغة الشعب القديم اختارته لنفسك. ستكونين... فالكا".

فالكا، لم تستطع النوم. كانت الخيول تصهل وتدوس في الظلام، والريح تعوي في قمم أشجار التنوب. كانت السماء تتلألأ بالنجوم. "العين"، التي كانت دليلها الأمين في الصحراء الصخرية لأيام عديدة،

تضيء بضوء ساطع. كانت "العين" تشير إلى الغرب، لكن سيري لم تعد متأكدة إن كان ذلك هو الطريق الصحيح. لم تكن متأكدة من أي شيء بعد الآن.

لم تستطع النوم، رغم أنها شعرت بالأمان للمرة الأولى منذ أيام. لم تعد وحيدة. صنعت فراشًا مؤقتًا من الأغصان بعيدًا، على مسافة ما، عن الجرذان الذين كانوا ينامون على أرضية الطين الدافئة التي أضرمت عليها النار في الكوخ المتهدم للراعي. كانت بعيدة عنهم، لكنها تشعر بقربهم ووجودهم. لم تكن وحيدة.

سمعت خطوات هادئة.

"لا تخافي".

كان كايلي.

"لن أخبرهم أن نيلفجارد يبحثون عنكِ،" همس كايلي وهو يركع وينحني عليها. "لن أفشي سر المكافأة التي وعد بها حاكم أماريلو مقابل رأسكِ. لقد أنقذتِ حياتي في النزل. سأرد لكِ الجميل. بشيء لطيف. الآن".

استلقى بجانبها، ببطء وحذر. حاولت سيري النهوض، لكن كايلي ضغط عليها على فراشها بقوة وثبات، لكن بلطف. وضع أصابعه برفق على فمها، رغم أنه لم يكن مضطرًا لذلك. كانت سيري متجمدة من الخوف، ولم تكن تستطيع أن تصرخ من حلقها الجاف المؤلم حتى لو أرادت. لكنها لم ترغب في ذلك. كان الصمت والظلام أفضل. أكثر أمانًا وألفة. كانت مشاعر الرعب والخجل تغمرها. تأوهت.

"اهدئي يا صغيرة،" همس كايلي وهو يفك أزرار قميصها ببطء. بحركات لطيفة، أزاح القماش عن كتفيها، وسحب حافة القميص فوق وركيها. "لا تخافي. سترين كم سيكون الأمر ممتعًا".

ارتجفت سيري تحت لمسة يده الخشنة الجافة الصلبة. استلقت بلا حراك، متصلبة ومتوترة، يملؤها خوف طاغٍ سلب إرادتها، وإحساس مقزز ساحق، هاجم صدغيها وخديها بموجات من الحرارة. دس كايلي ذراعه اليسرى تحت رأسها، وجذبها إليه، محاولًا إزاحة يدها التي كانت تمسك بإحكام بطية قميصها وتحاول عبثًا سحبه إلى الأسفل. بدأت سيري ترتجف.

شعرت بحركة مفاجئة في الظلام حولها، وشعرت بهزة، وسمعت صوت ركلة.

"ميستل، هل أنتِ مجنونة؟" زمجر كايلي، ورفع نفسه قليلًا.

"اتركها وشأنها، أيها الوغد".

"ابتعد. عد إلى فراشك".

"اتركها وشأنها، قلتُ لك".

"هل تريني أزعجها؟ هل ترينها تصرخ أو تقاوم؟ أردتُ فقط أن أحتضنها لتنام. لا تتدخلي".

"ابتعد من هنا وإلا قطعتك".

سمعت سيري صوت احتكاك سكين في غمد معدني.

"أنا جادة،" كررت ميستل، تلوح مبهمة في الظلام فوقهما.

"ابتعد وانضم إلى الأولاد. الآن".

نهض كايلي وتمتم بكلمات نابية. نهض دون كلمة واحدة ومشى بعيدًا بسرعة.

شعرت سيري بالدموع تنهمر على خديها، بسرعة، بسرعة أكبر فأكبر، تزحف كديدان متلوية بين شعرها بجوار أذنيها. استلقت ميستل بجانبها، وغطتها بحنان بالفرو. لكنها لم تسحب القميص المُهلهل إلى الأسفل. تركته كما كان. بدأت سيري ترتجف مرة أخرى.

"كوني هادئة، فالكا. كل شيء على ما يرام الآن".

كانت ميستل دافئة، ورائحتها كرائحة الراتنج والدخان. كانت يدها أصغر من يد كايلي؛ أكثر رقة، أنعم. أكثر متعة. لكن لمستها جعلت سيري تتصلب مرة أخرى، سيطرت على جسدها بالكامل بالخوف والاشمئزاز، قبضت على فكها وضيقت حلقها. استلقت ميستل بالقرب منها، تحضنها بحماية وتهمس بتهدئة، ولكن في الوقت نفسه، كانت يدها الصغيرة تزحف بلا هوادة كحلزون صغير دافئ، بهدوء، بثقة، بشكل حاسم. متأكدة من طريقها ووجهتها. شعرت سيري بأن كماشة الاشمئزاز والخوف

ترتخي، وتفقد قبضتها؛ شعرت بنفسها وهي تنزلق من قبضتها وتغرق، تغرق، عميقًا، أعمق فأعمق، في بئر دافئ ورطب من الاستسلام والخضوع العاجز. خضوع مقزز ومُهين وممتع.

أنت أنينًا خافتًا، يائسًا. أنفاس ميستل أحرقت رقبتها. شفتاها الرطبتان المخمليتان دغدغتا كتفها، عظمة الترقوة، تنزلقان ببطء شديد إلى الأسفل. أنَّت سيري مرة أخرى.

"اهدئي، فالكون،" همست ميستل، وهي تُدخل ذراعها تحت رأسها بلطف. "لن تكوني وحيدة الآن. ليس بعد الآن".

في صباح اليوم التالي، استيقظت سيري مع الفجر. انسلّت بحذر من تحت الفرو، دون إيقاظ ميستل، التي كانت تنام وشفتيها مفتوحتين وذراعها يُغطي عينيها. كان عليها جلد الوز على ذراعها. غطت سيري الفتاة بحنان. وبعد لحظة من التردد، انحنت وقبلت ميستل بلطف على شعرها القصير، الذي كان منتصبًا كفرشاة. تمتمت في نومها. مسحت سيري دمعة من خدها.

لم تكن وحيدة بعد الآن.

كان بقية الجرذان نائمين أيضًا؛ أحدهم كان يشخر، وآخر أطلق ريحًا بصوت عالٍ. كانت إيسكرا مستلقية وذراعها على صدر جيزيلهير، وشعرها الفاخر في حالة فوضى. كانت الخيول تصهل وتدوس، ونقر نقار الخشب جذع صنوبر بسلسلة قصيرة من الضربات.

ركضت سيري إلى مجرى مائي. قضت وقتًا طويلًا في الاغتسال، وهي ترتجف من البرد. كانت تغسل بحركات عنيفة من يديها المرتجفة، محاولة أن تغسل ما لم يعد من الممكن غسله. الدموع تنهمر على خديها.

فالكا.

كان الماء يرغو ويهدر على الصخور، ويتدفق بعيدًا إلى المسافة؛ إلى الضباب.

كل شيء كان يتدفق بعيدًا إلى المسافة. إلى الضباب.

كل شيء.

كانوا منبوذين. كانوا مزيجًا غريبًا، جمعتهم الحرب وسوء الحظ والاحتقار. الحرب وسوء الحظ والاحتقار جمعتهم وألقت بهم على الضفة، كما يلقي النهر فيضانًا بقطع خشب سوداء عائمة ناعمة بفعل الحجارة على ضفافه.

استيقظ كايلي في الدخان والنار والدم، في معقل منهوب، مستلقيًا بين جثث والديه بالتبني وإخوته. زاحفًا عبر الفناء المليء بالجثث، عثر على ريف. كان ريف جنديًا من حملة عقابية، أرسلها الإمبراطور إمهير فار إمريس لسحق التمرد في إبينغ. كان أحد الجنود الذين استولوا على المعقل ونهبوه بعد حصار دام يومين. بعد الاستيلاء عليه، تخلى رفاق ريف عنه، رغم أن ريف كان لا يزال على قيد الحياة. لم يكن الاعتناء بالجرحى من عادات قتلة الفرق الخاصة النيلفجاردية.

في البداية، خطط كايلي لإنهاء حياة ريف. لكن كايلي لم يرغب في أن يكون وحيدًا. وكان ريف، مثل كايلي، يبلغ من العمر ستة عشر عامًا فقط.

لعقوا جراحهم معًا. معًا قتلوا وسرقوا جابي ضرائب، ومعًا التهموا البيرة في حانة، وفي وقت لاحق، بينما كانوا يركبون عبر القرية على خيول مسروقة، نثروا بقية الأموال المسروقة في كل مكان حولهم، وهم يضحكون بشدة.

معًا، هربوا من النيسير ودوريات نيلفجارد.

فرّ جيزيلهير من الجيش .يُحتمل أنه كان جيش سيد غيسو الذي تحالف مع متمردي إبينغ. على الأرجح. لم يعرف جيزيلهير تحديدًا إلى أين جرّه المجندون. كان في حالة سكر شديد في ذلك الوقت. وعندما أفاق من ثمالته تلقى أول ضرب مبرح من رقيب التدريب، فهرب.

في البداية، تجول بمفرده، ولكن بعد أن سحق النيلفجارد التحالف الثوري، كانت الغابات تعج بالهاربين والفارين الآخرين. سرعان ما تشكل هؤلاء الفارين في عصابات. انضم جيزيلهير إلى إحداها.

نهبت العصابة وأحرقت القرى، وهاجمت القوافل ووسائل النقل، ثم تضاءلت أثناء عمليات الهروب اليائسة من قوات الفرسان النيلفجاردية.

خلال إحدى تلك الرحلات، صادفت العصابة بعض جنود الغابات في غابة كثيفة والتقت بالدمار؛ التقت بالموت غير المرئي، الذي انقض عليهم في شكل سهام رمادية تطير من كل حدب وصوب.

اخترق أحد الأسهم كتف جيزيلهير وثبته على شجرة. في صباح اليوم التالي، كان الشخص الذي سحب السهم وضمّد جرحه هو آينوي إيدن.

لم يعرف جيزيلهير أبدًا لماذا حكمت الجن على آينوي إيدن بالنفي، أو عن أي فعل شائن حكموا عليها بالإعدام؛ حيث أن ذلك كان بمثابة حكم بالإعدام على جنٍّ حرٍّ أن يكون وحيدًا في الشريط الضيق من المنطقة الحرام التي تفصل بين كبار السن الأحرار عن البشر. كان من المؤكد أن يهلك الجان الوحيد إذا فشل في العثور على رفيق.

وجدت آينوي إيدن رفيقًا. كان اسمها، الذي يعني "طفلة النار" بترجمة غير دقيقة، صعبًا وشاعريًا للغاية بالنسبة لجيزيلهير. فدعاها إيسكرا.

بينما جاءت ميستل من عائلة ثرية نبيلة من مدينة ثورن في شمال ماخت. انضم والدها، وهو تابع لدوق روديجر، إلى الجيش الثوري، وهُزم واختفى دون أثر. عندما كان أهالي ثورن يهربون من المدينة عند سماع نبأ حملة عقابية قادمة من قبل مُهدئي جميرا سيئي السمعة، هربت عائلة ميستل أيضًا، لكن ميستل ضاعت في الحشد المذعور.

لم تستطع الفتاة الأنيقة والرقيقة، التي كانت تُحمل في كرسي محمول منذ الطفولة المبكرة، مواكبة الهاربين. بعد ثلاثة أيام من التجوّل الانفرادي، وقعت في أيدي صائدي البشر الذين كانوا يتبعون النيلفجارد. كانت الفتيات الأصغر من سبعة عشر عامًا مطلوبة. طالما أنهن لم يُمَسسن. لم يلمس صائدو البشر ميستل، ليس بعد أن تأكدوا من أنها حقًا لم تُمس. قضت ميستل الليلة بأكملها بعد الفحص وهي تنتحب.

في وادي نهر فيلدا، هوجمت قافلة صائدي البشر وذُبحت على يد عصابة من الغزاة النيلفجرديين. قُتل جميع صائدي البشر والأسرى الذكور. لم تُمس الفتيات. لم تعرف الفتيات لماذا لم يُمسن. جهلهن هذا لم يدم طويلًا.

كانت ميستل الناجية الوحيدة. أُخرجت من الخندق حيث أُلقيت عارية، مغطاة بالكدمات والأوساخ والطين والدم المتجمد، على يد آس، ابن حداد القرية، الذي كان يطارد النيلفجارديين منذ ثلاثة أيام، وقد جن جنونه من رغبة في الانتقام لما فعله الغزاة بأبيه وأمه وأخواته، والذي اضطر إلى مشاهدته، مختبئًا في حقل قنب.

التقوا جميعًا ذات يوم خلال احتفالات لاماس، عيد الحصاد، في إحدى القرى في غيسو. في ذلك الوقت، لم تكن الحرب والبؤس قد أثقلت كاهل الأراضي الواقعة على نهر فيلدا العلوي بشكل خاص - كانت القرى تحتفل ببداية شهر المنجل تقليديًا، بحفل صاخب ورقص.

لم يستغرقوا وقتًا طويلًا للعثور على بعضهم البعض في الحشد المرح. الكثير مما يميزهم. كان لديهم الكثير من القواسم المشتركة. كانوا متحدين بحبهم للأزياء البراقة الملونة الفاخرة، والحلي المسروقة، والخيول الجميلة، والسيوف - التي لم يفكوا حتى أزرارها وهم يرقصون. برزوا بسبب غرورهم وصلفهم، وثقتهم المفرطة بأنفسهم، ووقاحتهم الاستهزائية، واندفاعهم.

واحتقارهم.

كانوا أبناء زمن الاحتقار. ولم يكن لديهم سوى الاحتقار للآخرين. بالنسبة لهم، لم تكن القوة مهمة إلاّ. مهارة استخدام الأسلحة، التي اكتسبوها بسرعة على الطرق السريعة. العزيمة. الخيول السريعة والسيوف الحادة.

والرفاق. الزملاء. الأصحاب. لأن من يكون وحيدًا سيَهلك؛ من الجوع، من السيف، من السهم، من الهراوات الفلاحية البدائية، من حبل المشنقة، أو في النيران. من يكون وحيدًا سيَهلك؛ مطعونًا أو مضروبًا أو مَركلًا حتى الموت، مُدنَّسًا، كدمية تُمرر من يد إلى يد.

التقوا في عيد الحصاد. جيزيلهير الكئيب، الأسود الشعر، النحيل. كايلي النحيل، طويل الشعر، بعيونه الخبيثة وفمه الذي ارتسم بابتسامة ساخرة كريهة. ريف، الذي كان لا يزال يتحدث بلكنة نيلفجاردية. ميستل الطويلة، طويلة الساقين، بشعرها القصير، بلون القش المنتصب كفرشاة. إيسكرا ذات العيون الكبيرة الملونة، الرشيقة والأثيرية في الرقص، السريعة والمميتة في القتال، بشفتيها الضيقتين وأسنانها الصغيرة الشبيهة بأسنان الجن. آس ذو الكتفين العريضين والشعر الأشقر المجعد على ذقنه.

أصبح جيزيلهير القائد. وأطلقوا على أنفسهم اسم "الجرذان."

أطلق عليهم أحدهم هذا الاسم فأحبوه.

نهبوا وقتلوا، وباتت قسوتهم أسطورية.

في البداية، تجاهلهم حكام المقاطعات النيلفجاردية. كانوا على يقين من أنهم - على غرار العصابات الأخرى - سيقعون بسرعة ضحية للصفوف الحاشدة من الفلاحين الغاضبين، أو أنهم سيدمرون أو

يذبحون بعضهم البعض عندما تجعل كمية الغنائم التي جمعوها الجشع ينتصر على التضامن الإجرامي. كان الحكام على حق فيما يتعلق بالعصابات الأخرى، لكنهم كانوا مخطئين عندما يتعلق الأمر بالجرذان. لأن الجرذان، أبناء الاحتقار، احتقروا الغنائم. كانوا يهاجمون ويسرقون ويقتلون من أجل التسلية، وكانوا يوزعون الخيول والماشية والحبوب والعلف والملح والقار الخشبي والقماش المسروق من وسائل النقل العسكرية في القرى. كانوا يدفعون للخياطين والحرفيين حفنات من الذهب والفضة مقابل الأشياء التي يحبونها أكثر من غيرها: الأسلحة والأزياء والحلي. كان المستفيدون يُطعمونهم ويسقونهم، ويُؤوونهم ويُخبئونهم. حتى عندما كانوا يُجلدون بوحشية على أيدي النيلفجارد والنيسير، لم يكشفوا عن مخابئ الجرذان أو طرقهم المفضلة.

عرض الحكام مكافأة سخية؛ وفي البداية، كان هناك أشخاص أغراهم الذهب النيلفجاردي. ولكن في الليل، كانت أكواخ المخبرين تُضرم فيها النيران، وكان الأشخاص الذين يهربون من الجحيم يموتون على الشفرات اللامعة للفرسان الأشباح الذين يدورون في الدخان. هاجمت الجرذان مثل الجرذان. بهدوء، بخيانة، بقسوة. عشقت الجرذان القتل.

استخدم الحكام أساليب تم تجربتها واختبارها ضد العصابات الأخرى؛ حاولوا عدة مرات زرع خائن بين الجرذان.

دون جدوى. لم يقبل الجرذان أحدًا. لم تُرد المجموعة الوثيقة والمتماسكة المكونة من ستة أفراد في زمن الاحتقار غرباء. كانوا يحتقرونهم.

حتى اليوم الذي ظهرت فيه فتاة شاحبة الشعر، صامتة، رشيقة مثل بهلوان، فتاة لم يعرف عنها الجرذان شيئًا.

بصرف النظر عن حقيقة أنها كانت مثلهم في الماضي؛ مثل كل واحد منهم. وحيدة ومليئة بالمرارة، مرارة لما أخذه زمن الاحتقار منها.

وفي أزمنة الاحتقار، كل من هو وحيد لا بد أن يهلك.

جيزيلهير، كايلي، ريف، إيسكرا، ميستل، آس، وفالكا.

ذُهل حاكم أماريلو لدهشته عندما علم أن الجرذان يعملون الآن كعصابة من سبعة أفراد.

"سبعة؟" قال حاكم أماريلو بدهشة، وهو ينظر إلى الجندي في حالة عدم تصديق. "كانوا سبعة، وليس ستة؟ هل أنت متأكد؟"

"أقسم بحياتي،" تمتم الجندي الوحيد الذي نجا من المذبحة.

كانت أمنيته في محلها تمامًا؛ كان رأسه ونصف وجهه ملفوفين بضمادات قذرة ملطخة بالدماء. كان الحاكم، الذي لم يكن غريبًا عن القتال، يعرف أن السيف ضرب الجندي من الأعلى واليسار - بطرف النصل تمامًا. ضربة دقيقة، مُحكمة، تتطلب خبرة وسرعة، مُوجهة إلى الأذن والخد الأيمنين؛ مكان غير محمي لا بخوذة ولا بدرع حلقي.

"تكلم".

"كنا نسير على طول ضفة نهر فيلدا باتجاه ثورن،" بدأ الجندي. "كانت لدينا أوامر بمرافقة إحدى قوافل تشامبرلين إيفرتسن المتجهة جنوبًا. هاجمونا عند جسر مُهدم، بينما كنا نعبر النهر. علقت إحدى العربات، لذلك قمنا بفصل الخيول عن عربة أخرى لسحبها. واصلت بقية القافلة سيرها وبقيتُ مع خمسة رجال والوكيل. حينها قفزوا علينا. تمكن الوكيل، قبل أن يقتلوه، من الصراخ بأنهم الجرذان، ثم انقضوا علينا... وقضوا على آخر رجل فينا. عندما رأيت ما كان يحدث"...

"عندما رأيت ما كان يحدث،" زمجر الحاكم، "أسرعت لحصانك. لكن بعد فوات الأوان لإنقاذ جلدك".

"أدركني ذلك السابع،" قال الجندي، وهو يخفض رأسه. "ذلك السابع، الذي لم أره في البداية. كان فتاة صغيرة لا يزيد عمرها عن عمر طفلة. اعتقدت أن الجرذان تركوها في الخلف لأنها صغيرة وعديمة خبرة"...

انزلق ضيف الحاكم من الظل حيث كان يجلس. "كانت فتاة؟" سأل. "كيف كانت تبدو؟"

"تمامًا مثل الآخرين. مُزينة ومُكحلة مثل جنية، ملونة كببغاء، ترتدي حُليًا، من المخمل والديباج، وقبعة بريش "

"شعرها أشقر؟"

"أعتقد ذلك، يا سيدي. عندما رأيتها، أسرعت، ظنًا مني أنني سأقتل واحدًا على الأقل للانتقام لرفاقي؛ وأنني سأرد الدم بالدم... تسللتُ إليها من اليمين، لتسهيل الضرب... لا أعرف كيف فعلت ذلك. لكنني أخطأتها. كما لو كنت أضرب شبحًا أو طيفًا... لا أعرف كيف فعلت تلك الشيطانة ذلك. كنتُ متيقظًا لكنها ضربتني مباشرة في وجهي... يا سيدي، كنتُ في سودن، كنتُ في ألدرسبرج ولم أُصَبْ بسوء. والآن لدي تذكار لبقية حياتي من عاهرة مُزينة"...

"كن ممتنًا لأنه لم يُعثرْ عليك مذبوحًا عند معبر النهر،" زمجر الحاكم، وهو ينظر إلى ضيفه. "الآن يُمكنك لعب دور البطل. لو هربت دون قتال، ولو أبلغت عن فقدان الحمولة دون ذلك التذكار، لقُمتَ بشنق نفسك قريبًا وأصبحت تُحرك كعبيك معًا! حسنًا. انصرف. إلى المستشفى الميداني".

غادر الجندي. التفت الحاكم نحو ضيفه.

أترى بنفسك أيها المحقق الموقر، أن الخدمة العسكرية هنا ليست بالأمر الهيّن. لا راحة لدينا؛ أيادينا ممتلئة. أنتم هناك، في العاصمة، تظنون أننا في المقاطعة لا نفعل سوى اللهو، وشرب الجعة، والتحرش بالفتيات، وقبول الرشاوى. لا أحد يفكر بإرسال بضعة رجال إضافيين، أو بضع عملات فضية. فقط الأوامر تتوالى: أعطونا هذا، افعلوا ذاك، ابحثوا عن هذا، أيقظوا الجميع، واجروا من الفجر حتى المغيب... بينما رأسي ينفجر بمشاكلي الخاصة. هناك خمس أو ست عصابات مثل 'الجرذان' تنشط هنا. صحيح أن 'الجرذان' هم الأسوأ، لكن لا يمر يوم دون..."

"كفى، كفى،" قال ستيفان سكيلين، قابضًا شفتيه بإحكام. "أعرف جيدًا ما تهدف إليه شكواك، أيها الحاكم. لكنك تضيع وقتك. لن يعفيك أحد من أوامرك. لا تعوّل على ذلك. سواء كان هناك 'جرذان' أو لم يكن، عصابات أو لم يكن، عليك الاستمرار في البحث. باستخدام كل الوسائل المتاحة، حتى إشعار آخر. هذا أمر إمبراطوري."

"لقد بحثنا لثلاثة أسابيع،" قال الحاكم بامتعاض. "دون أن نعرف فعليًا عمّن أو عمّا نبحث: شبح، طيف، أو إبرة في كومة قش. وما النتيجة؟ فقط أن بضعة رجال اختفوا دون أثر، بلا شك قُتلوا على يد متمردين أو قطاع طرق.

أخبرك مرة أخرى، أيها المحقق، إن لم نعثر على فتاتك حتى الآن، فلن نعثر عليها أبدًا. حتى لو كانت مثل هذه الفتاة موجودة هنا، وهو ما أشك فيه. إلا إذا.."

توقف الحاكم عن الكلام، متأملًا، وهو يعبس محدقًا في المحقق.

"تلك الفتاة... تلك السابعة التي تركب مع 'الجرذان'..."

لوّح "البومة الكستنائية" بيده بلا مبالاة، محاولًا جعل إيماءته وتعبير وجهه مقنعين.

"لا، أيها الحاكم. لا تتوقع حلولًا سهلة. فتاة نصف قزمية مزينة أو قطاع طرقية أخرى ترتدي الديباج ليست بالتأكيد الفتاة التي نبحث عنها. قطعًا ليست هي. تابع البحث. هذا أمر."

أصبح الحاكم متجهمًا، ونظر عبر النافذة.

"وبشأن تلك العصابة،" أضاف ستيفان سكيلين، محقق الإمبراطور إيمير، المعروف أحيانًا باسم "البومة الكستنائية"، بنبرة بدت غير مكترثة، "تلك 'الجرذان'، أو أيا كانوا يسمّون أنفسهم... تعامل معهم، أيها الحاكم. النظام يجب أن يسود في المقاطعة. أنجز المهمة. امسك بهم وعلقهم على المشانق، دون مراسم أو ضجة. جميعهم."

"هذا سهل القول،" تمتم الحاكم. "لكنني سأبذل كل ما في وسعي، أرجو أن تطمئن الإمبراطور إلى ذلك. مع ذلك، أعتقد أنه من المفيد أخذ تلك الفتاة السابعة مع 'الجرذان' حية، فقط للتأكد.."

"لا،" قاطع "البومة الكستنائية"، متأكدًا من ألا تخونه نبرة صوته. "دون استثناء، شنقهم جميعًا. السبعة جميعًا. لا نريد سماع أي شيء عنهم بعد الآن. ليس كلمة واحدة."

** تمت **



ترجمة المؤلف:

أندريه سابكوسكي وُلد عام 1948في بولندا، درس الاقتصاد وإدارة الأعمال، لكن نجاح سلسلته الفانتازية حول الويتشر جيرالت من ريفيا جعله واحدًا من أبرز الكُتّاب في مجال الأدب الخيالي. يُعتبر اليوم أحد أشهر الكُتّاب البولنديين وأكثرهم نجاحًا على الإطلاق، حيث حققت أعماله شهرة عالمية وترجمت للغات عدة، وأثرت بشكل كبير في ثقافة الفانتازيا الحديثة.

أعماله:

The Last Wish-1 (الأمنية الأخيرة) – 1993

Sword of Destiny-2 (سيف المصير) – 1992

Blood of Elves-3 (دماء الإلفيين) – 1994

The Time of Contempt-4 (زمن الازدراء) – 1995

Baptism of Fire-5 (معمودية النار) – 1996

The Tower of Swallows-6 (برج السنونو) – 1997

The Lady of the Lake-7 (سيدة البحيرة) – 1999

Season of Storms-8 (موسم العواصف) – صدرت بالإنجليزية 2018

وعلى الرغم من أن رواية الأمنية الأخيرة "The Last Wish" نُشرت بعد رواية سيف المصير "Sword of Destiny"، إلا أنها تُعتبر أول رواية في السلسلة زمنيًا لأنها تجمع قصصًا سابقة تم نشرها بشكل متفرق.

يذكر أن سلسلة "الويتشر" أصبحت من أشهر سلاسل الفانتازيا الملحمية، وتم تحويلها إلى لعبة فيديو تعد من أنجح الألعاب على الإطلاق، ومسلسل تلفزيوني لازال يصدر على شكل مواسم حتى الآن في شبكة Netflix .